المشروع التأسيسي لعلم الاستغراب

نقد الحضارة الغربية

(تاريخ الإغريق قبل القرن التاسع ق.م)

الجزء الأول

مجموعة باحثين

العتبة العباسية المقدسة
المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية

نقد الحضارة الغربيّة (1)

(تاريخ الإغريق قبل القرن التاسع ق.م)

نقد الحضارة الغربية. الجزء الأول : تاريخ الاغريق قبل القرن التاسع ق.م / تأليف مجموعة باحثين.- الطبعة الأولى.- النجف، العراق : العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، 1442 هـ. = 2020.

مجلد : ايضاحيات ؛ 24 سم.-(المشروع التأسيسي لعلم الاستغراب)

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.

ردمك : 9789922625560

1. الاغريق--تاريخ--القرن 9-15 قبل الميلاد. أ. العنوان.

LCC : DF221.2 .N37 2020

DDC : 938

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

فهرسة اثناء النشر

نقد الحضارة الغربيّة (1)

(تاريخ الإغريق قبل القرن التاسع ق.م)

مجموعة باحثين

هويّة الكتاب

نقد الحضارة الغربية (1)

(تاريخ الإغريق قبل القرن التاسع ق.م)

إشراف

السيد هاشم الميلاني

رئيس التحرير

الشيخ حسن الهادي

مدير التحرير

د. محمد مرتضى

الهيئة العلميّة

* د. أحمد الخضر (سوريا)
* د. مصطفى النشّار (مصر)
* د. جميل حمداوي (المغرب)
* د. محمود حيدر (لبنان)
* د. موسى معيرش (الجزائر)
* د. نور الدين السافي (تونس)
* د. عمر الأمين محمد عبد الله (السودان)

الإخراج الفنّي

سيد علي مير حسين

الناشر

العتبة العباسيّة المقدّسة / المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجيّة

الطبعة: الأولى 2020م / 1442هـ

(إنّ جميع الأبحاث الواردة في هذا الكتاب محكّمة من قبل لجنة علميّة)

فهرس المحتويات

- مقدمة 9

- مدخل 13

الفصل الأول: الأصول

- الإغريق: نظرة عامّة

محمد الزين 31

- أصل الإغريق وأحوالهم وهجراتهم

خليل سارة 63

- حضارة كريت

إبراهيم أحمد سعيد 103

- الحضارة الموكينيّة 1700 ـ1100 ق.م

أحمد محسن الخضر 121

- الكتابة والتدوين في عصر الإغريق القديم

عبد الله السليمان 145

- التأثيرات الشرقيّة على الحضارة الإغريقية

نبيل علي صالح 177

فهرس المحتويات

الفصل الثاني: الدين والأسطورة

ـ الأسطورة بين الحضارة الكريتيّة والحضارة الآخية

محمود كيشانه 213

ـ الشرك وتعدّد الآلهة في منظومة الإلياذة

غيضان السيّد علي 251

الأساطيروالآداب الإغريقيّة بين الأصول الشرقيّة والمحليّة

نوال طبيب 279

ـالمؤثّرات المصريّة في الميثولوجيا الإغريقية

عزيزة عبد المنعم صبحي 301

ـ نظام الآلهة عند الإغريق القدماء

محمد المحمّد الحسين 349

ـ المعابد والطقوس في تاريخ الإغريق القديم

محمد المحمّد الحسين 369

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة

كان علمُ التاريخ في السابق معنيًّا بتدوين الوقائع والحوادث البشريّة كما حصلت في وعاء الزمن الماضي، ثم تطوّر ليتكفّل ـ بالإضافة إلى وصف الأحداث وتدوينها ـ بتفسير الوقائع وتحليلها وتعليلها وكشف العلاقات والروابط بينها. وشهد في العصر الحديث تطوّرًا في مدلوله، فاتّسع ليشمل كلّ شيء في الطبيعة والحضارة؛ «الأرض، والمعادن، والنباتات، والحيوان، والأفكار، والعلوم...، إلى جانب الفعاليّات الإنسانية»[1]، فلم يعد علم التاريخ منحصرًا بدراسة الوقائع البشريّة التي حدثت في الزمن الماضي فقط، بل اتّسع ليشمل ميادين المعارف والعلوم، والأديان، والفلسفات البشريّة، وتاريخ الأرض وما يعيش عليها من مخلوقات وتحويه من كائنات وظواهر...، وبدأ العلماء يميّزون بين أنواع من التاريخ: كالتاريخ النقلي، والتاريخ العلمي، وفلسفة التاريخ[2]... وأصبح علم التاريخ متداخلاً مع العديد من العلوم، كالأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع والسياسة والاقتصاد وعلم النّفس...

لذا، بات من الواجب على الباحث التاريخي أن يحيط بالظّواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية والفنيّة والفلسفيّة...، التي تتّصل بالعصر الذي يريد دراسته، وأن يستند على منهجٍ بحثيٍّ ينسجم مع طبيعة العلم الذي يبحث فيه، وبالتحقيق والتحليل والمقارنة والنقد، يصل إلى نتائج علميّةٍ موضوعيّةٍ منسجمةٍ مع القواعد والضوابط المنهجيّة للبحث.

---

[1]- محمد مهدي شمس الدين،التاريخ وحركة التقدّم البشري ونظرة الإسلام، ص 13.

[2]- انظر: كاظم ياسين، منهجيّة البحث في تاريخ الإسلام، ط1، بيروت، مركز المصطفى العالمي للدراسات والترجمة والنشر، 1434هـ2013-م، ص49.

وبناءً عليه، إنّنا عندما نطلق مشروعًا علميًّا تحت مسمّى «**نقد الحضارة الغربيّة**» لا نقصد به إعادة كتابة تاريخ الغرب وتوصيفه مرّة أخرى، فقد تكفّل الغرب نفسه بذلك، وإنّما نقصد إعادة تظهير هذا التاريخ من خلال إجراء قراءةٍ تحليليّةٍ نقديّةٍ لتاريخ الغرب بجميع حقوله؛ المعرفيّة، الدينيّة، الثقافية، الاجتماعية، السياسية، والاقتصادية... وفي جميع أزمانه؛ الإغريق؛ القرون الوسطى، التنوير والحداثة، ما بعد الحداثة، وصولاً الى عصرنا الراهن، فنحن أمام تاريخ غربيّ يمتدُّ لحوالي أربعة آلاف سنة؛ مليءٍ بالخرافات والأساطير، وما لا يقبله منطق، ولا إنسان عاقل...

ولمّا كان الغرب الحديث يعتبر أنّ تاريخه، الفكري على الأقل، قد بدأ مع الإغريق، أو ما أُطلِق عليه هو نفسه بالمعجزة الإغريقيّة، فقد ارتأينا أن ينطلق مشروعنا النّقديّ من تلك الحقبة التأسيسيّة، وتحديدًا من ما قبل القرن التاسع قبل الميلاد؛ ذلك أنّ تلك الفترة تُعدّ اللّبنة الأساسيّة، والعماد الذي اعتمد عليه الغرب في تكوين نفسه، كما أنّ البحث عن جذور الغرب والحفر الأركيولوجي يوصلنا لا محالة إلى هذه الفترة الزّمنيّة. وهو ما يحتّم علينا، ولاعتبارات منهجيّة، أن نقسِّم العمل إلى مراحل، وقد ارتأينا أن تكون البداية من ما قبل القرن التاسع قبل الميلاد، وهي مرحلة تمتدّ إلى حوالي عام 1500 قبل الميلاد؛ حيث بالإمكان رصد معالم تلك المرحلة من نواحٍ عديدة، وحيث يمكن إيجاد بعض المصادر عنها، ومحاولة رسم معالمها وخصوصياتها.

ولهذا فقد أطلقنا على هذا الكتاب بجزئيه، اسم «**تاريخ اليونان قبل القرن التاسع ق.م**». وهو من ضمن سلسلة نقد الحضارة الغربيّة، والمشروع التأسيسي لعلم الاستغراب.

ولا بد من الإشارة إلى أنّ هذه المرحلة هي مرحلة أولى، وحيث إن طابعها العام

يُركِّز على أنَّ المؤثّرات الشرقيّة كان لها الدور الهام في ولادة هذه الحضارة الغربية، وهذا بحد ذاته يمثّل نقداً، فلا غرابة أن نجد أنّ جزءاً من الأبحاث بمثابة الأبحاث التعريفية التي لا بد منها، وهي تسعى لإعطاء لمحة عامة عن هذه المرحلة التاريخية من تاريخ الإغريق، وسيلاحظ القارئ أنّ مستوى النقد سيتعمّق ويتوسّع بشكل ملحوظ في مراحل المشروع الأخرى.

ونظراً لكثرة الموضوعات والقضايا التي تحتاج إلى البحث والنقد في هذه المرحلة، نعني (المرحلة الأولى من نقد الحضارة الغربية)، فقد اقتصرنا ـ إضافة الى المقدّمة والمدخل العلمي ـ على أربعة وعشرين بحثاً جامعاً في موضوعه، مقسّمة إلى خمسة فصول، يُعالج كلّ فصلٍ موضوعاتٍ محدّدةً ومترابطة.

وقد ارتأينا إصدارها في جزئين؛ حيث تضمّن الجزء الأوّل على مدخل علمي وفصلين، تضمّن الفصّل الأوّل بعض الأصول والمباحث العامّة المرتبطة بالحضارة الإغريقيّة بشكل عام، كالتعريف بملامحها العامّة، ومحاولة معرفة أصول الشّعب الإغريقي، وتاريخ التدوين عندهم، وتأثيرات الحضارة الشرقيّة عليهم، إضافة إلى التعريف بالحضارتين الموكينيّة والكريتيّة. فيما توزّعت مباحث الفصل الثاني على الدين والأسطورة.

أما الجزء الثاني، فقد احتوى على ثلاثة فصول تضمّنت (تواليا) مباحث تتعلّق ببعض المدن الرئيسة وشخصيّات المرحلة وحروبها، والأوضاع الاجتماعية والأخلاقية والسياسية، والاقتصادية. وبهذا تكون هذه المرحلة قد أظهرت أبرز معالم العالم الإغريقي قبل القرن التاسع قبل الميلاد.

ختاماً إنّ «المركز الإسلامي للدّراسات الاستراتيجيّة» إذ يضع هذا الجهد بين يدي الباحثين والمهتمّين، فإنّه يشكر كلّ من ساهم في إنجاز هذا العمل وإبصاره للنّور، ونخصّ بالذّكر الأساتذة الباحثين الذين تحمّلوا أعباء هذا الجهد في ظروف معقّدة وصعبة للغاية،

كانت، وما زالت، تمرّ بها المنطقة، من جوائح طبيعيّة ليست بعيدة عن مساهمات البشر، وجوائح سياسيّة وأمنيّة واجتماعيّة واقتصاديّة، صُنعت وارتُكِبت بيدٍ بشريّةٍ خالصةٍ.

كما ينبغي لنا أن نشكر كلّ طاقم العمل في المركز على جهودهم المباركة، والتي نأمل أن تكون في ميزان أعمالهم يوم القيامة. ونخصّ بالذكر منهم الدكتور محمد مرتضى، حيث تحمّل عناء إدارة وتحرير المشروع، والمتابعة مع الباحثين؛ وكذلك الشيخ حسين الجمري، حيث ساعدنا في بدايات انطلاق المشروع.

وأخيراً، لابد من ملاحظة فنّية وهي: إننا في الوقت الذي اعتمدنا فيه تسمية «الإغريق» في العناوين، تركنا الحرية داخل الأبحاث لاختيار الباحث نفسه.

والحمد لله أوّلاً وآخرًا

المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

ذكرى المولد النبوي الشريف ﷺ عام 1442هـ

وقفة مع الحضارة اليونانيّة قبل القرن التاسع قبل الميلاد

تعدّ الحضارة الآخيّة أولى حضارات بلاد اليونان القارية، وقد تمّ التّعرّف عليها بدايةً من خلال ملحمتي الإلياذة والأوديسة، اللّتان كانتا تشكّلان المصدر الأساسيّ للمعلومات عن الحياة الاقتصاديّة في الحضارة الآخيّة، وذلك قبل التّوصّل إلى فكّ رموز الكتابة التخطيطيّة B في عام 1952م، وأيضًا قبل دراسة اللّقى الأثريّة المتنوّعة وتحليلها، والتي عُثِر عليها في شبه جزيرة البلوبونيز ومناطق بحر إيجة وشواطئ البحر المتوسّط، والتي قدّمت بدورها معلوماتٍ جيّدةً يمكن مقاطعتها مع نصوص الكتابة التخطيطيّة B؛ لإعادة بناء تصوّر واضحٍ -إلى حدٍّ ما- عن طبيعة النّشاط الاقتصادي الذي كان سائدًا في الحضارة الآخيّة.

أمّا الحضارة الكريتيّة، فهي إحدى أشهر الحضارات القديمة في بلاد اليونان، وهي حضارة ذات طابع بحريّ تجاريّ، ارتبط نشوؤها وازدهارها وسقوطها بالموقع الجغرافي المميّز لجزيرة كريت، وبعلاقاتها التّجارية مع الشّرق؛ حيث كان نشوؤها ناتجًا عن وصول موجات التأثير الشرقيّة إلى كريت، والتي كان أوّلها انتشار الزّراعة -خلال العصر الحجري الحديث- التي مهّدت للاستقرار، والانتقال من حياة الصيد والالتقاط إلى حياة الزراعة والتدجين، وهذا ما أدّى إلى ظهور القرى وتطوّرها تدريجيًّا حتى أصبحت في العصر المينوي القديم مستوطنات مهمّة، وكان ثانيها معرفة الكريتيين للمعادن وطريق تصنيعها خلال العصر المينوي القديم. ونتيجة افتقار الجزيرة للمواد الخام من المعادن اللّازمة للتصنيع، شيّد الكريتيّون أسطولاً كبيراً وأقاموا شبكةً متينةً من العلاقات التّجاريّة مع الحضارات الشّرقيّة؛ حيث كانوا

يستوردون منها المعادن الخام ويصدّرون لها فائض إنتاجهم من زيت الزيتون والنبيذ والحلي وفقًا لنظام المقايضة، وهذا ما أدّى إلى ازدهار الحضارة الكريتيّة وتعاظم أهمّيتها التّجاريّة، وخاصّة بعد أن أصبحت البوابة الأولى ـ بالنسبة لمناطق بحر إيجة ـ للتّجارة مع الشّرق الذي منحها حريّة الحركة في البحر المتوسّط، واستمرّت هذه الأهميّة خلال العصرين المينويين الأوسط والحديث.

تفاعل الحضارات

تثبت وقائع نهوض الحضارات وقيامها عبر التاريخ أنّها عمليّة تفاعليّة ومستمرّة فيما بينها؛ ولم يسجّل لنا التاريخ قيام حضارة من دون هذا التّفاعل والتّأثّر بالحضارات الأخرى، السابقة أو المعاصرة لها؛ وذلك لأنّ هذا التفاعل والتأثّر يعدّ مكسبًا كبيراً على مرّ التاريخ؛ إذ لا توجد حضارة نشأت من تلقاء نفسها بمعزل عن الحضارات الأخرى، أو أنّها لم تتفاعل مع غيرها. ففي عمليّات التّفاعل تأخذ كلّ حضارة ما يناسبها وما يتّفق مع طبيعتها، وتعطي الحضارات الأخرى ما تجود به بما يتلاءم مع نشاطها، والجدير بالذكر أنّه لا يمكن أن تكمل أيّ حضارة مسيرتها دون حدوث تبادلٍ وتفاعلٍ حضاريٍّ والذي تحتّمه طبيعة الحياة.

كما أنّ التّبادل والتّفاعل بين الحضارات لا يُلغي خصوصيّة أيٍّ منها، وإنّ التّفاعل الصحيّ هو الذي يحدث في جوٍّ سليمٍ ينعم بالحريّة والرضى والتساوي، وتسفرُ عنه نتائج مثمرة، أمّا فساد التّفاعل الحضاري فيكون عندما يحدث في أجواء الحرب، أو نتيجة الكبت والقهر، أو التفاعل الذي يحدث لمصلحة جهةٍ معيّنةٍ وإهمال مصالح الجهات الأخرى، كما هو الحال في المنحى الفكري الغربي.

فرغم واقعيّة هذا الطّرح، نجد أنّ العالم الغربي، بشكل عام، يرفضه، ويسعى لترسيخ «الاتّجاه التّفاعلي الواحد»، والذي يعني أنّ «الحضارة الغربية»، لا سيّما في إرهاصاتها الأولى، أعطت ولم تأخذ، من هنا جاء الحديث عمّا أطلقوا عليه اسم «المعجزة الإغريقيّة» والتي تقوم على أنّ الحضارة اليونانيّة القديمة هي إبداع محض من قبائل أنتجوا حضارتهم الخاصّة بمعزل عن أيّة حضارةٍ سابقةٍ أو معاصرةٍ لهم.

يدّعي هذا التيّار الكبير أنّ اليونانيّين لم يتأثّروا بتراث الشّرق القديم، ولم يستفيدوا منه

في أيّة مرحلةٍ من مراحل تطوّر حضارتهم. ورغم انتشار هذا التيّار، فإنّ ذلك لم يمنع خروج أصوات غربيّة، كـ «مارتن برنال» صاحب كتاب أثينا السوداء، وغيره، من أن تصدح بخلاف ذلك؛ وربّما نؤيّد مقولة جورج سارتون صاحب كتاب تاريخ العلم، من أنّه ينبغي علينا ألاّ نسرف في المبالغة في تعظيم دور هذه المؤثّرات، ولا نسرف في التقليل من شأنها.

ومهما يكن من أمر، فقد انطلقت حضارة الشّرق القديم منذ نحو أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، أي قبل بزوغ الحضارة اليونانيّة القديمة بكثير؛ وقد ذاع حيثها، وظهرت آثارها، بل وتأثيرها شرقًا وغربًا، شمالاً وجنوبًا. وقد أثبتت الوثائق، كما سنرى في كثير من الدّراسات في هذا الكتاب، أنّ المجتمع اليوناني كان متّصلاً بحضارات الشّرق القديم، لا سيّما مع ما تشهده هذه الحضارات من تطوّر وازدهار. كما تؤكّد المكتشفات الحديثة أنّ هذا الاتّصال كان قويًّا ومتتابعًا، بحيث لم ينقطع في يوم من الأيام، وعلى مختلف الأصعدة، التجاريّة والعلميّة والسياسيّة والاجتماعيّة.

ولقد كانت منطقة «آسيا الصغرى»، (تركيا حاليًّا)، والتي عُرفت تاريخيًّا باسم «أيونيا»، هي المنفذ الأوّل للحضارة الشرقيّة باتّجاه اليونان، ثم ما لبثت أن تحوّلت إلى منطقة استوطنها المهاجرون اليونانيّون منذ بدايات الألف الأوّل قبل الميلاد.

أمّا المنفذ الثاني الذي انتقل تراث الشّرق من خلاله إلى بلاد اليونان، فكان تلك النّخبة من العلماء والفلاسفة اليونان، ممن هاجر إلى الشرق الأدنى، وعايش إنجازاته، ثم عادوا إلى بلادهم محمّلين بعلوم الشّرق ومعارفه: كطاليس (ت547 ق.م.) المولود في ملطية من أبوين سوريين (فينيقيين). وفيثاغورس (580 ق.م) من جزيرة ساموس على الساحل الأيوني، والذي انتقل إلى ملطية ثم سافر إلى بلدان الشرق الأدنى، وحيث قضى سنوات طويلة فيها، قبل أن يعود إلى موطنه. ولا ننسى هيرودوت (ت425ق.م.)، الملقّب بـ «أبي التاريخ»، والذي يظهر من كتاباته أنّه زار مصر وسورية وبلاد الرافدين وفارس وغيرها من البلدان الآسيوية والإفريقية. وهكذا أيضًا مع ديمقراطيس (ت356ق.م.) وأفلاطون (ت347ق.م.) وأرسطو وغيرهم.

إنّ هذه الهجرة لم تكن هجرة من اليونان إلى آسيا الصغرى فحسب، فقد حصلت هجرات عكسيّة، أي هجرة أبناء الشّرق أنفسهم إلى الغرب، وهذا يمثّل منفذًا ثالثًا لانتقال تراث الشّرق

إلى الغرب، سواء كانت الهجرة بدوافع تجاريّة أو سياسيّة. فالمصريون القدماء، مثلاً، أقاموا مستوطنات لهم على الحوض الشرقي للبحر المتوسّط؛ حيث يؤكّد هيرودوت أنّهم أقاموا مستوطنات في شبه جزيرة البليوبونيز نفسها. كما قام الفينيقيّون (وهو الاسم الذي أطلقه اليونانيّون على كنعانيّي الساحل السوري) بنشاطٍ تجاريٍّ واستيطانيٍّ واسعٍ في عالم البحر المتوسّط.

شواهد التأثّر اليوناني بالشّرق

إذًا، استفادت الحضارة اليونانيّة القديمة من التّراث المصري القديم، كما حصل في الرياضيّات والهندسة والطبّ والتّشريح. حيث تؤكّد وثائق البردي على تفوّق المصريّين القدماء في هذه العلوم، وقد أشار أرسطو إلى النشأة العمليّة للرياضيّات في مصر، كما أكّد هيرودوت على انتقال علم الهندسة من مصر إلى بلاد اليونان. فيما تحدّثت المراجع كيف أنّ فيثاغورس عاد إلى بلاده من مصر حاملاً مبادئ علم الهندسة[1].

إنّ تأثّر اليونان لم يقتصر على مصر، بل استفادت أيضًا من الحضارة السوريّة القديمة، فقد أفادت من إنجازات هذه الحضارة وإبداعاتها عن طريق ما نقله التجّار الفينيقيّون (الكنعانيّون) إلى بلاد اليونان. وسنرى كيف أنّ أعظم «إنجاز» قدّمه الفينيقيّون، ليس لليونان فحسب، بل للحضارة الإنسانيّة بأكملها، كان اختراع الأحرف الأبجديّة منذ القرن السابع عشر قبل الميلاد.

فقد اقتبس اليونانيون الأبجديّة الفينيقيّة منذ أواخر القرن العاشر قبل الميلاد تقريبًا. وقد أكّد هذه الحقيقة المؤرّخون اليونان أنفسهم، فهيرودوت يقول إنّ الفينيقيّين علّموا اليونانيين كثيراً من العلوم والمعارف وفي مقدّمتها الحروف الأبجديّة التي لم يكن هؤلاء على علم بها. رغم إظهار اليونانيّين براعة في تطوير هذه الأبجديّة لتلائم خصائص لغتهم، فأضافوا إليها الحروف الصوتيّة، وأخذوا يكتبونها من اليسار إلى اليمين بعكس الفينيقيّين[2]. وصحيح أنّ الفينيقيّين أسهموا في ابتكار أبجديّة مبسّطة لتسجيل الصوتيّات التي ينطقون بها الكلمات،

[1]- حول فيثاغورس راجع: جورج جيمس: التراث المسروق، تر: شوقي جلال، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ص17.

[2]- راجع: بحث التدوين والكتابة للدكتور عبد السليمان في هذا الكتاب.

لكنّ الفينيقيّين أخذوا فكرة الأبجديّة عن السومريّين وعمّا عُرف باسم الكتابة المسماريّة[1].

أمّا ما نقله التجّار الفينيقيّون إلى العالم اليوناني من سلع ومتاجر، وما تحمله في ثناياها من ثقافات وفنون وصناعات، فهي أكثر من أن تعدّ وتحصى. فقد نقلوا صناعات سوريّة ومصريّة ورافديّة؛ كالقمح وورق البردي والعطورات من مصر، والمجوهرات والمصنوعات النسيجيّة والمعدنيّة والزجاجيّة والعاجيّة والصباغة الأرجوانيّة من سورية وبلاد الرافدين، إضافة إلى الحرير والتوابل والأحجار الكريمة من الصين والهند. حيث أخذ اليونانيّون يتعلّمون تقليدها على أيدي الصنّاع الفينيقيّين أنفسهم، حتى شاعت هذه الفنون بينهم[2].

ولم يقتصر تأثّر اليونان بالشّرق على العلوم الطبيعيّة والحرفيّة، بل إنّ هذا التأثّر بدا واضحًا وعميقًا في الأدب الملحمي، ذلك الأدب الذي ازدهر في بلاد الرافدين، ولعلّ أعمال هوميروس في ملحمتيه «الإلياذة» و«الأوديسة» تمثّل نموذجًا صارخًا في تأثّره بملحمة جلجامش الرافدية الشهيرة[3]. وتؤكّد الدّراسات الحديثة أنّ ملحمة جلجامش تعدّ أقدم الملاحم البطوليّة في تاريخ الحضارات.

كما تأثّر الأدب الأسطوري اليوناني القديم بالأساطير البابليّة القديمة لا سيّما بقصة الطوفان والخلق، فضلاً عن أسطورة عشتار وتموز البابليّة التي أثّرت في أسطورة أفروديت وأدونيس اليونانيّة[4].

غياب المعرفة الوحيانيّة

ورغم كل هذا التأثّر الإغريقي بالشرق، إلاّ أنّنا نلحظ غياب التأثّر بحركة النبوّات التي كانت ناشطة ومنتشرة فيه، بل إنّنا نستغرب غياب الحديث عن أيّة حركة للنبوّات في بلاد الإغريق[5]، ولنا الحق في أن نتساءل عن السبب الذي دفع الإغريق للاستفادة من النّشاط العلمي والاقتصادي والاجتماعي والأدبي وغير ذلك، فيما لم يسجِّل لنا

[1]- راجع: بحث التدوين والكتابة.

[2]- راجع: بحثي التجارة في كريت وعند الآخيين للدكتور حسام الدين غازي ضمن هذا الكتاب.

[3]- راجع: بحث الأساطير والأدب عند الإغريق للدكتورة نوال طبيب.

[4]- راجع: بحث الأساطير والأدب (سبق ذكره)، وكذلك بحث: التأثيرات الشرقيّة على الحضارة اليونانيّة للدكتور نبيل صالح.

[5] ينطلق هذا الاستغراب من اعتقادنا بأنّه حيث توجد تجمّعات بشريّة سيوجد أنبياء.

التاريخ عن استفادتهم أو حتّى تفاعلهم مع حركة الدعوة إلى التوحيد التي قادها الأنبياء. وبل يمكن تسجيل غياب مجمل المعرفة الوحيانيّة عن المجتمع الإغريقي. والحقّ يُقال، إنّ تجاهل حركة النبوّات، بما تحتويه من إعلاء للقيم، وتصويب للمسيرة الإنسانيّة نحو هدفها الأسمى، والاستفادة من المعرفة الوحيانيّة التي يؤمِّنها الاتّصال بعالم الغيب، تمثّل أعلى مراتب العقلانيّة، فيما حصر التأثّر بالأمور الاجتماعيّة والأدبيّة والاقتصاديّة وغيرها، هي عين الماديّة المسيطرة على العالم الغربي اليوم.

ورغم دخول كثير من العناصر الشرقيّة إلى بلاد الإغريق، إلّا أنّ التباهي بالقوّة والبطش بقي سائدًا فيها، ولم تخرج هذه الشعوب من هذه الحالة إلّا في فترات قصيرة من تاريخها.

فلا غرابة، أن تسيطر الحروب على مجمل تاريخ تلك المنطقة، وأن يستمرّ بعضها لعشرات السنين، وقد شهد الغرب مثل هذه الحروب في مرحلة متأخِّرة من العصر الوسيط، فيما أُطلق عليها اسم «الحروب الدينيّة»، دون أن ننسى الحروب الأخرى.

ومهما يكن من أمر، فقد كان الإغريق عبارة عن قبائل سادتها «أخلاق» الفتوّة، والتباهي بالقوّة، بعيدًا عن القيم الإنسانيّة والمثل العليا؛ فلا عجب أن عاشت البلاد قرونًا من الاقتتال، فكانت تنتقل فيه مراكز القوّة من مدينة إلى أخرى؛ من أسبارطة إلى أثينا إلى مقدونيا، وهكذا. ورغم هذا الانتقال والتغيير في مراكز الثقل، إلّا أنّ الثابت الوحيد الذي لم يتغيّر هو عنصر البطش، والقتل، وسفك الدماء.

ورغم هذا التاريخ المليء بالحروب، وعمليّات السطو التي لم يسلم منها حتى المنتج الثقافي والحضاري للشعوب الأخرى، فإنّ الآلة الإعلاميّة الغربيّة لم تتوقّف عن إطلاق ادّعاءات عريضة، تزعم فيها أنّ الإغريق هم مصدر العقل والمعرفة العقليّة، فيما كل من يقع خارج «أسوار» مدنهم ليسوا سوى «برابرة»؛ يمجِّدون «بريكليس» (490ق.م-429ق.م) والذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، بوصفه السياسي-العبقري في تشريعاته، لكنّهم يتجاهلون تشريعات حمورابي (1750-1792ق.م) والذي سبق بريكليس بأكثر من عشرة قرون. ويمتدحون هيبوداموس، صاحب تنظيم المدن كما يزعمون، لكنّهم يعرضون بوجههم عن الانبهار الذي أصاب الإسكندر الأكبر من العمارة المدنيّة التي شاهدها في بابل. هي،

إذًا، عمليّة غسل للأدمغة، وتشويه للتاريخ، تقودها آلة إعلاميّة غربيّة معبّأة بجحافل من العنصريّة والاستعلاء، بل والاستغباء.

عن أيّ معجزة يتحدّثون؟!

ومع كلّ هذه الحقائق، ما زال معظم الباحثين الغربيّين ينكرون أن يكون لتراث الشّرق القديم أيّ تأثيرٍ على حضارة اليونان، ويتمسّكون بنظريّة «المعجزة اليونانيّة».

يعود عدم اعتراف أصحاب نظريّة «المعجزة اليونانيّة» بدور تراث الشّرق القديم في انطلاق حضارة اليونان وتطوّرها، إلى أسباب كثيرة؛ منها تعصّب الأوروبيّين ونظرتهم العنصريّة والاستعلائيّة، ومنها إلى قراءة الأوروبيّين لتاريخهم قراءة «ذاتيّة»، يجعلون أنفسهم بناة الحضارة الإنسانيّة، في حين ينتقصون من تاريخ الشعوب الأخرى ودورها في العمران الحضاري.

ورغم التيّار الغربي الجارف الذي حاول احتكار الابتداع الحضاري وحصره في اليونان كنقطة انطلاق، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع بعض الباحثين المنصفين من الاعتراف بالأصول الشرقيّة للحضارة اليونانيّة. فقد كتب جورج جيمس كتابه الشهير: «التراث المسروق»؛ حيث ذكر فيه صراحة أنّه «وبعد الحظر الذي فرضه المصريون قرابة خمسة آلاف سنة على دخول الإغريق مصر، سمحوا لهم بدخولها بغرض تلقّي العلم، واستطاع اليونانيّون الدخول لأوّل مرّة عن طريق الغزو الفارسي لمصر، ثم عن طريق غزو الاسكندر الأكبر، ومن ثم فإنّ اليونانيّين القدماء، منذ القرن السادس ق.م وحتى موت أرسطو (322ق.م)، استثمروا إلى أقصى حدّ الفرصة التي أتيحت لهم لتعلّم كلّ ما يستطيعون تعلّمه من الثقافة المصريّة»[1].

كما تحدَّث جيمس عن الاضطهاد الكبير الذي تعرّض له الفلاسفة الكبار في اليونان[2]. فإذا كان العصر الذهبي اليوناني هذا هو حاله، فما بالنا بما سبق من عصر انتشار الأسطورة والخرافات، وهيمنة عصر الآلهة المتوالدة، ورغم ذلك، فإنّه حتى هذه الأساطير سنجد أنّها «سُرِقت» من أدب الأساطير الرافديّة والمصريّة والفينيقيّة كما تقدّم.

---

[1]- التراث المسروق، جورج جيمس، ص17.

[2]- راجع: المرجع السابق، ص18.

وأمام هذه الحقائق لا نستغرب أن يُطلق جيمس تلك الصّرخة، معلنًا «أنّه لأمر مثير للدّهشة حقًّا أن يظلّ العالم الغربي يرجع المديح والثناء إلى اليونانيّين القدماء على مدى القرون، لإنجازات فكريّة تخصّ دون شكّ المصريّين أو شعوب شمال أفريقيا»[1].

ولم تقتصر بعض محاولات إنصاف الشّرق على «جورج جيمس»، فها هو جورج سارتون، مؤرّخ تاريخ العلم، يصرخ صرخته الشهيرة حول الأصول الشرقيّة للحضارة اليونانيّة؛ إذ اعتبر أنّه «من سذاجة الأطفال أن نفترض أنّ العلم بدأ في بلاد الإغريق، فإنّ «المعجزة» اليونانيّة سبقتها آلاف الجهود العلميّة في مصر وبلاد ما بين النّهرين وغيرهما من الأقاليم، والعلم اليوناني كان إحياء أكثر منه اختراعًا»[2].

ولهذا يدعو سارتون للتوقّف عن ارتكاب الموبقات، إذ «كفانا «سوءًا» أنّنا أخفينا الأصول الشرقيّة التي لم يكن التقدّم الهيليني مستطاعًا بدونها، ولكن بعض المؤرّخين أضافوا إلى هذا السوء بما أخفوا ممّا لا حصر له من خرافات يونانيّة عاقت هذا التّقدّم، وكان من الجائز أن تقضي عليه»[3].

وعلى المنوال نفسه، سار مارتن برنال في كتابه «أثينة السوداء»؛ إذ الحضارة اليونانيّة وثقافتها عنده ليست سوى نتاجًا «لنشاط استيطاني أو استعماري قام به المصريّون والفينيقيّون حوالي 1500ق.م ووضعوا (من خلاله) أبناء المنطقة الإغريقيّة على طريق التحضّر»[4].

ولا ينكر برنال السبب الذي يقف خلف إنكار الغرب لفضل الشّرق، والذي هو برأيه يعود إلى «أنّ الرومانيّين والعنصريّين في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر كانوا، بكلّ بساطة، لا يتحمّلون أن تكون بلاد الإغريق نتاجًا لخليط من أبناء البلاد الأصليّين ومستعمرين أو مستوطنين من الأفارقة أو الساميّين، وهي البلاد التي كانوا (الرومانسيّون والعنصريّون) ينظرون إليها على أنّها خلاصة أوروبا وصورتها المصغَّرة، بل مرحلة الطفولة الخالصة لهذه القارة»[5].

[1]- التراث المسروق، جورج جيمس، ص19.

[2]- جورج سارتون، تاريخ العلم، مجموعة من المترجمين، المشروع القومي للترجمة، مصر، ط1، 2010م،ج1، ص21.

[3]- المصدر نفسه.

[4]- مارتن برنال، أثينة السوداء، تر: لطفي عيد الوهاب يحيى وفاروق القاضي وآخرون، المشروع القومي للترجمة، مصر، 2002، ج1، ص75.

[5]- المصدر السابق، ص77.

ورغم الجهد الذي بذله برنال في عمله، لكن هذا العمل لم يخلُ من رواسبَ عنصريّةٍ مقيتة؛ حيث يمكن ملاحظة ذلك في إصراره على إرجاع الحضارة اليونانيّة في بعض عناصرها إلى الثقافة العبرانيّة أو السامية كما يسمّيها في بعض الأحيان -كما في النص السابق-. ولئن كانت الثقافة الغربيّة، كما يحسبها الغربيّون، عبارة عن نتاج لليونانيّة من جهة، ولليهوديّة المسيحيّة من جهة أخرى، فإنّ برنال أرجع جزءًا من الشّقّ الأوّل (اليوناني) إلى أحد مركّبات الشقّ الثاني (العبراني)، وإن لم تكن اليهوديّة قد ظهرت في تلك المرحلة؛ لذلك اعتبرناها انحرافًا عنصريًّا لا تعصّبًا دينيًّا.

ورغم أنّ الغرب قد نقد نفسه، كما يحلو لبعض «المثقّفين العرب» التعبير، إلّا أنّ التدقيق في «معظم» تلك المحاولات يفضي إلى أنّها لم تكن كلّها منصفة وبعيدة عن «الأدلجة»؛ إذ لا يخلو الكثير منها من محاولة «عبرنة» (من العبريّة والعبرانيّة) الحضارة وتهويدها.

مناهج النّقد بين الإفراط والتفريط

وَعَودًا إلى عملنا في هذا المشروع، فلا نُخفي أنّ المهمّة الأصعب كانت في محاولة إيجاد منهج نقديٍّ متوازنٍ؛ إذ إنّ الدّراسات المتعلّقة بالغرب عمومًا، قد وقعت بين مطرقة النّقد حدّ التّفريط وإلغاء إنجازاته، وسندان الإفراط في مدحه وتقديسه. فالأوّل زعم أنّ كلّ ما حقّقه الغرب قديمًا ليس سوى «تراث مسروق»، فيما زعم الثاني أنّ إنتاج الغرب هو إنتاج «ذاتي» بحت، لم يستفد فيه من الشرق شيئًا، ولم يتأثّر به.

على أنّ حدّي الإفراط والتفريط لم يقتصرا على الباحثين الغربيّين، بل تعدّاهم إلى الباحثين العرب أيضًا، ويبدو أنّ هذا الأمر هو السّمة العامّة لمعظم من حاول خوض غمار النّقد، والإبحار في لججه، دون أن نبخس بعض السبّاقين حقّهم، في محاولة النّقد، لكنّها لم تكن سوى محاولات فرديّة محدودة، كُتب لبعضها النّجاح، فيما لم يكتب لبعضها الآخر.

وأمام هذين التيّارين، كان لا بدّ لنا من تلمّس طريق ثالث، ينطلق من منهج علمي لإجراء قراءة تحليليّة نقديّة للغرب، من خلال المناقشة التحليليّة بعين ناقدة تبيّن العيوب والمعاثر المعرفيّة ومواضع الخلل، والتهافت المضموني، والبحثي، والمنهجي في ما يتعلّق بالفكر الغربي القديم والحديث وعذرنا في ذلك أنّه، وفي إطار المحاولات الغربية لمسح كلّ مأثرةٍ

شرقيةٍ، وإلغاء التاريخ وتحريفه، وطمس معالمه وتدنيسه، انصبّ عملُنا على النّقد المرتبط بإظهار الإخفاقات، فيما تركنا موضوع الإنجازات لمشاريع أخرى ترتبط بالتأصيل؛ حيث الاستفادة من كلّ تجربة، والاستعانة بكلّ نجاح.

التراث بين التمجيد والتحقير

والواقع أنّ الكلام عن الباحثين العرب يدخلنا في حديث ذي شجون، يتعلّق بالتّراث والموقف منه. فالغرب يتفاخر بتراثه رغم ما فيه من هنات، وما يحتويه من آفات، وما يعتليه من قصور، وما يمتلئ به من فتور، بسبب الابتعاد عن الروحانيّة، والانغماس في الماديّة، والقطيعة مع الوحي. ورغم اعتبارهم النبوّات عبقريّات بشريّة، والمعاجز والكرامات ليست سوى خرافات، فإنّهم لا ينكرون أو يتنكّرون لتاريخهم المليء بالأساطير، بل يضفون عليها القداسة الأدبيّة، فيمتدحون صورها الشّعريّة، ويتباهون فيما تحتويه من صنوف البلاغة.

وبالمقابل، فإنّ مجموعةً ليست بالقليلة من «المثقّفين» العروبيّين في الظاهر، المتغرّبين في المضمون، يعتبرون أنّ تطوّر الأمّة ونهوضها، والانطلاق في قطار الحداثة لا يتم إلّا بالانقطاع عن التراث، أو إعمال «السيف» فيه لتقطيع أوصاله، فيما بدا أنّه أقرب إلى الاستئصال منه إلى الإصلاح. فنجد أنّ ما كان يجب أن يعظّم من معانٍ أصيلةٍ. عمدوا إلى تحقيره، وما كان يجوز أو يجب تحقيره من وسائل مقتبسة، عمدوا إلى تعظيمه، فلم يفلحوا في ترميم ما خرّبوه، ولا هم عمّروا ما هدّموه.

النّقد للنهوض لا لمجرّد النّقد!

وعلى أيّ حال، فإنّ هذا المشروع (نقد الحضارة الغربيّة)، هو مشروعٌ نقديٌّ بامتياز أطلقه المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجيّة، كما سائر مشاريعه الفكريّة، على أنّ نقدنا للفكر الأوروبي-الغربي هو نقدٌ للعقليّة الأوروبيّة-الغربية. تلك العقليّة التي اعتبرت الحضارة الإنسانيّة على أنّها غربيّةٌ محضةٌ، وجعلت «الرجل الأبيض» محور الكون، والناهض بالإنسانيّة. فلا يريد هذا المشروع نقد الإنسان الغربي، فإنّنا نبتعد عن الشخصانيّة، ولا نبخس أحدًا حقّه، ولا سيّما أنّ الإنسان الغربي، كغيره من بقيّة بقاع الأرض، فيه الصالح وفيه الطالح، فيه الخيّر وفيه الشرير، فيه المتسامح وفيه العنصري، وإنّما ننقد تلك المنظومة الغربيّة

التي تختزل الإنسان بها، وتحصره في عالم ماديٍّ مقطوعٍ عن السماء، ومنعزلٍ عن القيم الفطريّة. والواقع، إنّ الغرب الحديث هو نتيجةٌ طبيعيّةٌ للغرب الإغريقي، فالعبث الإغريقي أدّى لظهور التيّار السوفسطائي المنكر للمعرفة الحقيقيّة، ومن الطبيعي أن يُنتج هذا التيّار الغرب «الشَكّاك» في كل ما هو خارج الطبيعة وفوقها. فنقدُنا، إذًا، هو لتلك الأسس والمباني المعرفيّة التي أسّست لتلك المنظومة التي عزلت نفسها عن السماء، وجعلت إنسانها إلهها.

ومن الضروري أن نوضّح أنّ هذه القراءة النّقديّة للغرب لن تتوقّف عند مجرّد النّقد ولا ينبغي لها، إذ مالم يُؤسّس النّقد والنّقض لإعادة إنتاج وبناء، وتحوّلَ إلى مجرّد ترفٍ فكريٍّ، فلن يغني الأمّة من جوع، فضلاً عن أن ينهض بها.

ولمزيد من تسليط الضوء على غايتنا النّقديّة في هذا المشروع نشير إلى مجموعةٍ من الخلاصات النّقديّة الهامّة التي ركّز عليها الباحثون المتخصّصون، وقد وردت في بحوث هذا الكتاب، وهي تشكّل مادّةً علميّةً ومنطلقًا لمزيد من النّقد الموضوعيّ المعمّق في بقيّة المجالات والجوانب من الفكر الغربي التي لم نتناولها في هذا الكتاب، والتي نضعها في خدمة الباحثين والمؤسّسات العلميّة والبحثيّة والجامعيّة.

الخلاصات النّقديّة:

- **الأصول**

1. إنّ النّظريات التي تتحدّث عن نقاء المؤسّسين للحضارة الإغريقيّة واقتصارهم على العنصر الآري الأوروبي ليس صحيحًا، وتتجاهل هذه النّظريات وقائع حصول مستوطناتٍ مصريّةٍ وفينيقيّةٍ في تلك البلاد، والتي تركت أثرها بوضوحٍ على مجمل الحياة العامّة للسّكان الأصليين وامتزاجهم بهم. ويبدو أنّ هذه النّظريات حول «صفاء العرق» لا تخلو من عنصريّة تريد، ليس نفي الاختلاط بالأصل، بقدر ما تريد، نفي عنصر التأثير الحضاري للشرق على الغرب.

2. إنّ من يلاحظ أصول الكتابات القديمة في كريت، بأشكالها الثلاثة، يتبيّن له أنّها

وافدةٌ من الشّرق القديم عبر الأناضول والسّاحل السّوري باتّجاه بلاد اليونان وذلك عبر هذه الجزيرة (كريت) التي استوعبت جميع المؤثّرات الحضاريّة القادمة من الشّرق، ثمّ أعادت صياغتها للعالم اليوناني باللّغة التي يفهمها. ورغم أنّ العلماء قد عجزوا عن قراءة الهيروغليفيّة الكريتيّة، إلّا أنّ الدلائل تثبت أنّها مشتقّةٌ من الكتابة السومريّة المسماريّة، استنادًا إلى مبدأ الكلمة الأحاديّة والمقطع المكافئ، وهذا يعارض الفكرة الشائعة في الغرب في أنّ الهيروغليفيّة الكريتيّة إبداعٌ محليٌّ أو ربّما تطوّرت عن الهيروغليفيّة المصريّة.

3. وفي جميع الأحوال، فإنّ الابجديّة الإغريقيّة مأخوذةٌ من الفينيقيين، والذي لا شكّ فيه أنّ دخول هذه الأبجديّة كان له التأثير الكبير على مجمل التّطوّرات العلميّة والثّقافيّة والحضاريّة الإغريقيّة.

4. بمعزلٍ عن مدى صحّة المزاعم الغربيّة حول الحضارة الإغريقيّة وأسباب صعودها، فإنّ الذي لاً يعتريه شكٌ، حتى عند الغرب، وإنْ حاولوا تشويهه بصورةٍ أو بأخرى، أنّ هذه الحضارة الإغريقيّة لم تكن أولى الحضارات نشوءًا، فقد سبقتها بلاد ما بين النّهرين، أقدم الحضارات، ومصر وسوريا.

5. رغم أنّ الحضارة الموكينيّة هي من أولى الحضارات التي قامت في بلاد الإغريق، إلّا أنّهم كانوا في غالبيتهم زارّعًا وتجّارًا، ولم يعرفوا استخدام الحديد في صنع آلاتهم وأسلحتهم، ما جعلهم فريسةً سهلةً للغزوات الدوريّة القادمة من الشمال. ورغم ذلك، فإنّ الحضارة الموكينيّة لم تكن نتيجة عبقريّة فذّة إغريقيّة بقدر ما كانت نتاج تفاعلٍ عميقٍ مع الحضارة الكريتيّة من جهة، وتفاعل مع باقي حضارات البحر المتوسّط، في سوريا ومصر وبلاد الأناضول، من جهةٍ أخرى.

6. أمّا الحضارة الكريتيّة، فقد أشارت الدلائل التاريخيّة الى أنّ هذه الحضارة، لا سيّما في عصرها الثالث، قد تميّزت بعلاقاتها القويّة مع مصر (تحديدًا الأسرة الثامنة عشرة)؛ حيث اعترفت كريت بالسّيطرة المصريّة، مما ضمن لها الرّخاء والازدهار والاستقرار.

- **الدين والأسطورة**

1. يصعب القول، فضلاً عن تقديم الشواهد، بأنّ الحضارة الإغريقيّة قد أبدعت أساطيرها

الخاصّة، وأنّ كتّاب الأساطير الإغريق، كهوميروس وهسيود، قد كتبوا ما كتبوه من خلال مخيّلتهم الشّخصيّة؛ فقد أثبتت الدّراسات المقارنة أنّ الأساطير الإغريقيّة لم تكن سوى نسخةٍ منقّحةٍ عن الأساطير الشّرقيّة، البابليّة والمصريّة والفينيقيّة، وأنّ كلّ ما قام به الإغريق هو أنّهم أضافوا عليها روحهم، وخُلعت عنها الأسماء الأصليّة، وأطلق عليها أسماء إغريقية.

2. رغم أنّ الديانات الشّرقيّة القديمة كانت تجعل لكلّ ظاهرةٍ طبيعيّةٍ إله، فجعلت آلهة للشّمس، والقمر، والنجوم، والسماء، والأرض، والبحار، والأنهار، بل والحيوانات.. إلخ، إلاّ أنّنا نستطيع تلمّس بعض الرؤية التوحيديّة بحديثهم عن إله خالق واحد أوحد هو أصل لكلّ تلك الآلهة، ومع ذلك فإنّ الدّيانة الإغريقيّة لم تأخذ بعين الاعتبار تلك الرؤية التوحيديّة بشكلٍ أو بآخر والتي كانت سائدةً في الديانات الشّرقيّة، واقتصرت في رؤيتها الدّينيّة على مجموعةٍ من الآلهة التي أخذت تتقاتل فيما بينها، بناء على مجموعة من المصالح. ما يدلّ على ديانةٍ يونانيّةٍ تقوم بشكلٍ أساسيٍّ على النّفعيّة والماديّة، حتى في طريقة تعامل البشر مع هذه الآلهة.

3. إذا عدنا الى «أوديسة» «هوميروس» من حيث فكرة القصّة وصياغتها، فسنجد مؤثّراتٍ واضحةً من الفكر المصري القديم، وبصفةٍ خاصّة من قصّة «الملاح الغريق»، بل إنّ الأمر تجاوز حدّ التّشابه بين أحداث القصّتين؛ حيث يُعدّ اقتباسًا واضحًا للعديد من فقرات القصّة المصريّة وإضفاء الصبغة الهوميريّة عليها. بل إنّ هوميروس تأثّر أيضًا، وظهر ذلك من خلال الأوديسة، بمفهوم الثّواب والعقاب الواردين في الملاحم المصريّة والبابليّة، إضافة إلى تأثّره بما يُسمّى بالأدب الجنائزي المصري، والذي يتحدّث عن القوى العقليّة للموتى، وعن قيام محكمةٍ بالعالم السّفلي.

4. عندما نركّز البحث في الدّيانة اليونانيّة نجد أنفسنا أمام دينٍ مشوّشٍ يفتقد إلى تصوّرٍ محدّدٍ وواضحٍ للإله يتناسب مع مقام الإلوهيّة الجليل. كذلك لم يكن لهذه الديانة تنظيم يُماثل ما نجده في الأديان السائدة في العالم الحديث؛ فليس لها نبي ولا مشرّع يفسّر طبيعة ما تريده الآلهة من البشر. كما افتقدت الديانة اليونانيّة إلى أيّ كتبٍ مقدّسة ذات نصّ يحدّد في تعاليمه مبادئ الأخلاق، ولا تنظيم رئيسي لهيكل كهنوتي، ولا تعاليم دينيّة مستقيمة

يمكن اتباعها لعيش حياة متفانية ورعة، ولا نظام متّفق عليه ليوم البعث والحساب، ولا نظام محدّد يمكن اللّجوء إليه عند ارتكاب الخطايا للتوبة والتكفير عن الذنوب والخطايا.

5. من المفارقات، أنّ بعض الفلاسفة، والذي يعتبرون من رموز مرحلة ولادة العقل الإغريقي الإعجازي، كما يقولون، كانوا يدافعون عن آلهة الإلياذة والأوديسة، وعن تلك الأساطير المرتبطة بصراع الآلهة وتزاوجهم وأنسابهم، وطغيانهم، وشهواتهم، بل وجرائمهم وأحقادهم.

• حروب وشخصيّات ومدن

1. تمثّل الغزوات الدورية مرحلةً مظلمةً جدًا في تاريخ اليونان، لما تركته تلك الغزوات من آثارٍ اقتصاديّةٍ وديموغرافيّةٍ وسياسيّةٍ على الحياة العامّة. لكن هذه الغزوات ليست بعيدةً عن العقليّة الغربيّة، ولا هي غريبة عن الغرب نفسه؛ إذ ومن الواضح أنّ هذه القبائل الدوريّة التي هاجمت بلاد اليونان هي من العنصر الإغريقي نفسه، وهم واحدة من أربع مجموعات قبليّة تكوّن منها الشعب اليوناني: الآخيون، والإيوليون، والأيونيون، والدوريون. والأرجح أنّ موطن الدوريين الأصلي كان في جنوب روسيا أو في حوض الدانوب الأوسط، واستوطنوا في الجزء الشمالي الغربي من الوطن الإغريقي القديم بعد قدومهم من شمال أوروبا في نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

2. ثم إنّ الحروب والغزوات الدوريّة، رغم طعن الغربيين بها وبطبيعتها، إلّا أنّها لا تختلف عمّا كان سائدًا في بلاد الإغريق؛ فالاستعباد، وانعدام قيم الحرب، والطبقيّة والعنصريّة، ليست أمورًا جاء بها الدوريون، فقد شاهدناها في حروب طروادة وغيرها من الحروب، علمًا أنّ حرب طروادة كانت قد وقعت قبل الغزو الدوري.

3. أظهرت حرب طروادة، عدم انحياز الإغريقي للمبادئ الأخلاقيّة، وسيطرة المشاعر القبليّة والعائليّة على قيادتهم على حساب القيم والأخلاق.

4. شهد العالم الإغريقي، بمختلف مراحله، حالةً من الطّبقيّة التي سادت الحياة الاجتماعيّة، ورغم اختلاف هذه الطبقات سعةً وضيقًا بين مدينة وأخرى، لكنّ اللّافت أنّ

عنصر القوّة والفتوّة كان الأكثر انتشارًا؛ ولذلك حظيت طبقة الجيش والمقاتلين بمرتبةٍ اجتماعيّةٍ معتبرة، نظرًا لاعتماد المدينة عليهم في حروبهم، الهجوميّة منها أو الدّفاعيّة. ويمكن ملاحظة التّغنّي بالقوّة والافتخار في المجتمع الإسبارطي.

- **أخلاق، اجتماع، سياسة**

1. يمكن القول إنّ القيم والأخلاق في الحضارة الآخيّة كانت عبارة عن مجموعةٍ من الأحكام النّابعة عن الانفعال أكثر من قيامها على العقل، وقد بُنيت على الرّغبات والطموحات والتّطلّعات، وإن أزهقت في سبيلها الأرواح، وأريقت الدماء.

2. رغم أنّ الآخيين قد اتّسموا ببعض القيم الأخلاقيّة، كالسخاء، لكنّهم في المقابل كانوا يتّصفون بالكذب والمكر والخداع.

3. الذي تُعزّزه الأدلّة أنّ الأخلاق والقيم عند الآخيين كانت معدومةً في حالة العداء والخصام مع الآخر في المدن الأخرى؛ إذ إنّ امتزاج النّخوة بالرّغبة المحمومة في القتال، مع وجود فئة عدوانيّة تميل إلى الصراع والحرب حيث حلّت، أدّى ذلك إلى ظهور نظامٍ أخلاقيٍّ وقيميٍّ مضطربٍ ومتردٍّ في علاقة الآخيين بالآخر، مع عدم وجود لأيّ حقّ من أيّ نوع للضعيف، في عالمٍ لا يعترف إلا بالقوّة.

4. إنّ الحضارة الآخيّة كانت مختلّةَ المعايير؛ حيث الفضيلة ليست في التّسامح ولا في الحنو مع الآخر، وإنّما تكمن في الشّجاعة، وشرب الخمور، والانتصار على الخصوم، بالكذب والخيانة. لكن المفارقة، أنّ هذا النّظام القيمي المختل، كان يكتسب شرعيّته من الآلهة التي كانت تبارك هذا الاختلال، وتحتقر المتسامح.

5. لم تكن للمرأة عند الإغريق مكانةً تذكر، فهي في معظم مجتمعاتهم لا كلمة لها، ولا حقوق في الميراث أو الأبناء. وإن ظهر نوع من الاحترام للمرأة فقد كان يقتصر على المرأة «الأم» تحديدًا. وبكلمةٍ أخرى، لعبت المرأة دورًا بارزًا في الحياة الاجتماعيّة الإغريقيّة داخل الأسرة، مع وجود قوانين كثيرة مقيّدة لها.

- **اقتصاد**

1. اعتمد الاقتصاد الإغريقي، الكريتي والآخي، على نظام التّبادل السلعي، لكنّه كان مستوردًا أكثر منه مصدّرًا.

2. كانت السّفن الإغريقيّة التّجاريّة في ذلك العصر قديمة مقارنة بالأساطيل التجارية المصرية والفينيقيّة، ما جعلها غير قادرةٍ على قطع مسافاتٍ بعيدةٍ.

3. استفاد الإغريق من اختلاطهم مع الشعوب الأخرى في ساحل المتوسّط، سواء مع المصريين، أو ليبيا، أو بلاد الشام حيث الفينيقيين، فطوّروا صناعاتهم، وأساطيلهم البحريّة التّجاريّة.

4. إنّ معظم تجارات الإغريق كانت تتمّ عن طريق السّاحل الفينيقي، وربمّا هذا هو السبب الذي دفعهم في مراحلَ لاحقةٍ لتنشيط حركة الاستيطان على سواحل الأناضول، وشمال إفريقيا، وغيرها من مناطق المستعمرات.

مدير التحرير

د. محمد مرتضى

الفصل الأوّل

الأصول

- ❋ الإغريق: نظرة عامّة
- ❋ أصل الإغريق وأحوالم وهجراتهم
- ❋ حضارة كريت
- ❋ الحضارة الموكينيّة 1700-1100 ق.م
- ❋ الكتابة والتدوين في عصر الإغريق القديم
- ❋ التأثيرات الشرقيّة على الحضارة الإغريقيّة

الإغريق: نظرة عامّة

محمد الزين[1]

أوّلاً: بلاد الإغريق وتسمياتها

لا يُعرف اسم لبلاد اليونان (كما تدعى بالعربية) قبل هجرة القبائل الهندو- أوربيّة إليها في الألف الثاني قبل الميلاد، بل وحتى في عصر هوميروس (Homeros)، فإنّ أقدم تسمية وردت في الإلياذة وهي أخائيس(Achaiis) يقصد بها شمال بلاد اليونان، وهي في الأصل اسم منطقة صغيرة في الجنوب الشرقي من إقليم تساليا عرفت باسم فثيوتيس(Phthiotis)، والتي جاء منها البطل أخيل. وثمة تسميات أخرى يستخدمها هومير وهي أرجوس (Argos) ويقصد بها جنوب بلاد اليونان. وأرجوس مدينة في شبه جزيرة البيلوبونيز قريبة من مدينة موكيناي عاصمة أغاممنون قائد الإغريق في حرب طروادة.

أما التسميات التي شاعت قديمًا وحديثًا للدلالة على بلاد اليونان، فهي ثلاث تسميات جاءت من أسماء القبائل الإغريقيّة المختلفة، ولا بدّ من التعريف بها وتحديد أصولها ومدلولاتها وهي:

ـ **هلاّس (Hellas)** وهي التسمية التي سمّى بها الإغريق بلادهم في العصور الكلاسيكية، وأعيد إحياؤها من جديد في التسمية الرسمية لليونان الحديثة منذ استقلالها عن السلطنة العثمانية[2]. ويبدو أنّ اسم هلاس، الذي ورد في الإلياذة، كان في البداية اسمًا لمنطقة صغيرة في جنوب تسالية، تفصل بين وسط بلاد اليونان وشمالها، والتي كانت تضم معبد دلفي

---

[1]- أستاذ اللغة اللاتينية والتاريخ الكلاسيكي بجامعة دمشق.

[2]- لقد اختفى الهاء من اللغة اليونانية الحديثة لذلك صار اسم اليونان يلفظ إلّاسEllas بدلا من هلاس وثمة صيغة أخرى للاسم مأخوذة من جذر الكلمة Ellad مع إضافة (a) فصارت تسمىEllada إلاّدا. وهكذا فان اسم اليونان الحديثة له صيغتان Ellas وEllada وكذلك أصبح اسم اليونايين ELLENES بدلاً من Hellenes لاختفاء حرف الهاء.

الشهير. وقد بدأ بالظهور منذ مطلع القرن السابع قبل الميلاد لدى الشاعر الملحمي هسيود (Hesiodos). كما أطلق هذا الاسم على مجموع المستوطنات الإغريقية في جنوبي إيطاليا وجزيرة صقلية، والتي عرفت باسم (Hellas Megale) أي هلاس العظمى أو بلاد الإغريق العظمى. وقد اشتقّ علماء الآثار من هذه التسمية المصطلح هلاديكوم (Halladikum) للدلالة على حضارة عصر البرونز في بلاد اليونان، والتي صارت تعرف باسم (Helladic Age) أي العصر الهلادي.

ـ **إغريقيا(Graecia)** وهي التسمية التي أطلقها الرومان على بلاد اليونان انطلاقاً من أوّل مستعمرة إغريقية في إيطاليا. وقد أُطلق فيما بعد على مجموع المستوطنات الإغريقية في إيطاليا وصقلية اسم إغريقيا العظمى(Magna Graecia)، ومن هذه التسمية نشأت التسميات الأوروبية لبلاد اليونان (في الإنكليزية(Greece) والفرنسية (Grecque) والألمانية (Griechenland) إلخ...).

ـ **اليونان(Yunan)** جاءت من اسم المنطقة التي استوطنها الايونيون في وسط الساحل الغربي لأسيا الصغرى، التي حملت اسم ايونياIonia، والتي احتكت بها شعوب الشرق وخاصة بعد السيطرة الفارسية الاخمينية على آسيا الصغرى منذ عام 546 ق.م، وقد انتشرت هذه التسمية بين شعوب الشرق وأطلقت على بلاد اليونان، وهي التسمية الشائعة حتى اليوم في العربية (في الأرامية yawan، والآشوريةyaman، والفارسية yaunas).

كما أنّ الإغريق أنفسهم عرفوا قديماً بتسميات عدّة. فملحمة الإلياذة تؤكّد وجود ثلاث تسميات متساوية للإغريق المشاركين في حرب طراودة وهي بحسب تكرارها:

1ـ الآخيون: **Achaioi** (Eng. Achaeans) الذين ينسبهم هومير إلى الآخيين المقيمين في شبه جزيرة البيلوبونيس والذين يردد اسمهم (598) مرة، وسيعرف هؤلاء الآخيون باسم الموكينيين نسبة إلى عاصمتهم وأهم مراكزهم موكيناي بعد الكشف عن آثارهم.

أما عن علاقتهم بالتسمية الحديثة أخياوه، فيرى معظم المؤرخين وعلماء الآثار أن أخياوه Ahhiyawa التي تأتي الوثائق الحديثة على ذكرهم في القرن الثالث عشر قبل الميلاد فهم الآخيون في العصر الموكيني.

كما يرى بعض الباحثين أنَّ أحد شعوب البحر المسمى أكايواشا Aqaiwasha أو (اكويش Ekwesh)، الذين يذكرهم الفرعون مرنبتاح بين الشعوب، التي حاولت غزو مصرهم الآخيون أو أخياوه الوثائق الحثية[1].

2ـ الدانائيون: (Eng.Danaans) **Danao** الذين يذكرهم هومير (138) مرة، وهم ينتسبون إلى داناؤس Danaos ملك أرجوس الذي يروي المؤرِّخ باوسانياس أنّه شاهد ضريحه لدى زيارته لهذه المدينة في القرن الثاني الميلادي، وهو جدّ أغاممنون قائد الإغريق في حرب طروادة. وتقول الروايات الأسطورية إنّه فرّ مع بناته من مصر هرباً من شقيقه ايجبتوس Ai-gyptos وأبنائه، ووصل إلى أرجوس وصار ملكاً عليها وصار رعاياه يعرفون باسم الداناويين. وتذكر الوثائق المصرية من عهد رعمسيس الثالث الدانونا كشعب من شعوب البحر، ويعتقد بعض الباحثين أنّهم على صلة بهؤلاء الداناويين.

كما ورد في قائمة بأسماء أماكن في بحر إيجة تعود إلى عهد امنحوتب الثالث اسم تانايا Tanaya، ويقصد به بلاد اليونان أو على الأقل شبه جزيرة البيلوبونيس، ولعلّ تانايا تمثّل صيغة أخرى من دانايا، وتعني بالتالي بلاد الداناويين.

وفي كلّ الأحوال، فإنّ هذه الروايات تدلّ على وجود صلات قديمة بين مصر وبلاد اليونان في الألف الثاني قبل الميلاد[2].

3ـ الأرجوسيون: (Eng.Argives) **Argeioi** وهم بالأصل سكان أرجوس المتاخمة لمدينة موكيناي. وهي تسمية لا تدلّ على أصلهم أو عرقهم، وإنّما هي تسمية جغرافيّة توسّع هومير في مدلولها؛ لتصبح مرادفة للتسميتين السابقتين في الدلالة على الإغريق المشاركين في حرب طروادة وقد ذكرهم (29) مرة.

ثانيًا: الإطار الجغرافي والبيئة الطبيعية

لم يقتصر تاريخ الإغريق وحضارتهم على بلاد اليونان القارية بالمعنى الدقيق للكلمة،

---

[1]- Cary M. Beckman, The Ahhiyawa Texts society of Biblical Literatue, Atlanta 2011. Edward Meyer, Geschichte des Aetertums1928.

[2]- Michalel C. Astour: Aegean Place – Names in an Egyptian inscription in American Journal of Archaelogy Bd 70 (1966) p313ff.

مع أنّها كانت الموطن الأساس لهم والمسرح الرئيس لتاريخهم وحضارتهم، وإنّما شمل كذلك مناطق كثيرة هاجر إليها الإغريق واستقرّوا فيها وهي:

1ـ جزر بحر ايجه وشواطئ آسيا الصغرى الغربية، التي بدأوا باستيطانها منذ أواخر الألف الثاني قبل الميلاد.

2 ـ شواطئ بحر مرمرة والبحر الأسود.

3 ـ جنوبي إيطاليا وجزيرة صقلية التي شهدت أولى المستعمرات الإغريقية في أواسط القرن الثامن قبل الميلاد وكانت من الكثرة والكثافة بحيث دعيت اغريقيا العظمى.Magna Graecia بالإضافة إلى بعض الأماكن المتفرقة في غربي البحر المتوسط ومنها ماسيليا (مارسيليا في جنوب فرنسا) وقورينة في منطقة برقة الليبية.

لقد اعتقد القدماء وعلى رأسهم الجغرافي هكاتايوس Hekataios الذي وضع نحو عام 500 ق.م خارطة وكتاباً بعنوان (رحلة حول الأرض) أنَّ الأرض قرص مستدير يقع مركزه في دلفي Delphi، ويقسمه البحر المتوسط إلى قسمين متساويين تشكّل أوروبا نصفه الشمالي وآسيا وليبيا (أي افريقيا) نصفه الجنوبي.

وهكذا فإنّ بلاد اليونان (أو بلاد الإغريق أو هلاّس) تقع في أقصى الجنوب الشرقي من قارة أوروبا؛ حيث تشغل الجزء الجنوبي من شبه جزيرة البلقان الممتدة في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط. وهي في معظمها بلاد جبليّة وعرة تنتشر في شرقيها وغربيها مئات الجزر الصغيرة والكبيرة العائمة في بحر ايجة والبحر الأيوبي، والتي شكلت ما يشبه الجسور التي ربطتها بالعالم الذي حولها، والتي تكاد تغطي ربع مساحتها البالغة نحو (130) ألف كم². وهكذا حدّد هذا الموقع والجبال والبحر طبيعة هذه البلاد ونمط حضارتها وأنظمتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

تمتدّ في وسطها سلسلة جبال بيندوس Pindos الكثيرة الانكسارات والانهدامات، والتي تفصل بين إقليم إبيروس Epiros في الشمال الغربي وهي منطقة جبليّة وعرة، وإقليم تساليه Thessalia في الشمال الشرقي، والتي تضمّ أكبر سهول اليونان. ويكلّلها في شمالها أعلى جبالها وهو جبل الأولمب Olympos الذي يصل ارتفاعه إلى نحو ثلاثة الآف متر، وقد

تخيّله الإغريق مقراً لآلهتهم الأولمبية، وهو يفصلها عن إقليم مقدونيا في الشمال. وهذه الأقاليم الثلاثة لم يكن لها دور مؤثّر في تاريخ الإغريق إلا في العهود الأخيرة.

وترتفع في الوسط جبال بارناسوس Parnassos الشهيرة كموطن لربات الشعر والفنون، والتي يصل ارتفاعها إلى 2500 م، وتبرز في جنوبها الشرقي في إقليم اتيكا جبال بنتيليكون Pentelicon المشهورة بصخورها المرمرية وجبال لاوريكون Lauricon الغنية بمناجم الفضة. ثم يأتي برزخ كورنثة الضيّق الذي يصلها بشبه جزيرة البيلوبونيس، وهي أيضاً بلاد جبلية يقوم في وسطها إقليم أركاديا القاحل المحاط بالجبال من كل جهاته والذي يمتدّ منه نحو الجنوب جبال تايجيتوس Taigetos (نحو2400م) في إقليم لاكونيا الإسبرطي حتى البحر مؤلفة عدداً من أشباه الجزر.

من خلال هذه السلاسل الجبليّة تبرز الكثير من المناطق الصغيرة التي ألفت في القديم مناطق منعزلة مستقلّة عن بعضها بعضاً وأهمّها: منطقة إبيروس مع معبد دودونا المقدس للاله زيوس وبويوتيا (نحو4000 كم^2) وعاصمتها طيبة، ومنطقة فوكيس Phokis مع مركز العرافة الشهير دلفي وشبه جزيرة اتيكا (نحو2250 كم^2) وعاصمتها أثينا.

وفي البيلوبونيز تأتي أوّلا مدينة كورنثة ثم إقليم ارجوليس في الشمال الشرقي مع مدينتي أرجوس وموكيناي. وفي جنوبها إقليم لاكونيا (3350 كم^2) وعاصمته اسبرطة.

وفي الغرب منطقة مسينيا وفي شمالها الغربي منطقة إليس مع معبد زيوس الأولمبي ومقر الألعاب الأولمبية وفي أقصى شمال شبه الجزيرة يمتد إقليم أخايا.

وهكذا فإنّ أكبر سهول اليونان الموجودة في تساليا وبويوتيا وأتيكا ولاكونيا ومسينيا تقع في معظمها في شرقها، وتطل على معظم الجزر في بحر ايجة. وبذلك ترسّخ توجّه بلاد اليونان نحو الشرق تاريخياً وحضارياً بحكم موقعها وطبيعتها الجغرافية.

كانت بلاد اليونان في ظل تلك الأوضاع محدودة الإمكانيات وفقيرة في منتجاتها الزراعية. فالأراضي الصالحة للزراعة لا تشكل سوى خمس مساحتها، بينما تغطي الجبال ثلثي أراضيها. ولعلّه كانت توجد غابات في بعض أنحاء البلاد، ولكنها زالت على مر الزمان بسبب استخدام أخشابها كوقود وفي بناء المنازل وصنع المراكب.

أما المراعي فلم يكن الغذاء المتوفِّر فيها كافياً لتربية المواشي الكبيرة كالأبقار والثيران بأعداد كبيرة، وإنّما لرعي الماعز والأغنام وتربية النحل، ولذلك اشتهرت اليونان بلبن الماعز وأجبانها والعسل.

كان الإغريق يعيشون على حاصلات تلك السهول الصغيرة، وفي مقدمتها «ثالوث البحر المتوسط»: القمح والعنب والزيتون. ومنها كان يصنع الخبز (الغذاء الرئيس عند الإغريق) والنبيذ (شرابهم القومي) والزيت الذي كان يستعمل للغذاء والغسيل والإضاءة[1].

أدّى فقر بلاد اليونان بالأراضي الصالحة للزراعة وعدم كفاية إنتاجها الزراعي لأعداد السكان المتزايدة إلى هجرة أبنائها بحثاً عن مواطن جديدة، ونتج عن ذلك انتشار المستعمرات والمدن الإغريقية على شواطئ البحر المتوسط الشمالية والبحار المحيطة به. كما دفعتهم إلى امتهان الحرف اليدوية والصناعية والتجارة. وهكذا اختلف جوهر الحضارة الإغريقية عن حضارات الشرق القديم الزراعية، واتسمت بكونها حضارة صناعية تجارية بامتياز.

كان البحر بالنسبة للأغريق مركز حياتهم، سواء في تجارتهم وأسفارهم أو هجراتهم بل وحتى في آدابهم وأغانيهم، وخاصة بحر ايجه الذي سمي باسم أحد ملوك أثينا الأسطوريين، والذي يزخر بمئات الجزر الكبيرة والصغيرة، وكان بمثابة الجسر الذي ربط بين أوروبا وآسيا، فهو يعجّ في شاطئه الشرقي بالخلجان والمرافئ القائمة عند مصبات الأنهار الخصبة ونهاية الطرق التجارية القادمة من مواطن الحضارات الشرقية، أما في جانبه العربي فقد توغّل البحر في وسط اليونان توغلاً شديداً نشأ عنه خليج واسع عميق هو خليج كورنثة في الغرب، الذي لا يفصله عن الخليج الساروني في الشرق سوى برزخ بري ضيق، قامت عنده أهم المدن التجارية الإغريقية، وهي كورنثة. وكان من نتيجة ذلك انقسام بلاد اليونان القارية إلى قسمين كبيرين، وأدّى بالتالي إلى «ثنائية التاريخ اليوناني وتوزيع مسرحه بين قوتين: أثينا في الشمال واسبرطة في الجنوب»[2].

---

[1]- انظر: عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني (العصر الهلادي)، 1970، ص37.

[2]- انظر: م.ن، ص22.

ثالثًا: أصول الإغريق وتسمياتهم وقبائلهم

يتّفق التراث التاريخي والروايات الشعبيّة الميثولوجيّة والمخلفات المادية والأثريّة على أنّ القبائل الإغريقية لم تكن أوّل من سكن بلاد اليونان، وإنّما سبقتهم إليها أقوام مختلفة من بلدان حوض البحر المتوسط الشرقي. إذ تتحدّث الأساطير الإغريقية عن هجرة قدموس من الساحل السوري وتأسيسه مدينة طيبة، ومجيء دناؤس من مصر وسيطرته على أرجوس، وقدوم بيلوبسPelops من آسيا الصغرى إلى شبه جزيرة البيلوبونيز التي تسمّت باسمه (Peloponnesos أي جزيرة بيلوبس).

1. التسميات

وقد استعمل الكتاب الإغريق الكلاسيكيون تسميات عدّة للدلالة على السكان السابقين، الذين استوطنوا بلاد اليونان قبل قدوم القبائل الإغريقية أو للدلالة على بقايا السكان المحليين من غير الإغريق، ومنها الليليجيون Leleger والكاريون أو الايجيون وأهم هذه التسميات وأكثرها انتشارًا هي:

- **البلاسجيون Pelasgoi** (وبالإنكليزية Pelasgians) الذين يبدو أنّهم دخلوا البلاد في العصر النيوليتي قادمين على الأرجح من إقليم كاريا في آسيا الصغرى، لذلك دعوا أيضاً بالكاريين.

وقد ذكرهم الشاعر هومير في الإلياذة (II 681. xvI, 233) وأشار إلى وجودهم في مناطق مختلفة ومنها كريت ودودونا وأرجوس التي يصفها بأرجوس البلاسجية.

ويذكر الشاعر هسيود (frg.212) أيضاً أن دودونا Dodona (وهي أقدم مراكز الوحي عند الإغريق) الواقعة في إقليم ابيروس غربي بلاد اليونان كانت أحد مقراتهم، وينسبهم إلى جد أسطوري يدعى بلاسجوسPelasgos الذي يقول عنه إنّه كان والد ليكاؤنLykaon ملك أركاديا وهي إقليم في وسط شبه جزيرة البيلوبونيز.

ويذكر المؤرِّخ هيرودوت (Hrd.II56) أنّ أوّل اسم لبلاد اليونان كان بلاسجياPelasgia، وأنّ البلاسجين سكنوا مناطق مختلفة في اليونان وحوض بحر ايجه: ومنها أرجوس ودودونا وأركاديا وجزر لسبوس ولمنوس وامبروس وغيرها. كما يدّعي أنّ سكان إقليم اتيكا وأثينا

كانوا من أصل بلاسجي قبل أن يصبحوا إغريق. ويذكر كذلك أنّ البلاسجين كانوا قديماً ـ بحسب ما سمعه شخصاً في دودونا ـ يقدّمون الأضاحي للألهة بدون أن يسمّوا أياً منهم، وأن لغتهم ليست إغريقية، وهو ما يجمع عليه الباحثون الذين يؤكّدون أنّها تركت تأثيرها على بعض الجذور اللغوية الإغريقية، وخاصّة في أسماء بعض الأماكن والنباتات المنتهية ب: ssos ـ أو ـ nthos ـ أو ene ـ مثل Barnassos (جبل مشهور في وسط بلاد اليونان رست عليه سفينة ديوكاليون بطل أسطورة الطوفان) وكيباريسوس Kyparissos (شجرة الأرز) وكورنثة Korinthos وموكيني Mykene والالهة أثينة Athene وقد فسر بعض الباحثين اسمهم بأنّه يعني «الجيران» أو «شعب البحر» ولكن محاولة ربطهم بالبليستي Pelest وهم أحد شعوب البحر المذكورين في الوثائق المصرية، (وسيعرفون بعد استيطانهم على شاطئ سورية الجنوبي بالفلستي ومنها جاء اسم فلسطين) لا أساس لها تاريخياً.

وتقول الروايات إنّ هؤلاء البلاسجين اندمجوا مع القادمين الجدد من أصول هندو ـ أوربية، وشكّلوا الشعب الإغريقي في العصر الموكيني والعصور التالية.

أمّا الأسماء التي اشتهر بها الإغريق في شتى ديارهم في العصور الكلاسيكية وما زالوا يعرفون بها حتى اليوم فهي: الهيلينيون والإغريق واليونان، وهي أسماء تلتقي بأصولها مع التسميات التي عرفت بها بلاد اليونان عبر العصور:

أ ـ الهيلينيون Hellenes

وهم في الأصل سكان منطقة هلاّس Hellas الذين كانوا يشكّلون القبيلة التسالية الصغيرة التي تسمّت باسم جدّها الأسطوري هيلين Hellen وهو ابن ديوكاليون Deukalion بطل أسطورة الطوفان الإغريقية. وتقول الروايات إنّ هيلين أنجب ثلاثة أبناء أصبحوا هم وأبناؤهم أجداد القبائل الإغريقية الكبرى وهم: أيولوس Aiolos ودوروس Doros واكسوتوس Xuthos الذي كان له ولدان هما إيون Ion وأخايوس Achaios. وقد ورد ذكر هؤلاء الهيلينين مرة واحدة في الإلياذة (الكتاب الثاني البيت 530) كما وردت الإشارة إلى البانهيلينين Panhellenes ويقصد بهم مجموع الهيلينين. ويروي المؤرخ توكوديديس Thoukydides الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد (في الكتاب الأول من تاريخ الحرب البيلوبونيزية)

أنّه بعد أن ازدادت سطوة هيلين وأولاده في جنوبي إقليم تساليه وحالفتهم الدول الأخرى وتوثقت صلاتها بهم، بدأت كلّ مدينة بمعزل عن الأخرى بسبب اللغة المشتركة فيما بينهم تنتسب إلى الهيلينيّة، ثم أصبحوا جميعاً يعرفون بهذا الاسم الجامع المشترك أي الهيلينين، ولكنّه لم يترسخ إلا بعد عهد طويل. وفي الحقيقة، فإنّ هذه التسمية بدأت تتردّد منذ أوائل القرن السابع قبل الميلاد على ألسنة الشعراء الإغريق، وخاصّة أرخيلوخوس Arachilochos وهسيودوHesiodos، ثم انتشرت في العصور الكلاسيكية وصار الإغريق يميزون أنفسهم عن الشعوب الأخرى التي سموها برابرة Barbaroi ويفتخرون بانتسابهم إلى الهيلينين والحضارة الهيلينية، التي ارتبطت بدولة المدينة الإغريقية Polis وصار حكام الألعاب الأولمبية يعرفون باسم «قضاة الهيلينين» Hellanodikoi. ويبدو أنّ اسم الهيلينيين قد اكتسب معناه الواسع في الدلالة على الإغريق كلّهم عن طريق الحلف الأمفيكتيوني Amphiktiones المقدّس، الذي كان يشرف على معبد دلفي وتنظيم الاحتفالات البوثية Pythian تكريماً للاله أبواون، وهي أحد الاحتفالات الأربعة التي كان لها صفة هيلينية جامعة في العالم الإغريقي، أي أنّ الاحتفال البوثي المشترك بمنطقة هلاّس هو الذي أكسب الهيلينين تسميتهم المشتركة Hellenen. وفي العصر الهلنستي تحوّل هذا الاسم من تسمية وطنيّة تدلّ على الجنس الإغريقي إلى مفهومٍ ثقافيٍّ يدلّ على أيّ شخص يعتنق نمط الحياة الهيلينيّة. ويذكر المؤرّخ ديونيسوس هاليكارناسوس أربعة أمور تميّز الهيليني عن البربري وهي: اللغة البربرية والتربية والديانة وحكم القانون. ولقد اشتقّ من هذه التسمية الاسم**Hellenismus**، وكان يعني في القديم تقليد نمط الحياة الإغريقية، وكذلك الصفة Hellenist ويقصد بها من يتكلّم اللّغة الإغريقية أو يقلّد الإغريق من غير شعبهم. وفي العصر الحديث رسخ المؤرّخ الألماني يوهان درويسنJ. Droysen (عام 1838) هذه التسمية Hellenisnus للدلالة على عصر تاريخيّ جديد صار يعرف بالعصر الهلنستي Hellenistic Age والذي يبدأ منذ موت الإسكندر الكبير المقدوني عام 323 م وينتهي بسقوط آخر الممالك الهلنستية البطلمية عام 30 ق.م على أيدي الرومان والذي تفاعلت فيه الحضارة الهيلينية مع الحضارات الشرقيّة القديمة، وشكّلت الحضارة الهلنستيّة التي اعتنقها الرومان واستمرت في العالم القديم حتى انتشار المسيحية.

ب ـ الإغريق Graeci (وبالإغريقية Graikoi)

وهي التسمية التي أطلقها الرومان أوّلاً على سكان أوّل مستعمرة إغريقية اتّصلوا بها في إيطاليا (وهي مستعمرة كوماي Cumae التي أقيمت على خليج نابولي في أواسط القرن الثامن قبل الميلاد)، ثم جرى تعميمها على الإغريق في بلاد اليونان وأينما وجدوا. جاءت هذه التسمية من اسم قبيلة صغيرة (Graioi) في إقليم بويوتيا شاركت في تأسيس تلك المستعمرة. وأقدم مصدر تاريخي يوثق هذا الاسم ورد عند الفيلسوف أرسطو[1] الذي يذكر أنّ سكّان إقليم أيبروس الأوسط كانوا يدعون في السابق Graikoi، ثم أصبحوا بعد ذلك يدعون Hellenes. كما يشير السجل التاريخي المعروف باسم كرونيك باروس (Parian Chronicle) إلى هذا التّحوّل في الاسم ويحدّد زمنه في القرن السادس عشر قبل الميلاد، فيذكر أنّ الهيلينيين كانوا يدعون في الأصل إغريقيين. أما الشاعر هسيود فينسب هؤلاء الإغريق في ملحمته أنساب الآلهة إلى جد أسطوري يدعى Graikos الذي يقول عنه إنّه كان ابن باندورا الثانية، وهي ابنة بطل الطوفان ديو كاليون وشقيقة هيلين الجد الأسطوري للهيلينيين، وهكذا فإنّ أصول الإغريق /الهيلينين تغيب في غياهب الروايات الميثولوجية.

لقد أصبحت هذه التسمية أصل كلّ التسميات في اللغات الأوربية (The Greeks Les Grecs, Die Griechen....الخ) وصارت بالتالي المعتمدة في كلّ الدراسات التاريخيّة والعلميّة التي تشكل اليوم أساس معرفتنا بالتاريخ القديم، أي أنّها أصبحت ما يشبه المصطلح العلمي المعتمد عالمياً للدالة على الإغريق القدماء وحضارتهم. وبدأت الدراسات التاريخية العربية الحديثة تواكب هذا التقليد العلمي وتعتمده خاصة وأن مفهوم التسمية العربية يونان ينحصر في بلاد اليونان القارية، التي كانت أحد مراكز الحضارة الإغريقية، ولا يشمل كل مناطق انتشار الإغريق القدماء وحضارتهم في عالم البحر المتوسط والبحار المحاذية له. كما وأنّه من مزايا هذه التسمية أنّها تظهر البون الشاسع بين الإغريق القدماء /واليونان المعاصرين وحضارتهم الهيلينية.

[1]- أرسطو: Metaphysik I 352.

ت ـ اليونانيون: Iones

جاءت هذه التسمية من اسم الايونين الذين استوطنوا منطقة الساحل الغربي الأوسط لآسيا الصغرى المطلة على بحر ايجه وكانوا هم من أوائل الإغريق الذين احتكت بهم ممالك الشرق الأدنى القديم. ومن ثم فقد أطلقت عليهم شعوب هذه الممالك تسميات تتفق وطبيعة لغاتها. فقد عرفهم الآشوريون باسم يمانيYamani والفرس يواناسYauanas (في نقش بهيستون) والعرب باسم يونان Yunan[1] وقد شاعت هذه التسمية في العربية وعموم الشرق، وما تزال تستعمل للدلالة على بلاد اليونان القارية وشعبها اليوناني.

2. القبائل الإغريقية

كان الإغريق في العصور الكلاسيكية ينتسبون إلى أحدى القبائلPhylai الأربع: الآخية والإيولية والإيونية والدورية. التي تعيد الروايات الميثولوجية أصولها إلى أبناء وأحفاد جدهم الأسطوري هيلين (Helen) وهم دوروس Doros، وايلوسAilos، وايون Ion، وأخايوس Achaios، والذين أصبحوا أجداد هذا القبائل التي كان لها الدور الأساسي في التاريخ الإغريقي، والحضارة الإغريقية، على الرغم من اختلاف لهجاتها، وأنظمتها السياسية، ومستواها الحضاري، وتراثها الميثولوجي، وتقاليدها الدينية، ودرجة اختلاطها بالسكان القدامى في مواطن استيطانها. وأمام غياب الروايات التاريخية الموثوقة والأدلة المادية الأثرية التي تدلّ على أصول الإغريق ومواطنهم الأصلية. فلا يسع المرء إلا أن يأخذ بهذه الأساطير التي كان يعتقد بها القدماء وينظرون إليها على أنها حقائق تاريخية مسلم بها. وترجّح معظم الدّراسات التاريخيّة انتساب الإغريق الأوائل إلى الشعوب الهندو - أوربية وأنهم تسربوا من مناطق متعدّدة في حوض نهر الدانوب إلى بلاد اليونان خلال الألف الثاني قبل الميلاد، وذلك على شكل هجرات متقطعة استهلتها القبائل الآخية. ثم أعقبها هجرة القبائل الايولية والايونية وكان آخرها هجرة القبائل الدورية في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، والتي كانت أشدّها عنفاً وأدّت إلى ترسيخ الطابع الإغريقي لبلاد اليونان.

[1]- علي عبد اللطيف أحمد، التاريخ اليوناني، م.س، ص8. «(لعل الاسم المحرف قد ظهر أولا في قبرص التي كانت لها صلات قوية مع أوجاريت (رأس شمره)» ولكن أوجاريت سقطت في مطلع القرن الثاني عشر قبل الميلاد، أي قبل هجرة الايونيين إلى ساحل آسيا الصغرى لذلك على الأرجح فان صلات الساحل السوري بالايونيين تمت على أيدي الفينيقيين. يضاف إلى ذلك أن أبجدية اوغاريت كانت ابجدية مسمارية.

أ ـ الآخيون (Achaioi (Achaeans

هم أقدم هذه القبائل تاريخياً، ويعود قدومهم إلى بلاد اليونان إلى أوائل الألف الثاني قبل الميلاد، وقد استوطنوا أوّلاً في إقليم تساليا ثم في شبه جزيرة البيلوبونيز، واختلطوا بالسكان الأصليين، وتأثّروا بحضارتهم. يدعون الانتساب إلى أخايوس حفيد هيلين وهم أصحاب الحضارة الموكينية الذين قادوا الجيوش الإغريقية بزعامة أجاممنون ضد طروادة بحسب هومير. وبعد الغزو الدوري اقتصر وجودهم على منطقة أخاياAchaia في شمالي البيلوبونيز، وانتشروا في مناطق الاستيطان الإغريقية، واختلطوا خاصة بالقبائل الايونية والايولية، وقد برزوا مجدداً في العصر الهلنستي عندما تزعموا الحلف الأخي.

ب ـ الأيوليون (Aioles (Aeolians

جاؤوا إلى بلاد اليونان مع موجة المهاجرين الأوائل، واستوطنوا في إقليمي تساليا وبويوتيا، وهم ينتسبون إلى جدهم الأسطوري ايولوس بن هيلين. وبعد الغزو الدوري عبر قسمٌ منهم بحر ايجه إلى جزيرة لسبوس، واستقرّوا كذلك في سهل طروادة، وهي المنطقة التي حملت اسمهم وصارت تعرف باسم ايوليسAiolis؛ حيث شكّلت مدنها وجزرها الاثنتا عشرة الجامعة الايولية، وأهم دولة مدينة أقامها الايوليون كانت مدينة طيبة التي تزعمت الاتحاد البويوتي.

ت ـ الايونيون (Iones (lonians

ينتسبون إلى جدهم الأسطوري ايون حفيد هيلين، وكانوا من أقدم المهاجرين الإغريق إلى بلاد اليونان؛ حيث استقرّوا في إقليم أتيكا وجزيرة أوبويا. وكانوا يفخرون بعراقتهم وصمودهم أمام الدوريين. انتشروا بعد الهجرة الدورية في جزر بحر ايجه، واستوطنوا المنطقة الوسطى من ساحل آسيا الصغرى الغربي؛ حيث أقاموا عدداً من المدن واختلطوا بالسكان المحليين البلاسجيين، الذين تزاوجوا معهم، وهكذا اختلطت دماؤهم كما يذكر المؤرخ هيردوت. وحملت منطقتهم اسم ايونياIonia التي شكّلت اتحاداً من اثنتي عشرة مدينة عرفت بالجامعة الايونية.

ث ـ الدوريون (Dorians) Doreis

آخر القبائل الإغريقية التي جاءت إلى بلاد اليونان في نطاق ما يسمّى بالهجرة الدوريّة، ويعتقد أنّهم انطلقوا من إقليم إبيروس في الشمال الغربي من اليونان، واستقرّوا أوّلاً في المنطقة التي حملت اسم جدّهم الأسطوري دوريسDoris، ثم نزحوا جنوباً إلى شبه جزيرة البيلوبونيز. وتسمي الأساطير الإغريقية هجرتهم بعودة أبناء هرقل، البطل الأسطوري الذي يدعي الانتساب إليه ملوك اسبرطة وكثير من الأبطال والحكام الدوريين.

تمكن الدوريون بفضل تنظيماتهم العسكرية وأسلحتهم الحديدية من اجتياح معظم الممالك والحصون الموكينية القائمة في أرجوليس ولاكونيا وميسنيا، ثم انتشروا في الجزر الجنوبية من بحر ايجه (كريت وررودوس وكوس وغيرها) والبر المقابل لها من ساحل آسيا الصغرى، الذي حمل اسم دوريس والتي شكلت مدنها اتحاداً أو الجامعة الدورية مثلما فعل الايوليون والايونيون. ومن أشهر مدنها هاليكارناسوس مسقط رأس المؤرخ هيرودوت. وأهم الدول التي أقامها الدوريون وتمثلهم خير تمثيل اسبرطة التي تزعّمت الحلف البيلوبونيزي.

رابعًا: الكتابة واللّغة الإغريقيّة ولهجاتها

1. الكتابة

عرفت بلاد اليونان في تاريخها الباكر نوعين من الكتابة دونت بهما الألواح الفخارية المكتشفة في كريت وموكيناي، ودُعيت أولاهما بالخط ألف (Linear A) وهي كتابة مينوية هيروغليفية لم يتمكن الباحثون من فك رموزها حتى اليوم، وسميت الأخرى بالخط ب (Linear B) وهي كتابة مقطعية نشأت من سابقتها التصويرية، وقد نجح كل من مايكل فنتريسM.V entris وجون شادويكJ.Chadwick في فك رموزها؛ حيث تبيّن أنّها عبارة عن لهجة اغريقيّة قديمة تعود إلى الحضارة الموكينية في الفترة الممتدة من القرن الرابع عشر حتى الثاني عشر قبل الميلاد. أما عن مضمون هذه الألواح فهي مجرّد سجلات وحسابات وقوائم بأسماء العمال والعبيد والجنود والبضائع ولا تتضمّن معلومات تاريخية تذكر. وقد اختفت هذه الكتابة مع انهيار الحضارة الموكينية. ودخول اليونان في عصر مظلم من الناحية التأريخية استمرّ حتى القرن التاسع قبل الميلاد عندما بدأت تباشير النهوض الحضاري على

الشواطئ الغربية لأسيا الصغرى. ويبدو أنّ الكتابة عادت إلى الظهور من جديد في أواخر ذلك القرن بفضل الأبجدية الكنعانية الفينيقيّة، التي اقتبسها الإغريق من خلال صلاتهم بسكان الساحل السوري والأماكن التي انتشرت فيها تلك الأبجدية[1]. وأقدم شاهد على الأبجدية الإغريقية ظهر حتى اليوم ورد في نقش على إناء عثر عليه في أثينا، وكذلك على كأس نستور المكتشف في احدى المستعمرات الإغريقية في إيطاليا وكلاهما يعودان إلى القرن الثامن قبل الميلاد. أدرك الإغريق منذ البداية الاختلاف في طبيعة اللغتين الكنعانية والإغريقية لذلك كان لا بدّ من تطويع الكتابة المقتبسة لتلائم لغتهم، وبما أنّ الأبجدية الفينيقية لا تضم إلا الحروف الساكنة فإنّ الإغريق حولوا الأحرف الحلقية -التي لا وجود لها في لغتهم- للدلالة على الأصوات الكثيرة التي لا غنى عنها في الإغريقية وهكذا تحولت الألف الفينيقية إلى (A) والهاء إلى (E) والياء إلى (I) والعين إلى (O) والواو إلى (U). وهكذا صارت الأبجدية الإغريقية تضمّ السواكن والصوائت (أي الأحرف الساكنة والصوتية) وبذلك أصبحت تلائم كل اللغات الغنيّة بالصوتيات كالإغريقية واللغات الهندو - اوربية.

وقد بقيت معظم أسماء الأحرف الفينيقية هي ذاتها في الإغريقية (ألفا، بيتا، غاما، دلتا... الخ) وكذلك ترتيبها أبجد هوز الخ... (A B ΓΔ)، كما استخدم الإغريق النظام الفينيقي ذاته في اتجاه الكتابة، أي من اليمين إلى اليسار، وفي مرحلة لاحقة طريقة المحراث (المسماة بوستروفيدون Bustrophedon)، وهكذا دواليك وأخيراً استقر اتجاه الكتابة الإغريقية من اليسار إلى اليمين، والذي سارت عليه أيضاً الكتابة اللاتينية[2]. وكذلك استخدم الإغريق الحروف الأبجدية للدلالة على الأرقام الحسابية مثلما هو معروف في الحروف الفينيقية

[1]- يرى المؤرخ هرمان بنكستون أن اقتباس الأبجدية الفينيقية جرى في القرن التاسع أو (العاشر) قبل الميلاد وكان ذلك في آسيا الصغرى

H.Bengtson: Gr. Gesch. S. 59

ومما يدعم هذا الرأي العثور على الأبجدية الفينيقية في مدينة شمال الكيليكية مثلما أيضا في الأناضول قرب نهر جيحان حيث عثر على نقش فينيقي – هيروغليفي حثي يعود إلى عام 720 ق.م.

[2]- هيرودوت والأحرف الفينيقية: Hrd. V58

«أدخل الفينيقيون الذي جاؤوا برفقة قدموس إلى بلاد الإغريق بعد استقرارهم في تلك البلاد عدداً من الفنون أهمها الكتابة وهي فن لم يكن، على ما أظن معروفاً لدى الإغريق حتى ذلك الحين. وفي البداية استخدموا الأبجدية التي يأخذ بها سائر الفينيقيين لكن بمرور الزمن تحولوا عن لغتهم وعن الطريقة التي يرسمون بها شكل الحروف....

وقد درسوا (أي الايونيين) هذه الحروف على يد الفينيقيين وأخذوا يستخدمونها مع تعديلات طفيفة وظلوا يشيرون اليها على أنها «الاحرف الفينيقية» ولقد أصاب هؤلاء القوم بهذه التسمية، ذلك ان الفنيقين هم من أدخل هذه الأبجدية.

السامية. وكانت الكلمات تكتب بأحرف كبيرة منفصلة إلى جانب بعضها بعضاً بلا فواصل أو علامات نبرة، وبقي الأمر كذلك طيلة العصور القديمة حتى ظهرت الكتابة بالأحرف الصغيرة المتصلة في القرن التاسع الميلادي. لم تكن الكتابة الإغريقية موحدة في البداية، وانما ظهرت أبجديات محلية عدّة (epichoric Alphabet) مع بعض الاختلافات في أشكال الحروف ونطقها، وأهمها أبجديات خلقيس (أوبويا) وايونيا وأثينا وكورنثة. ولكن منذ القرن الخامس قبل الميلاد بدأت أبجدية ميليت Miletes الايونية ذات الأربعة والعشرين حرفاً تطغى على الأبجديات الأخرى، وفي عام أصبحت (403 ق.م) في أرخونية Euklides جرى اعتمادها رسمياً في أثينا وأصبحت الأبجدية الإغريقية النموذجية بامتياز.

إنّ الأصل الكنعاني ـ الفينيقي للأبجدية الإغريقية لا يرقى إليه الشك، فهو ثابت من خلال الروايات التاريخية وعلى رأسها هيرودوت، الذي يسميها «الأحرف الفينيقية» وينسبها إلى قدموس ابن ملك صور مؤسّس مدينة طيبة الشهيرة، وكذلك العالم الموسوعي الروماني بلينيوس الأكبر في كتابه «التاريخ الطبيعي Historia Naturalis. كما أنّ هذا الأصل ثابت ـ كما سبق أعلاه ـ من خلال أسماء الحروف وأشكالها وترتيبها واتجاه الكتابة الأساسي واستخدامها للدلالة على الأرقام الحسابية. لقد شكّل اقتباس الأبجدية الفينيقية حدثاً بالغ الأهميّة في حياة الإغريق الثقافية والحضارية، وكان منطلقاً للنهضة الفكرية والعلمية الإغريقية؛ لأنّها جعلت الكتابة في متناول الجميع ولم تعد حكراً على طبقة الكهنة ورجال الدين.

2. اللغة ولهجاتها

تنتمي الإغريقية إلى مجموعة اللغات الهندو أوربية، وتشكل فرعاً رئيساً في هذه الأسرة اللغوية الكبيرة، والذي يدعى أحياناً الفرع الهيليني. وهي تعد أقدم اللغات الأوربية الموثقة على الاطلاق وأعظمها تأثيراً بمفرداتها وتراثها اللغوي. وقد تأثرت بلغات السكان القدماء لبلاد اليونان البلاسجيين واقتبست عناصر ومفردات مختلفة منها. وأقدم مرحلة مرت بها اللغة الإغريقية هي الإغريقية الموكينية (Mycenean Greek) في الألف الثاني قبل الميلاد المعروفة أيضاً بالآخية، والتي وصلتنا شواهدها من اللوحات الكتابية المسماة الخط ب (Linear B) العائدة إلى عصر البرونز. وبعد انهيار الحضارة الموكينية هاجر الناطقون بها

إلى قبرص، واستقرّ قسم منهم في إقليم أركاديا في وسط شبه جزيرة البيلوبونيز. وقد نشأ عنها اللهجة الأركادية التي كتبت بالكتابة المقطعية القبرصية حتى بداية العصر الهلنستي.

ارتبطت اللهجات الإغريقية الرئيسة بالقبائل الإغريقية الكبرى، وزاد في ترسيخها طبيعة بلاد اليونان وانفصال أقاليمها بالجبال والبحار. كذلك يمكن أن تبرز إحدى اللهجات في جنس أدبي معيّن فتصبح النموذج والمثل الأعلى له. وهكذا سادت لغة هومير (الإيونية – الإيولية) في فنّ الملاحم الشعريّة وسادت اللهجة الدورية في الشعر الغنائي التراجيدي وأهم هذه اللهجات:

أ ـ الأيولية (Aeolic Greek)

كانت اللهجة السائدة في إقليمي بويوتيا وتساليا، وكذلك في جزيرة لسبوس وفي المستوطنات الايولية على ساحل آسيا الصغرى التي حملت اسم ايوليس (Aeolis) وهي تظهر كثيراً من الصيغ القديمة واشتهرت بأنّها لغة أشهر شاعرات الإغريق سافو (Sappho) وكذلك الشاعر الكايوس الميتيليني، وهو ما يعرف بالشعر الايتولي الذي تميز بأربعة بحور شعرية تدعى الايوليات.

ب ـ الأيونية – الأتيكية: (Ionic – Attic Greek)

وهي من أقدم اللهجات الإغريقية الكبرى وأعظمها شأناً من الناحية الأدبية والفكرية، فهي لغة الملاحم الإغريقية (الإلياذة والأوديسة وغيرها). وقد انتشر الناطقون بها ليس فقط في منطقة ايونيا في آسيا الصغرى، وإنما أيضاً في الجزر الايجيّة وأتيكا واوبويا وكثير من المستعمرات الايونية على شواطئ بحر مرمرة والبحر الأسود وفي إغريقيا العظمى. أما شقيقتها الاتيكية (التي جاء اسمها من إقليم اتيكا Attika) فهي لهجة دولة المدنية أثينا التي أصبحت بفضل مكانة أثينا العلمية والفكرية اللغة المعيارية (الفصحى) التي دون بها معظم التراث الفكري الإغريقي وألف فيها المؤرخون والأدباء والفلاسفة (ثوكوديديس واكسنوفون وافلاطون وأرسطو وشعراء التراجيديا والكوميديا إلخ...)

ت ـ الدورية (Doric Greek)

انتشرت هذه اللّهجة في شبه جزيرة البيلوبونيز وجنوب إيطاليا وصقلية وكريت ورودوس وعلى الشاطئ الغربي لأسيا الصغرى، مثلما أيضاً في إقليم ابيروس في الشمال الغربي من اليونان. وكانت تستعمل كلغة أدبية في الشعر الغنائي وأغاني الكورس في التراجيديا الإغريقية الأتيكية، ومن أشهر شعرائها الكمان وسيمونيدس وبندار. وتمتاز اللهجة الدورية باحتفاظها بحرفa بدلاً منe في اللهجة الايونية – الأتيكية.

ث ـ الإغريقية العامة (Koine)

وتعرف أيضا باللغة الإغريقية الهلنستية، والأتيكية العامية، واللهجة الاسكندرانية، وهي اللغة الإغريقية التي سادت في العصرين الهلنستي والروماني، ثم في الإمبراطورية البيزنطية (حتى سقوطها عام 1453 م). نشأت مع فتوحات الاسكندر كلغة حديث بين جيوشه، التي ضمت مختلف العناصر الإغريقية، ثم استمرت لدى البطالمة والسلوقيين والممالك الهلنستية الأخرى، فحلّت محلّ اللّهجات الإغريقية السابقة وصارت اللغة الدولية في العصر الهلنستي. كانت لغة الكتّاب والأدباء والمؤرّخين مثل بوليبوس وبلوتارخوس وأبيانوس الاسكندراني وكاليماخوس القوريني ولوقيان السميساطي ولغة الأناجيل المسيحية الأربعة والإغريقية التوراتية (Septuaginta) وكتابات أباء الكنيسة الأرثوذكسية. كانت تعتمد بصورة أساسية على اللهجة الأتيكية وشقيقتها الايونية، ولكنّها تضم أيضاً عناصر من اللّهجات الأخرى واللغة الأدبية لهذه اللّهجة (الكويني) تكاد تكون الأتيكية الكلاسيكية التي بقيت النموذج الأمثل ولغة الأدب والكتابة بلا منازع.

خامسًا: المجتمع الإغريقي

تعود أقدم آثار الاستيطان في بلاد اليونان إلى العصر الحجري؛ حيث سكنتها أقوام تنتمي إلى العرق المتوسطي، ثم جاء الغزاة الهندو – أوربيون الذين تغلبوا على السكان القدامى وفرضوا عليهم سلطتهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم. وتدلّ الشواهد التاريخيّة أنه ساد الوئام تدريجياً بين العناصر القديمة والوافدة ولم تكتسب النزاعات فيما بينها طابع العنف الشديد أو الدموي.

لا يعرف الكثير عن المجتمع في الحضارة الكريتية، ولكنّه كغيره من المجتمعات القديمة كان مجتمعاً طبقياً؛ حيث يتربّع الملك على قمّة الهرم الاجتماعي يحيط به طبقة من النبلاء وكبار الملاك الاقطاعين، بينما كان صغار المزارعين والحرفيون والعمال يشكّلون قاعدة ذلك الهرم. كانت المرأة الكريتية تتمتع بمكانة عالية في المجتمع تكاد تداني مكانة الرجل، إذا كانت تقوم بكثير من المهام الأسرية والأعمال الزراعيّة والحرفيّة وتشارك في الاحتفالات والألعاب الرياضية وتتزين بالملابس والمجوهرات، حتى إنّ علماء الأثار شبّهوا امرأة كريتية مصوّرة على جدران قصر كنوسوس ب»الباريسية» لأناقتها وجمالها.

أما عن المجتمع الموكيني فجلّ ما نعرفه عنه مستقًى من الأثار المكتشفة والمعلومات الواردة في ملحمتي الإلياذة والأوديسة، وهو مجتمع يمثّل عصر البطولة لدى الإغريق. وعلى الأغلب فإنّ النّظام الاجتماعي السائد في الحضارة الموكينية كان نظاماً اقطاعياً؛ حيث كان الملك يسود طبقة من الأمراء الاقطاعيين، الذين كان لكل منهم جيش خاص به لكنهم يدينون بالولاء للملك الكبير. ومن المرجّح أنّ صغار المزارعين كانوا يرتبطون بأسيادهم الاقطاعيين بالتزامات مادية ومعنوية تحاكي حالة الأقنان. ولعلّ أهمّ ما يميّز الموكينيين ميلهم للحرب والقتال، وتشير الألواح الكتابية المكتشفة إلى أهمية الجيش في المجتمع الموكيني وإلى وجود طبقة من العبيد الأسرى الذين جلبهم الموكينيون في حروبهم وغزواتهم. ويبدو أنّ نساء العصر الموكيني كان لهن مكانة اجتماعيّة مرموقة شبيهة بمكانة المرأة الكريتية، وإن كن بمستوى حضاري أدنى. ويبرز دور النساء من الطبقة الأرستقراطية في ملحمتي هومير وخاصة في الأوديسة؛ حيث أصبحت بنيلوبي مضرب المثل في الوفاء لزوجها أوديسيوس والحرب الطروادية نفسها نشبت بسبب اختطاف زوجة ملك اسبرطة هيلينا فائقة الجمال. وكانت ولاية العرش تتحقق بالزواج من الملكة مثلما حصل مع أوديب في طيبة. ليس لدينا معلومات كثيرة عن المجتمع الهيليني في العصرين المظلم والعتيق، ولكن الدلائل تشير إلى أنّه لم يكن مجتمعاً واحداً أو متجانساً وإنّما كان لكلّ دولة مدينة نظامها السياسي والاجتماعي الخاص بها، ولذلك تعدّدت المجتمعات الإغريقية فيما بينها والتي نشأت من القبائل الثلاث الكبرى: الايتولية والايونية والدورية. أما عن مركز المرأة فقد اختلف عما كان عليه في السابق ويبدو أنّها لم تحظ بمكانة رفيعة كما يستدلّ من شعراء القرن السابع

قبل الميلاد، وعلى رأسهم هسيود الذي يقرن الزوجة بالبيت والمحراث والثور عندما يعدد الأشياء التي ينصح فلاحي بويوتيا باقتنائها، وهو أيضا صاحب أسطورة باندورا التي تجعل من المرأة أصل كل الشرور على الأرض[1].

ويمثل المجتمعان الاثيني والاسبرطي نموذجين مختلفين، بل متضاربين للمجتمعات الإغريقية؛ حيث يمثّل الأوّل مجتمعًا مدنيًا منفتحًا ومتطورًا، بينما يمثل الإسبرطيون مجتمعًا عسكريًا محافظًا ومنغلقًا يقاوم التجديد والتحديث.

تشير الروايات التاريخية إلى غلبة الطابع السلمي على المجتمع الاثيني - الأتيكي الذي جرى دمجه باكراً في كيان سياسي موحّد عاصمته أثينا، وكان يضم طبقات متمايزة كغيره من المجتمعات القديمة وهي:

1 - طبقة النبلاء: Eupatridai من ذوي الحسب والنسب على رأس الهرم الاجتماعي وهي الطبقة التي استأثرت بالسلطة والحكم بعد زوال النظام الملكي، وكان منهم كبار الاقطاعين وكبار الحكام ولا سيّما أعضاء مجلس الاريوباجوس Areopagos، الذي كان يرعى مصالح هذه الطبقة وامتيازاتها، ولكن مع التحولات الديمقراطية فإنّه فقد فيما بعد سلطاته السياسية وتحول إلى محكمة عليا تنظر في جرائم القتل والخيانة.

2 - طبقة المزارعين: Georgioi وهم صغار الملاك في إقليم أتيكا الذين يملكون أرضاً صغيرة تكفي بالكاد تامين لقمة العيش لأعدادهم المتزايدة. وقد صور الشاعر هسيود في ديوانه (الأعمال والأيام) طبقة الفلاحين الصغار (في بويوتيا) ومعاناتها وتسلّط الطبقة الارستقراطية مع غياب العدالة.

3 - طبقة الحرفيين: Demiourgoi وتشمل كلّ المواطنين الذين يعملون بالصناعة والتجارة وغيرها من الأعمال الحرة مثل الأطباء والفنانين والبنائين وغيرهم. وقد تحسّنت أوضاعهم كثيراً بعد انتشار النقود. وبحسب الروايات الأتيكية فإنّهم كانوا يمثلون الطبقة الثالثة السفلى. وفي الفلسفة المثالية لأفلاطون وأفلوطين كان الديمورغ هو خالق الكون ومبدعه من عناصره الأولى.

[1]- انظر: هسيود: ديوان الأعمال والأيام، (الابيات 54- 105)؛ انظر هسيود: أنساب الآلهة، (الابيات 521- 616).

4 - **التيتس: Thetes** وهم أدنى الطبقات الأربع في المجتمع الأثيني ولقد كانوا في غالبيتهم من العمال المياومين الذين لا يملكون أرضا للزراعة ولا مالاً للتجارة أو الصناعة، بل كانوا يعيشون من عملهم اليومي. وكانت هذه الطبقات الثلاث الأخيرة في عداد المواطنين الأثينيين الذين يحقّ لهم الاشتراك في عضوية مجلس الشعب (الاكليزيا) التي كان دورها ينحصر في المصادقة على القوانين التي يصدرها مجلس الأريوباجوس.

أما في إسبرطة فكان المجتمع يتألّف من ثلاث طبقات:

1 ـ الإسبرطيون Spartiates الذين لا عمل لهم سوى التدرّب على فنون الحرب والقتال، وهم وحدهم يتمتعون بحقوق المواطنة كاملة، وقد انتظموا في ثلاث قبائل دورية هي: الدوماني والبافولي والهولي.

2 ـ المجاورون Perioikoi (بريؤيكوي) وهم سكان المدن المجاورة الأحرار الذين يمارسون أعمالهم الزراعية والصناعية ولكنهم ملزمين بالخدمة في الجيش الاسبرطي كقوات مساعدة وليس لهم أية حقوق سياسية.

3 ـ الأقنان (الهيلوت) Helotai وهم طبقة السكان القدامى المستعبدين المحرومين من كل الحقوق المدنية والسياسية، وكانوا يعاملون بمنتهى القسوة والوحشية ولذلك ثاروا مرات عديدة ضدّ أسيادهم الإسبرطيين....

سادسًا: الديانة الإغريقية ومكوِّناتها

نشأت الديانة الإغريقية ـ كما يرى الباحثون ـ من مكوِّنين أساسين هما:

1 - المعتقدات الهلادية الزراعية للسكان القدماء المرتبطة بالأرض والعالم السفلي وتلك المتمثلة بألهة الخصب والأمومة والطبيعة المينوية.

2 - الآلهة الهندو ـ أوربية التي جاءت مع موجات الهجرة المختلفة وعلى رأسها إله السماء زيوس (Zeus)، الذي رأى فيه الإغريق تجسيداً لكلّ مظاهر وقوى الطبيعة المهيمنة على حياتهم.

ومع الزمن بدأت تمتزج في العالم الكريتي-الموكيني الأرستقراطي التصوراتُ والمعتقداتُ الهلادية ـ المينوية مع تلك الهندو ـ أوربية، والتي تمخّض عنها ظهور آلهة النخبة الحاكمة بأشكال إنسانية ونظام تراتبي (هيراركي) يتناسب مع المجتمع الطبقي في العصور الموكينية، وهكذا فإنّ «الديانة الموكينية هي أم الديانة الإغريقية، مثلما أن الشعب الموكيني يمثل أجداد الإغريق التاريخيين» كما يقول أحد كبار مؤرخي الديانة الإغريقية[1].

تطوّرت هذه الديانة الأرستقراطية الموروثة عن الموكنيين، وانتشرت بعد ذلك عبر الأساطير والملاحم الهوميرية؛ لتشكّل البانثيون الإغريقي أو عالم الآلهة الأولمبية الاثني عشر، الذي يتربع على عرشها إله السماء زيوس وأخوته وأبناؤه، وهم: زوجته وأخته هيرا (Hera) حامية الزواج والأسرة، ديميتر(Demeter) ألهة الأرض الأم، بوسيدون Poseidon سيد البحار، هيفايستوس Hephaistos إله الحدادة والبراكين، آريس Ares اله الحرب، ابولون Apollon اله النور والفنون والنبوءة، وشقيقته التوأم ارتميسArtemis ألهة الصيد، افروديت Aphrodites الهة الحب والجمال، هيرمس Hermes اله اللصوص والتجار، أثينة Athene الهة الحكمة والعلوم والفنون، ثم جاء من تراقية اله الخمرة ديونيسوس Dionysos الذي انضم إلى الإله أبولون في دلفي، ثم إلى مجمع الإله الأولمبية. كثير من هذه الألهة جاءوا من البلدان والشعوب المجاورة وأصبحوا أعضاء في البانثيون الإغريقي: فقد جاء أبولون من آسيا الصغرى، وجاء كل من آريس وديوميسوس من تراقية، أما أفروديت فما هي إلا الألهة عشتار السورية التي ظهرت في قبرص أولاً ثم انتشرت في العالم الإغريقي.

ولكن هذه الديانة الهوميرية لم تكن تمثّل سوى شريحة من الديانة القديمة التي كانت تسود فيها العبادات الروحية؛ حيث تسكن الآلهة في الأحجار والأشجار والحيوانات المقدسة، ويعيش بعضها في باطن الأرض ليستقبل الموتى. وكان الإنسان يرى في مظاهر الطبيعة قوى إلهية حافلة بالمشاعر والعواطف. لا يوجد شيء من المعتقدات البدائية عند

[1]- H.Bengtson, Gr.Gesch.S.48.

هومير؛ حيث جرى اختصار العدد الكبير من الآلهة المحلية التي اندمجت بالآلهة الأولمبية وشكّلت ألقاباً لها، أو أنها هبطت إلى مرتبة أنصاف الآلهة والأبطال الذين يعبدون محلياً وتدور حولهم الأساطير والروايات الميثولوجية. بالمقابل فإنّ الشاعر هسيود صور في ديوانه أنساب الألهة (Theogonia) ألهة الفلاحين وإلهات الأرض جايا وديميتر وأجيال الألهة القدامى والصغرى مثل حوريات البحر وربات الفنون وغيرها.

لم تكن الآلهة الأولمبية تهزّ مشاعر الإنسان، وتلامس روحه، ولا تلبي رغبته في البحث عن الخلاص، التي وجدها في المعتقدات الشعبية والآلهة المحلية وديانة الأسرار للألهة ديمتير وابنتها برسيفوني ألهة العالم السفلي، وكذلك في عبادة ديونيسوس بطقوسها الإباحية الصاخبة. وهكذا ظهرت إلى جانب الديانة الأرستقراطية الرسميّة، التي تبنّتها دول المدن الإغريقية، ظهرت ديانةٌ شعبيّةٌ تقوم على الاعتقاد بالآخرة وضمان حياة سعيدة للروح بعد الموت. ومع انتشار العقيدة الأورفيّة في القرن السادس قبل الميلاد طغت موجة جديدة من معتقدات الخلاص الديونيسية الصوفية، التي تهدف إلى تخليص الروح من سجن الجسد وتطهيرها من الخطايا والذنوب والشهوات؛ حيث تنتظر الأتقياء والصالحين حياة سعيدة في الأخرة (إلوسيوم (Elysion) أما العصاة والجاحدون فمصيرهم الجحيم (ترتاروس(Tartaros)، وهكذا بقي هذان التياران الرئيسان حاضرين في الديانة الإغريقية إلى جانب بعضهما؛ إذ كانتا وجهين لعملة واحدة؛ حيث تمثّل الديانة الأولمبية التيار العقلاني الإنساني المهمين في الآداب والفنون وطقوس وعبادات دولة المدنية، أما الوجه الآخر فكان امتدادًا للديانة القديمة الشعبية بعباداتها البدائية وطقوسها الإباحية المرتبطة بعبادات الأسرار وديونيسوس وأورفيوس وتبنيها العبادات الأجنبية الشرقية. وأخيراً ينبغي الإشارة إلى أنّ انقسام الإغريق الاثني والسياسي إلى عدد كبير من القبائل ودول المدن انعكس أيضاً على واقع الديانة الإغريقية التي تفتقر إلى الوحدة والانسجام ووجود كهنوت منظم يرعاها من ناحية. ولكن كان هناك في المقابل الأماكن المقدسة المشتركة، ومراكز الوحي في دلفي وديلوس وساموس والأعياد والألعاب البانهيليية التي تجمع شمل الإغريق دينياً وروحياً.

سابعًا: عصور التاريخ الإغريقي

1ـ العصر المينوي: Minoaen Age

مرّ تاريخ بلاد اليونان الباكر بعصور مختلفة، بدأت بالعصر الحجري الحديث (النيوليتي)، الذي استمرّ من منتصف الألف الرابع حتى مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، وعرف سكانه الأوائل بالبلاسجيين الذين ينتمون إلى العرق المتوسطي، مثل: سكان كريت وشواطئ بحر ايجه، والذين أقاموا حضارة زراعية انتشرت مراكزها في أقاليم تسالية وبويوتيا وأتيكا والبيلوبونيز. وقد صار الطور الأخير من هذه الحضارة النيوليتية يعرف باسم الهلادي القديم.

ولكن ثمة حضارة أخرى قامت في أكبر الجزر اليونانية فاقت الحضارة الهلادية قدماً وعراقة، وهي حضارة كريت المينوية والتي ينسبها بعض العلماء إلى الحضارة الإيجية (Aegean Civilisation) التي نشأت في جزر هذا البحر وعلى شواطئه الشرقية والغربية.

أما تسميتها بالمينوية التي تعود إلى مكتشف هذه الحضارة سيرآرثر ايفانس (A.Evans) فجاءت من اسم (أو لقب) ملك كريت الأسطوري مينوس، الذي ترتبط سيرته بأسطورة اختطاف أوروبا أميرة مدينة صور على يد كبير الآلهة زيوس وزواجه منها وإنجابه مينوس وإخوته.

وهكذا فإنّ أصول الأسرة الملكية المينوية تعود إلى الساحل السوري وتدلّ على قدم الصلات بينهما.

وقد تمكّن ايفانس بمقارنة التماثيل والرسوم والأختام والأواني الفخارية الكريتية، التي تم العثور عليها في التنقيبات، بالآثار المشابهة لها في الشكل والموضوع التي وجدت في مصر وبلاد الشام والرافدين من وضع هيكلية زمنية تقريبيّة للحضارة الكريتية المينوية، والتي تنقسم إلى ثلاثة عصور ينقسم كل منها بدوره إلى ثلاثة أدوار وهي:

- العصر المينوي الباكر (نحو 2600 ـ 2000 ق.م)
- العصر المينوي الوسيط (نحو 2000 ـ 1570 ق.م)
- العصر المينوي الحديث (نحو 1570 ـ 1200 ق.م)

شهد العصر المينوي الباكر الانتقال من العصر النيوليتي إلى عصر البرونز؛ حيث عاشت كريت فترة ازدهارها الأولى نحو 2200 ق.م، وانتشرت المدن على سواحلها الشرقيّة، مما يدلّ على استقبالها المؤثّرات الحضارية من سورية وفينيقية، وبواسطتها من مصر وبلاد الرافدين وخاصة الصناعات النحاسية والبرونزية.

أمّا العصر المينوي الوسيط فشهد انتقال أهمّ مراكز الجزيرة إلى وسطها وانتشار القصور غير المحصنة في كنوسوس وفايستوس وازدياد الصلات التجارية مع المرافئ الفينيقية والمصرية.

وأهم ما يُميِّز العصر المينوي الحديث هو معاصرته للمملكة المصرية الحديثة، وعصر التحامسة، وبلوغ كريت ذروة قوّتها وازدهارها وسيادتها البحرية. وتثبت الصور الجدارية في بعض المعابد المصرية الصلات التي قامت بين المملكتين كما عثر في المقابر المصرية على رسوم تصوّر سفارات كريتية. كما تدلّ الأختام والنقوش المكتشفة على وجود صلات مع بلاد الرافدين.

وقد أطلق المصريون القدماء على كريت اسم كفيتو (Keftiu)، الذي ظهر في النصوص المصرية في أواخر عصر المملكة القديمة أي نحو عام 2200 ق.م، أي منذ أواخر العصر المينوي القديم.

وقد بدأت المؤثّرات المصرية على كريت بوساطة سورية؛ حيث حدثت أولى الاتصالات المباشرة بين الكريتين والمصريين على السواحل السورية، واستمرّت العلاقات التجارية والاقتصادية حتى مطلع القرن الرابع عشر قبل الميلاد (ه)؛ حيث بدأ انهيار الحضارة الكريتية.

2 ـ العصر الهلادي helladic Age (أو Helladikum)

تسمية علمية اشتقّها علماء الآثار من اسم بلاد اليونان هلاّس (Hellas) للدلالة على حضارة اليونان القارية خلال الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد، وسميت بالحضارة الهلادية مع أنّ الهيلينيين لم يكونوا قد ظهروا بعد، ولكنّه مصطلح أريد به إضفاء الصفة الهيلينية على بلاد اليونان قبل بزوغها تاريخيًا.

وهو يقسم إلى ثلاثة عصور تكاد تتطابق مع تقسيمات الحضارة الكريتية - المينيوية وهي:

ـ العصر الهلادي القديم (أو الباكر) نحو2500-1900 ق.م

ـ العصر الهلادي الوسيط نحو 1900-1550 ق.م

ـ العصر الهلادي الحديث نحو 1550-1150 ق.م

في مستهلّ العصر الهلادي الوسيط بدأت تدخل البلاد أقوام جدد يمثّلون طلائع الهيلينيين الهندو ـ أوروبيين، الذين تعايشوا مع السكان الأصليين، وشاركوهم حضارتهم، ثمّ سادوا عليهم بفضل أسلحتهم البرونزية وتفوّقهم في فنون القتال. وفي العصر الهلادي الحديث، الذي يُقسم بدوره إلى ثلاث فترات، بلغت الحضارة الهلادية أوجها في موكيناي (نحو1425-1150 ق.م) فصارت تعرف بالحضارة الموكينية، التي يعود الفضل في الكشف عنها للآثاري الألماني هاينريش شليمان (H.Schlieman) خلال بحثه عن مواقع الحرب الطروادية.

ويغلب على هذه الحضارة الطابع الاقطاعي الأرستقراطي العسكري الذي يتجلّى في العدد الكبير من الحصون العسكرية والأسلحة والعربات الحربية. وقد آلت إليها زعامة العالم الايجي بعد تدمير قصور كريت نحو عام 1400 ق.م، وبلغت على مدى قرنين من الزمن درجة كبيرة من الرخاء والقوّة مستندة في تطوّرها إلى ركيزتين أساسيتين:

إحداهما تراث الحضارة المينوية، الذي تمثّله ولم تبلغ مستواه والأخرى علاقاتها التجارية والثقافية مع بلدان شرقي البحر الأبيض المتوسط.

وقد اكتشفت آثار الفخار الموكيني في مصر وفلسطين وسورية. ويرى بعض الباحثين أنّ أقنعة الموتى الذهبيّة التي وجدت في المقابر الموكينية ناشئة عن تأثّرها بطريقة المصريين في تغليف المومياءات.

كما يدلّ فنّ الترصيع المعدني على وجود صلات بين موكيناي ومصر.

وكذلك ظهور العربات الحربيّة التي تجرّها الخيول على النّقوش الكريتية البارزة يشير إلى أنّ الموكينيين نقلوها من مصر في عهد الهكسوس أو من سوريا وآسيا الصغرى.

وتشير الروايات الميثولوجية الإغريقية إلى أنّ الأبطال الأسطوريين داناؤس وقدموس

ويبلوبس، كانوا كلّهم أجانب جاء أوّلهم من مصر والثاني من فينيقيا والثالث من آسيا الصغرى.

وكان ذلك في القرن السادس عشر قبل الميلاد الذي تمّ فيه طرد الهكسوس من مصر، ولعلّ بعض زعمائهم جاء إلى اليونان، وقد يفسّر هذا تلك الأدوات المستوردة من مصر إلى موكيناي والمؤثرات المصرية الواضحة في المقابر البئرية، وكذلك بدء استعمال العجلات الحربية[1] كما يفسر الازدهار المادي الطارئ على الحضارة الموكينية.

يمثل العصر الموكيني عصر البطولة في التاريخ الإغريقي؛ إذ إنّ معظم أساطير الأبطال الإغريق نشأت في العالم الموكيني (بحارة ارجوس -سبعة ضد طيبة ـ أبطال طروادة ـ الاتريديون ولعنتهم ـ هراكليس وأعماله الخارقة..الخ).

كم تم فيه اقتباس الكتابة (Linear B) التي تبيّن بعد فكّ رموزها في منتصف القرن العشرين أنّها تتضمّن أوّل توثيق للغة الإغريقية، وبالتالي فإنّ الحضارة الموكينية - الآخية كانت أوّل حضارة إغريقية باكرة معروفة وموثقة تاريخيًا منذ أواسط الألف الثاني قبل الميلاد.

3 ـ العصور المظلمة The Greek dark Ages

هي تسمية تشير إلى أحد عصور التاريخ الإغريقي، الذي يمتدّ من الغزو الدوري وانهيار الحضارة الموكينية في القرن الثاني عشر قبل الميلاد حتى ظهور أولى بوادر صعود دولة المدنية الإغريقية (Polis) في مطلع القرن الثامن قبل الميلاد. وهو عصر انحدار حضاري تدنىّ فيه مستوى الحياة، وتفكّكت البنى السياسية والاقتصادية والفكرية، وغابت فيه الوثائق التاريخية والدلائل والشواهد الأثرية.

ومن أهم أحداثه الباكرة استيطان الإغريق الجزر الايجية والشواطئ الغربية لأسيا الصغرى الذي «جعل من بحر ايجه بحراً اغريقياً داخلياً»[2] والذي أصبح ممكناً في أعقاب غزوات شعوب البحر وسقوط الامبراطورية الحثية التي كانت تشكل سداً أمام التوسّع الإغريقي في تلك الأزمنة. كما جرى فيه الانتقال من عصر البرونز إلى عصر الحديد وازدادت الصلات مع شعوب الشرق، وخاصة الفينيقيين سادة البحر المتوسط في النصف من الألف الأوّل

[1]- انظر: علي عبد اللطيف أحمد، التاريخ اليوناني (العصر الهلادي)، م.س، ص698.

[2]- E.Bayer, Grundzuge S.23.

قبل الميلاد، وبدأت التأثيرات الحضارية الشرقية تؤتي ثمارها، وكان على رأسها اقتباس الأبجدية الفينيقية واكتمال الملاحم الهوميرية التي اندمجت فيها - ذكريات عصر البطولة مع بطولات الأزمنة اللاحقة كما شهدت تلك العصور التحول من النظام الملكي إلى النظام الأرستقراطي؛ حيث نجحت طبقة النبلاء من كبار ملاك الأراضي في إزاحة الأنظمة الملكية وتسلم مقاليد الأمور في معظم المناطق الإغريقية. أما على الصعيد الفني فقد ساد الأسلوب الجيومتري (Geometric style) بخطوطه وأشكاله الهندسيّة في الرسوم على المزهريات والجرار الفخارية وتزيينها، وكان أهم مراكزه مدينة أثينا ثم انتشر في المدن التجارية الايجية.

4 ـ العصر العتيق (الأرخي): Archaic period

هو العصر الذي أعقب العصور المظلمة، وامتدّ تقريبًا من القرن الثامن حتى القرن الخامس[1] قبل الميلاد، وشهد تطوّرات مهمّة في مختلف جوانب الحياة الإغريقية مهّدت ووضعت حجر الأساس للعصر الكلاسيكي، كان أهمّها:

ـ بداية تشكّل دساتير دول المدن الإغريقية وأنظمتها السياسية.

ـ ظهور الاحتفالات والأعياد البانهيلينية وعلى رأسها الألعاب الأولمبية عام 776 ق.م (وهو التاريخ الذي كان يعد سابقًا بداية للتاريخ والحضارة الإغريقية).

ـ انطلاق موجة الهجرة الكبرى في أواسط القرن الثامن قبل الميلاد استمرّت نحو قرنين من الزمن وشاركت فيها كلّ مكونات المجتمع الإغريقي، وطالت شواطئ البحر المتوسط، ونجم عنها تأسيس عشرات المدن المزدهرة خاصّة على الشواطئ الأوربية للمتوسط، أما على شواطئه الشرقيّة فقد حالت الإمبراطوريّة الأشورية دون استيطان الإغريق على شواطئ سورية، اللّهم إلّا محطة تجارية سمحت لهم بتأسيسها عند مصبّ نهر العاصي (المينا).

ـ أصبحت دولة المدينة (Polis) أهم شكل للحياة السياسية في كلّ العالم الإغريقي وعنوان حضارتهم وثقافتهم وديانتهم واعتزازهم بانتمائهم الهيليني مقابل الغرباء (البرابرة).

[1]- لا توجد تسمية متفق عليها بين المؤرخين حول الفترة الممتدة من نحو (-800 500 ق.م) فهناك من يرى تسميتها بعصر الهجرة الكبرى أو عصر التطور والانطلاق، ولكن أغلب الباحثين اعتمدوا تسمية العصر العتيق المأخوذة من علم الأثار.
انظر : E.Bayer, grundzuge der Griechischen Geschichte S.28

ـ ظهور النّقود وانتشارها حيث أصبح لكلّ مدينة نقدها المستقلّ الذي يحمل اسمها وشعاراتها وصور الهتها وتأثيراتها في مجالات الحياة كلّها.

ـ انتشار الأبجدية والكتابة وظهور الحكماء السبعة والمصلحين الكبار من أمثال ليكورغوس في اسبرطة ودراكون وصولون في أثينا وغيرهم.

ـ انتشار ظاهرة حكم الطغاة (تيرانسTyrannis) منذ منتصف القرن السابع ق.م في كورنثة وساموس وميليت الخ.... وعلى مدى قرن من الزمن، والذي انتهى بالتحوّلات الديمقراطية في أثينا.

ـ بروز ظاهرة المرتزقة الإغريق في الجيوش المصرية والبابلية والفارسية.

ـ ظهور الأسلوب المستشرق (Orientalized) المتأثّر بالفنّ المصري والرافدي في الرسم والنحت والأعمال البرونزية.

ـ ظهور الإمبراطورية الفارسية وسيطرتها على المدن الإغريقية في آسيا الصغرى وتراقية في النصف الثاني من القرن السادس ق.م، وإرهاصات الصراع مع الإغريق وبداية العصر الكلاسيكي، الذي ينتمي إلى حقبة أخرى من حقب التاريخ الإغريقي.

لائحة المراجع

1. خليل سارة: تاريخ الإغريق (منشورات جامعة دمشق 2006 - 2007).

2. عبد اللطيف أحمد علي: التاريخ اليوناني ـ العصر الهلادي (بيروت 1970).

3. مفيد العابد: دراسات في تاريخ الإغريق (دمشق 1980).

4. Atlas zur Weltgesichte DTV1982.

5. Erich Bayer, Grundzuge der Griechischen Geschichve, Wissenschaftliche Buch – gesellschaft, Darmstadt 1964.

6. Herman Bengtson, Griechische Gesehichte Aufage, Handbuch der AltertumswissenschaftIII, 4, Munchen 1965.

7. John Boardman, La sculpture greque archaique 1994.

8. M.P Nilsson, Geschichve der, griechischen Religion I^2 (1955) S.339 f.

9. The Oxford Classical Dictionary 2nd Edition (Oxford 1970).

10. Steve Pasek: Griechenland and Aegypten … Die Kontakle zwrischen dem pharaonenreich und der „Aegais“ vom 7 bis zum 4. Jhts v.chr Munchen 2011.

11. A.J.Toynbee: Hellenism, the History of a Civilizatian (London 1959).

أهم التسميات والمصطلحات

Achaios	أخايوس (جد أسطوري)
Achaiis	أخائيس (منطقة)
Achaia	أخايا (إقليم)
Achaioi/Achaeans	الآخيون (قبائل)
Ahhiyawa	أخياوه (شعب)
Aegean Civilisation	الحضارة الايجية
Aiolos	ايلوس (جد أسطوري)
Aioles/Aeolians	الايوليون (قبائل)
Archaic Period	العصر العتيق (الأرخي)
Areopagos	أريوباجوس (مجلس النبلاء)
Amphiktiones	امفكيتوني (حلف مقدس)
Archon	أرخون (حاكم أثينا)
Argos	أرجوس (مدينة)
Argolis	أرجوليس (منطقة)
Argeioi/Argives	أرجوسيون (شعب)
Barbaroi/Barbarins	برابرة (أجانب)
Bustrophedon	خط المحراث
Danaoi/Danaens	دانائيون (شعب)
Doros	دوروس (جد أسطوري)
Doris	دوريس (منطقة)
Doreis/Dorians	الدوريون (قبائل)

Demiourgoi	الحرفيون
Epichorec Alphabet	أبجدية محلية
Eupatridai	النبلاء (أثينا)
Georgioi	المزارعون
Geometric Style	الأسلوب الجيومتري
Graecia	إغريقيا
Graecia Magna	إغريقيا العظمى
Graikoi/Graeci	الإغريق
Greeks/Griechen	الإغريق
Greek Darc Ages	العصور المظلمة الإغريقية
Hellas	اليونان/هلاس
Hellas Megale	هلاس العظمى
Helladic Age	العصر الهلادي
Helladikum	العصر الهلادي
Hellenoi/Hellenes	الهيلينيون
Panhellenes	الأمة الهيلينية
Hellandikoi	قضاة الهيلينين
Hellenismos	الهلنستية
Hellenistic Civilisation	الحضارة الهلنستية
Hellenistic Age	العصر الهنلستي
Hellen	هيلين (جد اسطوري)
Hellenic Civihsation	الحضارة الهيلينية
Helotai	الهيلوت (الأقنان)

Lon	إيون (جد أسطوري)
Lonia	إيونيا (منطقة)
Lones/lonians	الايونيون
Lonic- Attic	الإيونية – الأتيكية
Koine	كويني (الإغريقية العامة)
Linear A/B	الخط أ/ب
Minoaen Age	العصر المينوي
Minoaen Civilisation	الحضارة المينوية
Mykenai	موكيناي (مدينة)
Mycenean Civilisation	الحضارة الموكينية
Orientalizid Style	الأسلوب المتمشرق
Perioikoi	بريؤيكوي (السكان المجاورون)
Septuaginta	التوراة السبعينية
Spartiates	الأسيرطيون (طبقة)
Thetes	ثيتيس (طبقة العامة)
Theogonia	ثيوجينيا (أنساب الآلهة)

أصل الإغريق
وأحوالهم وهجراتهم

خليل سارة[1]

مقدمة

تُتناقل اليوم آراءٌ متباينةٌ حول أصل الإغريق تضمّنتها العديد من المؤتمرات العلميّة العالميّة، وتمّت مناقشتها في أكثر المؤسّسات الأكاديمية؛ فتمّ زجّ الآراء العنصريّة التي ظهرت منذ أوائل القرن التاسع عشر في موضوع الأصل الإغريقي؛ حيث أرجعوا هذا الأصل إلى العنصر الآري الهندو ـ أوروبي الذي لا يستند إلى أيّة مقوّمات علميّة أو مرتكزات أساسيّة في المصادر الإغريقية، سواء منها الأثريّة أو الأدبيّة. وكانت الغاية من وراء ذلك التقليل من دور الحضارات المشرقيّة وتأثيرها في مفاعيل الحضارة الإغريقيّة؛ كون العرق الأسيوي المشرقي «المتخلّف» لا يتواءم مع العرق الآري المتقدّم، ولا يمكن للبربر المشرقيين أن يكونوا أصحاب حضارة، ويصدّروها إلى غيرهم كالحضارة الإغريقيّة.

إنّ ما يُهمّنا في هذا البحث تبيان الدّور الحقيقي الذي لعبته الحضارات المشرقيّة (آسيوية، كريتية، مصرية، فينيقية) في التأثير على الحضارة الإغريقيّة في جوانب الحياة العلمية والأدبية والفنيّة والسياسيّة كافّة؛ ردًّا على أصحاب النظريّة الآريّة العنصريّة، القائلة بصفاء العرق الإغريقي وذلك بالاستناد إلى أهمّ مقوّمات المصادر الإغريقيّة من مؤرّخين إغريق قدماء، وفلاسفة الإغريق، وكتّاب المسرحيات الإغريقيّة، والروايات الأسطوريّة التي لا تخلو من شيءٍ قليلٍ من الحقيقة، واعتبار الأساطير خلفيات ارتكازيّة للحضارات البشريّة التي ازدهرت على مرّ العصور. فالأساطير الإغريقيّة كانت ركيزةً أولى للثقافة المدنيّة الأوروبيّة حتى وإنْ اقتضت ظروف العالم المعاصر تهميش الأساطير وحذفها بداعي عدم فاعليّتها، إلا أنّ الرموز الأسطوريّة لم تضمحل من الفكر البشري مطلقًا، بل كان لها دور في نشأة العالم المعاصر وما زالت إلى الآن. لذا فالأساطير الإغريقيّة تمّ تناقلها من جيل

[1]- أستاذ التاريخ اليوناني في جامعة دمشق.

إلى آخر حتى وصلت إلى الإنسان المعاصر. لذا فهي تُعدّ من أهمّ أنواع التّراث الثقافي؛ كونها امتلكت أصولاً ميثولوجيّةً ثابتةً وراسخةً، رغم التغيّرات التدريجيّة التي طرأت على بنيتها الاجتماعيّة على مرّ الأيّام؛ لأنّه من المستحيل بمكان ولادة حضارة في طرفة عين، بل كلّ حضارة لا بدّ وأن تقوم على الخلفيات الثقافيّة الناتجة عن المجتمع على ضوء مسيرته التكامليّة، كونها في كلّ مجتمع حيّة وفاعلة في جانبه الاجتماعي اللا شعوري، وهذا اللا شعور هو الذي يصوغ نظامه الذي يقوم عليه في جميع أبعاده الوجودية.

أوّلاً: أصل التسمية

يطلق هوميروس اسم الأخائيين (**ACHAIOI**) على جميع الإغريق الذين اشتركوا في حرب طروادة[1]، ولم يكن لهم اسم آخر من وقت مجيئهم إلى شبه جزيرة البلوبونيز (في القرن التاسع عشر ق.م، إلى وقت تأليف الإلياذة في القرن التاسع ق.م). ولم يُقصد بهذا الاسم بلاد الإغريق كلّها، بل قسمها الشمالي فقط حيث كانت منطقة في جنوب شرق إقليم تسالية عُرفت باسم أخيا (**ACHAIA**) أو أخيا أفثيوتيس (**ACHAIAPHTHIOTES**)، وهي موطن (**أخيلّوس**) بطل ملحمة الإلياذة. ويسمّيهم هوميروس أحيانًا باسم (**الأرجوسيين**) نسبة إلى مقاطعة (**أرجوس**) (**ARGOS**)[2]، وهي إحدى مدن إقليم (**أرجوليس**) في شبه جزيرة البلوبونيز المتاخمة لمدينة ميكيناي عاصمة مملكة (**أجاممنون**) القائد الأعلى للحملة الطرواديّة، وليس نسبة إلى أصلهم وعرقهم، وأحيانًا (**بالداناويين**) نسبة إلى (**داناؤس**)، وهو جدّ أسطوريّ مصريّ.

أمّا اسم بلاد هلاس (**HELLAS**) فلم يُطلق إلا على منطقة صغيرة متاخمة لمملكة أخيلّوس السالفة الذكر في جنوب شرق تسالية، ولا اسم (**الهيلينيين**) إلا على سكان هذه المنطقة. ويؤيّد توكوديدس ذلك بالقول: «**إنّ هوميروس لم يستخدم اسم الهلينيّة في الإشارة إلى الجيش الذي سار إلى طروادة، فقد احتفظ بهذا الاسم لأتباع أخيلّوس الذين قدموا من أخيا أفثيوتيس وكانوا في الواقع هم الهلّينيين الأصليين.. ويضيف توكوديدس أنّ اسم بلاد هلاّس لم يُعرف في ذلك الوقت قبل هيلّين بن دوكاليون (كما سنرى لاحقًا)، فالمناطق كانت**

[1]- محمد كامل عياد: تاريخ اليونان، ط1، دمشق، دار الفكر، 1969، ص87.

[2]- CF, A. Aymard, les Assembles De La Confederation, Achaienne 1938, P 86.

تُعرف باسم العشائر المختلفة التي تسكنها، وكانت نسبة البلاسجة منهم هي الغالبة. وبعد أن ازدادت سطوة هيلّين وأولاده في (اخيا أفثيوتيس) وحالفتهم الدول الأخرى، وازدادت صلات تلك الدول بأسرة (هيلّين)، بدأت كلّ منها بمعزل عن الأخرى تُنسب إلى (الهلّينية)، وأخذت مدينة تلو مدينة هذا الاسم نتيجة للّغة المشتركة فيما بينهم، ثم أصبحوا جميعًا يُعرفون بهذا الاسم المشترك (الهيلّينيين). لكن نسبة (الهيلينية) لم ترسخ وتطغى على التسميات الأخرى إلا بعد عهد طويل[1]. ويقدّر المؤرّخون المحدثون ذلك بدءًا من أوائل القرن السابع ق.م في عهد الشاعرين أرخيلوخوس وهسيودوس[2].

وأمّا الإغريق (**GRAECI**) فهو اسم أطلقه عليهم الرومان فيما بعد نسبة إلى قبيلة (**غرايكوي**)[3]، وهم جماعة من شرق إقليم بويوتية ببلاد الإغريق، أسّسوا مستعمرة كوماي (**CUMAE**) على الساحل الغربي لإيطالية، وهي أقدم المستعمرات الإغريقية هناك (750ـ 725 ق.م)، ولم يلبث الرومان أن أطلقوا على جميع سكان تلك المستعمرة اسم (**الإغريق**) ومن هذا الاسم اشتقّت كلمة غريس (**GRECCE**) وأطلقوها على الإغريق عامّة، ثم انتقلت الكلمة في عهد الرومان إلى سائر الأمم الأوروبية، وإلى العرب الذين أصبحوا يطلقون على هؤلاء اسم (**الإغريق**)[4].

وأمّا اسم (**اليونان**) أو (**اليونانيين**) الشائع في اللّغة العربية فهو تحريف للفظة (**أيونيين**) (**IONES**)، وكان الأيونيون، وهم من قبائل الإغريق التي هاجرت إلى منطقة (**أيونية**) التي تقع في القسم المتوسّط من ساحل آسية الصغرى (**في تركيا حاليًا**) بفعل الغزوة الدورية (**كما سنرى لاحقًا**)، استوطنوا هذا القسم، وأصبح له مكانة عالية وشهرة واسعة. وكانوا هم أوّل إغريق احتكّت بهم ممالك الشرق الأدنى القديم، ومن ثمّ أطلقت على شعوب هذه الممالك، ولا سيّما الفينيقيين، اسم (**ياؤونيين**) ثم تحوّل إلى (**يونان**) وأطلق اسم (**يونانيين**) على كلّ الإغريق[5].

[1]- توكوديدس: تاريخ الحروب البلوبونيزية، ترجمة: عمرو الملاح -ودينا الملاح، أبو ظبي، المجمع الثقافي 2003، الكتاب الأول، ص 20ـ 21.

[2]- محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، م.س، ص105؛ عبد اللطيف أحمد علي: التاريخ اليوناني، لا ط، بيروت، 1974، ج1، ص88.

[3]- خليل سارة: تاريخ الإغريق، لا ط، دمشق، جامعة دمشق، 2006، ص230.

[4]- م.ن، ص231.

[5]- عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني، م.س، ص8.

ثانيًا: أيونية

من الجدير بالذكر، أن نشير إلى أهميّة موقع (**أيونية**) من حيث اعتدال المناخ وجمال الطبيعة والطقس على حد قول هيرودوت[1]. ويبلغ طول شاطئ أيونية تسعين ميلاً وعرضه لا يزيد على ثلاثين ميلاً. ويتّصف هذا الشاطئ بأفضل صفات البحار في العالم، كهدوء البحر، والمياه الدافئة، والتيّارات المائيّة المساعدة للملاحة، ووجود الخلجان التي تهدي السفن والبحّارة، وكثرة الجزر[2]. فعلى ضفاف هذا الشاطئ انتشرت المستوطنات الإغريقية، نظرًا إلى الظروف الجغرافية الجيّدة والملائمة لحياة الإغريق، وهربًا من الغزوة الدوريّة، أو من ضيق أرضهم، وفقر بلادهم الذين بدأوا بالنزوح منها منذ القرون الأولى للألف الأولى ق.م، ولا سيّما القرن الثامن والسابع والسادس ق.م، حيث وفّرت لهم هذه المنطقة العمل في الصيد، والملاحة، والتجارة، وصناعة السفن، ووفّرت لهم أيضًا الاتّصال مع الحضارات الشرقيّة، وسهّلت لهم التبادل التجاري والفكري مع الأمم الأخرى. فكانت هذه المنطقة بالذات، هي السبب في ازدياد الرغبة عند الإغريق للمعرفة والتبادل الحضاري مع الأمم الأخرى، حيث أخذوا كثيراً من الأفكار العلميّة عن المصريين والبابليين والفينيقيين. وفي أيونيّة امتزجت علوم الكلدانيين السحريّة بأساطير هسيودوس الشعريّة، وحكمة المصريين بنظرات الفينيقيين الطبيعيّة، وتجارب التجّار الإغريق الاقتصاديّة، واشتركت جميعها في تكوين الفلسفة الأيونية، ما ساعدهم على تقوية الاتّجاه العملي إلى جانب البحث النظري، وبذلك تهيّأت الأسباب للتفكير عند الإغريق وتنمية الروح القوميّة عندهم، وظهور الشعر والأدب، ونشأة العلوم الرياضية والفلسفية، وبروز أوّل الخطباء والمؤرّخين. ومن هذه المنطقة بالذات، انتقل ميراث الحضارات الشرقيّة إلى الإغريق، الذين نقلوا بدورهم حضارتهم ـ ومن أيونية بالذات ـ إلى العالم كلّه.

وفي أيونية حدث أوّل تبادلٍ تجاريٍّ مع الفينيقيين والإغريق، وكان الفينيقيّون، هم أوّل من أطلق على الإغريق تسمية (**ياؤون**) ثم (**يونان**) (**كما رأينا سابقًا**) تيمّنًا باسم هذه المنطقة. وليس أدلّ على ذلك ـ من أنّ هذه المنطقة- شهدت أهمّ الأحداث التاريخيّة العالميّة، وهي

[1]- هيرودوت: التاريخ، ترجمة: عبد الإله الملاح، لا ط، أبو ظبي، دار الثقافة، 2001، الكتاب الأول، ص98.

[2]- محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، م.س، ص32.

انطلاق أوّل شرارة حرب عالميّة بين الفرس والإغريق بين عامي (499ـ 492 ق.م) والتي وصفها هيرودوت، أوّل مظهر للنّزاع بين الشرق والغرب، وأدّت بالنتيجة إلى تحرير العالم الإغريقي والمدن الإغريقية في آسية الصغرى من الاحتلال الفارسي[1].

وخلاصة القول: إنّ أيونية شكّلت مركز الحضارة الإغريقية في آسية الصغرى، فمن خلال هذا المركز تمّ تبادل الثقافات والأفكار بين الحضارات، وتمّ اللّقاء والتعارف بين الأجناس والشعوب، وتمّ تبادل البضائع والنقود على مستوى الاقتصاد العالمي، ونشأت الفلسفة والعلوم والآداب بمختلف أشكالها. ومن هذا المركز ظهر علماء الإنسانيّة الأوائل أمثال: تاليس، وفيثاغورس، وآناكسيماندر، وكسينوفانس، وهيراقليتوس، وآناقريون، وهيرودوت، وهيكاتايوس، وسافو الشاعرة المغنية وصاحبة أوّل مدرسة لتعليم الشعر في التاريخ، وفي هذا المركز كانت إحدى عجائب العالم السبع **(معبد الإلهة أرتميس)** في مدينة **(إيفيزوس)**[2]. وتعطينا هذه النبذة المقتبسة من النشيد الهوميري الموجّه للإله **(ابوللون)** فكرةً عن المستوى الرفيع لحضارة (أيونية) إذ تقول: «**غير أنّك يا أبوللون تجد أعظم متعة في جزيرة ديلوس (إحدى الجزر الأيونية) المقدّسة التي يجتمع فيها الأيونيون هم وأولادهم وزوجاتهم وهم يجرون ثيابهم ورائهم، وأن اشتغالهم بالملاكمة والرقص والغناء، حين يأتي يوم المهرجان ليبعث في نفسك السرور... ولو إن إنسانًا أقبل على الأيونيين وهم مجتمعون لقال: إنّهم لا تدركهم الشيخوخة ولا الموت، لأنّه يرى لديهم جميعًا قسطًا كبيراً من الرقة والرشاقة، وأنه ليسّره منظر الرجال والنساء في ثيابهم الجميلة، كما يبتهج بمشاهدة سفنهم السريعة وممتلكاتهم العظيمة**»[3].

ثالثًا: الأساطير الإغريقية حول أصل الإغريق

نشأت بلاد الإغريق أوّل ما نشأت في العصر النيوليثي، أي العصر الحجري الحديث (NEOLITHIC AGE) الذي يحدّد تاريخيًّا بـ (3500ـ 1900 ق.م)، وجاء بعده عصر

---

[1]- خليل سارة، تاريخ الإغريق، م.س، ص233.

[2]- أمّا العجائب الأخرى فكانت: الجنائن المعلّقة في بابل، منارة الإسكندرية، التمثال العظيم في جزيرة رودوس، تمثال زيوس في أولمبية من صنع النحات فيدياس، ضريح الملك موسولوس في مدينة هاليكارناسوس، أهرامات مصر. انظر: محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، م.س، ص112.

[3]- كيتو: الإغريق، ترجمة: عبد الرزاق يسرى، مراجعة: صقر خفاجة، دار الفكر العربي، القاهرة 1962، ص109.

البرونز (**BRONZE AGE**) الذي انتهت حضارته على وجه التقريب عام 1100 ق.م. وكان قد وفد إلى شبه الجزيرة الإغريقيّة أثناء العصر النيوليثي مهاجرون من الصّعب تحديد جنسيتهم، وإن كان الإغريق أطلقوا عليهم فيما بعد اسم البلاسجيين (**PELASGIANS**)[1]. ومن المرجّح أنّ هؤلاء وفدوا من جنوب غرب آسية الصغرى، ودخلوا شبه الجزيرة من سواحلها الشرقيّة والجنوبيّة أو عن طريق مضيق البوسفور والدردنيل ثم توغّلوا جنوبًا، ولعلّهم كانوا يمتون بالصّلة للسكّان الأوائل في كريت وجزر البحر الإيجي، ومن الواضح أنّ البلاسجيين كانوا على قرابة كبيرة بسكّان كريت القديمة وينتمون إلى شعوب بحر إيجة. ويذكر هيرودوت أنّهم هم السكان الأصليون لبلاد الإغريق وامتزجوا مع من وجدوهم من شعوب البحر المتوسّط مكوّنين عنصرًا سكن البلاد قبل وصول الهجرات الآرية أو الهندو-أوروبية، وظلّ يسيطر عليها خلال العصر الحجري الحديث وحتى مطلع عصر النحاس عام 1900 ق.م. وكانت حضارة البلاسجيين زراعية الطابع، ولم تكن لغتهم تنتمي إلى أسرة اللّغات الهنديّة الأوروبيّة. ويقول هيرودوت في لغة هؤلاء: «**ولست أملك أن أجزم بحقيقة لغة البلاسجة.. ولكن عليَ القول إنّهم ينطقون بلغة بربريّة ليست مألوفة فيما عُرف عن ألسنة جيرانهم.. وأمّا البلاسجة فيغلب عندي أنّ عددهم لم يزد كثيراً**»[2].

ولكن الأبحاث عن التكوين الفيزيولوجي للسكان الأصليين في القرن الثاني عشر ق.م، وعن أسماء الأمكنة المختلفة، أثبتت أنّ هذه البلاد لم تكن دومًا إغريقيّة الأصل. وهناك أساطير تقرن بين (**بيلوبس**) و(**داناؤس**) و(**كادموس**) لكونهم جميعًا أجانب: الأوّل من آسية الصغرى، والثاني من مصر، والثالث من فينيقية؛ إذ ساد الاعتقاد بين الإغريق عامّة أن (**بيلوبس**) جاء غازيًا من ليدية أو من فريجية أو غيرهما من أقاليم آسية الصغرى. ويسلّم المؤرّخ توكوديدس أنّ (**بيلوبس**) كان شخصيّة تاريخيّة، ويتحدّث عن خلفاء بيلوبس الذين قدّر لهم أن ينتقلوا إلى (**أرجوليس**) ويصبحوا حكامًا على ميكيناي ويتزعّموا بلاد الإغريق كلّها. ولكن إذا كان هناك خلاف حول تاريخ مجيئه، فلا خلاف حول أصله الآسيوي؛ لأنّ أسانيد الخبر قويّة كما ورد عند هيرودوت الذي يقول على لسان الملك الفارسي (كسركس)

[1]- أو الكاريين نسبة إلى إقليم كاريا (Caria) بآسية الصغرى أو الليليجيين وهو اسم أطلقه الكتّاب الإغريق فيما بعد على شعب آسيوي كان يحتل جزر البحر الإيجي وأجزاء من بلاد الإغريق نفسها قبل قدوم الأخيين (الهيللينيين) وكانوا يمتون بصلة قرابة للكاريين ويُعرفون جميعاً باسم (البلاسجيين) الذين يظهرون في الإلياذة كحلفاء لطروادة.

[2]- هيرودوت، التاريخ، م.س، الكتاب الأول، ص40.

مخاطبًا قوّاده قبل غزوه لبلاد الإغريق: «**إنّنا حين نهزم الأثينيين وجيرانهم الفريجيين في البلوبونيز نحقّق مدى أوسع لملك فارس حتى تبلغ حدود السماء**»[1]. ويستند توكوديدس الشهير بصدق الحقائق التاريخيّة إلى رواية موثّقة من البلوبونيز قائلاً: «**إنّ بيلوبس قدم من آسية حاملاً معه ثروة طائلة، وبما أنّه استقرّ في أرض فقيرة، تحقّقت له سطوة بالغة جعلت الأرض كلّها تُنسب إليه، بالرغم من أنّه كان غريبًا فيها، وأصبح أبناؤه أكثر غنًى منه، ومن بينهم أتريوس الذي عُرف عنه القوّة والبأس، ومن ثم تولىّ الحكم بعد والده بيلوبس.. وهكذا طغى سلطان أبناء بيلوبس على أولاد برسيوس.. وكانت تلك هي الإمبراطورية التي ورثها أجاممنون عن جدّه بيلوبس ووالده أتريوس.. وقد وصفه هوميروس بأنّه ملك أرجوس كلّها والكثير من الجزر**»[2].

وهنا تتناقض كليًّا شهادة توكوديدس مع المقولة القائلة إنّ (**الأخائيين**) ومن بينهم قائدهم (**أجاممنون**) حسب آراء بعض العلماء من ذوي النّزعة العنصريّة القائلة بنقاء العرق الإغريقي من أيّ نسب شرقيّ، وأنّه عرق صاف لا غبار عليه من أية تأثيرات شرقية؛ حيث يزعمون أنّ (**الأخائيين**) من القبائل الهندو-أوروبية ربمّا وفدوا من منطقة حوض الدانوب أو من شمال أوروبة الشرقي. في حين يؤكّد توكوديدس أنّ أصولهم ترجع إلى أصول آسيويّة، وليست هندو أوروبية كما هو متعارف عليه عند علماء النزعة العنصرية.

وتؤكّد الروايات الوثائقيّة بأنّ الجدّ الأوّل لأسرة بيلوبس كان (**تنتالوس**) ملك فريجيا في آسية الصغرى (**الأناضول**)، وقد أنجب ابنًا يُدعى بيلوبس وبنتًا تُدعى (**نيوبي**)، وأنجب (**بيلوبس**) بدوره ولدًا اسمه (**أتريوس**)، وكان للأخير ولدان هما: (**أجاممنون ومينيلاوس**). وفي هذه الحالة يكون بيلوبس جدًا لأجاممنون الذي قاد الحملة الإغريقية على طروادة عند أواخر القرن الثالث عشر أو أوائل القرن الثاني عشر 1230 أو 1180 ق.م. وعلى ذلك يكون بيلوبس قد جاء إلى بلاد الإغريق قبل تاريخ الحرب الطرواديّة بنحو مئة عام على أكثر تقدير. وفي رأي كثير من الباحثين، إنّ (بيلوبس) جاء من آسية الصغرى في مستهلّ القرن الثالث عشر ق.م[3].

[1]- هيرودوت، التاريخ، م.س، الكتاب الأول، ص، ص491.

[2]- توكوديدس، تاريخ الحروب البلوبونيزية، م.س، الكتاب الأوّل، ص24.

[3]-م.ن، ص24.

ومثل هذه الأساطير عن الغزو الأجنبي لا يمكن أن تكون خيالاً محضًا؛ لأنّه إذا سلّمنا بأنّ (**داناؤس**) المصري (**الذي لا يذكره هوميروس بالاسم**) ليس سوى شخصيّة رمزيّة اختلقها كاتب أو عالم أنساب في وقت لاحق، فلا مناصّ من أن نعتبره على الأقلّ شخصيّة اصطنعت لتجسيد حادثة كان لها سند من الواقع التاريخي، هذا الواقع ليس له تفسير، إلا هجرة (**داناؤس**) وأتباعه إلى أرجوس التي استغرقت فترةً طويلةً من الزمن، وتتّفق المصادر الأدبيّة فيما بينها من حيث زمان الحادثة، فهي تقول إنّ (**داناؤس**) ينتسب إلى فجر عصر البطولة في أرجوس، فنرى الإلياذة ـ على سبيل المثال- تُسمّي قسمًا من المحاربين (**بالدانائيين**) الذين تروي الأساطير الإغريقية أنّ جدّهم (**داناؤس**) جاء من مصر وسكن في بلاد (**أرجوس**) حيث أصبح ملكًا فيما بعد. وينسبه الكتّاب الذين توافقوا على الأخبار المتواترة وتأريخها إلى القرن السادس عشر ق.م. وهذا ما يطابق المكتشفات الأثريّة في ضوء النقش المعروف باسم سجل باروس الرخامي (**MARMARPARIUN**) الذي عثر عليه في جزيرة (**باروس**) إحدى جزر مجموعة الكيكلاديس في بحر إيجة. والنّقش تسجيل لأحداث التاريخ الإغريقي مرتبة منذ عهد ملك أثينة الأسطوري (**CECROPS**) حتى عهد حاكمها (**DIAGENES**) أي حتى عام -264 263 ق.م؛ إذ يردّ هذا النّقش اسم (**داناؤس**) إلى عام 1511 ق.م، ولكن لا يعرف من هو كاتب النّقش الذي يزعم أنّه استمدّ معلوماته من كلّ أنواع الوثائق والتاريخ[1].

أمّا هيرودوت في كتابه (**التاريخ**) حيث كان المحور الأساسي لهذا الكتاب هو العلاقة بين أوروبا ـ التي يعني بها بلاد الإغريق بشكل عام ـ وبين آسية وإفريقية. وقد نظر إلى هذه العلاقة على أنّها مجموعة من أوجه التشابه والاختلاف ومن الاتّصالات والصراعات حيث كانت أسئلته كثيرة حول هذه المواضيع خلال رحلاته الواسعة في أرجاء الإمبراطورية الفارسية من بابل إلى مصر، وعلى تخومها الشمالية والغربية، ومن أبيروس إلى بلاد الإغريق والبحر الأسود. يقول هيرودوت:

«كيف حدث أنّ المصريين أتوا إلى البلوبونيز، وماذا فعلوا لكي يجعلوا من أنفسهم ملوكًا لهذه المنطقة من بلاد الإغريق؟ هذه أخبار رواها الكتّاب الآخرون. وعلى هذا فلن

---

[1]- توكوديدس، تاريخ الحروب البلوبونيزية، م.س، الكتاب الأوّل، ص695.

أزيد عليها، وإنّما سأمضي في ذكر نقاط لم يتعرّض لها أحد غيري من قبل»[1].

إنّ الاقتباس المذكور سابقًا يُبيِّن أنّ هيرودوت لم يكتب أيّة أوصاف لموجات الاستعمار؛ لأنّه كان يعتقد أنّ مثل هذه الموجات قد حدثت (كذلك) في مناطق أخرى. ومع ذلك فإنّ الفقرة ذاتها تظهر بالقدر نفسه من الوضوح، أنّ هذه الموجات الاستيطانيّة (**على بلاد الإغريق**) قد وقعت بالفعل وكتابه (**التاريخ**) مليء بالإشارات بها. حيث يقول:

«إنّ معبد الآلهة أثينة هناك في لندوس الموجودة في رودوس أقامته بنات داناؤس اللاتي هبطن على الجزيرة في أثناء فرارهن من أبناء أيجيبتوس»[2].

حيث يصفُ أيسخيلوس في مسرحيّة (**المستجيرات**)، داناؤس بأنّه لاجىء من مصر جاء هاربًا مع بناته الخمسين من أخيه أيجيبتوس (**Aegyptus**) (**ومعنى اسمه مصر**) الذي كان له أيضًا خمسون ابنًا جاءوا إلى بلاد الإغريق وطالبوا بالزواج من بنات عمّهم، ولكن العم (**داناؤس**) أوعز إليهنّ بأن تقتل كلّ واحدة منهن زوجها في ليلة الزفاف، وقُتل الأبناء جميعًا ما عدا (**لينكيوس**) الذي أبقت زوجته (**هيبرميسترا**) على حياته. ولكن هذا الابن قتل عمّه (**داناؤس**) فيما بعد وارتقى العرش مكانه في أرجوس، ثم خلفه من بعده ابنه أباس (**Abas**) الذي أنجب ولدين هما أكريسيوس (**Acrisius**) وبرويتوس (**Proetus**). وتولّى أكريسيوس حكم أرجوس بعد موت أبيه. وكان له ابنة تدعى دنائي (**Danae**)، ونصحته النبوءة بالتخلّص من ابنته التي قد تنجب ولدًا يقضي عليه. ولكن زيوس أنقذها وعاشرها وأنجب منها البطل برسيوس (**Perseus**) الذي أصبح مؤسّسًا لميكيناي (إسبرطة) طبقًا لشهادة باوسانياس (4، 15، 2) وأبوللودوروس (2،2 - 4، 2) وبهذه الحالة تكون سلالة برسيوس تعود إلى داناؤس المصري.

ويقول هيرودوت: أنّه شُيّد لبرسيوس ولد داناؤس في مصر (قرب نيابوليس في طيبة) معبدًا محاطًا بأشجار النخيل، ويدّعي أهل مصر أنّ برسيوس ينتمي إلى بلدهم أصلاً. ذلك أنّ داناؤس ولينكيوس كانا من أهل مصر قبل إبحارهما إلى بلاد الإغريق[3].

---

[1]- هيرودوت، التاريخ، م.س، الكتاب السادس، ص55.

[2]- م.ن، الكتاب الثاني، ص182.

[3]- عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني، م.س، ص695 - 696.

وتتباين نظريات علماء الآثار والتاريخ في حقيقة هذه الرواية وتطابقها مع الواقع التاريخي، فمنهم من يقول بعدم قبول هذه الرواية بحذافيرها، ومنهم من يقول إنّ هذه الرواية تتضمّن بعض وقائع يُرجّح أنّها صحيحة ومنهم من يقول، أن برسيوس -على خلاف داناؤس- معروف لهوميروس الذي يشير إليه في الإلياذة (ك 14، ب 319)، ولمّا كانت والدته دانائي من البشر (**أي امرأة من الدانائيين**) وأبوه هو زيوس الإله، فإنّ سيرته تبدو متّسقة مع سير الفاتحين الأبطال من مؤسّسي المدن أو الممالك، ومثل هذا النمط كان سائدًا عند الإغريق[1].

ولم يكن هيرودوت مهتمًّا بالمستوطنات ذاتها بقدر اهتمامه بالدور الذي قامت به في إدخال الحضارة المصرية والفينيقيّة إلى بلاد الإغريق حيث يقول:

«إنيّ أنوي أن أتحدّث عن الطقوس السريّة الخاصّة بالآلهة ديميتر، وهي الطقوس التي يسمّيها الإغريق تسموفوريا (Thesmophoria) ومع ذلك، فمن الخير أن أقول على سبيل المثال، أن بنات داناؤس هن اللاتي جئن بهذه الطقوس من مصر ودرّبن النساء البلاسيجيات عليها»[2].

وفي مواضيع أخرى نجد هيرودوت ينسب إدخال حضارة الشرق الأدنى القديم إلى بلاد الإغريق إلى شخصيات ثقافيّة معتمدة، على أنّ هذا الأمر قد استمرّ بعد المرحلة المبدئيّة للاستعمار فيقول:

«ولست أحسب أنّ ميلامبوس (وهو أحد أقدم وأشهر كهان الإغريق ومنبئها) هو الذي عرّف الإغريق باسم ديونيسيوس، وطقوس عبادته... وهو الذي اقتبس ديانة أوزيريس من المصريين، ثم أدخلها إلى بلاد الإغريق معدّلة، ومعها بعض الممارسات الأخرى، والأرجح عندي، أنّ ميلامبوس أخذ هذه العبادة عن قدموس الصوري ومن أتوا معه من بلاد الفينيقيين إلى بويوتية.. إنّ أسماء الآلهة كلّها جاءت إلى بلاد الإغريق من مصر. وقد وجدت بعد البحث والاستقصاء، أنّ هذه الأسماء مستمدّة من أصل أجنبي، وعندي أنّ القدر الأعظم منها ورد من مصر»[3].

[1]- هيرودوت، التاريخ، م.س، الكتاب الثاني، ص172.

[2]- عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني، م.س، ص718.

[3]- هيرودوت، التاريخ، م.س، الكتاب الثاني، ص171.

ويفضح هيرودوت أبناء جنسه الإغريق -وهو في هذه الناحية نراه على قدر كبير من الواقعيّة والشفافيّة- عندما ينسبون لأنفسهم العقيدة القائلة بخلود الرّوح، بينما هي في الحقيقة أوّل ما بزغت جذورها عند المصريين بقوله:

«**يذهب المصريون إلى القول، أنّ ديميتر (إيزيس) وديونيسيوس (أوزيريس) هما أقوى آلهة العالم السفلي، وهما أوّل من خرج بالعقيدة القائلة بخلود الروح، وذهب إلى أنّ الروح لا تفنى وإنّما تحلّ عندما يموت الجسد في مخلوق آخر لحظة ولادته. وفي هذه العقيدة تدور الروح دورتها وتحلّ في مختلف المخلوقات من حيوانات وطيور وأسماك، حتى تحلّ في النهاية في جسد إنسان. وقد أخذ بهذه النظريّة بعض الكتّاب الإغريق المتقدّمين والمتأخّرين، ونسبوا هذه العقيدة لأنفسهم، وهؤلاء معروفون لديَّ، ولكني أمسك عن ذكر أسمائهم خشية افتضاحهم... ثم إنّ المصريين قد اكتشفوا مسيرة الإنسان وشخصيته منذ يوم ولادته، وهي اكتشافات نهل منها الشعراء الإغريق الكثير**»[1].

ولم يعتمد هيرودوت بشكلٍ كاملٍ على الحكايات التراثيّة حين تحدّث عن اشتقاق العادات الإغريقيّة من الشرق عمومًا، ومن مصر على وجه التحديد فهو يقول:

«**إنيّ لن أسلم أبدًا بأنّ الطقوس المتشابهة التي تقام في بلاد الإغريق وفي مصر هي نتيجة لمجرّد المصادفة. إذ لو كان الأمر كذلك لكانت شعائرنا ذات صفة إغريقيّة أكثر في ملامحها ولكانت أقل حداثة في أصلها مما هي عليه، كما لن أوافق على أنّ المصريين أخذوا عن الإغريق هذا التقليد أو أي تقليد آخر**»[2].

وهكذا فإنّ هيرودوت، على ما يبدو ي هذا المورد، كان يعتمد على التفكير العقلاني أكثر من اعتماده على الثّقة العمياء في الروايات التقليدية، كما كان يعتمد على طريقة المفاضلة بين ما هو جدير بالتصديق وما هو غير ذلك.

لقد استغلّ نقّاد الفترة المبكّرة من القرن التاسع عشر من ذوي النزعة العنصرية إلى حد كبير، صمت بعض المصادر فيما يخصّ موجات الاستعمار الاستيطاني لبلاد الإغريق،

[1]- هيرودوت، التاريخ، م.س، الكتاب الثاني، ص156.

[2]- م.ن، ص189؛ 169.

وكان المؤرّخ الشهير الذي يعنونه بوضوح هو توكوديدس؛ وذلك من حيث إنّ المقدّمة التي استهلّ بها هذا المؤرّخ الدراسة التاريخيّة التي قام بها لم تذكر شيئًا عن **كادموس أو داناؤس**. ومع ذلك فإنّ المقدّمة تذكر بالفعل غزو بيلوبس لبلاد الإغريق من الأناضول. كذلك يذكر توكوديدس أنّ (**الكاريين**) (**وهم سكّان منطقة كاريا في القسم الجنوبي من شبه جزيرة آسية الصغرى**) والفينيقيين قد سكنوا في معظم الجزر الإغريقيّة في بحر إيجة في وقت من الأوقات. كما أشار إلى الدانائيين والكادميين على أنّها أسماءٌ قديمةٌ لسكّان منطقة بويوتية[1]، وإلى جانب ذلك فقد وصف ملوك أرجوس الذين أتوا قبل بيلوبس بأنّهم من نسل (**برسيوس**) الذي رأى هيرودوت أنّه إمّا مصري خالص أو أشوري[2].

وإذا أدخلنا في اعتبارنا الإشارات العديدة إلى موجات الاستعمار التي وردت عند هيرودوت، وفي المسرحيات التراجيديّة في العقود التي سبقت كتابته، فلا بدّ أن توكوديدس كان على علم بالروايات السائدة آنذاك (**فيما يخص هذه الموجات الاستعماريّة**)؛ لأنّه من العسير أن نقبل أن توكوديدس كانت لديه شواهد تنفي حدوث هذه الموجات الاستعماريّة، وهو قد عاش في تلك المرحلة من القرن الخامس ق.م، التي كانت تعجّ بالروايات والمسرحيات التراجيديّة على مساحة بلاد الإغريق كلّها، ولو كان عنده مثل هذه الشواهد لكان قد ذكرها أو يشير إليها ليدعم سمعته كمؤرّخ له شهرته في إظهار الحقيقة التاريخيّة كونه مؤرّخًا ناقدًا واعيًا بما يقوم به.

ونجد إيسوقراط يهتمّ بمسألة الموجات الاستيطانيّة، فيقول:

«إنّ أية مجموعة من البرابرة كانت تمرّ بمحنة في الأزمنة الحالية، كانوا يتجرؤون على اعتبار أنفسهم حكامًا للمدن الإغريقية. (وعلى سبيل المثال) فإنّ داناؤس، وهو أحد المنفيين من مصر أحتلّ أرجوس، بينما أصبح كادموس ملك صيدون (صيدا الحالية) ملكًا لطيبة الإغريقية» (Helen. X 68).

ومن المهمّ أن نلحظ أنّ إيسوقراط، رغم كراهيته لهذه المجموعات الاستيطانيّة، إلا أنّه لم يشكّ في تاريخيّتها، ومع ذلك فإنّه كان لا يزال متأرجحًا بصدد هذه القضيّة. فقد

---

[1]- هيرودوت، التاريخ، م.س، الكتاب الثاني، ص49.

[2]- توكوديدس، تاريخ الحروب البلوبونيزية، م.س، الكتاب الأوّل، ص8.

رسم صورة فيها كثير من الإطراء لمصر في خطبته (**بوزيريس**)، حيث كان من الواضح أنّ الخطاب كان يشتمل على جوانب جادّة إلى حدّ كبير؛ إذ صوّر إيسوقراط مصر وأهلها على أنّهم أكثر الأقوام بركة في العالم، ولكن فوق كلّ اعتبار، فإنّ الخطاب كان بمثابة قصيدة مدح لبوزيريس بوصفه مشرّعًا أسطوريًّا ولكمال التشريع الذي سنّه لمصر. وأصرّ إيسوقراط على أنّ الفلسفة (**حب الحكمة**) كانت نتاجًا مصريًّا كان يستخدمها الفيثاغوريون المتمصرون (**المنتمون ثقافيًّا لمصر**). إضافة إلى ذلك أصرّ على أنّ الإسبرطيين قد فشلوا في أن يطبّقوا مبدأ تقسيم العمل (**المصري**)، وأنّ دستورهم لم يصل إلى الاكتمال الذي تميّز به النموذج المصري، وأنّ الفلاسفة الذين يقومون بمناقشة مثل هذه المواضيع، والذين حصلوا على أوسع سمعة يفضّلون الصيغة المصرية للحكم على كلّ ما عداها (**Bousirs, 18**).

وفيما يخصّ كتابات أفلاطون نجد أنفسنا مساقين إلى أن نتّجه إلى مصر، إذا أردنا أن نعود إلى النّظم الأثينيّة في العصر القديم. وكان أفلاطون يشبه إيسوقراط في هذا التوجّه؛ إذ إنّ إيسوقراط دعا إلى ترابط أثينة وإسبرطة في إطار جامعة هيللينية، كما نجد الدستور المصري بوصفه التصوّر الأنقى لدستور إسبرطة (**ففي حالة هذين المفكرين**) نجد أنّهما زاد تعمقهما في اتّجاه الجذور الهيللينية الحقيقيّة لبلاد الإغريق، كلّما زاد اقترابهما من مصر، وأحد الأسباب التي أدّت إلى ذلك هو أنّ كلًّا من إيسوقراط وأفلاطون كان مقتنعًا بأنّ المشرّعين والفلاسفة العظام من أمثال **ليكورجوس وصولون وفيثاغورس** قد ذهبوا إلى مصر وأحضروا العلم منها. وفوق ذلك فإنّ كلًّا من إيسوقراط وأفلاطون كان يؤمن بالفتوحات الاستعماريّة التي قادها **بيلوبس وكادموس وآيجيبتوس وداناؤس**، وإنّ كلًّا منهما كان يسلم مع هيرودوت أنّ البرابرة قد أحضروا معهم مقوّمات ثقافيّة هامّة. حيث كان الفكر السياسي الإغريقي في فترة القرنين الخامس والرابع ق.م ومن بينهم أرسطو يدعو إلى استرقاق الشعوب البربريّة (أي من غير الإغريق). وعلى الرغم من ذلك نرى علماء وفلاسفة الإغريق يتقاطرون إلى مصر لنيل العلوم والمعرفة. فذلك هو التناقض الثقافي الإغريقي الذي عبرّت عنه سارة موريس بقولها:

«لقد هزم الإغريق الشرق واحتقروه في مجال السياسة والحرب وفي العلن، ولكنّهم في

السر داخل أنفسهم معجبون بالشرق ويقلدونهم في ذوقهم الخاص ونشاطهم الفكري»[1].

إذ من الغرابة أن يعدّ أرسطو الأعاجم عبيدًا بالطبع محرومين في نظره من العقل، مع ما كان عليه بعضهم من الثقافة العالية والمدنيّة العظيمة، وما كان أرسطو وأبناء جلدته ليجهلوا ذلك الأمر.

وهكذا فإنّ هذين العلمين البارزين في الفترة المبكرة من القرن الرابع ق.م، رغم تأرجحهما (**فيما يخصّ التأثير الثقافي الخارجي على بلاد الإغريق**) أو حتى معاداتهما لهذه الفكرة، إلا أنّهما وجدا نفسيهما مضطرّين للاعتراف بالأهميّة الأساسيّة للاستعمار الخارجي، وللاقتباسات الثقافيّة الهائلة اللاّحقة من مصر والمشرق فيما يخصّ تكوين الحضارة الإغريقيّة التي كان منهما يعشقها بشكلٍ مباشرٍ.

ومن هنا نجد أنّ الإغريق بعد القرن الخامس ق.م -وهي الفترة الوحيدة التي نعرف من خلالها أيّة معلوماتٍ جوهريّة عنهم، لم ينظروا إلى نظمهم السياسيّة وإلى ما كان لديهم من علم وفلسفة وديانة، على أنّها أصيلة عندهم، وذلك رغم اعتدادهم بأنفسهم واعتزازهم بإنجازاتهم القريبة العهد، ولكنّهم بدلاً من ذلك، رأوا أنّهم اقتبسوا ذلك كلّه من الشرق بوجه عام ومن مصر على وجه الخصوص وذلك من خلال الموجات الاستعماريّة المبكرة[2]. فالشواهد الأدبيّة والمصدريّة القديمة تؤيّد بقوّة حدوث غزوات عدّة من الشرق **كغزوة كادموس الفينيقي، وداناؤس المصري، وبيلوبس الأناضولي**؛ حيث أصبحوا ملوكًا في بلاد الإغريق، وقاموا بمظاهر حضاريّة عدّة كتأسيس المدن ونقل الأبجديات[3].

أمّا (**كادموس**) الذي جاء من فينيقيّة إلى بلاد الإغريق وأسّس فيها مدينة (**طيبة**) فتقول فيه الأسطورة:

«إنّه لمّا اختطف زيوس يوروبي، أرسل والدها (أجينور) ملك صور أخوتها للبحث عنها، وأمرهم ألا يعودوا ما لم يعثروا عليها، وكان أحدهم (كادموس) والذي، ذهب توًا إلى (دلفي)

[1]- Sara Morris, Diadalos and: kadmos: Classicism and Orientalism arcthsa vol 22. 1989 P 39 - 54.

[2]- مارتن برنال، : أثينة السوداء (الجذور الآفرو آسيوية للحضارة الكلاسيكية)، تحرير ومراجعة: أحمد عتمان، ترجمة: لطفي عبد الوهاب يحيى وآخرون، لا ط، القاهرة، إصدار المشروع القومي للترجمة، 1990، الجزء الأوّل: تلفيق بلاد الإغريق 1785 – 1985.

[3]- عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني، م.س، ص734.

بدلاً من أن يذهب إلى هنا وهناك، ليسأل أبوللون أين يجدها، فأخبره الإله ألّا يتعب نفسه عنها وأنّ عليه فور خروجه من دلفي أن يتتبّع عجلة يراها في طريقه، وأن يبني مدينة في المكان الذي تستريح فيه»[1].

وبهذه الطريقة أسّست طيبة والبلاد التي حولها، وسمّيت بويوتية (**BOEOTIA**) واستقرّ في طيبة التي تُعرف في أساطير عصر البطولة كادميا (**CADMEIA**) أي مدينة كادموس، نسبة إلى كادموس الفينيقي.

ومن أسطورة قدموس تأتي الفكرة الأساسيّة، وهي فكرة إخصاب الحضارة الإغريقية بالإسهام الفينيقي الذي يمثّله قدموس، ويؤكّد هيرودوت على ذلك:

«رأيت بنفسي في طيبة، ومنطقة بيؤتية حروف قدموسيّة في معبد أبوللو منقوشة على ثلاثة مراحل، وعلى إحداها هذا النقش (أهداني أمفيتريون)[2]**.**

ويؤكّد العالم فيكتور بيرارد في دراسته لوقائع الأوديسة، أنّ معظم الأسماء التي ليس لها أصل يوناني أو لاتيني هي من أصل سامي أسبغه الفينيقيون على مدن البحر المتوسّط وجزره وجباله، ويرى أنّ جميع أسماء المنسوجات والخمور والأسماك والأسلحة الواردة في الأوديسة هي من أصل فينيقي[3].

لم تكن قصّة أسطورة الفينيقيين ونشرها بين الشعوب الأخرى إلّا حجّة منهم لدخول البلاد واستعمارها واستثمار مواردها المعدنيّة، والذين كانوا يبحثون عن ابنة الملك أسّسوا الممالك ونشروا الحضارة الفينيقيّة أينما حلّوا؛ إذ إنّهم على الأرجح كانوا زعماء وقبائل مع جماعات مهاجرة، وليسوا أخوةً لأوروبا فقط كما تذكرهم الأسطورة. ويذكر بوسانياس: «**إنّ قدموس جاء على رأس جيش للاحتلال والإقامة بين السكان والتزاوج معهم**»[4]. وقد ذكر هيرودوت عند زيارته لجزيرة تاسوس أنّه شاهد معبدًا لهرقل في تلك الجزيرة يعود إلى زمن هجرة قدموس إلى بيؤتية، وأنّ هذه الجزيرة كانت «تجني من مناجم ومن ممتلكاتها خارج

[1]- هاملتون أديث، : الميثولوجيا، ترجمة: حنا عبود، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، 1990، ص 114.

[2]- هيرودوت، التاريخ، م.س، الكتاب الثاني، ص59.

[3]- Berard. v. les ph oe nicians et 1. odyssey, colin 1927.107.

[4]- بوسانياس، ج1، ص5.

الجزيرة ما يعادل خمسة آلاف وثمانمئة كيلو غرام من الذهب سنويًّا، وشاهد بنفسه المناجم الفينيقيّة، وعند بحثه عن اسم الجزيرة ذكروا أنّها تحمل اسم (تاروس) بن فينيقس، الذي جاء مع جماعة من الفينيقيين لاستعمارها واستثمار مناجمها»[1].

وهكذا تكون قصّة أوروبا حجّة ذكيّة ابتكرها الفينيقيون؛ لتغطية أهدافهم الرئيسة من الهجرة والاستيطان بين الشعوب الغربية. وإذا كان هيرودوت يذكرها بكونها ابنة أجينور[2]، يذكرها هوميروس بصفتها ابنة فينيقس، وقد أحبّها زيوس وهي التي ولدت ردمانثوس الذي أصبح قاضيًا في العالم السفلي (الإليزيوم) ومينوس الذي أصبح ملكًا على كريت وساربيدون الذي لعب دورًا بطوليًّا في الحرب الطرواديّة ـ الإغريقيّة. وقد دلّت المكتشفات الأثريّة على أنّ المستوطنات الكنعانيّة ـ الفينيقيّة كانت تنتشر في الألف الثاني ق.م على شواطئ آسية الصغرى وجزر بحر إيجة، بما فيها كريت التي كانت تُعدّ مركزًا حضاريًّا متقدّمًا في الألف الثاني ق.م، كما كانت هذه المستوطنات هي مراكز الثقافة التي نهل منها الإغريق[3].

أيضًا يذكر ديودوروس الصقلي، أنّ قدموس عندما رسى في رودوس أثناء بحثه عن أوروبا شيّد معبدًا فيها وترك نفرًا من الفينيقيين ليقوموا على خدمته، ولقد اختلطوا بالسكّان الأصليين وشاركوهم في الحياة العامّة، كما قدّم قدموس القرابين للربة أثينة، ومن بينها حوض بديع عليه نقش بحروف فينيقية. وهكذا فإنّ قدموس عندما ذهب إلى رودوس كان معه الأبجديّة الفينيقيّة وتصميم المعابد. ولقد عُثر على آثار فينيقيّةٍ في رودوس ولا سيّما في باليسوس حيث تم اكتشاف دعائم معبد بوسيدون الذي بناه قدموس[4].

ولقد كان أوّل من اكتشف الانتشار الفينيقي على حقيقته هو المؤرّخ والجغرافي استرابون، فقد استنتج أنّ هوميروس لم يسافر ولم يتجوّل في الأماكن التي وصفها في الإلياذة والأوديسة، وإنّما كان يروي نقلاً عن الفينيقيين[5].

---

[1]- هيرودوت، التاريخ، م.س، الكتاب السادس، ص47.

[2]- دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 43 - ملحق 3، 2016، المؤثرات الفينيقية في الحضارة الإغريقية، حصة تركي الهزال، ص 1564.

[3]- م.ن، ص1567.

[4]- يوسف الحوراني، : لبنان في قمة تاريخه، بحث في فلسفة تاريخ لبنان، العهد الفينيقي، بيروت 1992.

[5]- استرابون: الجغرافية، ترجمة: محمد مبرك الدويب، لا ط، بنغازي- ليبيا، منشورات جامعة قار يونس، ج2، ص53، 60.

على أنّ أهمّ شيء كان له أعمق الأثر في الحضارة الإغريقية وتطوّرها الفكري السريع هو اقتباس الحروف الأبجديّة عن الفينيقيين، وواءموا بين هذه الأبجدية وبين طبيعة لغتهم وطوّعوها لها، بل جعلوها أكثر مرونة بإضافة الحروف الليّنة (**VOWELS**)، ويظهر أنّ الإغريق عند اختلاطهم بالتّجّار الفينيقيين قد تعرّفوا إلى كتابتهم البسيطة التي يسهل تعليمها، فبدؤوا باقتباسها منذ القرن الثامن ق.م، ثم انتشرت بينهم بسرعة في القرن السابع ق.م.

لا يشكّ أحد الآن ـ بل ومنذ زمن بعيد ـ في أنّ الإغريق أخذوا الفبائية من الفينيقيين، فحتى شكل الحروف الإغريقية نفسه يدلّ دلالةً واضحةً على ذلك الأصل. زد على ذلك ترتيب الفبائية الإغريقية ومعانيها. فالمعاني فينيقيّة، ولا تعني شيئًا في الإغريقيّة فالألفا **alpha** من الفينيقية ألف **aliph** وتعني قرن الثور. وبيتا **beta** من الفينيقية **beth** أي البيت، والحرف جاما **gamma** يعني فغي الفينيقية **gimel** أي جمل، وهكذا مع بقيّة الحروف.

ويقول مارتن برنال في كتابه (**أثينة السوداء**) إنّ 25% من اللّغة الإغريقية ذو أصل سامي و20-25% من أصل مصري و40-50 هندو أوروبي. وأورد قائمة طويلة بهذه الاشتقاقات، وتلقّاها علماء اللّغويات بخلاف واسع في الرأي. فبعضهم رفضها وقال عنها إنّها ضعيفة، مجنونة، سيّئة وما شابه، أمّا المتحمّسون لبرنال فبعضهم رحّب بهذه الاشتقاقات وزكّاها بعضهم الآخر وتوسّع في هذا الاتّجاه[1].

وأوّل من قال بالأصل الفينيقي للّغة الإغريقيّة هو هيرودوت الذي قال: «علّم الفينيقيون الإغريق أشياء كثيرة من بينها وفي مقدّمتها الحروف **grammata**»، ويضيف هيرودوت أنّ الفينيقيين كانوا يستوطنون بيؤتية أو (**بويوتيا**) وأنّ الأيونيين تعلّموا منهم فنّ كتابة الحروف. ونظرًا لأهميّة هذه الفقرة من هيرودوت فإنّنا نوردها بنصّها العربي على النحو التالي:

«لقد جاء هؤلاء الفينيقيون مع قدموس ومن بينهم الغيفيريون (فرع من الفينيقيين هاجر منذ القدم إلى بلاد الإغريق) وعندما أتوا إلى هذه البلاد جلبوا معهم إلى الإغريق معارف جديدة من بينها الكتابة... وهي فنّ لم يكن على ما أظنّ معروفًا لدى الإغريق حتى ذلك الحين، وفي البداية استخدموا الأبجديّة التي يأخذ بها سائر الفينيقيين، لكن بمرور الزمن

[1]- أحمد عتمان، مقدمة الترجمة لكتاب (أثينة السوداء)، نيويورك، 1987، ص 28.

تحوّلوا عن لغتهم وعن الطريقة التي يرسمون بها شكل الحروف على يد الفينيقيين، وأخذوا يستخدمونها مع تعديلات طفيفة وظلّوا يشيرون إليها على أنّها (الأبجدية الفينيقية) ولقد أصاب هؤلاء القوم بهذه التسمية، ذلك أنّ الفينيقيين هم من أدخل هذه الأبجدية»[1].

ويوضّح لنا الجغرافي الإغريقي الشهير استرابون أهميّة المعارف التي انتقلت إلى الإغريق سواء عن الفينيقيين أم المصريين بقوله:

«يصوّر الصيداويون (وبالمعنى العام الفينيقيون)، كشعب ماهر جدًا في كثير من الفنون كما يذكر الشاعر (هوميروس)، بالإضافة إلى ذلك فقد اهتمّوا بالفلك والحساب، وبدأوا فنّ التعداد والملاحة الليليّة الضروريّة للتجّار والملاحين، وصحيح كما يقولون أنّ علم الهندسة من وضع المصريين، وقد نشأ من قياس الأرض الذي اضطرهم إليه نهر النيل بفيضاناته التي تغيّر الحدود.. ومن المتعارف عليه، أنّ علم الهندسة قد انتقل إلى الإغريق عن المصريين، أمّا علم الفلك وعلم الحساب فقد انتقلا عن الفينيقيين.. في الوقت الحاضر يمكن أن يؤخذ من هذه المدن الفينيقيّة الكثير من المعارف»[2].

إذًا تلك هي الأساطير الإغريقيّة التي اعترف الإغريق بحدوثها، وأوردتها المصادر والمدونات التاريخيّة الإغريقيّة كافّة؛ لأنّها تحمل أفكارًا حضاريّةً وشواهدَ تاريخيّة التبس على مؤرّخي النزعة العنصريّة الأوروبية أمرها، وعدّها الكثيرون منهم من نسج الخيال الهلليني. والحقيقة أنّنا إذا كنّا لا نؤيّد كلّ ما جاء فيها، فإنّنا لا نستطيع أن ننفي بالتالي بعض ما جاءت به أيضًا؛ لأنّ معلوماتنا عن الأساطير ولا سيّما الأساطير الإغريقية، واحتواء هذه الأساطير الكثير من الخيال والقليل من الحقيقة، تفتح أمامنا مجالاً للمحاكمة العقليّة لكلّ ما أتت به المصادر الإغريقية من أساطير أمدّتنا بكثير من الشواهد التي كنّا نفتقر إليها في حديثنا عن بعض أصول الحضارة الإغريقية ومميّزاتها.

رابعًا: الغزوات الآرية أو الهندو-أوروبية

ومع بداية عصر البرونز، أي نحو عام 1900-1100 ق.م، بدأ يدخل شبه الجزيرة قوم جدد

[1]- هيرودوت، التاريخ، م.س، الكتاب الخامس، ص58.

[2]- استرابون، الجغرافية، م.س، ج16، ص-2 24.

لا يُعرف على وجه اليقين مصدر نزوحهم، ويزعم العلماء من ذوي الميول الأوروبية الغربية العنصريّة، على أنّ هؤلاء الوافدين الجدد، **ربمّا وفدوا من منطقة حوض الدانوب (سهل المجر) أو من شمال أوروبة الشرقي، أو من منطقة شرق بحر قزوين وأواسط آسية، ثم دخلوا البلقان من شماله أو سواحله الشرقية**، وكانوا يجهلون الكتابة[1]. ولكنّنا نعلم علم اليقين أنّ هؤلاء المهاجرين الأوائل لم يكونوا هم الإغريق، بل كانوا قومًا يتكلّمون الإغريقية، وسيصبحون فيما بعد أحد عناصر ذلك الخليط الجنسي اللاحق الذي يستحق بجدارة أن يسمّى بالإغريق. ولم يُعرف الاسم الذي كانوا يطلقونه على أنفسهم حتى الآن في فترة مجيئهم إلى شبه الجزيرة الإغريقية. ولكن باتفاق آراء بعض العلماء، كانوا ينتمون إلى أسرة الشعوب الهندية ـ الأوروبية، ويتكلّمون لغة هذه الشعوب. وكانوا قومًا مُحبّين للقنص والفروسيّة والقتال ويحملون أسلحة مصنوعة من البرونز. ولعلّ ذلك الدمار الذي لحق بعدد كبير من المراكز العمرانية (في آخر العصر الهلادي القديم)، وشمل منطقة واسعة تمتدّ من غرب شبه الجزيرة إلى أرجوليس، يرتبط بمجيء هؤلاء القوم. وينبغي التنبيه على أنّ هؤلاء لم يأتوا دفعةً واحدةً أو في فوج كبير واحد، ولا في حملة استعماريّة منظمة، بل جاؤوا غزاة متسلّلين في أفواج عدّة خلال فترة طويلة من الزمن، استغرقت ما يزيد على ثمانية قرون من عام 1900 - 1100 ق.م. وثمة شيءٌ آخر يُعرف عن هؤلاء القوم، هو أنّ حضارتهم لم تكن أرقى من حضارة سكّان البلاد الأصليين، الذين كان أغلبهم فلاحين يمارسون مهنة الزراعة. لكن مع توالي مجيء قبائل جديدة من هؤلاء المهاجرين، طغوا على السكان القدامى، وإن تأثّروا بحضارتهم، وأصبحوا هم الطبقة الحاكمة بفضل تفوّقهم في التنظيم العسكري، والفروسية، وفنون القتال، على فترة طويلة بعد ذلك من التعايش السلمي والتعاون المثمر كانت كفيلة بتحقيق الامتزاج بين القدامى والجدد. ولم يأتِ منتصف القرن السادس عشر (نحو 1550 ق.م) حتى كان سكّان شبه الجزيرة خليطًا يتألّف من عنصرين أو سلالتين: سلالة الهنود

---

[1]- يزعم هؤلاء العلماء إن الإغريق صانعو الحضارة الإنسانية وصلوا إلى ما لم يصل إليه شعب من الشعوب القديمة. ومن ثم فليست لحضارتهم أصول شرقية، وكانوا يؤمنون بتفوق سلالة بشرية على أخرى بيولوجياً وذهنياً وفكرياً، ومن ثم ينبغي الحفاظ على سلامة الإغريق - أصل الحضارة الأوروبية خال من شوائب أي سلالة أخرى مصرية أو غير مصرية. وأن بعض المؤرخين كان يرى أن هذا النموذج يمثل تياراً أصيلاً في العقلية الأوروبية حيث يعتبرون الإغريق - أجدادهم الروحيين من جنس خاص وله معايير غير عادية بفضل التفوق العنصري. وأن هذه الرواية (الغزوات الهندو - أوروبية) لم ترد لها إشارات في المصادر والمراجع الإغريقية القديمة. إذ إن ورود كلمة (ربما) قد تفيد معنى التحقيق قد تكون صحيحة أو غير صحيحة. وأن مثل هذه النزعة العنصرية لم تظهر إلا في التسعينات من القرن التاسع عشر..

- الأوروبيين، وسلالة سكان البحر المتوسط (**سلالة بيلوبس الأسيوي، داناؤس المصري، كادموس الفينيقي**). وحتى في هذه الحالة تنتفي تمامًا مقولة علماء النزعة العنصريّة في صفاء العرق الإغريقي من أيّة مؤثّرات شرقيّة في أصل الإغريق.

هؤلاء القوم الجدد الذين امتزجوا بالقدامى خلال بضعة قرون، ثم قاموا بالحملة على طروادة في آخر القرن الثالث عشر أو مستهلّ الثاني عشر ق.م، يسمّيهم هوميروس (في القرن التاسع ق.م) غالبًا (**بالأخائيين**) (**ACHAIOI**)[1].

كان هؤلاء (**الأخائيون**) طوال القامات، وحضارتهم زراعية الطابع، وكانت الأرض ملكًا للعشيرة أو الأسرة لا للأفراد، وتعتبر ملكيّة عامّة لكلّ الجماعة. ويُفهم من كلام هوميروس أنّ اقتصاد السّوق لم يكن قد ظهر بعد؛ لأنّ مجتمعهم ما زال ريفيًّا محليًا، والمدن قليلة لم تكن في الواقع سوى مجموعة من القرى تتّحد برئاسة ملك أو أمير حول قصر حصين. وكان الاقتصاد السائد عندهم هو الاقتصاد العيني، إذ لم يعرفوا النقود، بل كانت الثيران وحدة قياسيّة للتبادل[2]. وكانوا يستخدمون وسائل الحديد أو البرونز أو الذهب كبضاعة، والثروة عندهم تقاس بقطعان الماشية وعدد رؤوسها، وحياتهم بدائيّة ولم يعرفوا طرق دفن الموتى إلا بحرق الجثث من موتاهم وكانوا يجهلون الكتابة، والقرصنة عندهم تعتبر مهنةً محترمةً كما جاء في وصف توكوديدس لهم حيث يقول: «**وكانت هذه المهنة تُعدّ يومذاك مهنةً شريفةً، وليس فيها ما يضير صاحبها، وما زالت هذه النظرة شائعة حتى يومنا هذا، ويأخذ بها بعض سكان البر الذين يعتبرون القرصنة سببًا للفخر والاعتزاز**»[3].

إذًا، كانت الطليعة الأولى من الوافدين الجدد تتألّف من قبائل (**الأخائيين**) (**وتتناقض هذه الرواية مع مقولة توكوديدس في أن أصل هؤلاء آسيوي من آسية الصغرى كما أوردنا سابقًا**) الذين سكنوا في بادئ الأمر جنوب تسالية قبل أن ينتقلوا إلى شبه جزيرة البلوبونيز ويستولوا على كريت ويستعمروا قسمًا من جزر بحر إيجة. وفي شبه جزيرة البلوبونيز أسّسوا (**ميكيناي**) و(**ميدية**) و(**بيلوس**) و(**أورخومينوس**) بإقليم بيوتية. وقد انعقد لواء الزعامة لمدينة (**ميكيناي**)

[1]- عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني، م.س، ص86 - 87.

[2]- خليل سارة، تاريخ الإغريق، م.س، ص241.

[3]- م.ن.

التي تقع في سهل أرجوليس في البلوبونيز، إذ استطاعت هذه المدينة أن تبني قوّة سياسيّة واقتصاديّة وتفرض سيطرتها على جانب كبير من البحر الإيجي، وقامت بالتعاون مع المدن الآخية الأخرى بالحملة الشهيرة على طروادة نحو عام 1200 ق.م أو بعده بقليل[1].

ثم بعد ذلك تسرّبت تدريجيًّا قبائل (**الأيوليين**) و(**الأيونيين**) وقد اختلطت هذه القبائل جميعها بسكّان البلاد الأصليين، وفرضت عليهم سيادتها ولغتها بعد أن اقتبست منهم بعض مظاهر الحضارة. ويُفسّر **هيرودوت** الأصول الأولى للأيونيين ويؤكّد على عدم نقاء دمهم الإغريقي بما يتناقض أيضًا مع الرواية العنصريّة حول أصولهم الهندو - أوروبية، إذ يقول:

«**لهو من السخف الإدعاء بأنّ الأيونيين أكثر عددًا وأنقى دمًا من سواهم عمومًا. ذلك أنّ قسمًا كبيراً من هؤلاء من الأبانتيين الذين جاؤوا من إيبويا. وما هم من الأيونيين بأي حال، فضلاً عن خليط من الميناي الذين قدّموا من أورخومينوس والكادميين والداريوب والفوس القادمين من مختلف مدن منطقة الفوسيس والمودوش والبلاسج الأركاديين والدوريين من الأبيداوروس والكثيرين سواهم. بل إنّ أولئك الذين قدّموا من مبنى المجلس في أثينة ويظنون أنّهم يحملون أصفى الدماء الأيونية لم يصطحبوا النّساء معهم حين حلّوا في البلاد. وإنّما اتّخذوا زوجات من بنات الكاريين الذين قتلوهم، وبما أنّ تلك النّساء قد قُسرن على الزواج من قاتلي آبائهن وأزواجهن وأبنائهن لذلك تعاهدن على ألّا يجلسن إلى الطعام مع أزواجهن، وألّا يخاطبن الزوج باسمه ونقلنها إلى بناتهن وحفيداتهن وكان ذلك في ملطية**»[2].

وهذا ما يعزّز بعض الفرضيّات الحديثة القائلة ببعض أصول الإغريق الأسيويّة، ولا تمتّ بأيّ صلة إلى الشمال أو نهر الدانوب كما هو حال أصحاب النزعة العنصريّة.

أمّا الموجة الأخيرة في أواخر القرن الثاني عشر ق.م فإنّها كانت أشدّ عنفًا من الموجات السابقة، وقد جاءت بقبائل (**الدوريين**)، الذين كانوا لا يزالون في طور الهمجيّة، فخرّبوا كلّ شيء في طريقهم، ولم يتركوا أثرًا لمظاهر الحضارة القليلة التي نشأت في العهد الميكيني. ولمواجهة هذه الموجة اضطرّ (**الأخائيون**) و(**الأيوليون**) و(**والأيونيون**) إلى تغيير مراكزهم

2-[1] خليل سارة، تاريخ الإغريق، م.س، ص241

3-[2] هيرودوت، التاريخ، م.س، الكتاب الأول، ص100.

والهجرة إلى جزر بحر إيجة وشواطئ آسية الصغرى، ثم إلى مختلف الأنحاء في حوض البحر المتوسط.

إنّ هذه القبائل تختلف في لهجاتها وفي الكثير من عاداتها، ولكنّها قريبة بعضها من بعض، وهي ترجع كلّها إلى أصل واحد، وتجمع بينها عادات وعقائد متشابهة ولغة واحدة[1]. وقد أدركت جميعها هذه الروابط بعد احتكاكها بالشعوب الأخرى الغريبة عنها في اللّغة والعرق والعادات والعقائد، فعرفت أنّها أمّة واحدة، واتّخذت لنفسها اسم (**الهيلينيين**)، في حين أطلق على الأقوام الأخرى كافة اسم (**برابرة**)، أي أعاجم لا يتكلّمون اللّغة الإغريقية.

ويتجلّى هذا الشعور بالوحدة القوميّة في أسطورة (**دوقاليون**) (**DEUCALION**)، وخلاصة الأسطورة أنّ (**زيوس**) كبير الآلهة غضب من بروميثيوس (**PROMETHEUS**) ومعناه (**المتبصّر أو المتروّي**)، وكان صانعًا ماهرًا شديد المكر واسع الحيلة، وقد خدع زيوس نفسه عند توزيع الذبائح المشويّة التي كانت تقدّم قرابين للآلهة، فكان يموّه عليه ويعطيه الشحم منها دون اللّحم، فأخفى زيوس النّار عن الإنسان، ولكن (**بروميثيوس**) سرق النار وأعادها إلى الأرض لينتفع بها البشر، وثار غضب كبير الآلهة، فقيده بسلاسل عند جبل القوقاز وأطلق عليه نسرًا ينهش من كبده الذي كان يتجدّد كلّ يوم، لأنّه كان خالدًا كسائر جسده، فكان ينمو منه بالنهار ما ينهشه النسر بالليل، وأخيراً أنقذه هيراكليس (**HERACLES**) من هذا العذاب.. ويُعدّ برميثيوس أوّل معلّم للنّاس، وأوّل نصير للبشريّة، وصديق الإنسان وحليفه في وجه طغيان زيوس. ونقم الإله على البشر، فأرسل إليهم الطوفان الذي قضى عليهم جميعًا عدا (**دوقاليون**) ابن بروميثيوس فقد نجا مع زوجته بيرها (**PYRHA**) في سفينة رست بهم على جبل (**بارناسوس**) الشاهق (8200 قدم)، وكان هذا الجبل مركزًا لربات الفنون التسع. ولمّا انحسرت المياه قام (**دوقاليون**) بإتمام رسالة والده في إعمار الأرض[2].

والإغريق ينتسبون إلى (**هيلين**) ابن (**دوقاليون**)، ثم كان لهيلين ولدان هما (**دوروس**)

---

[1]- لقد ظلّت الإغريقيّة مدّة طويلة (حتى عام 300 ق.م) لغة متعدّدة اللّهجات... لكن الاختلافات في جوهرها كانت تقتصر على النطق والهجاء، وليست في الألفاظ أو النحو أو الإعراب. ولا جدال في أنّ هذه الاختلافات كانت كبيرة، ولكنّها لم تكن إلى الحد الذي يجعل فهمهما عصيًا على الإغريقي أيًا كانت لهجته.

[2]- محمد كامل عياد، تاريخ اليونانيين، م.س، ص86.

و(**أئولوس**)، وحفيدان هما (**إيون**) و(**أخيئوس**). ومن هؤلاء تنحدر القبائل الإغريقية الأربع، وهي (**الأخائيون**) و(**الأيونيون**) و(**الأيوليون**) و(**الدوريون**) هي تلك القبائل التي تُعد أصل الإغريق[1].

وقد اعتاد المؤرّخون القدماء عند تعليل وحدة العرق واللّغة عند الأمم، أن ينسبوا كلّ شعب وجميع القبائل التي يتألّف منها إلى جدّ معيّن وإلى أولاده وأحفاده، فكانوا يقبلون الأساطير المتعلّقة بذلك كأنّها حقائق تاريخيّة. ونحن إنّما نهتمّ بهذه الأساطير لما لها من قيمة أدبيّة أوّلاً، ثم لما تتضمّنه من عقائد وتصوّرات كانت سائدة في المجتمعات البشريّة يمكن أن تساعدنا على معرفة بعض الحوادث التاريخيّة.

خامسًا: الغزو الدوري

كانت الموجة الرابعة والأخيرة من القبائل الهندو-أوروبية تُعرف (**بالغزو الدوري**) الذي وفد من مقدونية وإيليرية، ودخل شبه جزيرة البلوبونيز عند نهاية عصر البرونز 1150 ق.م وبداية عصر الحديد 1100 ق.م. ويحدّثنا المؤرّخ الأثيني الكبير توكوديدس: «**أنّه في السنة الثمانين من بعد الحرب الطروادية غزا الدوريون بقيادة أبناء هيراكليس منطقة البلوبونيز**»[2]. واستنادًا إلى كلام توكوديدس يمكن تحديد هذه الفترة في العام 1104 ق.م، إذا أخذنا بعين الاعتبار الحرب الطروادية التي انتهت في العام 1184 ق.م. وبعض الكتّاب الحديثين يؤخّر هذا التاريخ مدّة عشرين أو ثلاثين سنة. وتُعرف هذه الحادثة في الأساطير الإغريقية باسم (**عودة أبناء هيراكليس**) (**The Return of the Herakleidas**) الذين جاؤوا إلى بلاد الإغريق لاسترداد إرثهم القديم في ميكيناي، وهي تتّفق وفترة الانتقال بين عصر البرونز وعصر الحديد[3].

وتقول الأسطورة: إنّه كان لأحد أشراف طيبة الذي يُدعى أمفيتريون (**AMPHITYRION**) زوجة في غاية الجمال اسمها الكميني (**ALCMENE**) ولدت ذكرًا حين كان زوجها في

---

[1]- محمد كامل عياد، تاريخ اليونانيين، م.س، ص86.

[2]- توكوديدس، تاريخ الحروب البلوبونيزية، م.س، الكتاب الأوّل، ص27.

[3]- خليل سارة، تاريخ الإغريق، م.س، ص243.

الحرب، وقيل إنّ والده الحقيقي هو الإله (**زيوس**)، وقد أثار ذلك غيرة الإلهة (**هيرا**) التي لم تكن تروقها مثل هذه الزلات من زوجها الإله، فأرسلت حيتين لقتل الصبي في مهده، ولكنّه قبض على رأس كلّ واحدة منهما بإحدى يديه وخنقهما، فأطلق عليه اسم هيراكليس (**HERAKLES**)؛ لأنّه اكتسب المجد عن طريق الإلهة (**هيرا**)[1].

ولمّا شبّ (**هيراكليس**) وأصبح عملاقًا جبارًا قام بأعمال بطوليّة خارقة في (**تيرنس**) التي خدم ملكها مدّة اثني عشر عامًا، وقام بالأعمال التي طلبها منه الملك مثل: قتل الأسد، والقضاء على الأفعى ذات تسعة الرؤوس، ووضع صخرتين متقابلتين عند مدخل البحر المتوسط عُرفتا بعد ذلك (**بعمودي هرقل**). وعندما عاد إلى طيبة قام بكثير من الأعمال العظيمة، فساعد الآلهة

على الحرب ضد العمالقة[2]، وحرّر (**بروميثيوس**) من سلاسل زيوس، واشترك في الهجوم على طروادة ونهبها قبل مدّة من حادثة حصارها وتخريبها[3].

[1]- ينسب الإغريق (هيراكليس) إلى زيوس الذي أنجبه من امرأة آدمية (من البشر) وهي (الكميني) زوجة ملك طيبة (أمفيتريون) التي كانت حفيدة لبرسيوس ملك أرجوس وفي هذه الحالة يكون برسيوس جد هيراكليس، وبرسيوس كان بدوره سليلاً لداناؤس المصري الذي جاء غازياً من مصر (كما ذكرنا سابقاً) وأصبح ملكاً على أرجوس. ومن هنا نشأ ارتباط (هيراكليس) بمدينة طيبة وقيامه في إقليمها (بويوتية) بعدد من أعماله الخارقة. وقد زعمت طيبة تبعاً لذلك أنه أحد أبنائها. وأصبح بعد موته يُعبد كبطل، وأحياناً كإله. ويتناقل اسم (هيراكليس) في عصرنا الحاضر تحت اسم (هرقل).
وكون (الكميني) والدة هيراكليس وأبوه زيوس ليس من البشر وبنفس الوقت كونها هي حفيدة برسيوس الذي يرجع بأصله ونسبه إلى داناؤس المصري. يزعم هيرودوت أن الإغريق هم الذين خلعوا هذا الاسم (هيراكليس) نقلاً عن المصريين وليس العكس. وهذا قول يمكن البرهان عليه في أن والدي هيراكليس: أمفيتريون والكميني أصلهما مصري. انظر: هيرودوت، التاريخ، م.س، الكتاب الثاني، ص153. وفي مكان آخر يقول هيرودوت أن ما يبرر قولي: «أنه منذ عهد برسيوس، وليس أبعد من ذلك، أنه ليس لدى برسيوس أب من البشر يُنسب إليه أبوه (زيوس). ومن جهة أخرى، إذا أردنا نتتبع سلسلة نسب (دانائي) ابنة أكريسيوس ووالدة (برسيوس) فلسوف نجد أن الزعماء الدوريين هم من المصريين الأقحاح. وهذه الرواية التي يجمع عليها الإغريق بشأن سلسلة نسب العائلة المالكة في إسبرطة، وتتفق مع الرواية الفارسية التي تؤكد على أن هؤلاء مصريون» انظر: هيرودوت، التاريخ، م.س، الكتاب السادس، ص448.

[2]- تتلخص أعمال هيراكليس الاثنتا عشرة كما يلي: العمل الأول قتل أسد في نيميا، والثاني قتل أفعى ذات تسعة رؤوس تدعى (هيدرا) في ليرنا، والثالث القبض على وعل بقرنيه الذهبيين في غابات سيرنسيا وإحضاره حياً، والرابع أسر خنزير بري ضخم في جبل أريمانتوس، والخامس تنظيف زربة أوجياس من مخلفات آلاف القطعان في يوم واحد بعد أن كان هذا العمل يستغرق عدة سنوات، والسادس إبادة الطيور الستيفالية المصابة بالطاعون، والسابع إحضار الثور المتوحش الجميل الذي أهداه بوسيدون لمينوس، والثامن الحصول على الخيول السريعة من الملك التراقي ديوميدس، والتاسع الحصول على حزام هيبوليتا ملكة الأمازونات، والعاشر استعادة قطيع جيريون الذي كان وحشاً بثلاثة أجساد يعيش إيريثيا، وفي طريقه وكذكرى لرحلته أقام صخرتين ضخمتين سميتا (عمودي هرقل) عند مضيق جبل طارق، والحادي عشر جلب التفاحات الذهبية للهسبريدات، والثاني عشر تحرير (ثيسيوس) من سلاسل زيوس وإحضار سربيروس الكلب ذي الرؤوس الثلاثة. انظر: أديث هاملتون: الميثولوجيا، ترجمة: حنا عبود، لا ط، دمشق، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، 1990، ص 247 - 268.

[3]- لعمالقة (GICANTES) وهم مخلوقات متوحشة اصطرعوا هم الآخرون مع زيوس وآلهة أوليمبوس صراعًا داميًا بالصخور وجذوع الأشجار، وكانوا يلقون حتفهم ويدفنون تحت رماد البراكين المنتشرة في بلاد الإغريق وإيطالية.

وبعد أن مات (**هيراكليس**) صار يُعبد كبطل، وبما أنّه اشتهر بعلاقاته مع عدد كبير من النساء، أخذت قبائل كثيرة تُنسب إليه.

وقد طرد ملك (**تسالية**) أولاد (**هيراكليس**) من مقاطعته خوفًا من نقمتهم عليه لمواقفه من والدهم، فالتجأوا إلى أثينة التي هاجمهم ملكها، ولكنّهم هزموا جيشه وقتلوه. ولمّا سار ملك الأخائيين الذين كانوا يحتلّون البلوبونيز في ذلك الوقت إلى ممر إشموس (**ممر كورنثة**) لصدّ الغزاة، أعلن (هيللوس) وهو أحد أولاد (**هيراكليس**) أنّه ليس من الضروري أن يجازف الجيشان بأرواح جنودهم في قتال شامل، واقترح أن يختار جيش البلوبونيز أحد أبطاله ليلاقيه في معركة فرديّة وفق شروط يُتّفق عليها، فقبل البلوبونيزيون العرض، وتعهّدوا إذا ما فاز (**هيللوس**) أن يسمحوا لأسرة (**الهيراكليين**) أن تحتفظ بحقوقها المعتادة منذ قديم الزمن في (**ميكيناي**)، أمّا إذا انهزم فيتوجّب عليهم الانسحاب بجيشهم، وألّا يعودوا للاعتداء على البلوبونيز طوال مئة عام. وكان الرّجل الذي وقع عليه الاختيار ليمثّل جيوش البلوبونيز هو (**أخيموس بن أيروبوس بن فيجيوس**)، وكان قد تطوّع للقيام بهذه المهمّة، فاشتبك مع (**هيللوس**) وقتله. وقد سار أتباع (**هيللوس**) إلى المنفى، ولمّا انقضت مدّة المئة سنة جاء أحفاد (**هيراكليس**) يطالبون بحقّهم واضطرّوا إلى استخدام العنف تجاه الذين أرادوا منعهم من الرجوع إلى شبه جزيرة البلوبونيز[1].

ليس من المستبعد أن يكون لهذه الأسطورة (**قصة الهيراكليين**) نصيب من الصحّة، إذا أخذنا بعين الاعتبار قول توكوديدس (**غزا الدوريون بقيادة أبناء هيراكليس منطقة البلوبونيز**). هذا القول يعطي انطباعًا، أنّه من الممكن أن يكون أولاد (**هيراكليس**) قد التجؤوا إلى قبائل الدوريين في شمالي (**تسالية**)، ثم حرّضوهم على مهاجمة (**الأخائيين**) في (**ميكيناي**)، وتولّوا بأنفسهم قيادة المحاربين وإرشادهم إلى المراكز التي تسيطر على البلاد؛ إذ تشير المراجع الحديثة إلى أن هيراكليس في أغلب الظنّ إنسان لا إله، بدليل أنّه يحمل اسمًا من أسماء البشر. ويرجّح أنّه كان شخصيّة حقيقيّة لا خيالية، وأنّه كان أحد أبناء شعب (**أرجوليس**) الذي كانت (**هيرا**) ربّتهم الرئيسة. واشتهرت أعمال (**هيراكليس**) في الأدب والفن باسم (**أعمال هيراكليس الاثنتي عشرة**) (**PRAXEIS**)، فضلاً عن قيامه بأعمال جانبيّة أخرى متنوّعة

---

[1]- هيرودوت، التاريخ، م.س، الكتاب التاسع، ص 654.

(**PRAERGA**). وكانت هذه الأعمال هي النواة الأولى التي بنيت عليه شهرته الواسعة من حيث هو بطل قومي ذو قوى خارقة، وشجاع فائق الشجاعة.

وبكلّ الأحوال، يشير سير الحوادث إلى أنّ الغارة لم تقتصر على انتقال قبائل بدائيّة ضاقت بها أرضها إلى أمكنة جديدة صالحة تستقرّ بها، بل كانت تستهدف قبل كلّ شيء القضاء على (**الأخائيين**)، ومهما كانت أسباب الغارة وبواعثها فقد كانت لها نتائج خطيرة جدًا في تاريخ الإغريق. ولذلك يجب التعرّض إلى هذا الموضوع.

سادسًا: نتائج الغزو الدوري

يجدر بنا الإشارة إلى بعض الظروف التي توفّرت وساعدت (الدوريين) على مهاجمة (**الأخائيين**) في (**ميكيناي**)، ومن أهمّها:

1. أنهكت الحرب الطرواديّة التي دامت عشر سنوات قوى الأخائيين وأضعفت شوكتهم، وهذا ما يتّفق مع وصف توكوديدس لأحوالهم بعد الانتصار في طروادة[1]:

2. تعرّض الأخائيون إلى حالة من الفوضى والاضطراب، إذ تذكر لنا (**الأوديسة**) المصاعب والأهوال التي لاقاها الأخائيون حين عودتهم إلى أوطانهم، إذ غرقت سفن كثيرة لهم كانت تحمل الظافرين عائدة بهم إلى أوطانهم، ومات منهم الكثيرون، فاختلّت إدارة الحكومة، وأخذت دولة الأخائيين تنهار. إضافة إلى ذلك فإنّ (**الدوريين**) كانوا يستعملون أسلحة حديديّة في حين أنّ الأخائيين كانوا يستعملون أسلحة برونزيّة.

3. دخول المنطقة في عصر من الظلام نسيت فيه منجزاتها الحضاريّة والثقافيّة والفنيّة، وخرجت السيطرة البحريّة في بحر إيجة من يد الإغريق إلى يد الفينيقيين، وتخلخلت الأنظمة الحاكمة القديمة، وأصبح النّظام السائد في المجتمع الإغريقي على أساس من التجمّعات السكّانيّة القبليّة أو القرويّة، وقد امتدّت هذه الفترة من عهود الظلام من 1000 - 800 ق.م.

4. قضى الدوريون على كلّ آثار الحضارة الميكينيّة في شبه جزيرة البلوبونيز؛ إذ خرّبوا المدن، وحرقوا القصور، وقتلوا كلّ من وقع في أيديهم من الأخائيين، وفرضوا العبوديّة على بقيّة السكّان.

---

[1]- توكوديدس، تاريخ الحروب البلوبونزية، م.س، الكتاب الأوّل، ص27.

5. اضطرّ الأخائيون الذين استطاعوا الإفلات من (**غارة الدوريين**) إلى الهجرة، فانتقل أكثرهم إلى جزر بحر إيجة وشواطئ آسية الصغرى، والتجأ قسم منهم إلى مقاطعة أتيكة.

6. اتّجه (**الدوريون**) إلى حيث توسّع انتشارهم، إلى (كريت) وهدموا ما بقي من مدنها وقصورها، ثم استولوا على جزر **ميلوس وكوس وكنيدوس وكرباثوس ورودوس**، وبلغت هجرتهم أخيراً جنوبي ساحل آسية الصغرى الذي عُرف باسم (**دوريس**) (**DORIS**) ومعنى هذا، أنّ الدوريين انتشروا من بلاد الإغريق الأصليّة عبر البحر الإيجي إلى منطقة تواجه نقطة بداية هجراتهم، وكان الأيوليون والأيونيون قد فعلوا الشيء نفسه.

7. ترتّب عن نتائج الغزو الدوري اتّساع بلاد الإغريق اتّساعًا عظيمًا؛ إذ اضطرّ قسم كبير من السكّان إلى الهجرة أفواجًا، فسكن البعض في جزر بحر إيجة، وأسّس آخرون مستعمرات دائمة على شواطئ آسية الصغرى، وامتدّت الهجرة بعد ذلك إلى إيطالية وصقلية وإفريقية الشمالية وإلى شواطئ البحر الأسود، حتى أصبحت المستعمرات الإغريقية أوسع بكثير من شبه جزيرة الإغريق نفسها. ويصف توكوديدس نتيجة هذا الاتّساع بقوله:

«**فاستعمر الأثينيون أيونية ومعظم الجزر، وقام البلوبونيز بتأسيس المستعمرات في إيطالية وصقلية، وبعض الأجزاء الأخرى من بلاد هلاس، وهذه المستوطنات جميعها قامت بعد حرب طروادة**»[1].

8. ظهور أهمّ مراكز دول المدن التي سيطر عليها (الدوريون) في شبه جزيرة البلوبونيز، التي تُعرف الآن باسم شبه جزيرة المورة. وأهمّ هذه المدن كورنثة وسيكيون وأقاليم أخيا وإيليس وأرجوليس ومسينية. وكانت لاكونيا التي كانت أشهر هذه الأقاليم بما جادت عليها الطبيعة بذلك السهل الخصيب في وادي نهر يوروتاس (**EUROTAS**) الجميل، وتميّز هذا السهل بإنتاج وفير من المحاصيل الزراعيّة يكفي لاستيعاب عدد كبير من السكان. ومن ناحية أخرى يُعدّ إقليم لاكونيا الدوري وعاصمته (**إسبرطة**) أكثر أقاليم بلاد الإغريق انعزالاً؛ إذ أشاع الدوريون روحًا خاصّة في كثير من أنحاء بلاد الإغريق، لا سيّما في (**إسبرطة**) فقد

[1]- توكوديدس، تاريخ الحروب البلوبونزية، م.س، الكتاب الأوّل، ص27.

ظلّوا دائمًا يتمسّكون بالنّظام العسكري الصارم والأرستقراطيّة القديمة، ويفضّلون المفاهيم البسيطة الثابتة على النواحي الفكريّة واللّغويّة والفنّيّة.

9. انبثاق فجر نهضة عمرانيّة جديدة ساهم فيها الدوريون مساهمةً متميّزةً، وإن كانت طريقة حياتهم صورة باهتة عن صور الحضارة الميكينية، فعلى سبيل المثال التزموا نموذجًا واحدًا في فنّ البناء، واتّخذوه أساسًا في كلّ ما ابتكروا ودأبوا على تحسينه وتجميله (**كالرواق المحمول على الأعمدة**) الذي يتلاءم وطبيعة بلاد الإغريق المشمسة طوال فترة طويلة من السنة. فالنّظام الدوري يعتمد في التعبير على القوّة والصلابة، ويتألّف هذا النّظام من الأعمدة الدوريّة وتيجانها التي تستند إلى أرض المعبد مباشرة دون قاعدة، إذ ينتهي العمود الدوري برأس مربع لا زخرف فيه. ويُعدّ مثل هذا الطراز من أقدم الطرز التي ظهرت في المعابد الإغريقية.

10. أقام الدوريون معابد عدّة من أهمّها معبد (**أبوللون**) في مدينة كورنثة (**على الخليج المعروف باسمها جنوب بلاد الإغريق**)، ومعبد (**هيرا**) في أولمبية في مقاطعة (**إيليس**) (**على الطرف الغربي للبلوبونيز**). وفي هذه المقاطعة كان يقوم المعبد الرئيسي للإله (**زيوس**)، وتمثال هذا الإله الرائع الذي صنعه النحّات الأثيني الشهير فيدياس (**PHEDIAS**) وطعّمه بالذهب والعاج. ولا شكّ أنّ معبد (**زيوس**) كان أهم المعابد المنتشرة في مدينة أولمبية التي كانت تُعتبر مركزًا رياضيًّا وروحيًّا كبيرًا يقصده الإغريق من جميع مناطق سكناهم للتبرّك والعبادة[1].

سادسًا: العقليّة الأوروبيّة في أصل الإغريق

تشير المراجع والمصادر القديمة إلى أنّ الإغريق نهلوا من الشّرق أساسيات علومهم وقواعدها، ثم طوّروها وأعطوها للعالم، ومن الشرق تعلّموا كلّ ضروب الحياة وحذقوا في فنّها وتعلّمها. وقد أسهمت الزيارات والرحلات العلميّة التي قام بها علماء وفلاسفة الإغريق إلى مصر طلبًا للعلم والاكتشاف، أمثال: تاليس، وفيثاغورس، وصولون، وأفلاطون، وديمقريطس، وهيرودوت، أسهمت في تطبيع العلاقات وتعزيز الروابط الحضاريّة بين الجانبين، حتى أكّد هؤلاء جميعهم أنّهم تلامذة الشرق، واعترفوا جميعًا بتقدّم العلوم

[1]- خليل سارة، تاريخ الإغريق، م.س، ص248 - 250.

والفنون عند المصريين. وهذا ما يوضّحه أفلاطون من أنّ أحد الكهنة المصريين أثناء مقابلته مع المشرّع الأثيني صولون، ومن خلال أحاديث التبادل والتعارف، وبالنتيجة قال الكاهن المصري لصولون: «**أنتم لستم سوى أطفال ثرثارين تفتقرون إلى التجارب التي عتّقتها الأيام**» (أفلاطون، محاورة تيماوس 22).

ويميل إلى هذا الاتّجاه الكاتب الأميركي **مارتن برنال** في كتابه (**أثينة السوداء -الجذور الأفرو آسيوية للحضارة الكلاسيكية- الجزءالأول: تلفيق بلاد الإغريق 1785 - 1985**). فهو يستعرض في كتابه جملة من جوانب التأثير المصري والفينيقي والشرقي بشكلٍ عام في الحضارة الإغريقيّة، إن كانت أدبًا أم شعرًا أم علومًا أم أسطورة؛ إذ شكره الكثير من المؤرّخين على تعرية النزعة الأوروبيّة المركزيّة والعنصريّة المتأصلّة في الثقافة الغربيّة بصفةٍ عامّة[1].

يستعرض برنال في كتابه آنف الذكر ثلاثة نماذج أساسيّة حول العقليّة الأوروبيّة في العصر الحديث، فيما يخص التأثير الشرقي بشكل عام على الحضارة الإغريقية وأصولها.

النموذج العنصري الآري

ظهر النموذج الآري في غضون النّصف الأوّل من القرن التاسع عشر، وينظر هذا النموذج إلى بلاد الإغريق على أنّها أوروبيّة وآريّة في المقام الأوّل؛ إذ أنكر هذا النموذج الجديد في خطوطه العريضة التي واكبت صورته المبكرة، حقيقة المستوطنات المصرية، كما شكّك في المستوطنات الفينيقيّة. وفحوى هذا النموذج أنّ الإغريق صانعي الحضارة الإنسانيّة وصلوا إلى ما لم يصل إليه شعب من الشعوب القديمة. ومن ثم فليست لحضارتهم أصول شرقيّة. ووصل هذا النموذج إلى حد أن أصبح (**النموذج الآري المتطرّف**)، الذي يؤمن بتفوّق سلالة بشريّة على أخرى بيولوجيًّا وذهنيًّا وفكريًّا، ومن ثمّ ينبغي الحفاظ على سلامة الإغريق -أصل الحضارة الأوروبيّة- خالية من شوائب أيّة سلالة أخرى مصريّة أو غير مصريّة؛ إذ إنّ بعض المؤرّخين كان يرى أنّ هذا النموذج يمثّل تيّارًا أصيلاً في العقليّة الأوروبيّة حيث يعتبرون الإغريق -أجدادهم الروحيين- من جنس خاص وله معايير غير عاديّة بفضل التفوّق العنصري.

[1]- مارتن برنال، أثينة السوداء، م.س، ص27.

ومن منطلق الدّفاع عن مصر وحضارتها يقول برنال: «**إنّ ازدراء مصر بلغ ذروته بعد الاحتلال الإنكليزي لها عام 1882، فكانت النزعة الإمبريالية الإنكليزية - الأوروبيّة تغذّي النّزعة العنصريّة في الدّراسات الكلاسيكيّة والمصريات وتدعم (النموذج الآري المتطرّف) الذي يميّز بين الشعوب على أساس العنصر والسلالة واللّون. فالجنس الآري الأبيض أو الهندو -أوروبي أو الهندو- الجرماني هو الأسمى والأفضل، ولا يمكن أن يتلقّى التأثير من الجنس الأدنى مثل مصر الإفريقية السوداء، وهكذا تمّ نفي التأثير المصري على الحضارة الإغريقيّة تمامًا**»[1].

النموذج المشرقي القديم

وفحوى هذا النموذج أنّ معظم الكتّاب الإغريق والرومان، أمثال: هيرودوت، وتوكوديدس، وأرسطو، وأفلاطون، وإيسوقراط، قد أبدوا اعترافهم بفضل مصر والفينيقيين على الحضارة الإغريقية - الرومانية؛ إذ جمع هوميروس وهسيودوس هذا النموذج في سلّة واحدة (**الشعر الملحمي والتعليمي**) مع سافو وبنداروس (**الشعر الغنائي**) مع شعراء التراجيدية الإغريق والمؤرّخين والفلاسفة إلخ... ذلك أنّ فنون الأدب الإغريقي والتجلّيات الفكريّة المختلفة -ومن ثم نظرة الإغريق للآخر ـ قد مرّت جميعًا بتطوراتٍ وتغيّراتٍ مستمرّة وهائلة. وتقول تمارا جرين وهي مؤرّخة للفكر: «**أنّه ينبغي أن تخضع المصادر القديمة أيضًا للمنهج الذي يرى فيها بنى اجتماعيّة تحاول خلق عالم رمزيّ هو ما نعتبره الآن حقيقة**» وتضيف قائلة: «**إنّ أيّة محاولة للبرهنة على أنّ أيّ نموذج يُعدّ أكثر تاريخيّة من الآخر، إنمّا هي محاولة دون كيشوتية**»[2].

ذلك أنّ موقف الإغريق والرومان من مصر متناقض ومليء بالتداخلات والملابسات، وهو موقف يجمع العجز عن الاستيعاب مع التقديس والإعجاب من ناحية، والكراهية والحقد والاحتقار من ناحية أخرى. فالغيرة من مصر بوصفها صاحبة حضارة أقدم موجودة على أساس الفكر السائد بأنّ الأقدم هو الأفضل.

[1]- مارتن برنال، أثينة السوداء، م.س، ص27.

[2]- Tamara, m. green: Black Athena and classical Historiography: Approaches other view arthouse 22 (1989) pp 55 – 65.

ولكن السائد حاليًا أنّ (**النموذج المشرقي القديم**) هو الأوفى حظًا من (**النموذج العنصري الآري**)؛ بدليل المصادر القديمة والدراسات الحديثة، حيث تشير هذه الدراسات إلى أنّ العلاقات بين مصر وبلاد الإغريق، فهي تعود إلى الألف الثالثة ق.م، ويقول السير آرثر إيفانس: «**إنّ دين كريت لعصر ما قبل الأسرات المتأخّر وأوائل عصر الأسرات في مصر قد تمّ إثباته بكمّ هائلٍ من الدلائل الأسريّة، بل إنّ الحضارة المصريّة قد أغنت حضارة بحر إيجة في الألف الثالثة ق.م. ممّا يعني أنّ المفردات المصريّة وأسماء الأعلام والأماكن كان يمكن أن تتسرّب إلى حياة سكّان بحر إيجة منذ ألفي عام قبل أوّل دليل يصلنا من النصوص الإغريقيّة، وبالتحديد وثائق الخط الكتابي Linear B**»[1].

من خلال ما سبق، ندرك أنّ هناك معركة حقيقيّة قد دارت في العقليّة الأوروبية بين الحضارة المصريّة والإغريقيّة. فالإغريق والرومان بوجه عام أُعجبوا بمصر واعتبروها الأنموذج الأفضل، وإن تخلّل ذلك بعض الاستثناءات. ولقد ورث الأوروبيون هذا (**الهوس بمصر**)؛ إذ يسود الحضارة الغربية بوجه عام إعجاب شديد بحضارة مصر. ولكن هذا الإعجاب تشوبه نعرة الغيرة على تراث الأجداد أي الإغريق. ولذلك ظهر تيّار قويّ لإعلاء شأن الإغريق على حساب مصر. ولم يُكتب النّصر النهائي حتى الآن لأيّ من الطرفين، وإن كانت كفّة مصر في الآونة الأخيرة هي الراجحة، مما يعرّضها هذه الأيام لحملات متكرّرة من التشكيك وبذر البذور الخبيثة عن بناة الأهرام وأصل اللّغة المصريّة القديمة وما إلى ذلك؛ حيث يعترف (**برنال**) أنّ اللّغة المصريّة القديمة هي الأقدم في التأثير على خطوط الكتابة المكتشفة عند الإغريق، ولكن بعض هذه التأثيرات والموجات التي تليها ربّما تكون قد وصلت من مصر عبر فينيقيّة. ولكن بعض علماء الساميات يتّخذون الطريق المعاكس، ويركّزون جهودهم في البحث عن التأثيرات السامية ولا سيّما العبريّة على اللّغة المصريّة القديمة، ولكن جميع محاولاتهم قد باءت بالفشل[2].

النموذج القديم المعدّل

يقبل هذا النموذج بوجود أساسٍ حقيقيٍّ للأخبار (القديمة) التي تتحدّث عن استيطانٍ

---

[1]- A. Evans. The Palace of Minos. London (1921 - 1935) Macmillan. vol. 2. p 28.

[2]- أحمد عتمان، مقدِّمة الترجمة، م.س، ص37.

مصريٍّ وفينيقيّ، والتي يتضمّنها (**النموذج القديم**) على أنّ هذا النموذج المعدّل يفترض بداية مبكرة بعض الشيء لهذا الاستيطان، ويردّ هذه البداية إلى النّصف الأوّل من الألف الثانية ق.م. كذلك فإنّه يتّفق مع هذا الأخير (**النموذج القديم**) في أنّ الحضارة الإغريقية إنّما هي نتاج للاختلاطات الثقافيّة التي أدّت إليها هذه الموجات الاستيطانية أو الاستعماريّة، ولما اقتبسته هذه الحضارة من المناطق الواقعة عبر القسم الشرقي للبحر المتوسط. ومن الجانب الآخر، فإنّ هذا النموذج يتقبّل وإن كان ذلك بصورة غير نهائيّةٍ. الفرضيّة التي يقدّمها «**النموذج الآري**» والتي تخصّ حدوث غزوات ـ أو تسرّبات هندو ـ أوروبية من الشمال وقام بها أناس يتكلّمون لغة هندو ـ أوروبية (**علمًا أنّ هذه الغزوات لم ترد في أيّ من المصادر الإغريقية**). ولهذا فإنّ «النموذج القديم المعدّل» يزعم أنّ السكّان السابقين (**لهذه الغزوات إن ثبتت**) كانوا يتكلّمون لغة تتّصل باللّغة الهنديّة - الحثيّة التي لم تترك سوى أثر ضئيل في اللّغة الإغريقية، وعلى أي الأحوال فإنّ هذا الأثر الضئيل لا يمكن استخدامه لتفسير العناصر غير الأوروبية التي ظهرت في اللّغة الإغريقيّة في وقت متأخّر. ويرى هذا النموذج المعدّل (**كما رأينا سابقًا**) بأنّه مع توالي مجيء قبائل جديدة من هؤلاء المهاجرين (**الغزوات**) طغوا على السكّان القدامى، وإن تأثّروا بحضارتهم - وأصبحوا هم الطبقة الحاكمة بفضل تفوّقهم في التنظيم العسكري، والفروسيّة، وفنون القتال. لكن فترة طويلة بعد ذلك من التعايش السلمي والتعاون المثمر كانت كفيلة بتحقيق الامتزاج بين القدامى والجدد. ولم يأتِ منتصف القرن السادس عشر (نحو 1550 ق.م) حتى كان سكّان شبه الجزيرة خليطًا يتألّف من عنصرين أو سلالتين: سلالة الهنود - الأوروبيين، وسلالة سكّان البحر المتوسّط[1].

لم تكن في النموذج القديم أيّة اختلالاتٍ داخليّةٍ كبيرة، كما لم تكن فيه نقاط ضعف في قوّة التفسير. وإنّما تمّ إسقاطه لأسباب خارجيّة. والسبب في ذلك هو أنّ الرومانسيين والعنصريين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين كانوا، بكلّ بساطة لا يتحمّلون أن تكون بلاد الإغريق نتاجًا لخليط من أبناء البلاد الأصليين ومستعمرين أو مستوطنين من الأفارقة أو الساميين، وهي البلاد التي كانوا (**الرومانسيون والعنصريون**) ينظرون إليها على أنّها خلاصة أوروبة وصورتها المصغّرة، بل مرحلة الطفولة الخالصة لهذه القارة. وهكذا

[1]- مارتن برنال، أثينة السوداء، م.س، ص77.

كان لا بدّ من إسقاط (**النموذج القديم**) وإحلال شيء (**نموذج**) آخر مكانه يكون أكثر قبولاً لديهم[1]، كون بعض علماء تلك المرحلة كانوا ينظرون إلى أنّ دراسة الأساطير الإغريقيّة يجب تقع من حيث علاقتها فقط بالثقافة الإنسانيّة بوجه عام، وعارضوا بصلابة الاعتراف بأن تكون هذه الأساطير قد أخذت شيئًا محدّدًا من الشرق. وعلى هذا الأساس فإنّ (**النموذج القديم**) يشترك مع (**النموذج الآري**) و(**النموذج القديم المعدل**) في نظامٍ جذريٍّ واحد، وهو إمكان انتشار اللّغة أو الثقافة عن طريق الفتح أو الغزو، ولعلّ هذا النموذجً الأخير يقدّم إطارًا لأبحاث المستقبل من شأنه أن يؤدّي إلى نتائج أوفر.

[1]- مارتن برنال، أثينة السوداء، م.س، ص79.

خاتمة

نستنتج ممّا سبق أنّ هناك معركةً حقيقيّةً قد دارت في العقليّة الأوروبيّة بين الحضارات المشرقيّة، وخصوصًا (**الفينيقيّة والمصريّة**)، والحضارة الإغريقيّة. فالإغريق والرومان بوجه عام أُعجبوا بحضارات الشرق القديم وخاصّة مصر واعتبروها الأنموذج، وإنْ تخلّل ذلك الاتّجاه بعض الاستثناءات؛ إذ يسود الحضارة الغربيّة بوجه عام إعجاب شديد بالحضارات المشرقيّة. ولكن هذا الإعجاب تشوبه نعرة الغيرة على تراث الأجداد أي الإغريق، ولذلك ظهر تيّار قويّ؛ لإعلاء شأن الإغريق على حساب الشّرق. ولم يلبث النّصر النهائي حتى الآن لأيّ من الطرفين، وإن كانت كفّة مصر في الآونة الأخيرة هي الراجحة، ما يعرّضها هذه الأيّام لحملات متكرّرة من التشكيك وبذر البذور الخبيثة عن بناة الأهرام وأصل اللّغة المصرية وما إلى ذلك.

ويمثّل هذا الاتّجاه العنصري ما يسمّى أنصار (**النموذج الآري**)، والذي ظهر في أوائل القرن التاسع عشر، والذي يؤمن بالعنصريّة الأوروبيّة، وينفي تمامًا التأثيرات والمؤثّرات الشرقيّة في الأصول الإغريقيّة، ويتبجّحون بعرقيّة الجنس الآري على الأصل الإغريقي، وأنّ أصل الإغريق لا يمتّ بأيّ صلةٍ للأصول المشرقيّة، وأنّ عرقهم عرق صافٍ هندو - أوروبي لا يشوبه شائبة، وشكّكوا في المستوطنات الفينيقيّة والمصريّة. ويرى أنصار هذا النموذج أنّه كان هناك غزو من الشمال ـ وهو ما لم تذكره الروايات القديمة سواء الأثريّة أو الأدبيّة ـ وهو غزو القبائل الهندو ـ أوروبية، ولا يُعرف حتى الآن من أين استمدّ أنصار هذا النموذج مصادرهم ومراجعهم، ما يشير إلى أنّها تلفيق عنصريّ متطرّف على الحضارات المشرقيّة ونفي تأثيرها على الحضارة الإغريقيّة. ومن المؤسف جدًا أنّ مثل هذا الرأي المفترض أصبح شائعة علميّة في معظم المؤسّسات العلميّة الغربيّة.

ويقابل هذا النموذج من الجانب الآخر (**النموذج القديم**)، والذي يعود إلى الألف الثانية ق.م والقائل بحقيقة موضوع فضل الحضارات الشرقيّة (**فينيقيّة أو مصريّة** أو آسيويّة) على الحضارة الإغريقيّة. ويستند هذا النموذج على الدلائل الأثريّة والروايات القديمة من أساطير ومسرحيات تراجيدية، ومعظم مؤرّخي الإغريق القدماء الذين تعايشوا مع تلك الفترة أثبتوا حقيقة التأثّر والتأثير بين الحضارات المشرقيّة والحضارة الإغريقيّة، أمثال:

هيرودوت، وتوكوديدس، وأرسطو، وإيسوقراط، وأفلاطون. وكبار المسرحيين التراجيديين والآداب الإغريقية مثل: ملاحم هوميروس وهسيودوس. وجميع هذه المصادر تقرّ بموضوع الاستيطان الفينيقي والمصري ومدى التأثيرات الشرقيّة على الحضارة الإغريقيّة حتى أصبح الشرق مدرسة لتلامذة الإغريق. وليس أدلّ على ذلك وهو الحوار الذي ورد في محاورة (**طيماوس**) بين صولون وأحد الكهنة المصريين الذي قال للمشرّع الأثيني «**أنتم الإغريق لازلتم أطفالاً ثرثارين في مضمار الحضارة وتفتقدون إلى التجارب التي عتّقتها الأيّام**». وفي العصر الحديث تمّ التركيز على تأثير مصر على بلاد الإغريق فيما بين 2100 - 1100 ق.م رغم احتمال وجود تأثيراتٍ أسبق، لكن هذه الفترة هي فترة التكوين للحضارة الإغريقيّة. ويمكن القول: إنّ الإسكندر نفسه وهو الفاتح جاء ليحج إلى معبد «سيوة» ويطلب من كهنة آمون هناك العون، ولبّوا دعوته ولقّبوه «ابن الإله». وفي هذه الحقيقة ما يدلّ على سيطرة حضارة الشرق ومعتقداته على عقليّة أكبر فاتح عرفه التاريخ الإغريقي أو حتى العالمي آنذاك.

وتؤكّد كافّة الوثائق والمستندات والأساطير الإغريقيّة أنّ بلاد الإغريق كانت مسكونة في البداية من قبائل بدائيّة ومن شعوب البحر المتوسّط الآسيويّة كالبلاسجيين الكريتيين والفينيقيين والمصريين والآسيويين واستقروا فيها وأنشأوا المدن وآثروا السكّان الإغريق بحضاراتهم، لقد أدخل الفينيقيون الحروف الأبجديّة في حين كان المصريّون وراء نشر وسائل الرّيّ والعبادات القديمة. وكانت مثل هذه الآراء تلقى قبولاً واسعًا حتى عشرينيات القرن التاسع عشر؛ حيث بدأ الباحثون العنصريّون من شمال أوروبا في إنكار أيّ تأثيرٍ مصريٍّ أو فينيقيٍّ أو آسيويٍّ على الحضارة الإغريقيّة. ويرى المؤرّخ الأميركي (**مارتن برنال**) في كتابه (**أثينا السوداء**) أنّ هذه الأفكار تمثّل نوعًا من الطرح العنصري الرامي إلى دحض الآراء القائلة بأنّ الإغريق كانوا بمثابة (**وسطاء**) نقلوا جانبًا من حضارة الشرق وحكمته إلى الغرب، أي بتعبير آخر غيّروا من موقع بلاد الإغريق (**كوسيط**) إلى مكانها (**كأصل**) مؤسّس للحضارة. ويؤكّد (**برنال**) على وجود تأثير شرق أوسطي ثقافي ولغوي على بلاد الإغريق خلال العصر البرونزي، ويعتمد في تحليلاته على الأساطير بشكلٍ أساسيٍّ، وذلك على أساس أنّ الأسطورة تحتوي دائمًا على (**نواة**) من الحقيقة التاريخيّة. ويؤكّد باختصار على أنّ الشعوب السوداء والأقوام السامية لها جذور هامّة في التاريخ الثقافي لأوروبا، ويدين

بوضوح المقولات العنصريّة القائلة بتقسيم العالم إلى حفنةٍ من الأعراق التي تتّسم بنوعٍ من التراثيّة الهرميّة التي يحتلّ العرق الآري والأوروبيون قمّتها.

ومن جهةٍ أخرى، كان للعرب الفضل الأكبر في تعريف الأوروبيين بتراث أجدادهم، فهم الذين ترجموا أمّهات الكتب الإغريقيّة، وأضافوا إليها ما فاضت به قريحتهم من إبداع وابتكار؛ إذ طوّروا بتجاربهم وأبحاثهم العلميّة ما أخذوه من مادّة خام عن الإغريق وشكّلوه تشكيلاً جديدًا. فالعرب في الواقع هم مؤسّسو طريقة البحث العلمي التجريبي. نعم فلم يقتصر دورهم على إنقاذ التراث الإغريقي وترتيبه وتنظيمه ثم إهدائه إلى الغرب، بل إنّهم أسّسوا الطّرق التجريبيّة في الكيمياء والطبيعة والحساب والجبر والجغرافية والجيولوجيا وعلم الاجتماع، فبذور الفنون والعلوم الشرقيّة هي التي أثمرت في الأرض الإغريقيّة، فترعرعت الفلسفة والدراما والنقد الأدبي وما إلى ذلك.

وفي الختام، يمكن التوصّل إلى نتيجة هامّة، وهي: إنّ بلاد الإغريق تشكّلت أصولها من أعراق مختلفة (آسيوية، كريتية، فينيقية، مصرية، هندو - أوربية) في حال اعتبرنا الرأي المفترض في أصول هنديّة - أوروبيّة. وهذا ما ينادي به أنصار (**النموذج القديم المعدّل**)؛ إذ يقبل هذا النموذج بوجود أساس حقيقيّ للأخبار (**القديمة**) التي تتحدّث عن استيطان مصريٍّ وفينيقيٍّ، والتي يتضمّنها (**النموذج القديم**)، على أنّ هذا النموذج المعدّل يفترض بداية مبكرة بعض الشيء لهذا الاستيطان، ويردّ هذه البداية إلى النّصف الأوّل من الألف الثانية ق.م. كذلك فإنّه يتّفق مع هذا الأخير (**النموذج القديم**) في أنّ الحضارة الإغريقيّة إنّما هي نتاج للاختلاطات الثقافيّة، التي أدّت إليها هذه الموجات الاستيطانيّة أو الاستعماريّة، ولما اقتبسته هذه الحضارة من المناطق الواقعة عبر القسم الشرقي للبحر المتوسط. ومن الجانب الآخر، فإنّ هذا النموذج يتقبّل وإن كان ذلك بصورة غير نهائيّة، الفرضيّة التي يقدّمها «**النموذج الآري**» والتي تخصّ حدوث غزوات -أو تسربات هندو- أوروبية من الشمال، وقام بها أناس يتكلّمون لغة هندو - أوروبية (**علمًا أنّ هذه الغزوات لم ترد في أيّ من المصادر الإغريقيّة**).

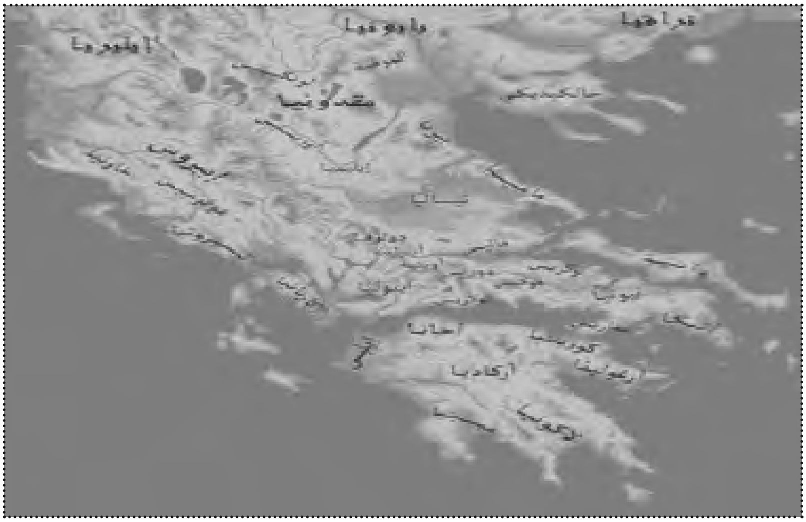

خريطة المقاطعات الإغريقية والعالم الإغريقي

المراجع والمصادر

1. أحمد عتمان، مقدمة الترجمة لكتاب (أثينة السوداء)، الجزء الأول، القاهرة 1990.
2. أديث هاملتون، الميثولوجيا، ترجمة حنا عبود، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق 1990.
3. استرابون، الجغرافية، الكتاب السادس عشر، ترجمة محمد مبرك الدويب، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا.
4. توكوديدس، تاريخ الحروب البلوبونيزية، ترجمة عمرو الملاح - ودينا الملاح، أبو ظبي، المجمع الثقافي 2003، الكتاب الأول، ص 20 21-.
5. حصة تركي الهزال، المؤثرات الفينيقية في الحضارة الإغريقية، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 43، ملحق 3، العربية السعودية 2016.
6. الحوراني. ي، لبنان في قمة تاريخه، بحث في فلسفة تاريخ لبنان، العهد الفينيقي، بيروت 1992.
7. خليل سارة، تاريخ الإغريق، جامعة دمشق 2006.
8. عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني، جزأين، بيروت 1974.
9. كيتو، الإغريق، ترجمة عبد الرزاق يسرى، مراجعة صقر خفاجة، دار الفكر العربي، القاهرة 1992.
10. مارتن برنال، أثينة السوداء، الجزء الأول، تحرير ومراجعة أحمد عتمان، ترجمة لطفي عبد الوهاب يحيى وآخرون، إصدار المشروع القومي للترجمة، القاهرة 1990.
11. محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، دمشق، إصدار دار الفكر 1969.
12. هيرودوت، التاريخ، ترجمة عبد الإله الملاح، إصدار دار الثقافة، أبو ظبي 2001، الكتاب الأول، ص 98.

13. Sara Morris, Diadalos and: kadmos: Classicism and Orientalism arcthsa vol 22. 1989 P 39 – 54.

14. A. Evans. The Palace of Minos. London (1921 - 1935) Macmillan. vol. 2. p 2814. Berard. V. les Phoenicians ET 1. Odyssey, colin 1927. 107.

15. CF, A. Aymard, les Assembles De La Confederation, Achaienne 1938, P 86.

16. Tamara, m. green: Black Athena and classical Historiography:. Approaches other view arethusa 22 (1989) pp 55 – 65.

حضارة كريت

إبراهيم أحمد سعيد[1]

مقدمة

تأتي دراسة جزيرة كريت لإلقاء الضوء على جزيرةٍ ارتبط تاريخها القديم بتاريخ المناطق الحيويّة، التي أسهمت في نشوء حضارة مهمّة من التاريخ الإنساني في كلّ من البر الآسيوي (آسيا الصغرى)، والبر السوري (الفنيقي)، وكذلك حضارة وادي النيل (الأفريقي) بالإضافة للمساهمة المتبادلة في خلق الحضارة الإغريقية بتفاصيلها على صعيد الحضارة الإنسانية. لقد عُرفت هذه الجزيرة بأسماء متعدّدة: فقد أطلق عليها العرب اسم أقريطيش، وكانت تُدعى باسم جزيت خلال وجودها تحت الحكم العثماني، في حين يُعتقد بأنّ اسمها الحالي يعود لاسم أحد ملوكها القدماء كريس؛ وذلك بعد ضمّها إلى الدولة اليونانية في عام 1913م. إنّ المتتبّع لنشأة حضارة كريت وتطوّرها يستطيع أن يُحدّد عوامل جغرافيّة أساسيّة أدّت دورها في إضفاء طابع مميّز على تلك الحضارة، كالموقع الجغرافي المتوسّط بين المناطق الحضارة المذكورة وبين العوامل الجغرافيّة المحليّة، كضيق المساحات الزراعيّة ومحدوديّة الموارد المائيّة دائمة الجريان، والاختلافات المناخيّة بين شمال الجزيرة وجنوبها، مما دفع بالسّكّان لإيجاد بدائل في الحياة دفعتهم للاهتمام بالبحر وبالتجارة وبناء السفن وبخلق طبقة ثرية من التجار، أثّر في النّمط العمراني وفي العلاقات الاجتماعيّة والاقتصاديّة، إضافة للتنوّع في الأنشطة الاقتصاديّة المحليّة، كالرعي والزراعة والحرف المرتبطة بالصناعات اليدوية وغيرها من الأنشطة.

---

[1]- أستاذ في قسم الجغرافية بكلية الآداب في جامعة دمشق.

أوّلًا: الحالة الجغرافيّة

1. الموقع الجغرافي

تُعدّ جزيرة كريت إحدى أهم جزر البحر المتوسّط، فهي تحتلّ المرتبة الخامسة بعد صقليّة وسردينيا وقبرص وكورسيكا، بموقع جغرافي متميّز؛ حيث تقع على درجة العرض 34.50 - 5035 شمال خط الاستواء وعلى خط الطول 23.30 – 26.20 شرقي غرينيتش[1]، في الإقليم الشرقي من حوض البحر المتوسط. وهي تُشرف على بحر إيجة الواصل بين البحر المتوسّط والبحر الأسود، عبر بحر مرمرة ومضيق البوسفور، وبذلك فهي تقع في منطقة بحرية متوسّطة بين قارات العالم الثلاث، أوروبا وآسيا وأفريقيا (المسافة بين كريت ودرنة في ليبيا تبلغ 283 كم وبينها وبين أثينا 299 كم وبينها وبين آسيا الصغرى، أي تركيا، نحو 300 كم)، وكان لها دور مهمّ على الطريق البحري بين بلاد المشرق وإيطاليا، وبالنتيجة كان لهذا الموقع أثره الكبير، ليس في حضارة كريت خصوصًا، بل وفي الحضارات المواجهة لها في تلك القارات عمومًا.

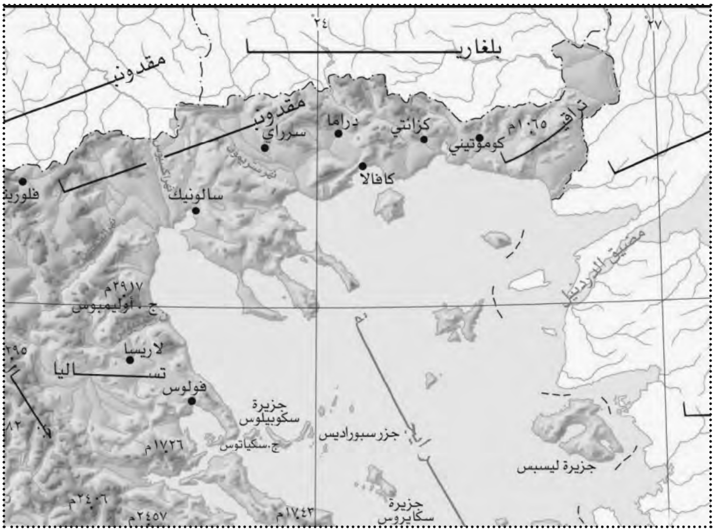

موقع جزيرة كريت ضمن مجموعة الجزر اليونانية

[1]- الموسوعة العربية. المجلد السادس عشر. ص227.

2. المساحة

تبلغ مساحة جزيرة كريت نحو 8335 كم^2 (في بعض المصادر 8939 كم^2) مع الجزر التابعة لها، وهي جزيرة طوليّة الشّكل شبه منتظمة بأبعادها؛ حيث يبلغ امتدادها من الشّرق إلى الغرب نحو 255 كم، بينما يتراوح عرضها بين 15-60 كم، حيث تكثر فيها الخلجان الطبيعية وأشباه الجزر وخاصة الجزء الشمالي الغربي منها. وهي تُشكّل نحو 6.4% من مساحة دولة اليونان (130 ألف كم^2)، ويمُثّل سكانها نحو 6% (10.7 مليون نسمة) من سكان الدولة، وبالتالي يوجد تجانس في الاستقرار البشري بين كريت والأقاليم اليونانية الأخرى (تسعة أقاليم). في اليونان 277 جزيرة مأهولة أكبرها وأهمّها هي جزيرة كريت.

3. الخصائص الجغرافيّة

يعود تشكّل جزيرة كريت وباقي جزر بحر إيجة، التي يصل عددها لنحو 9841 جزيرة، إلى نهاية الباليوجين (منتصف الزمن الثالث) قبل نحو 20 مليون سنة[1] عندما تجزّأ بحر تيش العظيم، ونهضت التوضعات الرسوبيّة القديمة، فتشكّلت هذه الجزر وكذلك آسيا الصغرى نتيجة للحركات الألبية المشهورة. وبذلك تعود بنية الصخور في جزيرة كريت في أغلبها إلى التوضعات الرسوبية البحرية (كربونات الكالسيوم وغيرها)، وقد كان لهذه البنية الدور البارز في خصوبة التربة وفي أنواعها وألوانها وفي كثرة المغاور والكهوف، التي اكتسب بعضها شهرة عالمية ككهف زيوس العظيم في وسط الجزيرة.

طيات الصخور في موقع أبوبليسترا Apoplystra

[1]- Crete.s Geology. How was it formed? https:// WWW. Cretanbeaches.com.

يفتقر وسط الجزيرة لموارد المياه السطحية بسبب صخورها الحواريّة والمارليّة التي لا تحتفظ جيّدًا بالمياه، ولذلك يقلّ فيها الاستقرار البشري في الوسط، وإن وُجد فإنّه يكون في تجمعات بشريّة صغيرة لقلّة المياه وصُغر المساحات الزراعية وتدّني خصوبة الترب فيها.

لقد أسهم التشكّل الجيولوجي للجزيرة في وجود ثروات باطنيّة كبيرة ومهمّة، مثل الذهب، والفضّة، والنحاس، والحديد، والرصاص، والمغنيزيوم، والكبريت، والزنك. كانت ذات أثر في نشأة عدد من الحرف التي أسهمت في إنتاج سلع ومعدات مدّت السكّان المحليين بالاحتياجات الضرورية، وفي إيجاد سلع أخرى للتجارة خارج الجزيرة. والآن تنتج الجزيرة نصف إنتاج اليونان من النّفط وقد ارتفع نصيبها وزادت أهمّيتها في مجال الطاقة بعد اكتشاف الحوض الكبير للنّفط والغاز في شرق المتوسط؛ حيث من المتوقّع أن تبدأ اليونان بعمليّة الإنتاج كغيرها من دول شرقي البحر المتوسط.

4. تضاريس الجزيرة

تسود التّضاريس معظم أراضي الجزيرة، ولكنّها تتركّز في وسطها على شكل سلاسل جبليّة ممتدّة من الشرق إلى الغرب، بالاتّجاه العام، ولكن توجد مجموعات جبليّة متعدّدة (ثلاث أو أكثر) تأخذ اتّجاهًا معاكسًا من الشمال إلى الجنوب وذلك ضمن الاتجاه العام السابق. وتتقدّم التضاريس حتى السواحل مباشرة (البحر)، لذلك نجد السهول المتقطّعة وغير المتّصلة في كلّ جهات الجزيرة، فمعظم هذه السّهول لا تزيد أبعادها عن 20× 12 كم، وقد أثّر هذا على المجتمعات القديمة وعلى تركّزها في تجمعات نادرًا ما تزيد عن 30 ألف نسمة، وقلّل من القدرة على إقامة دولة مركزيّة.

تُقسّم تضاريس جزيرة كريت إلى أربع كتل أساسية وهي:

أ- جبال ديكتي في الشرق ويبلغ أعلى ارتفاع لها نحو 2148 م.

ب - جبال إيدها (Idha) الواقعة في وسط الجزيرة ويبلغ ارتفاعها نحو 2456 م في قمة إيدهي أورديس أو الصليب المقدس.

ج ـ جبال ليفكا أوري أو الجبال البيضاء أو العارية (Lefka Ori) الواقعة في الجزء الغربي بارتفاع يصل لنحو 2454 م في قمة باخنس.

د ـ جبال الجنوب (أستيروسيا) أهم مظهر تضاريسي في الجزيرة من مساحتها ووعورتها وكان لذلك تأثير كبير في تراجع استقرار السكان في الجنوب.

تقدم الجبال إلى البحر وغياب السواحل المناسبة للاستقرار البشري

إنّ للتضاريس دورًا أساسيًّا في توزّع السكّان وفي الموارد الطبيعيّة ذات الفعاليات الاقتصادية المهمّة، كالتربة والمياه والتنوّع الحيوي وفي النشاط السياحي وغيره، وكذلك في المعادن ومواد البناء وفي المناخ وإقامة الموانئ والمنتجعات السياحيّة البحريّة والداخليّة على حدّ سواء.

5. المناخ

يُعدّ المناخ نتيجة للعلاقة بين الموقع والتضاريس، ولذلك يمكن ملاحظة أنّ المناخ في جزيرة كريت هو أحد أشكال المناخ في البحر المتوسّط، الذي يتّصف بالجفاف صيفًا والرطوبة والاعتدال شتاءً، مع الأخذ بالحسبان بأنّ المؤثّرات البحريّة المحيطة بالجزيرة إحدى أهمّ العوامل المكونة للمناخ في الجزيرة. مع ذلك فإنّ الجزء الشمالي أكثر برودة ورطوبة من الجزء الجنوبي، الذي يُشبه مناخ سواحل البحر المتوسط في سورية وشمال أفريقية، في حين يقترب مناخ الجزء الشمالي من مناخ الجنوب الأوروبي المتوسطي.

تقترب درجات الحرارة في الصيف من منتصف الثلاثينات في حين تنخفض درجات الحرارة إلى الصفر أو أقل في الشتاء، ولكن الغالب على درجات الحرارة هو الاعتدال. أمّا في وسط الجزيرة، حيث تتركّز السلاسل الجبليّة فيكون المناخ أكثر اعتدالاً في الصيف، هنا تتساقط الثلوج وتنخفض الحرارة لأدنى من الصفر، ولهذا تأثير كبير في التنوّع الحيوي وفي وجود الغابات والبحيرات الصغيرة.

تسود في الجزيرة الرياح الشماليّة الغربية والجنوبية الغربية، وقد كان لهذه الرياح الدور الكبير في حركة السفن التجارية والصيادين وحركة المد والجزر، بالإضافة لدور الخلجان الطبيعية التي سبق ذكرها.

يتراوح معدّل الأمطار أو الهطول المطري سنويًّا بين 800 مليمتر على السواحل وبين 2000 مليمتر على الجبال في الجزء الشمالي، في حين يتراوح الهطول المطري بين 400 مليمتر على السواحل وبين 800 مليمتر سنويًا على الجبال في الجزء الجنوبي. إنّ لدرجات الحرارة وللهطول المطري وللجفاف أو التدني الشديد في الحرارة الدورَ البارز على النّشاط الزراعي وعلى الأنواع النباتية المزروعة.

6. موارد المياه

تتنوّع موارد المياه في جزيرة كريت وهي كالآتي:

أـ **الهطل المطري:** وهي تُشكّل أساس موارد المياه في الجزيرة، وتساقط الثلوج على السلاسل الجبليّة، حيث تُسهم في وفرة المياه الجوفيّة.

ب ـ **المياه الجوفيّة:** نظرًا لغلبة الصخور الرسوبية الكلسية، فإنّ ظروف تخزين المياه الجوفيّة ليست مثاليّة، حيث تسود الظواهر الكارستية (التحلّل الداخلي للصخور وتشكّل المغاور والكهوف والانهيارات الداخلية)، ولكن مع ذلك فإنّ المنطقة غنيّة بالمياه الجوفيّة، لحسن الحظ، تُخزّن بكميات كبيرة تحت السهول الزراعيّة الخصبة والصغيرة وبالتالي فقد كان لها دور واضح في التركّز العمراني وفي النّشاط الزراعي.

ج ـ **الأنهار والمياه الجارية:** بما أنّ المسافات بين السواحل الشماليّة والسواحل الجنوبيّة

لا تتجاوز في حدّها الأقصى الـ60 كيلو متر، وبما أنّ وسط الجزيرة تسود فيه السلاسل الجبلية لذلك نجد هنا شبكتين من الأنهار في الجزيرة:

أـ الشبكة الشمالية، وهي قصيرة وسريعة الجريان وغزيرة.

ب ـ الشبكة الجنوبية وهي قصيرة أيضًا، ولكنّها أقلّ غزارة وقد تجفّ في الصيف، وهي أكثر أهميّة لندرة المياه بالأساس في هذه المناطق.

من النادر أن نجد نهرًا يزيد طوله على 30 كيلو متر في الشبكتين الشماليّة والجنوبية على حدّ سواء. وأهم أنهار الجزيرة هي: موسيلاس وبيتريس وجيو فيروس.. لقد كان للشبكة المائية الأثر الكبير في التركز العمراني، وإقامة المدن القديمة، وفي الانتشار الجغرافي في السهول الزراعية. ومما يُلاحظ في الجزيرة قلّة السهول الزراعية في وسط الجزيرة لسيادة الجبال والهضاب، في حين تركّزت هذه السهول بين النهايات الجبليّة على السواحل، وتكثر الينابيع المائيّة الجارية، وبعضها المُشكّل للأنهار القصيرة والعذبة، في السهول حيث أسهمت في انتشار حرفة الزّراعة وتربية الحيوان نظرًا لتوافر الأرض الزراعيّة والمياه والحرارة المعتدلة. أمّا على السفوح الجبليّة فقد سادت حرفة الرعي والصيد والتحطيب نظرًا لقلّة الأرض الزراعية وصغرها، وبالوقت نفسه توافر المراعي والغابات على السفوح وفي بطون الأودية الجبلية؛ حيث تتساقط الثلوج وتهطل الأمطار الكافية.

7. التنوّع الحيوي

يغلب على جزيرة كريت تنوّع حيويّ يشبه الأنواع الحيويّة النباتيّة والحيوانيّة المنتشرة في جزر البحر المتوسط (إقليم شرق المتوسط) مع بعض الخصوصيّة المتوافقة مع قانون الانعزال. هنا تنتشر أشجار السنديان والبلوط والصنوبر والغار والخروب والكستناء والدلب والدفلاء والنباتات النجيلية وغيرها من النباتات البرية الطبيعية، ولعلّ غابة ميسارا الكبيرة، التي توجد في وسط الجزيرة، تمُثّل أنموذجًا للتنوّع النباتي، وتوجد في الجزيرة أنواع نباتيّة متفرّدة لا توجد في مكان آخر. أما الأحياء الحيوانية فهي متنوعة جدًا بدءًا من الطيور المحليّة إلى المهاجرة، وكذلك الطيور المرتبطة بالمياه البحرية، وتوجد أنواع أخرى من السحالي والأفاعي والعاشبات والماعز الجبلي المميّز إلى المفترسات أو اللاحمات التي تعيش على

ما هو متوافر في الجزيرة. باختصار تتوافق السلسلة الغذائية في جزيرة كريت مع هذا التنوّع بين المنتجات (النباتات) وبين المستهلكات (الحيوانات العاشبة واللاحمة على حدّ سواء) بمستوياتها المتعدّدة والمتكاملة.

ثانيًا: الحالة الديمغرافيّة

لقد كان لموقع جزيرة كريت الجغرافي ـ القريب من آسية الصغرى، والمقابل لسواحل أفريقية الشمالية (العربية)، والسواحل السورية (الفينيقية)، والمواجهة للجزر الإغريقية في الشمال ومنها البر الأوروبي ـ الدور الأساسي في بنية المجتمع الكريتي منذ نشأته الأولى. فالدراسات الأوّليّة ترى بأنّ المكّون الأكبر في المجتمع الكريتي قد جاء من آسيه الصغرى (تركيا الحالية)، ولكنّه ليس من المجموعة الهند- أوروبية، بالمقابل يُعتقد بأن الجزء الجنوبي من الجزيرة قد سُكن من مجموعات بشريّة قادمة من ليبيا ومصر والساحل السوري[1]، بينما تأثّر الجزء الشمالي بالمجموعة البشرية القادمة من جنوب أوروبا عبر الجزر المواجهة لكريت والتي تفصل هذه الجزر عن البر اليوناني. وبالتالي فالمؤثّرات الثلاثة تفاعلت مع بعضها على الجزيرة وأخرجت ما بات يُعرف بالحضارة الكريتية. وحتى تُفهم هذه الحضارة فإنّ من المفيد ذكره الأسطورة المشهورة (أسطورة زيوس ويوروبا الجميلة)؛ لأنّه لا يوجد شعب في تاريخ البشرية ارتبط تطوره بالأسطورة كالتاريخ الإغريقي ومنه بالتأكيد تاريخ كريت.

تقول الأسطورة إنّ زيوس العظيم جاء إلى مدينة صور السوريّة (الفنيقية) على هيئة ثور جميل، وعندما كانت ابنة ملك صور، الأميرة أوروبا التي سُميت قارة أوروبا باسمها، تتنزّه في المروج الجميلة حول صور، فجاءها زيوس وبادر بالقفز حولها، فأُعجبت به وأقنعها بالركوب على ظهره وعندها قفز بها إلى البحر وجاء جزيرة كريت، حيث تزوجها وأنجب منها ثلاثة أولاد مميزين وهم:

1ـ مينوس Minos، الذي أصبح ملكًا على كريت ومؤسّس حضارتها الكبرى.

2ـ رادامنثوس Rahdamanthos، الذي أصبح حكيمًا وقاضيًا في عالم الموتى.

---

[1]- عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني، لا ط، بيروت، دار النهضة العربية، 1976، ج1، ص89.

3ـ ساربيدون Sarpedon، الذي أصبح ملك ليكية في آسيه الصغرى، والذي قُتل في حرب طروادة[1].

تُثبت هذه الأسطورة، دون شك بذلك إلى أنّ لسكان سورية دورًا مهمًّا، بل وأساسيًّا في بنية المجتمع الكريتي. يرى هيرودوت، المؤرخ والجغرافي اليوناني الكبير (عاش في القرن الخامس قبل الميلاد) أنّ جزيرة حملت اسم ثلاث نساء بقوله: «إنّ معظم الإغريق يحسبون أنّ ليبيا (أفريقية) اكتسبت اسمها من امرأة من أهل البلاد، وأن آسيه سُميت كذلك نسبة إلى زوجة بروميثيوس، وأما أوروبا فكانت امرأة آسيوية (صورية)، ولم يسبق لها أن حطّت قدماها في البلد الذي نسميه اليوم أوروبا، وتُقتصر حكايتها أنّها أبحرت من بلاد الفينيقيين إلى كريت»[2].

وعن أهميّة موقع جزيرة كريت ودوره في السكان وفي الحضارة الكريتية، بل والإغريقية على حدّ سواء، نجد أنّ أقدم الإشارات في التاريخ الإغريقي تعود للشاعر والفيلسوف الإغريقي الشهير هوميروس (صاحب الإلياذة والأوديسة) الذي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد فيقول: «أرض في وسط البحر الداكن تُسمّى كريت، مياهها وافرة، يقطنها أناس لا يُحصى عددهم وفيها تسعون مدينة»[3]. إن لهذا الكلام أهميّةً كبيرةً؛ حيث يُشير إلى غنى جزيرة كريت بالموارد وبالمياه الضرورية للنشاط الاقتصادي وللاستقرار البشري، ويؤكد هنا كثرة المراكز العمرانية، وبالتالي زيادة عدد سكانها، وهذا يدلل على عظمتها وقدرتها على الإنتاج والتجارة والدفاع عن النفس وبناء المدن الكثيرة والكبيرة.

لقد حدّد أرسطو طاليس في القرن الرابع قبل الميلاد موقع جزيرة كريت بأنّها تتوسّط سورية (فينيقية) ومصر وإيطاليا وبلاد الإغريق، مما مكّن سكان الجزيرة من أن يستثمروا هذا الموقع بقوّة فيقول: «إنّ ذلك الموقع قد ساعد ملوك مينوس (يقصد كريت) على السيطرة في بحر إيجة»[4]. ولذلك حملت الحضارة الكريتية سمات تلك الحضارات.

[1]- خليل سارة: تاريخ الإغريق، لا ط، دمشق، جامعة دمشق، 2007م، ص149.

[2]- هيرودوت، الكتاب الرابع، ص310.

[3]- هوميروس: الأوديسة، ترجمة: دريني خشبة، لا ط، بيروت، دار العودة، 2001 م.

[4]- أرسطو: السياسة، الترجمة الروسية، جوبوليف س. آ، في كتاب مؤلفات أرسطو لإي أربعة مجلدات، المجلد الرابع موسكو 1983م ص 175 وما بعدها.

أطلق عالم الآثار البريطاني (آرثر إيفانس) في عام 1900 م على تلك الحضارة اسم الحضارة المينويّة نسبة إلى ملكها الأسطوري مينوس، الذي ذكرناه في أسطورة زيوس وأوروبا. لقد قام آرثر إيفانس بتقسيم الحضارة الإيجية (نسبة لبحر إيجة) إلى ثلاثة عصور وهي:

1. العصر المينوي القديم من عام 3000- 2000 قبل الميلاد.

2. العصر المينوي الوسيط (المتوسط) من عام 2000- 1580 قبل الميلاد.

3. العصر المينوي الحديث من عام 1580- 1200 قبل الميلاد[1].

وقد تمّ تقسيم كلّ عصر من العصور المذكورة إلى ثلاثة أدوار اعتمادًا على المؤثّرات الخارجية للحضارات الأخرى على حضارة كريت، وخصوصًا القديمة منها كالمصرية والشرق القديم (السورية وبلاد الرافدين وآسيا الصغرى). وتميّز العصر الوسيط بالرّخاء والترف وظهور طبقة التجار الأغنياء، وكذلك تميّز ذلك العصر ببناء القصور على نمط قصر كنوسوس المشهور، وظهور عدد من المدن مثل: كنوسوس، فايستوس وتوليسوس. وقد تميّز أيضًا بالتجارة وصناعة الخزف المتقنة حتى عام 1750 قبل الميلاد؛ حيث تعرّضت المدن الكريتية لكارثة، لم يُحدّد سببها حتى الآن، فهي إما زلزال كبير أصاب الجزيرة كلها وإما غزو همجي مُدّمر أو الاثنين معًا، لذلك استغرقت إعادة البناء والنهوض مرّة ثانية بالجزيرة نحو خمسين سنة. ولكن كانت هذه الإعادة أفضل مما كانت عليه قبل ذلك، حيث بنيت المسارح للتمثيل والملاعب للرياضة والمبارزة والخطابة والحوار الاجتماعي.

وفي العصر الثالث تميّزت حضارة كريت بعلاقاتها القويّة مع مصر (الأسرة الثامنة عشرة)؛ حيث اعترفت كريت بالسيطرة المصريّة، مما ضمن لها الرخاء والازدهار والاستقرار والغنى وبفضل حاكمها الملك مينوس، الذي بنى أسطولاً تجارياً كبيراً كأساس للازدهار والتقدم[2]. يقول المؤرخ توكوديدس (460- 395 قبل الميلاد): «كان مينوس أوّل من أنشأ أسطولاً، وكانت له السيطرة على الجزء الأعظم مما يُطلق عليه اسم البحر الهللني (بحر إيجة)، وكان يحكم سيكلاديز (مجموعة من الجزر اليونانية) وهو الذي عمّر معظمها بالمستوطنات وأقام أبناؤه حكاماً عليها بعد طرد الكاربين، ولنا أن نفترض أنه بذل قصارى جهده لقمع القرصنة

[1]- خليل سارة، تاريخ الإغريق، م.س، ص150 - 151.

[2]- سيد أحمد الناصري، الإغريق، القاهرة 1985 م ط 2، ص 40 وما بعد.

ليضمن الحفاظ على ما بلغه من الموارد»[1]. لقد بلغت الحضارة الإيجية مجدها خلال الخمسين سنة (1450- 1400 قبل الميلاد) التي حكم فيها مينوس، الذي كان رمز وحدة البلاد وازدهارها وتقدمها.

تركّزت الحضارة المينوية في جزيرة كريت ضمن منطقتين مهمتين وهما[2]:

1. منطقة مدينة فايستوس (Faestos) في وسط الساحل الجنوبي تقريباً.

2. منطقة مدينة كنوسوس (Knossos) في وسط الساحل الشمالي وعلى بعد كيلومترات عدة عن الشاطئ.

ولكن الحضارة المينوية اندثرت عندما غزتها شعوب البلقان والذي عُرف بالغزو المكيني.

تُقسم جزيرة كريت إلى ثلاث مناطق كبرى وهي:

1. منطقة كريت الواقعة في وسط الجزيرة، حيث الغابات والكهوف الطبيعية، مثل كهف زيوس المشهور، هنا يستقر نحو 60% من سكان الجزيرة ويوجد فيها أيضاً أكبر وأهم المدن.

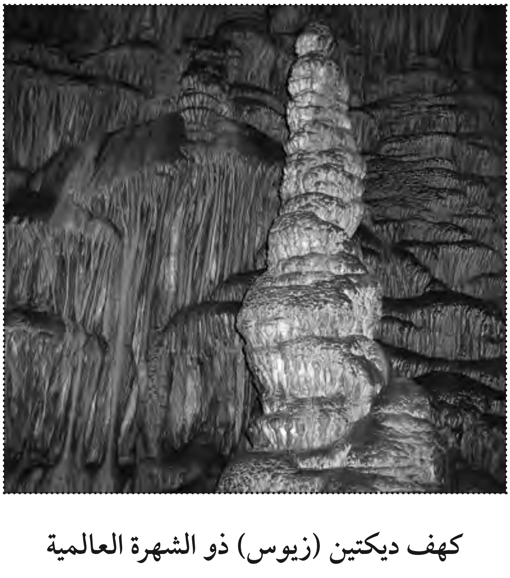

كهف ديكتين (زيوس) ذو الشهرة العالمية

[1]- توكوديدس: تاريخ الحرب البلوبونيزية، ترجمة: دينا الملاح- عمرو الملاح، لا ط، أبو ظبي، إصدار المجمع الثقافي في أبو ظبي، 2002، ف1 ص21.

[2]- خليل سارة، تاريخ الإغريق، م.س، ص149.

1. منطقة سباثي، الواقعة إلى الشرق من المنطقة الأولى، حيث تغطي الغابات معظم الأراضي، وتوجد فيها مدن صغيرة ومزارع متعددة وقرى وبلدات أهمها مدينة آغيوس.

2. منطقة ماتا لاولينتاس وتسوتسوروس وتيرقسا وإيراتيرا وماكي غيلوس في الغرب من منطقة كريت. وفي الجنوب الغربي توجد بلاكياس وفرانكو كاستيللووسوقيا وباليكورا.

إذا أخذنا بالحسبان ما قاله هوميروس، كما ذُكر سابقاً، بأنّ كريت جزيرة عامرة بالسكان ولا يُعرف عدد سكانها، وإذا أخذنا حسب رأيه بأنّ عدد مراكزها العمرانية نحو تسعين مدينة، وإذا أخذنا بالحسبان أنّ السهول الساحلية في الجزيرة لا تسمح بزيادة عدد سكانها عن ثلاثين ألفًا؛ لأنّ الموارد والسهول الزراعيّة محدودة، لذلك نستطيع تقدير عدد سكان كريت في الألف الأولى قبل الميلاد بأنّه بحدود 270 ألف نسمة أي بمعدل وسطي للمدينة الواحدة بنحو 3000 نسمة؛ لأنّه كانت توجد مدينة واحدة سكانها بحدود الثلاثين ألفا، وهي مدينة كانديه (الخندق). ولكن يجب الانتباه إلى أنّه كانت توجد حركة للسكان خارج المنطقة باتجاه آسية وأفريقية وصقلية وشواطئ البحر الأسود وإيطاليا؛ للاستعمار وإقامة المستوطنات كما يقول أفلاطون: «وأخيراً إذا كان هناك فيض من المواطنين، وحنا في أمرنا، فأمامنا ذلك التدبير القديم وهو إرسال جالية للاستعمار»[1].

يبلغ عدد سكان كريت نحو 650 ألف نسمة، حسب تقديرات عام 2017 م، وبذلك تكون الكثافة العامة في الجزيرة نحو 78 نسمة في الكيلو متر المربع الواحد، وهي ليست كثافة عالية، ولكنّها مقاربة للكثافة العامة في دولة اليونان والبالغة نحو 82 نسمة في الكيلو متر المربع الواحد.

يتكوّن سكان جزيرة كريت من أصول مختلفة، يونانية وألبانية وأرمنية وتركية وعربية، ولكن بالطبع الغالب على السكان الجنسية اليونانية. يبلغ معدل النمو السكاني في الجزيرة أقل من 1% سنويًّا. وتبلغ نسبة الذين تقلّ أعمارهم عن 18 سنة نحو 12% فقط في حين تبلغ نسبة الفئة العمرية بين 19–64 سنة نحو 78%. أما الفئة العمرية الثالثة 65 سنة وما فوق فتصل نسبتها لنحو 10%، وبذلك يُكّون المجتمع في كريت مجتمعًا هرِمًا يعاني من قلّة الولادات

[1]- أفلاطون: القوانين، الترجمة الروسية، يغونوف آ. ن، موسكو، 1972م، ج2، ص740.

ومن انخفاض معدل النمو السكاني. ولكن بالوقت نفسه نجد تضخّمًا كبيراً في الفئة العمرية الداخلة في سن العمل، ومن هنا نجد أنّ نسبة البطالة في كريت خصوصًا وفي اليونان عمومًا مرتفعة، بالطبع مع قلّة المشاريع الاستثمارية ووجود المشكلات الاقتصادية الأخرى. لذلك يوجد رأي بأنّ استقبال المهاجرين من الدول النامية (العربية خصوصًا) يُعدّ أحد الحلول المناسبة لمواجهة النقص في معدل النمو السكاني.

أما الفئة الثالثة التي يزيد عمرها عن 65 سنة فنسبتها مرتفعة، حيث تبلغ نحو 10% من السكان وهذا يعكس تحسّن مستوى المعيشة، وارتفاع العمر المتوقع عند الولادة، وارتفاع متوسّط عمر الإنسان الذي يزيد عن 80 سنة، فنسبة الذين تزيد أعمارهم عن 80 سنة تبلغ نحو 1.6% من السكان.

ثالثًا: التركز العمراني وأهم مدن جزيرة كريت

توجد في جزيرة كريت مدن متعدّدة، ولكنّها بالإجمال هي مدن صغيرة، يقلّ عدد سكّان كلّ منها عن خمسة آلاف نسمة ومن النادر أن يصل العدد لأكثر من عشرة آلاف، بل إنّ أغلبها لا يمكن تصنيفه مدنًا بالمعايير الدوليّة لعدد السكان، ولكن إذا أخذنا معايير الخدمات ووجود المخططات التنظيمية فإنّه يمكن اعتبارها مدنًا، وذلك لاستطاعتها الكبيرة في مواسم السياحة استقبال أعداد كبيرة من السياح يفوق عدد سكانها مرات ومرات.

خريطة تبين التوزّع الجغرافي لأهم المدن في جزيرة كريت

1. مدينة هيراكليون

تُعدّ هذه المدينة التجمّع السكاني الأكبر والمميّز في جزيرة كريت، وهي بالوقت نفسه العاصمة الإدارية للجزيرة ولمقاطعة كريت نفسها، وتقع في وسط الساحل الشمالي للجزيرة على خليج بحري كبير يحمل اسمها، وهي تمتدّ على المنطقة الواقعة بين البحر شمالاً ومدينة كنوسوس التاريخية في الجنوب. تُشكّل هذه المدينة مركزاً إدارياً واقتصادياً وتاريخياً كبيراً، وكانت تُدعى قديماً بكانديه (الخندق)، التي كان عدد سكانها بحدود الثلاثين ألفاً وكانت تتصل مع مدينة كونسوس التي سكنها أغنياء كريت وتجارها الكبار، ولا زالت قلعة كانديه تبهر الزائرين بموقعها قرب أمواج البحر. يوجد في المدينة مرفأ كبير (أكبر مرافئ الجزيرة) يؤمن لها الحركة الداخلية مع الجزر اليونانية ومع العاصمة أثينا، وله أهميّة كبرى في التجارة ونقل البضائع ونقل الركاب وفي النشاط السياحي، ويوجد بالقرب من المدينة مطار مدني يلبي احتياجاتها ويربطها بالعالم الخارجي.

يعيش في مدينة هيراكليون نحو 175 ألف نسمة، أي نحو 27% من مجموع سكان الجزيرة، مع ذلك فإنّ عدد سكانها يتضاعف عشر مرات في أوقات السياحة القصوى. ومن هذه المدينة تنطلق طرق واسعة متّجهة في الاتّجاهات الثلاثة (الشرق والغرب والجنوب) يلاصق هذه المدينة مدينة كنوسوس التي يوجد فيها قصر الملك مينوس ومتاهة دايدالوس الأسطورية المشهورة.

وتوجد بجوار هيراكليون في الغرب مدينة غازيون (إراكليون) بعدد سكان يبلغ عشرة آلاف نسمة وبجوارها توجد بلدة كانيون توكوكيني الصغيرة بعدد سكان يصل لنحو 1500 نسمة فقط وبالقرب منها بلدة أخرى تُدعى كاتوغوفس بعدد سكان يُقارب الـ1300 نسمة.

2. مدينة ريثيمنون

تقع هذه المدينة في وسط الساحل الشمالي إلى الغرب من مدينة هيركليون على خليج كالبوس أليرو، وهي إحدى المدن المهمّة في جزيرة كريت ويزيد عدد سكانها عن 35 ألف نسمة وتمُثل مركز مقاطعة تحمل اسمها (ريثيمنون). يوجد في المدينة مرفأ كبير تعتمد عليه في تأمين احتياجاتها التجارية وفي تنشيط الحركة السياحية عبر البواخر والعبارات الكثيرة.

ومن هذه المدينة تم وصل الساحل الشمالي بالساحل الجنوبي بطريق من الدرجة الأولى، وكذلك إلى وسط الجزيرة ليعود إلى مدينة هيراكليون العاصمة من جهة الجنوب فيتصل بالطريق الساحلي الشمالي، الذي يمثل أهم شبكة اتصال برية في الجزيرة، ولأنّه يمتدّ من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب رابطًا كل المدن والبلدات الساحلية بعضها ببعض وكأنّها تجمّع سكاني واحد.

تقع إلى الغرب منها بلدة بانورموس التابعة لها إدارياً ويبلغ عدد سكانها نحو 1300 نسمة.

3.مدينة آغيوس نيكولاس

تقع هذه المدينة في الساحل الشمالي من الجزيرة على خليج كبير، إلى الشرق من مدينة هيراكليون، وهي مركز مقاطعة لاسيتي التابعة لمنطقة كريت، ويزيد عدد سكانها عن 20 ألف نسمة، وإلى الغرب منها تقع بلدة ستاليس بعدد سكان يبلغ نحو 1500 نسمة وهي متصلة بطريق دولي حتى مدينة هيراكليون.

4. مدينة خانيه

تقع مدينة خانيه على الساحل الشمالي في القسم الغربي منه، يمُكن القول إنّ خانيه عاصمة الغرب في الجزيرة، وهي المدينة الثانية بعد العاصمة هيراكليون، وهي تقع على خليج يُدعى كالبوس شانيون، بعدد سكان يزيد عن 100 ألف نسمة، وهي مركز مقاطعة تُعرف باسمها (خانيه). يوجد في المدينة ميناء كبير للحركة التجارية وميناء سياحي وميناء آخر للصيد، وإلى الشرق من المدينة يوجد ميناء السودا على خليج صغير وهو يرتبط بالمدينة ويؤدّي لها خدمات جيّدة.

5. مدينة كيساوس

تقع هذه المدينة في أقصى الغرب بالقرب من مدينة خانيه وهي تابعة لها إدارياً ويبلغ عدد سكانها نحو خمسة آلاف نسمة.

6. مدينة سيتيا

تقع هذه المدينة في الشمال الشرقي من الجزيرة في مقاطعة لاسيتي، هنا يوجد مرفأ كبير

ونشيط في التجارة وفي الحركة السياحية، وكذلك يوجد بجوار المدينة مطار مدني سياحي ولخدمة السكان عموماً يبلغ عدد سكان المدينة نحو خمسة عشر ألف نسمة.

7. مدن جنوب الجزيرة وحواضرها السكانية

يتميّز الساحل الجنوبي للجزيرة بكثرة تعرّجاته وقلّة سواحله وصغرها بالوقت نفسه؛ لأنّ التّضاريس تتقدّم كثيراً باتّجاه البحر، بالإضافة لقلّة رطوبته وارتفاع الحرارة فيه، لذلك أثّر بشكل واضح على عدد المراكز العمرانيّة وعلى حجمها وعدد السكان فيها، بل يمكن أن نجد حالة العزلة وخاصة في الجزء الغربي منه. ولكن في الوسط والشرق نجد كثرة المزارع والقرى والمشاريع الزراعية المتوسّطة والصغيرة. وأهم مدنه الآتي:

أ. مدينة تيمباكيون

تقع هذه المدينة في وسط الساحل الجنوبي للجزيرة، وهي تقابل العاصمة هيراكليون في موقعها في الشمال وتتصل معها بطريق جيد. يبلغ عدد سكانها نحو عشرين ألف نسمة. يوجد في المدينة مرفأ للاتصالات الخارجية وخدمة المدينة وضواحيها اقتصادياً بالإضافة لوجود مطار سياحي صغير. وإلى الغرب منها توجد بلدة ييالوس التابعة لمقاطعة خانيه وبعدد سكان نحو ألف نسمة.

ب. مدينة إيرابترا

وهي تقابل مدينة آغيوس نيكولوس في الساحل الشمالي، وهي تقع إلى الشرق من مدينة تيمباكيون. يبلغ عدد سكانها نحو عشرة آلاف نسمة، وهي تتميز بظهيرها الزراعي المتطور؛ حيث توجد المياه والترب الزراعية الخصبة، وقد تم إقامة سد مائي بالقرب منها لتأمين مياه الري للزراعة وللسياحة أيضاً. وفي المدينة تمت إقامة مرفأ كبير للتجارة وللسياحة. وإلى الشرق منها توجد مزارع وقرى كثيرة متصلة مع مدينة إيرابترا.

الخاتمة

نخلص في نهاية هذا البحث إلى أنّ حضارة كريت احتلّت مكانة مميّزة في الحضارة الإغريقية من جهة وفي حضارة شرق المتوسط من جهة ثانية. ونجد أنّ معظم السكان في جزيرة كريت يتمركزون في الساحل الشمالي، وخاصة في وسطه بالقرب من مدينة هيراكليون كما كانوا في التاريخ القديم. أما في وسط الجزيرة، حيث السلاسل الجبليّة والغابات فلا توجد مراكز عمرانية مميزة، ولكن توجد على الطرقات الدولية وبالقرب منها محطات لخدمة المسافرين والسياح وبعض المراكز العمرانية، التي تهتم بالزراعة ذات المساحات الصغيرة وكذلك في تربية الحيوان وخاصة الماعز، بالإضافة لمراكز التحطيب وقطع الأشجار للاستفادة منها في التدفئة والبناء والصناعات الخشبية. وبالتالي كان للعوامل الجغرافية الدور الواضح في توزّع السكان داخل الجزيرة وفي أنشطتهم الاقتصادية منذ قديم الزمن كالزراعة والصناعة والتجارة الدولية، ولعل الشيء الذي دخل إلى الجزيرة وأثّر في حياة السكان وفي أنشطتهم كانت السياحة والنقل؛ لما للخصائص المناخية المتوسطية من أهمية في جذب السياح، وفي الخدمات التي تُقدّم لهم، وارتفاع دورها في دخل السكان وفي الاقتصاد المحلي والوطني والتنمية الشاملة.

المصادر والمراجع

1. أرسطو، السياسة، الترجمة الروسية، جوبوليف س. آ، في كتاب مؤلفات أرسطوطاليس، موسكو 1983 م، المجلد الرابع.

2. أفلاطون، القوانين، الترجمة الروسية، يغونوف آ. ن، موسكو 1972م ثلاثة مجلدات، الجزء الثاني.

3. توكوديدس، تاريخ الحرب البلوبونيزية، ترجمة دينا الملاح ـ عمرو الملاح، إصدار المجمع الثقافي في أبو ظبي، 2002.

4. خليل سارة، تاريخ الإغريق، جامعة دمشق، 2007 م.

5. سيد أحمد الناصري، الإغريق، ط2، القاهرة 1985 م.

6. عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني، ج1، بيروت، 1974.

7. هيرودوت، الترجمة الروسية، ستراتوفسكي غ. آ، لينينغراد 1972، الكتاب الرابع.

8. هوميروس، الأوديسة، ترجمة دريني خشبة، دار العودة، بيروت 2001 م.

9. الموسوعة العربية، المجلد السادس عشر، ص227.

10. Crete,s Geology. How was it formed?https://WWW.Cretanbeaches. com.

الحضارة الموكينيّة
1700 – 1100 ق.م

أحمد محسن الخضر[1]

مقدمة

تعدّ الحضارة الموكينيّة 1700 ـ 1100 ق.م ثاني أهمّ حضارة بعد الحضارة الكريتية في العصور الحضارية الباكرة في بلاد اليونان، وأهمّ حضارة في بلاد اليونان القارية في تلك العصور. وما يُميّز أصحاب هذه الحضارة هو طابع أبنائها العسكري وميلهم الشديد للقتال، واستخدام الأسلحة البرونزيّة، وقد نشط أبناء هذه الحضارة في مختلف جوانب الحياة الاقتصاديّة؛ حيث عرفوا زراعة الزيتون والعنب والقمح والشعير، كما قاموا بصناعة الأواني المعدنيّة والفخاريّة ونسجوا الألبسة، وتاجروا في الدّاخل والخارج بعد أن أمّنوا بحر إيجة من القرصنة، وتشهد الآثار الشامخة من قلاع وحصون وأبراج وبوابات وأسوار وقصور على هذه الحضارة. وبعد فكّ رموز الكتابة التخطيطية B تبيّن أنّ أبناء الحضارة الموكينيّة كانوا أوّل من تكلّم اللّغة اليونانيّة. أمّا المجتمع الموكيني كان مثله مثل المجتمعات القديمة التي قامت على النّظام الإقطاعي. ولعلّ شهرة الحضارة الموكينيّة تأتي من حرب طروادة وملحمتي الإلياذة والأوديسة، فملاحم هوميروس استوطنت في ذاكرة الشعب الإغريقي، وكانت في الماضي مصدر إلهام الإسكندر ودروسًا لتربية النشء في بلاد اليونا.

أوّلاً: قصّة الاكتشاف

تقع مدينة موكيناي (Μυκῆναι) على بعد 90 كم جنوب غرب مدينة أثينا، في الجهة الشّماليّة الشّرقيّة من شبة جزيرة البيلوبونيز (الموره)، على الشاطئ الشّرقي من مقاطعة أرجوليس (Argolis)، حيث لا تبعد عن البحر أكثر من 15 كم، ومن موقعها هذا تسيطر على

[1]- رئيس قسم التاريخ بجامعة دمشق.

سهل آرغوس الذي تقع في زاويته الشماليّة الشّرقيّة[1]، وما زاد من أهميّة موقعها هو تحكّمها بالجسر البرّي الواصل بين شبه جزيرة البيلوبونيز والقسم الشمالي من بلاد اليونان[2]. ثم إلى الجنوب من موكيناي وعلى بعد ميل ونصف من شاطئ البحر كانت تقوم مدينة تيرينس (Tiryns)[3]. وفي هاتين المدينتين ظهرت أقدم آثار للحضارة على أرض اليونان. وقد انتقلت حضارة كريت إلى بلاد اليونان عن طريق مدينتي موكيناي وتيرينس في شبه جزيرة البيلوبونيز. وقد قُدّر للعالم الألماني هاينريش شليمان (Heinrich Schliemann) الذي اكتشف مدينة طروادة في سنة 1870م، أن يكتشف القصور التي كان يسكنها آغاممنون وغيره من ملوك الآخيين في بلاد اليونان ذاتها، وقد استرشد بكتاب المؤرّخ الهليني[4] بوزانياس (Pausanias)[5] عن رحلته سنة 160م والتي يصف فيها موكيناي وتيرينس ويبدي استغرابه من ضخامة أطلالها، هناك بدأ شليمان حفرياته التي أدّت في هذه المرّة أيضًا إلى اكتشاف آثار كثيرة تفوق قيمتها آثار طروادة[6]، حيث كشف في سنة 1876م عن أطلال موكيناي وقبورها، حيث دفنت الجثث بالمجوهرات الذّهبيّة وكان من ضمنها العقود الثقيلة المزينة بالمعلّقات، وأواني ذهبيّة وفضيّة، وأسلحة برونزيّة زيّنت بمشاهد الحيوانات البريّة وطعمت بالمعادن الثمينة، ولوّنت الفخاريات بشكل ينمّ عن ذوق مرهف، إنّ هذه اللقى الذّهبيّة دفعت شليمان للاعتقاد أنّه اكتشف قبر آغاممنون (Agamemnon)[7]، فأرسل في الحال برقيّة إلى ملك اليونان يخبره بأنّه قد اكتشف قبر آغاممنون، ثم انتقل شليمان سنة 1884م إلى تيرينس وكشف عن القصر الكبير وعن جدران السور التي يصفها هوميروس. غير أنّ

---

[1]- مفيد رائف العابد، دراسات في تاريخ الإغريق، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري الباكر والكلاسيكي، ط4، دمشق، منشورات جامعة دمشق، 2002، ج2، ص23.

[2]- لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، لا ط، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1991م، ص82

[3]- تيرنس مدينة قديمة تقع في سهل أرغوس شمال ناوبلي Nauplie على تل قليل الارتفاع يعرف Paleo-kastro، وقد اشتهرت هذه المدينة في الأساطير الاغريقية أنها المدينة التي ولد فيها هرقل، ازدهرت في الألف الثاني قبل الميلاد في ظل الحضارة الموكينية، إلا أنها في الألف الأول قبل الميلاد لم تكن أكثر من قرية صغيرة. انظر: مكاوي، فوزي: تاريخ العالم الإغريقي وحضارته، من أقدم العصور حتى 322 ق.م، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء 1980م، ص24.

[4] -محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، ط3، دمشق، دار الفكر، 1980م، ج1، ص71.

[5]- جغرافي ومؤرخ عاش في القرن الثاني قبل الميلاد ولد في بليبريا في آسيا الصغرى، ويعتبر كتابه «وصف بلاد اليونان» مصدر قيم عن طبوغرافية بلاد الإغريق وآثارها وأساطيرها. انظر: مكاوي، فوزي، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته، م.س، ص24.

[6]- محمد كامل، تاريخ اليونان، م.س، ص71، 72.

[7]- Martin, T. R., Ancient Greece From Prehistoric to Hellenistic Times., Second edition., New Haven & London 2013, p.35

الأبحاث التي قام بها دوربفلد قد أثبتت فيما بعد أنّ القبور التي اكتشفها شليمان ترجع إلى أجيال عدّة قبل آغاممنون[1]، أربعة قرون كحد أدنى، وهكذا تمّ الكشف عن الحضارة الموكينيّة (Mycenean Civilization) والتي تؤرّخ غالبًا ما بين 1700 - 1100 ق.م، وتنسب إلى مدينة موكناي[2]، تلك المدينة التي ترجع القصص اليونانيّة تأسيسها إلى الملك برسيوس (Perseus) في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ويصفها هوميروس (Homer) بأنّها جيّدة البناء وشوارعها واسعة غنيّة يكثر فيها الذهب[3].

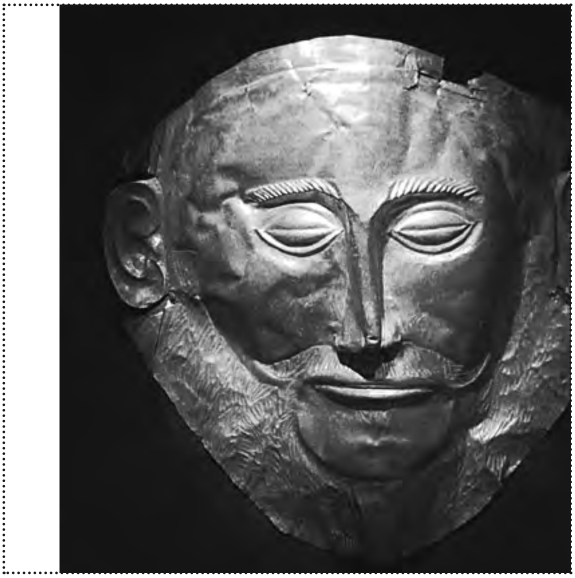

أحد الأقنعة الذهبية التي كشف عنها شليمان في أحد القبور في موكيناي والذي سماه «قناع موت آغاممنون»، نقلا عن: Martin, T. R., 2013, p.36

ثانيًا: أصل الشعب الموكيني

لقد شهدت بلاد اليونان في الألف الثالث قبل الميلاد وحدة حضاريّة في سواحل آسيا الصغرى، وبلاد اليونان القارية، وجزر بحر إيجة. ولكن منذ حوالي سنة 2000 ق.م ظهرت الحضارة اليونانيّة بحلّتها الحقيقيّة، وقد أبرزت التنقيبات الأثريّة هذه الحضارة، وألقت

[1]- محمد كامل، تاريخ اليونان، م.س، ص71، 72.

[2]- Martin, T. R., Op. Cit., 2013, p.36

[3]- محمد كامل، تاريخ اليونان، م.س، ص73.

عليها المزيد من الأضواء مبيّنة مدى اتّساعها؛ ما مهّد السبل لميلاد الحضارة اليونانيّة في الألف الأوّل قبل الميلاد. إنّ بناة المدينة الثانية في طروادة كانوا من أسرة الشّعوب الهندو-أوروبيين، وهذه الأسرة لم يكن يجمع بينها أي وحدة عرقية؛ إنّما وحدة لغويّة لذلك تبدو شديدة التنوّع. إنّ أصول هذه الأقوام التي وفدت على بلاد اليونان في الألف الثاني قبل الميلاد كانوا من جنوب روسيا، رغم أنّ المسألة لا زالت خلافيّة، وهناك الكثير من المناطق المرشّحة لتكون موطنهم الأوّل. لكن الموجة الأولى منهم والتي هاجرت باتّجاه الجنوب نحو سنة 2000 ق.م، قد دمّرت كلّ شيء في طريقها، وكان تحرّكهم غزوًا شاملاً ووحشيًّا؛ حيث دمّروا مدينة طروادة الثانية مارين بتراكيا (Thrqe) وفرجيا، ولقد سبّبت هذه الحركة ردّات فعل واسعة في آسيا الصغرى والشّرق القديم[1].

إنّ هذه الهجرة تمثّل فاتحة للعصر الهيلادي الوسيط، ويرى بول كرتشمر (P. Kertschmer) أنّ الهجرات الهندو-أوربية إلى بلاد اليونان كانت توافدت في ثلاث موجات من الهجرة، وهي الأيونيّة والآخيّة والدوريّة. وإنّ الألواح التي عثر عليها في كانيش (كولتيتي) في قلب آسيا الصغرى تكشف عن أنّ عناصر هندو ـ أوروبية عاشت في القرنين العشرين والتاسع عشر قبل الميلاد، وربّما في فترة أقدم في نهايات الألف الثالث قبل الميلاد، وأنّ هؤلاء العناصر المتنقلين والناطقين باللّغة الهندو-أوروبية قد بدأوا بالهجرة لأسباب عديدة، وفي أوقات مختلفة إلى الهند وهضبة إيران وآسيا الصغرى والبلقان بما فيها اليونان وإيطاليا وأجزاء أخرى من أوروبا وبعد استقرار تلك الجماعات بدأت تنفصل عن بعضها البعض وتطوّرت لغتها بشكلٍ منفصلٍ عن الجماعات الأخرى، وكان أوّل وصول لليونان نحو سنة 2000 ق.م، وفي غضون بضعة قرون انتشروا في بلاد اليونان. ويكشف علم الآثار عن وجود العديد من التجمعات السكنيّة في هذه الفترة في البيلوبونيز ووسط بلاد اليونان وتساليا[2].

وبينما كانت مجموعات من العنصر الآري تتدفّق إلى قلب أوروبا وتنتشر في ألمانيا وإيطاليا وبلاد الغال وبريطانيا، نزلت مجموعات كبيرة منهم على شكل وحدات مقاتلة

[1]- Gabriel-Leroux, J., Les premières Civilisations de la Méditerranée, presses Universitaires de France, Parise 1941.

[2]- إبراهيم عبد العزيز جندي، معالم التاريخ اليوناني القديم، لا ط، القاهرة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 1999م، ج1، ص71، 72.

في بلاد البلقان في هيلاد وايليري وايبير، لتحلّ محلّ عناصر البيلاسجيون السابقة، ونحن لا نعلم الاسم الذي كانوا يطلقونه هؤلاء الغزاة الجدد على أنفسهم. إنّ هؤلاء المحاربين الشقر طويلي القامة مفتولي العضلات سنطلق عليهم اسم الآخيون (Achaeans)[1]، اقتداءً بالشاعر هوميروس الذي يطلق هذا الاسم (Achai(w)oi/ Achaeans) على حشودهم التي كانت تحاصر طروادة (السابعة) في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد[2]. ويرى سترابون أنّ الآخيين يرجعون في أصلهم البعيد إلى إحدى قبائل الإيوليين[3] وينسبون إلى منطقة آخيا (Achaia) في إقليم تساليا، أو إفثيا (Phthia)[4].

لم يهبط الآخيون إلى بلاد اليونان دفعةً واحدةً، بل تدرّج وصولهم إليها على قرون عدّة (ربما ستة قرون)، فإذا كانت موجتهم الأولى قد دمّرت مدينة طروادة الثانية نحو سنة 2000 ق.م، فإنّنا نقرأ في المصادر المصريّة أنّ هجرة الآخيين التي تورده الكتابات المصرية بلفظة الآخيوشي (Akhaiwoshi) قد اشاعوا الذّعر والرّعب في جزر البحر، كما أغاروا على السواحل المصريّة نحو سنة 1400 ق.م[5]، وأوردت النّصوص المسمارية الحثيّة ذكرهم باسم (Ahhiyawa) نحو سنة 1420 ق.م[6]. عندما دخل الآخيون إلى البلقان نحو سنة 2000 ق.م كانوا قد حملوا معهم النّحاس وأدخلوه إلى تساليا؛ حيث سكنوا جنوبها أوّلًا، ثم طردوا منها سكّانها الأصليين نحو الجبال بصورة وحشيّة، ثم دخلوا قلب بلاد اليونان وانتشروا فيها تاركين خلفهم دمارًا وحرائق شملت منطقة واسعة امتدّت حتى غرب بلاد اليونان القارية إلى إرجوليس، وتصرّفوا بصورة قاسية مع الحضارة التي اجتاحوا موطنها. على أية حال لقد حمل هؤلاء الغزاة الجدد أصل اللّغة اليونانيّة التي بقيت زمنًا طويلًا في جزيرة قبرص وحيفارون، وتمّت الإشارة إليهم في طروادة، وامتازت بيوتهم بأنّ سقوفها كانت مثلّثة الشّكل، وكانوا محبين للفروسيّة وللقنص والقتال[7] والأسلحة الجميلة، ويشهد على ذلك

[1]- Gabriel-Leroux, J., Op. Cit., 1941.

[2]- عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني (العصر الهيلادي)، لا ط، بيرت، دار النهضة العربية، 1974م، ج2، ص683.

[3]- سترابون: الكتاب 8، ترجمة: حسان اسحق، لا ط، دمشق، دار علاء الدين، 2017م، الفصل1، الفقرة 2، ص384.

[4]- إبراهيم عبد العزيز جندي، معالم التاريخ اليوناني القديم، م.س، ص1.

[5]- كيتو: ترجمة: عبد الرزاق يسري، مراجعة: محمد صقر خفاجة، دار الفكر العربي، القاهرة 1962م، ص24.

[6]- Maggidis, Christofilis., Unearthing the City of Agamemnon., Popular Archaeology Vol. 15, 5 Jun 2014, p.4

[7]- Gabriel-Leroux, J., Op. Cit., 1941.

كمياتها الكبيرة التي تم الكشف عنها في مواقعهم الأثرية، وفي أحد القبور الموكينية في ديندرا Dendra (شمال شرق البيلوبونيز)، والمؤرِّخ في القرن الرابع عشر قبل الميلاد على مجموعة من الدروع البرونزية، عثر على جثة فارس وبجانبه كامل دروعه البرونزية للصدر، والظهر، وللساقين، وللكتفين، هذا بالإضافة إلى خوذة الرأس التي كانت تصنع من حلقات أنياب الخنازير البرية، وإلى جانب الجثّة وجدت آنية فخارية وبرونزية، ومشط برونزي له أسنان ذهبيّة، ومن المؤسف أنّ لصوص الآثار قد سرقوا سيوفه البرونزيّة قبل أن يكتشف علماء الآثار القبر[1].

مجموعة من السيوف البرونزية والآنية المعدنية العائدة للحضارة الموكينية

عمومًا، لقد كان الموكنيون محبين للفروسية يمتطون الخيول، (هناك نصوص تتحدّث عن الجلود التي كانت يصنع منها لجام وبهرج الخيل)، وتعلّموا صناعة البرونز والسيوف الطويلة والدروع القويّة[2]. كما كانوا يركبون العربات الحربيّة ذات الدولابين التي تجرّها الخيول، وغالبًا ما كانت هذه العربة مؤلّفة من ثلاثة أقسام، وكانت مزيّنة بشكل جميل ومتقن ومصبوغة باللّون الأحمر ومطعّمة بالعاج وبعضها بالفضّة والبرونز، وفي الغالب كانت العجلات مصنوعة من خشب الصفصاف[3]. لا شكّ أنّ هذا الجندي الذي عُثر على قبره في ديندرا، كان يُقاتل من فوق عربته العسكريّة؛ لأنّه من المستحيل أن يتحرّك جندي من المشاة

[1]- Martin, T. R., Op. Cit., 2013, p.38

[2]- Gabriel-Leroux, J., Op. Cit., 1941.

[3]- Knossos: tablet; Sd 4403.

بخفّة، مع مثل هذا الغلاف المعدني الثقيل لكامل الجسد. وكان راكبو العربات النبالين هم الذّراع الفاعل في الجيش الموكيني. وغالبًا ما يقارنها المؤرّخون بدبّابات الحرب العالميّة الثانية؛ حيث كان لها أكبر الأثر في كسب المعارك لصالح الموكينيين، وفي مطاردة فلول الجيوش المنهزمة، وفي حراسة معسكرات الجيش والخطوط الخلفية، وقوّة هجوم فاعلة في التضاريس الصعبة[1].

سرعان ما أعاد الغزاة الجدد بناء المدن المدمّرة بعد أن استوطنوها، واحتلّوا أماكن جديدة، ولا سيما قمم التلال، وأحاطوها بتحصيناتٍ دفاعيّةٍ ووصلوها بشبكات من الطّرق المحميّة والمراقبة، وحصّنوا موقع موكيناي[2]. وسرعان ما اختلط الغزاة الجدد بالسّكان الأصليين (البيلاسجيون Pelasgi) وفرضوا لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم عليهم، ورغم تعدّد الشّعوب واللّهجات، إلاّ أنّ اللّغة اليونانيّة الفتيّة ذات الأصول الرنّانة على حدّ وصف هوميروس سادت على غيرها[3]. وبنى الموكينيون عددًا من الممالك؛ كان من أشهرها مملكة يولكوس في إقليم تساليا، ومملكة طيبة في إقليم بيوتيه، ومملكة أثينا في إقليم أتيكا، ومملكة بولوس (Pylos) التي فرضت سلطانها على إقليم مسنيه، ومملكة موكيناي التي نسبت لها هذه الحضارة[4].

مدينة موكيناي من الجهة الشمالية، نقلا عن: Maggidis, Christofilis., 2014, p.15

[1] - Martin, T. R., Op. Cit., 2013, p.39

[2]- Gabriel-Leroux, J., Op. Cit., 1941.

[3]- محمد كامل، تاريخ اليونان، م.س، ص77

[4]- مفيد رائف العابد، دراسات في تاريخ الإغريق، م.س، ص25.

ثالثًا: العمارة والآثار

إنّ هذه الآثار التي عثر عليها في موكيناي وتيرينس هي بقايا حضارة قديمة انتشرت في بلاد اليونان وجزر بحر إيجة. ويؤرّخ علماء الآثار هذه الحضارة غالبًا ما بين سنتي 1700 - 1100 ق.م، وتدلّ الظّواهر على أنّ أهمّ مركز لهذه الحضارة كان في مدينة موكيناي، لذلك أطلق العلماء عليها اسم الحضارة الموكينية. ولمدينة موكيناي شكل مثلث، وقد كشفت التنقيبات الأثرية فيها عن حصن له جدران بنيت بحجارة ضخمة، ومتطابقة فيما بينها بصورة مدهشة[1]؛ حيث تشير الرّوايات إلى أنّه حوالي سنة 1700 ق.م أقام ملك شديد البأس لا يعرف اسمه بالتأكيد ولا من أين أتى تحصينات ضخمة، وشيّد قصرًا جديدًا لنفسه، وكان مدخل المدينة مرصوفًا بإتقان، تحفّه أبراج قويّة من الجانبين[2]، وبالإضافة للقصر كان الحصن يشمل أضرحة ومعابد وورشات ومخازن وبيوت وقبور ملكية، أما خارج جدران الحصن فقد كشفت التنقيبات الأثريّة عن مدينة مأهولة بالسكّان بشكل كثيف، وقبور متنوّعة، وسدود، وشبكة طرق شاملة كانت تربط بين الحصن والمنطقة المحيطة به، وبالموانئ التي كانت نافذة موكيناي على تجارة البحر المتوسّط، وقد بلغت مساحة حصن موكيناي نحو 30 ألف متر مربع، وقد بني الحصن على تلّ صخريّ منخفض لا يزيد ارتفاعه عن 278م فوق مستوى سطح البحر، وما بين 40 - 45م فوق مستوى السطح المحيط به، وهذا التل يقع بين جبلين؛ جبل الياس Elias في الشمال، وجبل زارا Zara في الجنوب، ومن هذين الجبلين تسيل أمطار سيول الشّتاء على موكيناي ضمن مجريين مائيين هما وادي Kokoretsa ووادي Chavos. بالعموم، إنّ موقع موكيناي حصين، وما زاد من حصانتها الطبيعية هو بناء سور دائري حولها من الحجارة الضخمة بطول 900م [3]، وقد كشفت حفريات شليمان عن قسم من السور، وربمّا أنّ هذا السّور شُيّد نحو سنة 1350 ق.م، وتمّت توسعته لاحقًا بإضافة بوابة الأسد، التي كانت تعلوها عارضة على هيئة تمثال لأسدين نحتا على صخرة عظيمة، ولكن رأسيهما قد تحطما[4]، وكان يتم إغلاق بوابة الأسد العظيمة يوميًّا عندما يخيّم الليل بواسطة باب خشبي ضخم مزوّد بعوارض متينة[5]، بينما

[1]- Martin, T. R., Op. Cit., 2013, p.35

[2]- مفيد رائف العابد، دراسات في تاريخ الإغريق، م.س، ص23.

[3]- Maggidis, Christofilis., Op. Cit., 2014, pp.1- 2.

[4]- Ibid, p.5

[5]- مفيد رائف العابد، دراسات في تاريخ الإغريق، م.س، ص23.

أحدث الباب الخلفي في السّور نحو سنة 1250 ق.م، وتم إمداد المدينة بالمياه من خلال الصهاريج وشبكة من القنوات الممتدّة تحت الأرض نحو سنة 1200 ق.م، وقد توسّعت البلدة الخارجيّة وبنيت الجسور وشبكة من الطرقات[1].

باب الأسد تمّت إضافته نحو سنة ١٢٥٠ ق.م، نقلا عن: Maggidis, Christofilis., 2014, p.2

وفي مرتفع المدينة يقوم قصر الملك الذي نستطيع أن نميّز تقسيماته الداخليّة بين الأطلال، فنعرف مكان البهو الخاص بالعرش، ثمّ المعبد وقاعات الاستقبال والمخازن والحمام، كما نشاهد الدرجات العريضة التي ترتقي إلى الطابق العلوي، ثم آثار النقوش التزيينية على الجدران والبلاط الملون على الأرض. وقد كشفت حفريات شليمان بالقرب من باب السباع عن مقبرة ضمّت 19 هيكلاً عظميًّا، ووجدت على جماجم الرجال تيجان ذهبيّة، وعلى وجوههم أقنعة ذهبيّة أيضًا، كما عثر على الكثير من المجوهرات والحلي الذهبية معلّقة على صدور السيدات. وإلى جانب ذلك كان في المقبرة عدد كبير من الأواني الخزفية المزخرفة، وقدور من البرونز، وإناء للشرب في شكل قرون مصنوع من الفضة، وقطع أخرى من الحجارة الثمينة والعاج، ثم خناجر وسيوف مرصّعة. تكاد تكون جميع التّحف في المقبرة مصنوعة من الذّهب سواء الاختام أو الخواتم أو الأقداح أو الأساور أو الأقراط. إنّ هذه العظام الغارقة في الذّهب هي دون شك عظام ملوكيّة[2].

[1] -Maggidis, Christofilis., Op. Cit., 2014, p.5

[2]- محمد كامل، تاريخ اليونان، م.س، ص73.

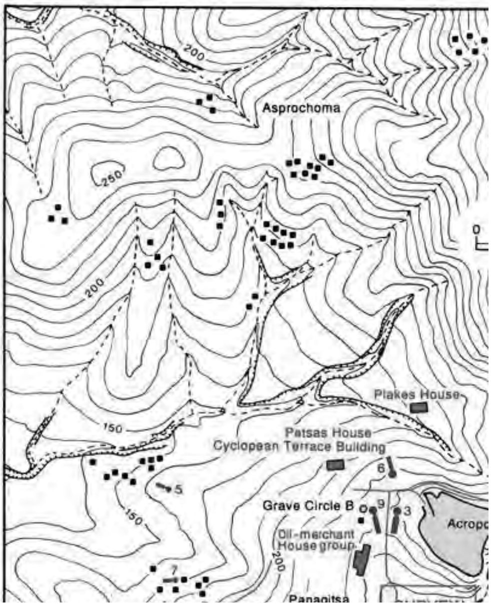

الموقع الطبوغرافي لموكناي وموقع الحصن، نقلا عن: Maggidis, Christofilis., 2014, p.10

أما تيرنس فهي المدينة الأولى التي تأسّست في هذه البلاد، وهي تقوم على هضبة صخريّة قليلة الارتفاع قد حفرت فيها أيدي البشر وجعلت منها ثلاث درجات. وقد بني قصر الملك في الدرجة العليا. ثم أحيطت المدينة كلّها بسور من الحجارة الضخمة. ويتراوح ارتفاع السور بين 25 - 50 قدم، ويروي اليونانيون أنّ هذه الأسوار قد أمر بتشييدها الأمير بروئيوس Proteus قبل مئتي سنة من حصار طروادة، فاستدعى لذلك بنائين مشهورين من بلاد ليكا في آسية الصغرى. ويطلق اليونان على هؤلاء البنائين اسم سيكلوس Cyclopes وهم يتصوّرونهم في هيئة عماليق لهم عين واحدة مدوّرة[1]، يستخدمون الصخور الضحمة في البناء، حتى إنّ الصّخرة الواحدة يبلغ ارتفاعها ما بين 12 - 15م وسماكتها ما بين 5 - 8م[2]. والقصر الذي في تيرينس يشبه قصر كنوسوس بكثرة غرفه وممراته متشابكة. ولكنّه يختلف عنه أوّلًا بفقدان الباحة المركزيّة المكشوفة؛ إذ إنّ الغرف بنيت حول قاعة واسعة مسقوفة، وثانيًا الفصل بين القسم الخاص بالنساء والأقسام الأخرى. وعلى الرغم من أنّ غرفة الملكة

[1]- محمد كامل، تاريخ اليونان، م.س، ص72، 73.

[2]- Maggidis, Christofilis., Op. Cit., 2014, p.2

ملاصقة لغرفة الملك في وسط القصر، فليس هناك اتّصال مباشر بينهما، بل إنّ لكلّ منهما مدخلاً مستقّلاً. وإنّ مبدأ الفصل بين محلاّت الرجال والنساء قد ظلّ سائدًا لدى اليونان في العصور التالية[1].

رابعًا: المجتمع الموكيني

تكشف لنا الوثائق والآثار بعض المعلومات عن المجتمع الموكيني وطبقاته، فالظّاهر أنّ السّكّان الأصليين الذين سبقوا الآخيين في استيطان بلاد اليونان القارية قد تفرّغوا للعمل في الزّراعة، وأنّ الآخيين قد خالطوهم وتزاوجوا معهم. والمجتمع الموكيني عمومًا كان مثله مثل أيّ مجتمع من المجتمعات القديمة، قد انقسم إلى أحرار وعبيد، وكان الأحرار مراتب وفئات تدرّجت في السلّم الاجتماعي حسب الثروة، فالطبقة الأكثر ثراءً كانت في ذروة الهرم الاجتماعي، وكان أفرادها يقيمون في المدن وقلاعها، ومنهم كانت حاشية الملك وندمائه ورفاقه وأعوانه وجهاز إدارته. وبالمجمل كان الأحرار ينقسمون إلى طبقات، والطبقات إلى طوائف حرفيّة، ولكلّ طائفة اسم يميّزها عن غيرها، ولكلّ منها نصيب معيّن من القوت وتخصّص دقيق في العمل، منهم صنّاع السفن، والفاخورية، والغزالين، والنسّجاين، والقصّارين، وصنّاع العطور، وصائغي الذهب والبرونز، ومن المهنين الأطباء أو الحجاب. بينما كان يعيش جانب آخر من السكان في تجمّعات ريفيّة أو في أماكن بالقرب من القلعة، ويلجؤون إليها متى شعروا بالخوف. أما العبيد فقد كانوا مملوكين للأفراد، والقسم الأكبر منهم كان مملوكًا للإله أو الآلهة[2]. ورغم انعدام معلوماتنا الكلية عن النّظام الاجتماعي في الحضارة الموكينية بصورة عامة، فإنّ انتشار القصور والقلاع بالقرب من موكيناي وغيرها من المدن، وتشابه هذه القصور بالقصور التي وجدت في كريت، يرجح أنّ النّظام الاجتماعي السائد في موكيناي كان نظامًا إقطاعيًّا، حيث ارتبطت طبقة المزارعين الصغار أو الفلاحين بسيّد المنطقة والتزمت بموجب عقد معه على تأدية بعض الضّرائب المادية والمعنوية إلى هذا السيد الإقطاعي أو الملك[3].

---

[1]- محمد كامل، تاريخ اليونان، م.س، ص72، 73.

[2]- إبراهيم عبد العزيز جندي، معالم التاريخ اليوناني القديم، م.س، ص121.

[3]- مفيد رائف العابد، دراسات في تاريخ الإغريق، م.س، ص29.

أمّا بخصوص المرأة يقول شكسبير: «إذا أردت أن تعرف رقيّ مجتمع فانظر إلى نسائه»، وإنّ نظرة عامّة على المرأة الموكينيّة تبينّ أنّها لم تكن أدنى مرتبة من المرأة الكريتية، حيث تكشف لنا الرسوم الجدارية مثل رسم «السيدة في الركب» من طيبة، ورسم «السيدات في المقصورة» من موكيناي، ورسم «السيدة حاملة الصندوق» و«الفتيات في العربة» من تيرنس[1]، تكشف أنّ النّساء في المجتمع الموكيني قد ظهرن في ملابسهن الأنيقة وترتيب شعرهن وحليّهن مثلما كانت تظهر المرأة الكريتية. وفي أحد الرسوم من موكيناي نجد بعض النساء يتبخترن في المسرح عند مقدمة مقصورتهن ولكنهن على ما يبدو قد أهملن التمارين الرياضية وأثّر هذا على قوامهن وحريّة سلوكهن خارج البيت[2].

وتسلّط الإلياذة بعض الضوء على مكانة المرأة في كثير من المواقف الاجتماعيّة؛ حيث شاركت المرأة في تأبين زوجها أو ابنها، فعندما جيء بجثّة هكتور خرجت المدينة بأجمعها ولم يتخلّف أحد من نسائها أو رجالها ومشت أمام الجموع امرأته تتبعها أمّه والجمع المحتشد ثمّ أخذوه إلى بيته وأسجوه على فراشه، وقام المنشدون يندبون والنّساء تنتحبن، ثم أتت قبل الجميع زوجته تعول وتقول: «إيه زوجي: لقد هلكت وأنت في ميعة شبابك وتركتني للأيام». ثم تكلّمت أمّه وقالت: «لقد كنت يا بني عزيزا على الآلهة الخالدين في حياتك، أثير عندهم في مماتك». ويستنتج من الأوديسة كذلك أنّ النّساء يذهبن للغدران والأنهار لغسل الملابس واجتلاب الماء[3].

كما تلقي الإلياذة بعض الضّوء على المظاهر التي ظهر بها الموكينيون وبعض عاداتهم وتقاليدهم، فقد كانوا يرخون شعورهم ويربطونها بخيوط من الذهب والفضة وكان الرجال يرتدون في الصيف معاطف ذات أكمام تصل إلى الركب، وفي الشتاء أردية فضفاضة يستخدمونها في الليل أغطية للفراش، وكانوا يتزيّنون بالأقراط والعقود والشرائط والأحزمة، في حين كانت الكاهنات والنّساء الثريات يرتدين معاطف مطرزة طويلة، وتخبرنا الإلياذة أنّ المنازل كانت تتكوّن من عدد متفاوت من الغرف؛ التي احتوت عددًا من المقاعد

[1]- علي عبد اللطيف أحمد، التاريخ اليوناني، م.س، ص705.

[2]- إبراهيم عبد العزيز جندي، معالم التاريخ اليوناني القديم، م.س، ص122.

[3]- محمود سلام زناتي، المرأة عند قدماء اليونان، دراسة حول وضع المرأة الاجتماعي والقانوني في العصور القديمة، الإسكندرية 1957م، ص15، 16.

والمناضد[1]، وقد عثر كارل بيلجن (Carl Blegen) في بلدة كوراكو بالقرب من كورنثة على منزل أنيق يعتبر نموذجًا لسواه من منازل الموكينيين، ويتّضح أنّ المنازل لم تكن فسيحة، مستطيلة الشكل تقريبًا، وكلّ منها يشتمل على ثلاثة أقسام: دهليز أمامي مزيّن بأعمدة خشبيّة مرتكزة على قواعد حجريّة، وحجر رئيسية مفتوحة على الدهليز الأمامي مباشرة، وتقوم عند محمور ارتكازها أعمدة تحمل السقف، وفي وسط هذه الحجرة الرئيسية كان يوجد موقد تجتمع حوله الأسرة، كما توجد في مؤخّرة المنزل حجرة صغيرة كانت تستعمل لخزن المؤونة[2]. أمّا بخصوص عادات الطعام لم يعرف الموكينيين الأطباق، بل كانوا يأكلون الطّعام من على المائدة مباشرة التي كانت تغسل بعد ذلك بالإسفنج. وكانوا يأكلون عمومًا لحوم الماعز والخنازير، ونادرًا ما أكلوا لحم البقر، ونظرًا لعدم إقبال الأطفال والكبار على شرب اللبن (الحليب) فقد كان الجبن يعتبر طعامًا شعبيًّا يستمتع به حتى الفقراء المعدمين[3].

خامسًا: التأثيرات الكريتية في الحضارة الموكينية

كان الاعتقاد الأوّلي أنّ الحضارة الكريتيّة كانت المهيمنة على كامل بحر إيجة بما في ذلك بلاد اليونان القارية، لكن منذ 1939م السنة التي اكتشف فيها كارل بيلجن (Carl Blegen) أرشيف بيلوس تبيّن بشكل واضح أنّ الحضارة الموكينيّة (حضارة بلاد اليونان القارية) كانت متميّزة عن حضارة كريت[4]، وكان من الواضح أنّ الحضارة الموكينية قد نشأت تحت تأثير حضارة كريت؛ حيث أكّد عالم الآثار آرثر إيفانس (Arthur Evans) الذي اكتشف حضارة كريت ذلك، وقد آثار هذا الموضوع الكثير من النّقاش بين أساتذة الاختصاص، فالحضارتان غير متطابقتين في إنتاجهما الثقافي، وبالتالي هناك فروق حقيقية بين بناة هاتين الحضارتين؛ كاللّغة مثلا حيث تكلّم الموكينيون اليونانيّة في حين تكلّم الكريتيون لغة ما زلنا نجلها حتى اليوم، وحرق الموكينيون الأضاحي تقرّبًا للآلهة، ولم يفعل الكريتيون ذلك. ومنذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد بنى الموكينيون قصورهم في موكيناي تيرينس وزينوها بطريقة تشبه قصر كنوسوس، ورغم ذلك كانت هناك فروق معماريّة واضحة في النموذجين، فالموكينيون

[1]- مفيد رائف العابد، دراسات في تاريخ الإغريق، م.س، ص29.

[2]- علي عبد اللطيف أحمد، التاريخ اليوناني، م.س، ص706.

[3]- مفيد رائف العابد، دراسات في تاريخ الإغريق، م.س، ص30.

[4]- Finkelberg, M., Greeks and pre-Greeks, Cambridge University Pres, Cambridge 2005, p.1.

بنوا قصورهم حول megaron وهي القاعة الرئيسية أو الغرفة الكبيرة أو غرفة العرش، بينما لم يفعل الكريتون ذلك، والأهم أنّ بعض القصور الموكينية كان عندها أكثر من غرفة عرش واحدة[1]. في الواقع، إنّ جميع الأساتذة الذين علّقوا بالأصول الكريتيّة للحضارة الموكينية؛ كان شاهدهم هو عدم وجود أيّ انقطاع أو تبدّل مفاجئ، فالأواني الخزفيّة أنّها كانت في بادئ الأمر إمّا مستوردة مباشرة من كريت أو مصنوعة من النماذج الكريتية، فالفخّار الذي يطلق عليه اسم الفخّار المينوي نسبة لمينوس والذي كان مرغوبًا من قبل الأيجيين لجمال شكله وأناقته؛ (فلونه رمادي داكن يشبه الفضة)، استمر حتى سنة 1300 ق.م دون انقطاع[2]. وعلّلوا ذلك الافتراض بأنّ الكريتيين قد نزلوا في بعض الأماكن في بلاد اليونان الشرقيّة، واستقرّوا بصورة خاصّة في مقاطعة آرغوليس ونشروا حضارتهم بين السكان، وإنّ إطلاق اسم مينوا (Minoa) على الجزيرة المقابلة (ميجارا) مما يؤيّد هذه النّظريّة[3].

إنّ نفي فكرة التّفاعل الحضاري والإشادة بالخصوصيّة هي فكرة غير مقبولة، كما أنّ المبالغة في الادّعاء بأنّ جلّ ما كان لدى الموكينيين قد ورثوه عن الكريتيين كذلك أمر غير مقبول، والحق يقال إنّ للحضارة الموكينية طابعها الخاص، وإن كانت في كثير من جوانبها قد تأثّرت بالحضارة الكريتية التي سبقتها في جوانب حضارية عديدة، حيث شملت هذه التأثيرات الفكر الديني والعقائد المينوية، والزخرفة والتزيين والحلي وصناعة الأواني المعدنيّة وفنّ صناعة الأختام، وبعض أنماط فن العمارة كالأعمدة وطلاء المدخل والحفر الزخرفي واستعمال الجص والألوان المتعدّدة والأفرسك في زخرفة الجدران بأسلوب فني[4].

لقد تحوّلت جزيرة كريت في نهاية المطاف إلى مقاطعة تابعة للموكينيين، وعن طريقهم دخلت حضارة كريت إلى بلاد اليونان القارية بعد أن أخضعوها لسلطتهم، وخضعوا هم لعظمتها، وسرعان ما استطاعت هذه الحضارة الموكينية أن تتفرّد بشخصيّتها الحضاريّة، فالفخّار الذي كان يحمل أشكال نباتيّة وحيوانيّة بأنموذج واحد تحت تأثير الفن الكريتي،

[1]- Martin, T. R., Op. Cit., 2013, p.37.

[2]- Gabriel-Leroux, J., Op. Cit., 1941, p.39.

[3]- محمد كامل، تاريخ اليونان، م.س، ص74، 75.

[4]- إبراهيم عبد العزيز جندي، معالم التاريخ اليوناني القديم، م.س، ص115.

بدأ يظهر عليه صور لأشخاص، واتّسع سطح الإناء لأكثر من نموذج واحد، والدّرع الكريتي الكبير الذي كان يشبه قوسين متلاصقين، والذي كان يكفي لحماية الجسم بأكمله بدأ ينقرض ليحلّ محلّه درع أصغر وأخف في الحمل ذو شكل يشبه المقطع الطولي للأسطوانة، ثم اندثر هذا بدوره ليحلّ محلّه درع أكثر صغرًا وأخفّ حملاً[1].

سادسًا: الكتابة والتدوين في موكيناي

من المعروف أنّ بلاد اليونان عرفت ثلاثة أشكال من الكتابة، هي الكتابة الهيروغليفية الكريتية، والكتابة التخطيطية A، والكتابة التخطيطية B، وما يهمّنا هنا هو الكتابة التخطيطية B، بحكم أنّها استخدمت من قبل بناة الحضارة الموكينيّة، وعند فكّ رموز الكتابة التخطيطيّة B من قبل إيفانس تبيّن أنّ لغة موكيناي يونانيّة، وأضيفت الفترة الموكينيّة للحضارة اليونانيّة. ويبدو أنّ هذه الكتابة قد دخلت إلى جزيرة كريت وإلى قصر كنوسوس تحديدًا؛ من قبل الموكينيين أنفسهم، حيث غدت هذه الكتابة أداة تدوين اللغة اليونانيّة، وقد عثر على ألواح هذه الكتابة في أربعة مواقع من بلاد اليونان: في بيلوس Pylos حوالي 1088 كتابة أرخت نحو سنة 1200 ق.م، وفي مدينة موكيناي Mycenae حوالي 85 كتابة أرخت نحو 1250 - 1225 ق.م، وفي مدينة تيرينس Tiryns حوالي 68 كتابة أرخت نحو 1200 ق.م، وفي ثابيس Thebes حوالي 400 كتابة وأرخت ما بين 1300 - 1260 ق.م، وغالبًا ما تظهر هذه الكتابات على الألواح الطينيّة وعلى الجرار[2]. وما يميّز الألواح الطينيّة الموكينية أنّها لم تكن قد تعرّضت للنار، مما كان يجعلها عرضة للتلف السريع، وربّما كان الموكينيون يعمدون إلى ألواحهم الطينيّة في كل عام؛ فيقومون بعجنها من جديد وإعادة التدوين عليها مرة أخرى، أو أنّ الشتاء وأمطاره الغزيرة في كلّ سنة كان كفيلاً بتدمير مكتبة السنة الفائتة، وهذا يبيّن للقارئ الكريم كم خسرنا من معلومات عن الحضارة، ويشير علماء الآثار أن جلّ ما وصلنا من معلومات عن هذه الحضارة يعود إلى الوثائق التي عاصرت دمارها، فالنيران المشتعلة في قصورها زادت هذه الألواح الطينيّة صلابة، مما سمح لها أن تبقى عشرات السنين قبل أن يكتشفها علماء الآثار من جديد، وقد بيّن علماء اللّغة اليونانيّة القديمة أنّه هناك غياب

[1]- لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، م.س، ص85.

[2]- Finkelberg, M., Op. Cit., 2005, p.58.

شبه كامل لتاريخ هذه الألواح، باستثناء بعض الألواح التي حملت اسم الشهر وعبارة «السنة الأخيرة» أو عبارة «في هذه السنة»، وهذا ما جعل تأريخ هذه النصوص عمل شاق.

أنموذج عن الكتابة التخطيطية B

سابعًا: النّظام السياسي

هناك أكثر من موضع في ملحمتي هوميروس يشيران إلى ارتباط أمراء المدن اليونانيّة وملوكها بالبيت الحاكم في موكيناي، وتبعيّتهم السياسيّة له، وبالتالي كان على جميع أمراء اليونان وملوكها أن يلبّوا نداء الملك الموكيني متى دعاهم، وأن يندرجوا تحت لوائه في مشروع عسكريّ واحد (هو حصار طروادة) تحت قيادة موحّدة تقع ضمن حقوقه الأدبيّة، ومن خلال شبكة الطرقات التي ربطت موكيناي بمختلف بلاد اليونان يمكن لنا أن نفهم حجم السّيطرة الحقيقيّة التي فرضتها موكناي على أرض الواقع[1].

أمّا بخصوص نظام الحكم داخل موكيناي ذاتها، فقد كان حاكم موكيناي (وناكس wanax) يستمد معظم سلطته السياسيّة من موقعه الديني، حيث كان الكاهن الأكبر لموكيناي[2]. وإنّ دراسة طبيعة نظام الحكم تُبيّن أنّه كان ملكيًّا فرديًّا مطلقًا، يستمدّ فيه الملك سلطة من الآلهة.

[1]- لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، م.س، ص86.

[2]- Lupack, S., Mycenaean Religion., The Oxford Handbook of the Bronze Age Aegean., Edited by Eric H. Cline., Oxford 2012, p.3.

وكانت تعاون الملك حكومة بيروقراطيّة مركزيّة وجهاز إداري مختص في إدارة شؤون البلاد، ويأتي على رأس هذه الحكومة بعد الملك مباشرة في المرتبة ما يسمّى قائد الشعب (اللاجيتاس La-wa-je-tas) وأغلب الظنّ أنّ مهمّته هي حماية الشعب والمملكة من خطر الغزاة، وكان له حاشية إقطاع، وكان هناك كبار رجالات الدولة والقصر الذين يشكّلون حاشية الملك، وكان هناك قادة للوحدات العسكرية (Okha) أو ضباط يؤمّنون الاتّصال بين البلاط والقادة المحليين، وكان هناك الجنود (te-re-ta) أصحاب الإقطاعات[1].

بالمجمل إنّ نظام الحكم في موكيناي يقوم على بنية المجتمع الاقطاعي؛ حيث كان كبار الإقطاعيين يُقدّمون للملك الخدمات الماليّة والعسكريّة اللاّزمة لفرض سلطته، مقابل تثبيت هؤلاء الإقطاعيين في إقطاعاتهم في حالة السّلم، ولا شكّ أنّهم امتلكوا قوّة بحريّة تتناسب مع طموحاتهم العسكريّة، واملتها عليهم ظروف سكنهم بالقرب من الشاطئ، ويتحدّث أحد النّصوص الموكينيّة أنّه كان في خدمة الملك قوّة من خفر السواحل بلغ تعدادها نحو 800 شخص، وكانوا تحت أمرة الضبّاط الملكيين[2]، ويبدو أنّهم كانوا مكلّفين بمراقبة السّواحل الأقرب إلى القصر؛ لأنّه من المستحيل أن تكلّف قوّة مؤلّفة من 800 شخص بمراقبة ساحل طوله 1000 ميل، أي أنّهم كانوا يتبعون المؤسّسة العسكرية الملكيّة. تلك المؤسّسة التي أشرفت على مختلف النواحي العسكرية للقصر، وبالمقابل كان القصر كفيلا بتلبية حاجاتها من السلاح وتجهيز العربات الحربية وتجنيد الرجال وتعيين الضباط والتشكيلات وحركة القوات[3].

ثامنًا: الصناعة

إنّ أكثر الصّناعات تقدّمًا في موكيناي هي صناعة المعادن، وعلى الأخص الذهب والفضة؛ حيث وجدت منهما كميات كبيرة، وهناك نصوص موكينية تتحدّث عن كمّيات البرونز الموزّعة على الحدادين، وهناك قوائم بأسماء السّلع المصنّعة والمدرجة في مستودعات القصر، وأحسن المصنوعات المعدنيّة لم يعثر عليه في موكيناي أو تيرينس

[1]- إبراهيم عبد العزيز جندي، معالم التاريخ اليوناني القديم، م.س، ص119.

[2]- Pylos: tablet; An 657.

[3]- إبراهيم عبد العزيز جندي، معالم التاريخ اليوناني القديم، م.س، ص118.

بل في مدينة فافيو (Vaphio) (قرب موقع إسبارطة)، فقد وجد في مقبرة الأمير على كنز من المجوهرات والتحف بينهما قدحان من الذهب الرقيق. والنّقوش على هذين القدحين تمثّل مناظر لترويض الثيران مقتبسة عن الفن الكريتي، وتنمّ عن مهارة في الصنعة وجمال في الشكل. أمّا الأواني الخزفيّة فإنّها أقلّ اتقانًا ورشاقةً، وإن كان الموكينيون قد توصّلوا إلى اختراع أنواع جديدة من هذه الأواني تختلف عن مصنوعات كريت بلمعان رسومها. وكانت الفنون الجميلة بصورة عامة في حالة تقهقر ومتأخّرة عن المستوى الذي بلغته كريت[1]. أمّا الصناعات الغذائيّة فقد ارتبطت بالمنتجات التي قامت عليها، فصناعة الزيت اعتمدت على زراعة الزيتون، وصناعة النبيذ اعتمدت على زراعة العنب، أمّا صناعة المنسوجات الصوفيّة فقد اعتمدت على تربية الأغنام.

تاسعًا: التجارة

من المنطقي جدًا أن تقوم التّجارة على الاستيراد والتصدير، استيراد النقص وتصدير الفائض. في البدء كانت التجارة الخارجية بطيئة في تقدّمها بسبب سيطرة القراصنة على بحر إيجة، حتى إنّ ملوك موكيناي وتيرينس أنفسهم كانوا يقومون بأعمال القرصنة، لذلك بنوا مدنهم بعيدة قليلاً عن شواطئ البحر ليستطيعوا من جهة حمايتها من الغارات المفاجئة، ثم لاستخدامها لمهاجمة السفن من جهة ثانية. ولكن يظهر أنّ هؤلاء الملوك قد أدركوا بعد ذلك فائدة التجارة البحرية في ظلّ الأمن، وعرفوا أنّها كانت السبب في غنى كريت وازدهارها، فأخذوا يمنعون القرصنة وانصرفوا إلى التجارة[2]. وكانت سبائك النحاس وحدة التعامل الاقتصادية الرئيسة بين السكّان في المعاملات التجارية، وكان إقامة مستعمرة موكينية في جزيرة رودس خطوة نحو فتح أبواب التجارة مع الشرق القديم[3].

ويمكننا القول إنّ موكيناي سيطرت على تجارة كريت ومحطّاتها التّجارية في جزر بحر إيجة وشواطئ آسيا الصغرى، وتاجر الموكينيون مع قبرص والساحل الشرقي للبحر المتوسّط وتوسّعوا أبعد من ذلك شرقًا وغربًا؛ حيث وصلوا إلى مصر وإيطاليا وإسبانيا، وهكذا

[1]-محمد كامل، تاريخ اليونان، م.س، ص76.

[2]- م.ن، ص76.

[3]- علي عبد اللطيف أحمد، التاريخ اليوناني، م.س، ص707.

أسّسوا شبكة تجاريّة تحكّموا من خلالها على تجارة المتوسّط، ولم يكتفوا بهذه المحطات التّجارية التي ورثوها عن الحضارة الكريتية، بل لأجل دعم تجارتهم قاموا بإنشاء سلسلة من العلاقات الدبلوماسية وتبادلوا الوفود والسفراء والهدايا والزيارات الملكية الرسميّة وإبرام المعاهدات والاتفاقيات الثنائية. لقد أدّت هذه التّجارة المنظّمة إلى تدفّق السّلع والبضائع على موكيناي وبالتالي إلى مزيد من الترف والبحبوحة، حيث كان يتم استيراد المواد الأوّليّة اللازمة للصناعة، والحاجيات الكماليّة للنخبة، بينما كان يتم تصدير الأواني الفخارية، وقد وجدت المصنوعات اليدوية الرائعة في القبور في بيلوس (Pylos) وموكيناي (Mycenae) وفي ثيبس (Thebes) بالإضافة إلى التشكيلة العظمية للمواد الثمينة التي سُجّلت في قوائم الجرد الواسعة، بينما كشفت التنقيبات الأثرية عن مصنوعات موكينية في الأناضول والشرق الأدنى ومصر[1].

عاشرًا: الزراعة وملكية الأراضي

لقد كانت الزراعة المهنة الأساسيّة لأبناء الحضارة الموكينية، يعمل فيها غالبية السكان، وتُبيّن الألواح المكتشفة التي تسجّل مقدار المحصول ونوعه وحصة الملك والآلهة منه؛ وكانت الحبوب وثمار الزيتون أهم هذه الحاصلات[2]، حيث يظهر القمح والشعير في العديد من النصوص الموكينية، كما يظهر التين والزيتون وزيت الزيتون والنبيذ، وتعدّ هذه المنتجات الحاصلات الأساسيّة للفلاّح اليوناني حتى يومنا هذا، وهناك نصوص تسجّل الكميّة التي كان يتلقّاها الفلاّحون نظير عملهم في إقطاعيات ملاك الأراضي، فأحد النّصوص يسجّل كميّة الحنطة والتين التي تلقّتها 16 امرأة وثلاث بنات وسبع صبيان في ميلتوس (Miletus) [3]، كما عرف الموكينيون زراعة البقول وغرس الكروم وكانوا يضيفون العسل إلى النبيذ لإعطائه مذاقًا حلوا[4]. وكان الموكينيون يربون الماعز والخراف والطيور (الإوز) في ساحات البيوت إلى جانب الكلاب التي كانت تؤمن الصيد والحراسة، كما أنّهم ربّوا الأبقار والثيران

[1]- Maggidis, Christofilis., Op. Cit., 2014, p.5.

[2]- مفيد رائف العابد، دراسات في تاريخ الإغريق، م.س، ص28.

[3]- Pylos: tablet; Ab573

[4]- مفيد رائف العابد، دراسات في تاريخ الإغريق، م.س، ص30.

إلا أنّهم نادرًا ما أكلوا لحم البقر، وكانوا يستخدمون الثيران للجر[1].

وقد أنشئت بعض المشاريع الاقتصادية من أجل تطوير الزّراعة والإنتاج الزراعي، منها حفر عدد من الآبار وإنشاء نظام للري في سهل أرجوس، وهي مشاريع ضروريّة لتحقيق الرخاء الاقتصادي. وهناك ما يشير إلى أنّ بحيرة كوبائيس قد تمّ تصريف مياهها في مستهل العصر الهيلادي الحديث واستصلحت أرضها للزراعة[2]. ويمكن لنا من خلال نصوص الكتابة التخطيطية B أن نتبينّ نوعين من الملكيّة العقارية؛ أحداهما الأراضي المسمّاة (Kitimeana) والآخر (Kekemena)، ويبدو أنّ النّوع الأوّل هو الأراضي الخاصّة التي يمتلكها أفراد، بينما يشير النوع الثاني إلى الأراضي العامة التي كان يمتلكها القصر، وكانت تحت تصرّف الملك الذي كان يتصرّف بها وفق إرادته ويقتطع منها لذويه وقادة جيشه[3].

الحادي عشر: الدين

لقد كان الملك يرأس نظامًا دينيًّا يقدّس إلهة أنثى أرفع مرتبة من زوجها، الذي ربطته بها أسطورة الخلق والموت والبعث من جديد، والتي آمنت بها كلّ المجتمعات الزّراعيّة القديمة في المنطقة، وقد عبد الإلهان معًا في مزارات صغيرة لكلّ منها مذبح كانت تُقدّم فيه القرابين وكانت هذه المزارات مقامة بين المنازل[4]، وكان الملك مسؤولاً عن رعاية الأضرحة الدينيّة المقدّسة، وعن تقديم الأضاحي وزيت الزيتون والعسل والعطور والبخور والسلع الأخرى للمعبد بوصفه الكاهن الأعظم، وبالعموم يلاحظ أنّ ازدهار النّشاط الدّيني قد ترافق مع فترة بناء القصور في موكيناي، حيث احتاج الحكّام الدّين من أجل توطيد سلطتهم على الشّعب، وقد كشفت التنقيبات الأثرية عن العديد من عظام الحيوانات المحترقة، والتي يبدو أنّها عظام الأضاحي التي قدّمت للآلهة، حيث كان الملك يترأّس الأعياد التي تقدّم فيها القرابين في القصر، وهناك أكثر من إشارة إلى أنّ غرفة العرش استخدمت من أجل إقامة الطقوس الدينية،

[1]- Knossos: tabler; Ch 897.

[2]- عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص706

[3]- خليل سارة، دراسات في تاريخ الإغريق، مقدمة في التاريخ الحضاري والسياسي، ط2، منشورات جامعة دمشق، دمشق 2004م، ص114.

[4]- مفيد رائف العابد، المرجع السابق، ص29

حيث عثر المنقّبون فيها على بقايا مذبح ومنضدة تقديمات وموقد وطشت مرمر على الأرض[1].

الثاني عشر: نهاية الحضارة الموكينية

لم تعمّر الحضارة الموكينيّة طويلاً؛ حيث داهم الدوريون (Doriens) البلاد من جهة الشّمال، في أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد. والدوريون هم الغزاة الجدد، لا يزالون في طور حياة البداوة، وكانوا أشدّ بأسًا وأقوى مراسًا وأصلب عودًا وأوفر شجاعة في القتال من الآخيين أصحاب الحضارة الموكينية، الذين كانوا في غالبيتهم زرّاعًا وتجّارًا، لم يكونوا قد عرفوا استخدام الحديد بعد في صنع آلاتهم وأسلحتهم. وبذلك وضع الدوريون نهايةً لعصر البرونز كلّه. وكانت نتيجة هذا الغزو الجديد نزوح فئات عديدة من الآخيين عن بلادهم، وتفرّقهم في معظم أنحاء العالم الإغريقي. ومن بين النازحين شرقًا فئة تمكّنت من تقويض حكم الملك بريام (Pariam) ملك طروادة في آسيا الصغرى[2].

الثالث عشر: نتائج ومناقشة

وهكذا نخلص إلى:

أوّلًا: إلى أنّ الحضارة الموكينيّة هي أوّل حضارة يونانيّة بالمعنى الكامل للكلمة، فبينما كانت تعدّ الحضارة الكريتيّة هي حضارة سكّان البحر المتوسّط القدامى، فإنّ الحضارة الموكينيّة هي حضارة العرق الهندو ـ أوروبي الذي وفد إلى اليونان في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد وتكلّم أقدم أشكال اللّغة اليونانيّة.

ثانيًا: الحضارة الموكينيّة لم تكن وليدة عبقريّة فذّة أو نادرة، بل هي نتاج تفاعل عميق مع الحضارة الكريتيّة من جهة وتفاعل مع باقي حضارات البحر المتوسّط سواء في سوريا أو مصر وبلاد الأناضول.

ثالثًا: تميّزت الحضارة الموكينيّة بروح أبنائها العسكريّة الميّالة للحرب والقتال، في حين كان الكريتيون أكثر ميلاً للتجارة والسلام.

---

[1]- Lupack, S., Op. Cit., 2012, pp.2- 3.

[2]- نور الدين حاطوم وآخرون: موجز تاريخ الحضارة، لا ط، دمشق، مطبعة الكمال، 1965م، ج1: حضارات العصور القديمة، ص373.

رابعًا: امتازت الحضارة الموكينيّة في أوجه حضاريّة عديدة تفرّدت بها كما في الفنّ والعمارة، بمعنى أنّ الموكينيين لم يقفوا عند ما اقتبسوه من الحضارات الأخرى، بل عملوا على تطوير هذا النتاج الحضاري بما يتوافق مع معيشتهم.

خامسًا: قدّمت لنا الحضارة الموكينيّة ملحمتين وهما الإلياذة والأوديسة، ومنهما أتت شهرة الحضارة الموكينيّة.

سادسًا: لم يختلف نظام الحكم السياسي ولا حتى الدين في الحضارة الموكينية كثيراً كما كان عليه في الحضارات القديمة، نظام حكم يقوم على الفرديّة والتّسلّط، ودين هدفه تقديم الشرعيّة للسلطة السياسية.

المصادر والمراجع

1. إبراهيم عبد العزيز جندي، معالم التاريخ اليوناني القديم، ج1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة 1999م.

2. خليل سارة، دراسات في تاريخ الإغريق، مقدمة في التاريخ السياسي والحضاري، منشورات جامعة دمشق، دمشق 2004م.

3. سترابون، ترجمة حسان اسحق، دار علاء الدين، دمشق 2017م.

4. عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني (العصر الهيلادي)، ج2، دار النهضة العربية، بيرت 1974م.

5. فوزي مكاوي، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته، من أقدم العصور حتى 322 ق.م، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء 1980م.

6. كيتو، ترجمة عبد الرزاق يسري، مراجعة محمد صقر خفاجة، دار الفكر العربي، القاهرة 1962م.

7. لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1991م.

8. محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، ج1، ط3، دار الفكر، دمشق 1980م.

9. محمود سلام زناتي، المرأة عند قدماء اليونان، دراسة حول وضع المرأة الاجتماعي والقانوني في العصور القديمة، الإسكندرية 1957م.

10. مفيد رائف العابد، دراسات في تاريخ الإغريق، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري الباكر والكلاسيكي، ج2، ط4، منشورات جامعة دمشق، دمشق 2002م.

11. نور الدين حاطوم وآخرون، موجز تاريخ الحضارة، ج1: حضارات العصور القديمة، مطبعة الكمال، دمشق 1965م.

المراجع الأجنبية

1. Finkelberg, M., Greeks and pre-Greeks, Cambridge University Pres, Cambridge 2005.

2. Gabriel-Leroux, J., Les premières Civilisations de la Méditerranée, presses Universitaires de France, Parise 1941.

3. Lupack, S., Mycenaean Religion., The Oxford Handbook of the Bronze Age Aegean., Edited by Eric H. Cline., Oxford 2012.

4. Maggidis, Christofilis., Unearthing the City of Agamemnon., Popular Archaeology Vol. 15, 5 Jun 2014.

5. Martin, T. R., Ancient Greece From Prehistoric to Hellenistic Times., Second edition., New Haven & London 2013.

الكتابة والتدوين في العصر الإغريقي القديم
دراسة نقديّة للكتابات اليونانيّة القديمة

عبد الله السليمان[1]

مقدمة

تشكّل الكتابة واحدةً من أهمّ الموضوعات التي تثير النّقاش بين الباحثين؛ حول أصولها وتطوّرها ومقدار تأثّرها وتأثيرها بكتابات الحضارات الأخرى التي تفاعلت معها. وكانت كريت (Crete) الموطن الأوّل الذي تلألأت فيه الحضارة في بلاد اليونان، ومنها انتقلت إلى بقيّة بحر إيجة (Aegean Sea). ويبدو أنّ كريت قد نهلت من حضارات الشّرق العربي القديم، ما شكّل قاعدة انطلاقها الحضاريّة، وإبداعها لأنظمة الكتابة الخاصّة بها، فعرفت الكتابة الهيروغليفيّة، والكتابة التخطيطيّة (A & B). ورغم الادّعاءات الغربيّة بالمعجزة اليونانيّة، فإنّنا نؤكّد أنّ الحضارة اليونانيّة لم تهبط من السّماء؛ بل هي نتاج تفاعل حضاريّ عميق مع الشّرق القديم، كان فيه الأناضول والسّاحل السوري المعبر الأساس لهذه الحضارة، وكانت كريت كالدرّة المتلألئة وسط عالم مظلم، وفي قلب عاصمتها كنوسوس (Knossos) ارتفعت جدران قصر ملكها مينوس (Minos)، هذا القصر الذي أعطى اسمه لحضارة كريت؛ فأصبحت تسمّى الحضارة المينوية (Minoan civilization). واستمرّت هذه الحضارة مزدهرة حتى سنة 1400 ق.م عندما تعرّضت كريت لغزو مدمّر سحق روحها الحضاريّة، فتولّى الآخيون الذين تكلّموا أصل اليونانيّة الحالية، رفع المشعل الحضاري في بلاد اليونان كلّها، فأعادوا بناء المدن المدمّرة، واحتلّوا مواقع جديدة، وحصّنوا موكناي التي

[1]- أستاذ التاريخ القديم بجامعة دمشق.

توسّعت في عهدهم، وهكذا ازدهرت الحضارة الموكينيّة (Mycenean Civilization) التي حلّت محلّ الحضارة المينويّة.

أوّلًا: أصول الحضارة الكريتية (الأرض والإنسان)

تشير أغلب الدّراسات إلى أنّ سكان جزيرتي كريت وقبرص قَدِموا من آسيا؛ لأنّ المواقع الحضاريّة في الأناضول وسورية وفلسطين أقدم من مثيلاتها في جزر بحر إيجة وفي بلاد اليونان القارية، ولكن بالمقابل، فإنّ أصول هؤلاء السّكان الذين استوطنوا في جزيرتي كريت وقبرص بقيت مجهولة، وإن كان هناك أكثر من فرضيّة (آسيوية، أو هندو-أوروبية، أو من الشرق القديم)، والذين رأوا أنّهم هندو ـ أوروبيين اعتقدوا بأنّهم عناصر لوفية Luwian قَدِموا من الأناضول؛ لكن حتى الآن لا يوجد معلومات أكيدة. وفي مقابل الصخور العارية في بلاد اليونان، منحت الطبيعة جزيرة كريت أنهارها العذبة ومروجها الخضراء وسهولها الخصبة التي تعلوها قمة إيدا Ida مهد الإله زيوس Zeus، هذا بالإضافة إلى خلجانها المتمايلة داخل البحر والمملوءة بالأسماك. إنّ هذه الطبيعة السّاحرة جعلت كريت مأهولة بالسّكان قبل جاراتها وذلك منذ نحو سنة 3600 ق.م حيث اكتشفت آثار لعصور ما قبل التّاريخ في موقع كنوسوس ذاته. ونحو الألف الثالث قبل الميلاد ظهرت موجة من الغزاة في كافة جزر بحر إيجة قادمة من آسيا الوسطى؛ حيث أسّست وحدة حضارية حقيقيّة في جزر إيجة وسواحل آسيا الصغرى (طروادة) يمكن ملاحظتها من حيث اللّغة حيث كان يتم استخدام نهايات مشتركة مثل سوس ssos و زوس thos في أسماء الأماكن. كما استخدم أبناء هذه الحضارة الفضّة من أجل الحلي، والنّحاس من أجل صناعة السلاح والأدوات[1].

[1]- Gabriel-Leroux, J., Les premières Civilisations de la Méditerranée, presses Universitaires de France, Parise 1941, p.10.

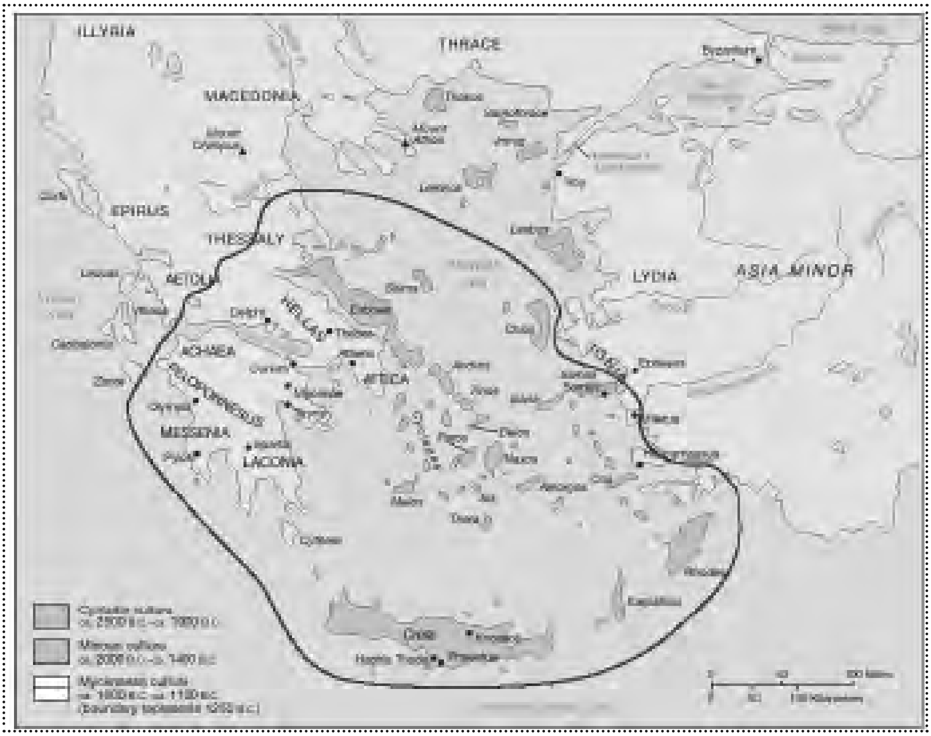

عالم بحر إيجة وموقع جزيرة كريت منه

ثانيًا: قصّة اكتشاف الكتابة الكريتية

لم يكن علم الآثار وحده هو الذي سلّط الأضواء على رقي حضارة كريت، وإنّما يرجع الفضل الأكبر إلى علماء اللّغات القديمة. أمّا عن قصّة اكتشاف هذه الكتابة فقد بدأت في سنة 1893م عندما اشترى الدكتور آرثر إيفانس Arthur Evans (عالم الآثار البريطاني) من امرأة أثنيّة عددًا من الحجارة البيضاء وكانت تمائمًا، وقد أدهشه ما كان محفورًا عليها من كتابة أثريّة، لم يكن في وسع أي عالم أن يقرأها، وظلّ إيفانس يتقصّى عن مصدر هذه الحجارة حتى عرف أنّها من جزيرة كريت، فسافر إليها وأخذ يجوبها ويجمع منها ما يعتقد أنّه نماذج للكتابة الكريتية القديمة. وفي سنة 1895 ابتاع جزءًا من الموقع الذي كان العالم الألماني هنرش شليمان Heinrich Schliemann يعتقد أنّه موقع كنوسوس في وسط الساحل الشمالي للجزيرة، وبعد أن قضى إيفانس تسعة أسابيع من ربيع تلك السنة،

أماط اللّثام عن قصر كنوسوس، وقد اكتشف إيفانس بين أنقاض هذا القصر آلاف الأختام والألواح الطينيّة وعليها رموز تشبه الرموز التي جاء إلى كريت من أجلها، وكانت النيران التي دمّرت قصر كنوسوس قد حفظت هذه الألواح الطينيّة، حيث ازدادت صلابة بتأثير النّار. ولا تزال هذه الكتابة غامضة تخفي قصص بحر إيجة العظيم[1].

ثالثًا: الكتابة الهيروغليفيّة الكريتيّة

لقد ازدهرت حضارة كريت في القرن العشرين قبل الميلاد، حيث ظهر قصر كنوسوس. وقد أظهر هذا القصر منذ البداية أنّ أنماط الهندسة المعمارية التي استخدمت في بنائه مستوردة إمّا من قصور الحثّيين في آسيا الصغرى أو من قصور جنوب بلاد الرافدين[2] أو من قصر الآلاخ في سوريا؛ بمعنى أنّ كريت لم تكن في معزل عن ثقافات الشّرق القديم. وقد ميّز إيفانس منذ بدء تنقيباته في قصر مينوس في كنوسوس نحو سنة 1900م ثلاث نماذج في الكتابات الكريتية التي دوّنت على الألواح الفخّارية: وأطلق إيفانس على المجموعة الأولى اسم الكتابة الهيروغليفية الكريتية أو ما صار يعرف عند علماء الاختصاص باسم Pictographic، وتمثّل كلّ صورة منها كلمة، وقد أُرّخت هذه الكتابة ما بين 2000 - 1700 ق.م، وغالبًا ما تظهر هذه الكتابة في جزيرة كريت دون غيرها[3]، ولا سيّما الأجزاء الشماليّة والشماليّة الشرقيّة منها؛ كما في مدن كنوسوس Knossos وماليا Malia وبيتراس Petras [4] (وإن كانت مؤخّرًا قد ظهرت في ساموتراك Samothrace) وغالبًا ما تظهر هذه الكتابة على الأختام[5]. ويبدو أنّ الأختام في هذا العصر كانت تعادل ما يشبه البطاقة الشخصيّة للمواطن الكريتي[6]، وهذا ما يفسرّ انتشار الأختام الهيروغليفيّة في الأجزاء الشماليّة والشماليّة الشرقيّة من كريت[7]. وبالمجمل، لقد تمّ إحصاء هذه الكتابة على 360 جسم، نصفها كان على

[1]- ول ديورانت، قصة الحضارة، حياة اليونان، ترجمة محمد بدران، لاط، بيروت، د.ت، ج1 من مج2، ص14، 15

[2]- Gabriel-Leroux, J., Op. Cit., 1941, p.39

[3]- Finkelberg, M., Greeks and pre-Greeks, Cambridge University Pres, Cambridge 2005, p.58.

[4]- Schoep, Ilse, The origins of writing and administration on Crete, Oxford Journal of archaeology, Oxford 1999, p.265

[5]- Finkelberg, M., Op. Cit., 2005, p.58

[6]- Goormachtigh, M., Phaistos Disk and its meaning: a new approach., 5- 7 -2015, p.1

[7]- Schoep, Ilse, Op. Cit., 1999, p.265.

الأختام، بينما كانت البقيّة على مواد أرشيفيّة. وقد حاول عدد من علماء الآثار قراءة التصاوير الموجودة على الأختام الكريتيّة من منطلق أنّ هذه الأختام كانت تستخدم من أجل ختم السّلع التجاريّة، لكن قراءاتهم ما زالت غير مقنعة، حيث قُرئت هذه النّقوش التصويريّة وفق الاعتقاد الشّخصي لهؤلاء العلماء، أمّا القيم الصوتيّة للإشارات والأشكال المختلفة بقي ضمن التخمين ولم يتم التّحقّق منها فعلاً[1].

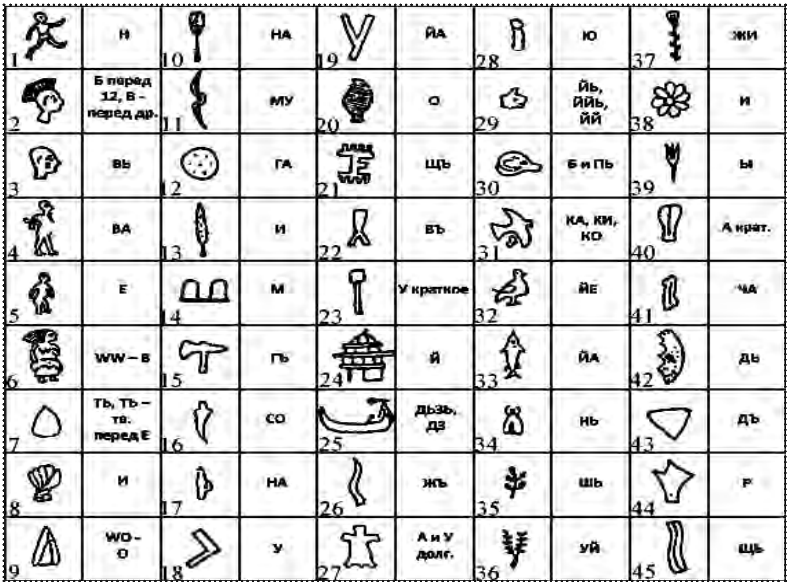

(الشكل 1) الإشارات الهيروغليفية الكريتية

أمّا اللّوح الأكثر أهميّةً في الكتابة الهيروغليفيّة الكريتيّة هو لوح فايستوس Phaistos (في مدينة فايستوس التي تعدّ عاصمة الوجه الجنوبي لجزيرة كريت) وقد عُثر علماء الآثار عليه في سنة 1908م، وهو عبارة عن لوح فخّاري غريب؛ عثر عليه في الطّور الثّالث من أطوار الحضارة المينويّة الوسطى (لم يكن هذا اللوح في سويته الأثرية)، وعليه نوع من الكتابة التصويريّة، ويؤرّخ ما بين 1800 - 1600ق.م. وإنّ أهمّ ما يميّز هذا اللّوح الفخّاري أنّه كبير وجهه مستوي، وقد طبعت عليه رموز تصويريّة لأصنام (أناس، حيوانات، نباتات، أجسام)،

[1]- Kenanidis, K., Cretan Hieroglyphics; The Ornamental and Ritual Version of the Cretan Protolinear Script, Anistoriton Journal, vol: 15, 2016- 2017, p.1

يضم القرص 45 رمزًا، ولكن يوجد منها رموز مكرّرة، وبالمجمل فإنّ عدد رموز اللّوح 241 رمز. لكلّ رمز منها خاتم ختم به على وجه اللّوح الطيني وهو لا يزال ليّنًا، بمعنى أنّ هذه الرّموز لم تنفذ بخط اليد. وما يميّز هذا اللّوح هو ترتيب هذه النّقوش الهيروغليفيّة بشكل حلزوني. ولكن الذي حيّر العلماء أنّ هذه الرّموز ليست كريتيّة بل أجنبيّة، حيث أشار ماكيني Mackenie أنّ الطين ليس من كريت، وربّما كان هذا اللّوح قد نقل إلى كريت من الشرق القديم، وقد لفت هذا اللّوح انتباه الباحثين وجرت محاولات عدّة لترجمته، لكنّها لم تعطي أيّ نتائج مقنعة، وكان بعض علماء اللّغة قد اقترحوا أنّه شكل من أشكال الكتابة اليونانية القديمة[1]. وكانوا ميّالين للاعتقاد بأنّه ترنيمة دينية[2]، لكن ذلك يبقى اعتقادًا.

لقد كان الرأي السائد أنّ الكتابة التصويريّة الكريتيّة، مشتقّة من المصريّة، وهذا واضح من خلال تسميتها بالكتابة الهيروغليفيّة الكريتيّة، لكن الظاهر أنّ الهيروغليفية المصريّة لم تكن عامل التأثير الوحيد عليها؛ إذ من غير المستبعد أن تكون هذه الكتابة قد تأثّرت بالكتابة التصويريّة الحثية، وربما هناك تأثيرات وافدة من حضارات أخرى[3]. في الواقع، تصعب مقارنة لوح فايستوس بالكتابات المصرية القديمة؛ لأنّ آثار مصر القديمة مملوءة بالرسومات وأشكال الكتابة الهيروغليفية، كما إنّ مصر عرفت المدارس المتخصّصة بتعليم الكتابة، وعرفت المتعلمين والأساتذة والكتاب المختصين بالهيروغليفية المصرية، أما رسومات الكتابة الهيروغليفية الكريتية فلا زالت مبهمة[4].

وحتى لا نُتّهم بالتّحامل على عراقة كريت، نبيّن أنّ الأشكال والرسوم التي نفذت على لوح فايستوس قد نفذت بأسلوب كريتي، رغم أنّ الأستاذ ماكيني أكّد أنّ الطّين الذي صنع منه لوح فايستوس قد جُلب من خارج الجزيرة، ورغم ذلك بوسعنا القول: إنّ هذا الطين، ربما، انتقل إلى كريت مثلما انتقلت فكرة الكتابة إليها[5]. حتى أرتون Aartun اقترح أنّ لوح

[1]- Surnin. V., Hieroglyphs of the Phaistos disc: History and full text translation., Rostov-on-Don, 2013, p.32.

[2]- Goormachtigh, M., Op. Cit., 5- 7- 2015, p.2

[3]- Surnin. V., Op. Cit., 2013, p.32.

[4]- Goormachtigh, M., Op. Cit., 5- 7- 2015, p.2

[5]- Surnin. V., Op. Cit., 2013, p.32.

فايستوس ما هو إلا شكل من أشكال الكتابة القديمة الوافدة من الشّرق القديم[1]؛ حيث يبدو أنّ أولى الاتّصالات الحضاريّة بين الشّرق القديم وبلاد اليونان كانت عبر جزيرتي كريت وقبرص، انطلاقًا من ساحل سوريا وآسيا الصغرى، وقد عُثر في قبرص، في الفترة ذاتها التي ازدهرت فيها أوغاريت، على أشكال ورموز كتابية[2]؛ بينما اقترح علماء آخرون بأنّها أشكال تصويريّة لوفية Luwian، واقترحت فئة ثانية أنّها أشكال تصويريّة سلافية Proto-Slavic، فيما اقترحت فئة ثالثة أنّها أشكال تصويريّة جورجيّة Georgian، وفئة رابعة اقترحت أنّها أشكال تصويرية هندو ـ أوروبية Indo-European [3]. وفي الواقع، فإنّ جميع هذه الاقتراحات لا تبدو منطقيّة؛ لأنّها لم تُبنَ على أسباب مقنعة، ويبقى احتمال أنّها أشكال تصويريّة وافدة من الشرق القديم أو متأثّرة بالأشكال التصويريّة في الشرق القديم، أكثر منطقيّة بالنسبة لنا، وهذا ما سنشرحه في هذا البحث عن دور الشّرق القديم في التأثير في الكتابات الهيروغليفيّة الكريتيّة.

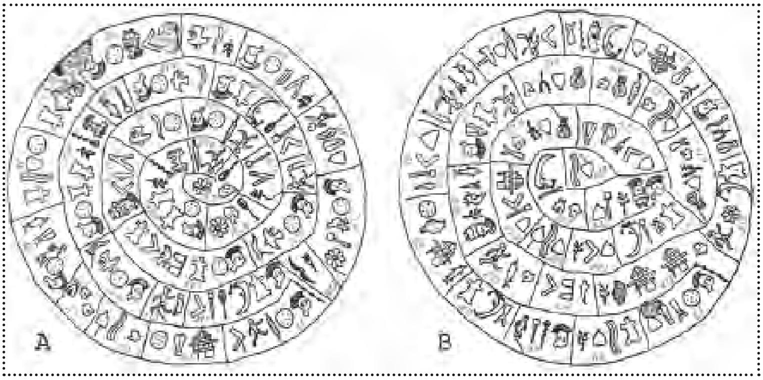

(الشكل 2) وجهي لوح فايستوس، الذي يبلغ قطره ما بين 158 – 165ملم وسماكته ما بين 16-21ملم

رابعًا: الكتابة التخطيطيّة Seript Linear A

لقد وقعت كارثة كبرى في كريت نحو سنة 1750 ق.م، تسبّبت بحريق قصر كنوسوس

[1]- Revesz, P. Z., A Computer-Aided Translation of the Phaistos Disk, International Journal of computers; Vol; 10, 2016, p.94.

[2]- Finkelberg, M., Op. Cit., p.57.

[3]- Revesz, P. Z., Op. Cit., 2016, p.94.

وفايستوس وماليا وتيليسوس، ولكن منذ سنة 1700 ق.م عادت كريت للنهوض[1]، وقد تجاوزت مدينة كنوسوس بين سنتي -1700 1500 ق.م بقية المدن الأخرى في الأهميّة والغنى، ولا بدّ أنّها مارست سيطرةً حقيقيّةً على بقيّة مدن الجزيرة الأخرى، وإن كنّا لا نستطيع أن نتكلّم عن إمبراطوريّة مينوس بالمعنى السياسي للكلمة. في الواقع لم تشهد كريت أيّ انقطاع أو تبدّل في الفن ولا في الديموغرافية[2]، وخلال هذه المرحلة أدّت كريت دورًا حضاريًّا مميّزًا بالنسبة لأوروبا قاطبة، رغم صغر حجمها، وكان أهل كريت فيما سبق يستعملون شكلاً من أشكال الكتابة التصويرية في كنوسوس وفايستوس، وما لبثت أن تطوّرت هذه الكتابة التصويريّة في فايستوس دون غيرها وتحوّلت إلى كتابة صوتيّة حقيقيّة، وذلك نتيجة احتكاك الكريتيين بسكّان الشّرق العربي القديم، وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الكتابة الصّوتيّة هي أقدم كتابة معروفة لا في العالم الايجي فحسب وإنّما في أوروبا كلّها. وإنّ ما حفّز الكريتيين على تطوير كتابتهم هو ازدهار تجارتهم، وبالتالي كان عليهم أن يطوّروا أسلوب كتابتهم القديمة مستعيضين عن الصور القديمة بخطوط عدّة لكلٍ منها صوت. وقد سمّى العلماء هذه الكتابة الجديدة بالكتابة السّطريّة أو التخطيطيّة Seript Linear[3]، وقد ميّز إيفانس بين نوعين من هذه الكتابة هما الكتابة التخطيطيّة Seript Linear A، والكتابة التخطيطيّة Seript Linear B.

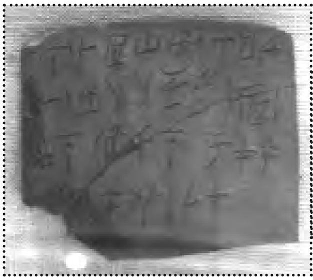

(الشكل 3) لوح طيني للكتابة التخطيطية A متحف خانيا Khania الأثري.

مناطق انتشار الكتابة التخطيطيّة A

إنّ ما أطلق عليها إيفانس اسم الكتابة التخطيطيّة A (أو ما يعرف بالخط المينوي A)

[1]- Gabriel-Leroux, J., Op. Cit., 1941, p.42.

[2]- Ibid, p.47.

[3]- نور الدين حاطوم وآخرون: موجز تاريخ الحضارة، لاط، دمشق، مطبعة الكمال، 1965م، ج1: حضارات العصور القديمة، ص377، 379.

يؤرّخ عادة بالعصر الممتد بين 1750 - 1450 ق.م، وإن كان قد تم تعديل هذه التواريخ استنادًا إلى الدّراسات الحديثة: حيث تبيّن أنّها استخدمت ما بين 2500 - 1450 ق.م[1]. وغالبًا ما تظهر هذه الكتابة في جزيرة كريت دون غيرها، ويرتبط استخدامها بفكرة بناء الدولة في كريت وميلاد الحكومة المركزية، انطلاقًا من الأجزاء الجنوبيّة، وإن كان قصر كنوسوس قد قدّم بعض الشّواهد على نصوص من هذه الكتابة[2]، إنّ درجة الاختلاف الحضاري بين شمال جزيرة كريت وجنوبها يبدو واضحًا، فمنذ البدء لاحظ علماء الآثار أنّ الكتابة الهيروغليفيّة الكريتية كانت مستخدمة في شمال الجزيرة وشرقها بينما كانت الكتابة التخطيطية A مستخدمة في جنوب الجزيرة وفي وسطها، وربّما أنّ ذلك يعود للمؤثّرات الحضاريّة التي نالها كلّ وجه من طرفي الجزيرة[3]. عمومًا تمّ إحصاء ما يقارب 1427 كتابة في جزيرة كريت لوحدها[4].

كما عُثر على نصوص منها في سيكلاد Cyclades[5]، وفي جزيرة قبرص منذ سنة 1909م[6]، ومؤخّرًا تمّ اكتشاف نصوص من هذه الكتابة في منطقة بحر إيجة؛ كما في أرغوس Argos، وفي Troy، ودراما Drama، وثيرا Thera، وميكيناي Mycenae، وتيرنس Tiryns، وميلوس Melos، وكيا Kea، وكيثيرا Kythera، وميليتوس Miletus، وساموثراكا Samothrace)، كما وجدت خارج المنطقة الإيجية كما في أرخبيل ليباري الواقع شمال جزيرة صقلية، وفي منطقة أميسوس Amisos في بلاد البونت في جبل موررون Morrone في إيطالية، وفي آسيا الصغرى، وفي فلسطين في تل Haror، وتل Lachish[7]، وإن كانت الكتابات التي تم الكشف عنها خارج كريت لا تتطابق تمامًا مع ما تمّ الكشف عنه في الجزيرة نفسها.

[1]- Goormachtigh, M., Op. Cit., 5- 7- 2015, p.2.

[2]- Schoep, Ilse, Op. Cit., 1999, pp.267, 268.

[3]- Ibid, p.265.

[4]- Goormachtigh, M., Op. Cit., 5- 7- 2015, p.2.

[5]- Finkelberg, M., Op. Cit., 2005, p.58.

[6]- Goormachtigh, M., Op. Cit., 5- 7- 2015, p.2.

[7]- Kenanidis, K., Cretan Hieroglyphics, Op. Cit., 2016- 2017, p.2.

1. هل تطوّرت الكتابة التخطيطيّة A عن الهيروغليفيّة الكريتيّة

يمكن إحصاء نحو تسعين علامة مقطعيّة في هذه الكتابة التخطيطية[1]، ونحو 80 % من الرسوم المعنوية Logogram فيها فريدة. وغالبًا ما تظهر هذه الكتابات على الألواح الطينية المدورة والمستطيلة ذات الصبغة الإدارية، وعلى الألواح الحجريّة وعلى الأجسام الذهبيّة والبرونزيّة والفضيّة[2]. وقد اقترح بعض علماء اللغة أنّ الكتابة التخطيطيّة A قد تطوّرت عن الكتابة التصويريّة الكريتية، ورجّحوا أن يكون للكتابة الهيروغليفية الكريتية وللكتابة التخطيطية A سلف مشترك تطورتا منه، مستشهدين بعدد من الإشارات المشتركة بين الكتابتين[3]. وكان هذا الرأي الأكثر قبولاً وكان الشائع أن الهيروغليفية الكريتية قد تطوّرت تدريجيًا لتخدم معيارًا أوسع من الحياة الثقافية لم يعد يحتمل بطء كتابة الصورة، فحلّت محلّها كتابة في شكل خطوط وهي الكتابة التخطيطية A [4]. لكن الأستاذة أليس Ilse رفضت هذه الفكرة مستشهدة بالمواد التي دوّنت عليها كلّ كتابة وبالموضوعات المختلفة التي تناولتها، وبأماكن انتشارها. ولم تستطع أليس أن تقبل بفكرة وجود أصل مشترك للكتابة الهيروغليفية الكريتية والكتابة التخطيطية A، استنادًا إلى عدد الإشارات المشتركة[5]. كما أنّها أشارت إلى أنّه في بعض الحالات كان صاحب الوثيقة الإدارية يستخدم النوعين معًا، كأن يختم بخاتم عليه كتابة هيروغليفية ويدوّن الشّروح بالكتابة التخطيطية A [6].

---

[1]- Gabriel-Leroux, J., Op. Cit., 1941, p.43.

[2]- Finkelberg, M., Op. Cit., 2005, p.58.

[3]- Godart L., Olivier J.-P., Corpus Hieroglyphicarum Inscriptionum Cretae. Études Crétoises, CHIC 31,1996, p.107.

[4]- لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، لا ط، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1991م، ص77.

[5]- Schoep, Ilse, Op. Cit., 1999, p.266.

[6]- Ibid, p.267.

الكتابة التصويرية الكريتية	الكتابة التخطيطية A

2. هل استعار الكريتيون القدماء كتابتهم التخطيطية A من السومريين؟

لقد استطاع علماء الآثار أن يحدّدوا بعض الإشارات ذات الدلالة المقطعيّة الصوتيّة. وتجدر الإشارة إلى أنّ هناك العديد من الاقتراحات حول اللّغة التي دونت بها الكتابة التخطيطية A، لكن بالمجمل علينا أن نتفهّم أنّ مجتمع كريت في الألف الثاني قبل الميلاد كان مجتمعًا مفتوحًا متعدّد الثّقافات، حتى إنّ عددًا من علماء اللّغات القديمة اقترحوا أنّ أهل كريت قد اقتبسوا كتاباتهم من السومريين، وكان دوهوكس Duhoux قد لاحظ أنَّ الكتابة التخطيطية A كتابة لاصقة مثل اللغة السومرية منذ سنة 1987م، وذلك بسبب العدد العالي للواحق والبوادئ في الكتابة التخطيطية A حوالي 59 % من الكلمات، مقابل 12 % في الكتابة التخطيطية B [1]. فهل حقًّا استعار الكريتيون كتابتهم التخطيطية A من السومريين؟

كان الأستاذ هوكير Hooker قد اقترح أنَّ الكتابة التصويريّة الكريتيّة هي ناتجة عن الاقتباس من عدد من الكتابات المختلفة، وبالتالي فهو يجعل السومرية أحد أنماط الكتابة التي أثّرت في الكتابة الكريتية، بينما يرى أوليفير Olivier أنّ الكريتيين في بداية الألف الثاني قبل الميلاد أعادوا ابتكار الكتابة بجهودهم الخاصّة، وكانوا قادرين على المضي في خطواتهم الأولى في هذا الاتّجاه دون حاجتهم إلى الخبرات الرافدية أو حتى المصرية، وأنّهم صنعوا نظامًا سهلاً ومدهشًا لتسجيل أصوات لغتهم بواسطة الإشارات.

[1]- Kenanidis, K., Cretan Hieroglyphics, Op. Cit., 2016- 2017, p.2- 4

بينما يرى جلارنر Glarner أنّ العديد من الإشارات في الكتابة التخطيطيّة A متشابهة مع إشارات الكتابة التصويرية في بلاد الرافدين، رغم ذلك احتمالية الاتّصال الحضاري رفضت بسبب بُعد كريت عن بلاد الرافدين جغرافيًا، وهذا الرافض من وجهة نظر جلارنر غير ناضج بعد؛ لأنّ عدد النّصوص المسماريّة التي دُرست وقُرئت من أصل النصوص المكتشفة لا يتجاوز 10 %، وبالتالي هناك آلاف الرقم المسمارية المحفوظة في المتاحف، وربما أنّ قراءتها ستقدّم لنا معلومات أغنى عن صلات السومريين مع جوارهم الحضاري[1]. ثم إنّ جميع الإمبراطوريات التي ظهرت في بلاد الرافدين كانت ترنو ببصرها إلى ساحل البحر المتوسط[2]، وتحدّثنا الأساطير عن مشقّة الرّحلات التي قام بها ملوك الشرّق العربي القديم، كـ (جلجامش Gilgameš وغيره)[3] لجلب الخشب من السواحل السورية لهذا الهدف. ثم إنّ نصوص ماري في القرن الثامن عشر قبل الميلاد أشارت بأنّ شاروكين الأكادي قد استطاع أن يصل إلى البحر الأعلى (البحر المتوسط) وإلى جزيرة النحاس (قبرص) وإلى جزيرة Kaptara (أقدم إشارة إلى جزيرة كريت)[4]. كما عثر على أختام اسطوانيّة في جزيرة قبرص تحمل اسم شاروكين، حتى إنّ شاروكين الأكادي مارس نوعًا من الوصاية على البلاد السوريّة؛ حيث دوّن العبارة التالية: «سيد منطقة الصنوبر (لبنان)، وجبال الفضة (طوروس)»، وعاش عدد لا بأس به من النجارين الأكاديين في سورية[5].

إنّ الرقعة الحضارية التي انتشرت عليها الحضارة السومرية هي أكبر بكثير من الرقعة الجغرافية التي حكموها، وربما أنّها وصلت إلى الهند شرقًا وإلى بلاد البلقان غربًا، وتجدر الإشارة إلى حركة الهجرة والانتقال والانتشار والتفاعل الحضاري، وإنّ هذا التفاعل الحضاري بين كريت والسومريين مدعوم بالإشارات المتماثلة بين الكتابة السومرية والكتابة الهيروغليفية الكريتية، وبالتالي ربما أنّ الكريتيين قد استعاروا كتاباتهم من بلاد الرافدين[6]، ويؤيّد الأستاذ

---

[1]-Kenanidis, K., Cretan Hieroglyphics, Op. Cit., 2016- 2017, p.5.

[2]- Gabriel-Leroux, J., Op. Cit., 1941, p.18.

[3]- جلجامش هو ملك مدينة أورك ويكتب أسمه بالسومرية (giš.bíl.gín.meš). دونت ملحمة جلجامش على 12 لوح طيني وحفظت في مكتبة آشور بانيبال، انظر: Leick, Gwendolyn., A Dictionary of Ancient near eastern mythology London and New York, 1991, p.68

[4]- Kenanidis, K., Cretan Hieroglyphics, Op. Cit., 2016- 2017, p.5.

[5]- Gabriel-Leroux, J., Op. Cit., 1941, p.18.

[6]- Kenanidis, K., Cretan Hieroglyphics, Op. Cit., 2016- 2017, p.4.

فيشر Fischer ما ذهب جلارنر، حيث يرى أنّ الكتابة ابتكارٌ رافديٌّ لا جدل فيه، ومن سومر انتشرت الكتابة إلى وادي الهندوس ووادي النيل وإلى إيران وإلى بلاد البلقان[1]. وقد أيّد الأستاذ Woudhuizen رأي زملائه الباحثين بعد دراسة إشارات اللغة الأكادية، ودراسة الكتابة التخطيطية A، وخلص إلى أنّ الإشارات الإيجية تطوّرت عن الكتابة السومرية مثلها مثل الكتابة الأكادية، حيث بدأ تصوير الأيقونات وفق أسلوب مجرّد وأكثر سرعة[2].

لقد كانت وجهة النّظر التقليديّة ترى أنّ الكتابة التخطيطيّة B قد تطوّرت من الكتابة التخطيطية A [3]، وبما أنّ علماء اللّغة تمكّنوا من فكّ رموز الكتابة التخطيطية B (سنأتي على الحديث عنها)، وإنّهم لم يتمكّنوا من فكّ رموز الكتابة التخطيطية A، وبما أنّ العديد من الرموز متشابه بين الكتابتين؛ فقد اقترح بعض العلماء قراءة الكتابة التخطيطية A بواسطة رموز الكتابة التخطيطية B، إلا أنّ النتيجة كانت مخيّبة للآمال، حيث أعطت المحاولة كلمات غير مفهومة ولا معنى لها. والسبب في ذلك هو أنّ الكتابة التخطيطية B تم ابتكارها من أجل تدوين اللغة الموكينية، أمّا الكتابة التخطيطية A يبدو أنّها ابتكرت من أجل تدوين اللغة المينوية القديمة التي كانت إحدى شقيقات اللّغة الهندو ـ أوروبية وانقرضت، فلمّا انتصر الموكينيون على الكريتيين اعتمدوا كتابتهم بدل كتابة المغلوبين، لذلك قراءة رموزها تزداد تعقيدًا[4].

وقد نشر دافيس Davis بحثًا قارن به بين الإشارات التصوريّة في العديد من النّقوش القديمة، وقد بيّنت دراسته وجود علاقة فيما بينها، ومن ضمنها الكتابات المسمارية التي دونت بها اللغة السومرية، وكتابات وادي الهندوس، وكتابات وادي النيل، وطلاسم الأناضول، وأربعة مخطوطات قديمة من بحر إيجة، حيث وجد أن هناك 42 إشارة في هذه المخطوطات الأربعة متشابهة مع إشارات من الكتابة السومرية، وإشارة واحدة متطابقة تماما لمثيلتها في الكتابة السومرية[5].

وقدّم الأستاذ كينانيدس Kenanidis دراسةً قارن بها بين اللّغة اليونانيّة الحديثة والكتابة

---

[1]- Fischer, S. R., History of Writing., London 2004, p.34.

[2]- Kenanidis, K., Cretan Hieroglyphics, Op. Cit., 2016- 2017, p.5.

[3]- Gabriel-Leroux, J., Op. Cit., 1941, p.44.

[4]- Goormachtigh, M., Op. Cit., 5- 7- 2015, pp.1,2.

[5]- Kenanidis, K., Cretan Hieroglyphics, Op. Cit., 2016- 2017, p.6.

الكريتية التصويريّة، والكتابة التخطيطية A، والكتابة التخطيطية B، والكتابة السومرية، والكتابات القبرصية؛ وتوصل إلى نتيجة مفادها أنّ أصل العديد من الكلمات في اللّغة اليونانية الحديثة له جذوره في لغة وكتابات بحر إيجة القديمة. بينما توصل علماء آخرون بعد دراسة مستفيضة إلى أنّ القيم الصوتيّة ومبدأ الكلمة الأحادية والمقطع المكافئ في الكتابات التصويرية الإيجية القديمة تدلّ على أصل سومري لهذه الكتابات، ورغم أنّ اللّغة الحورية Hurrian قد قدّمت بعض القيم الصوتيّة إلاّ أنّها قليلة جدًا، وربّما أنّ السومريين هم من ابتكر للكريتين كتابتهم التصويرية. وفي أحدث دراسة قدمها كينانيدس صرح باعتقاده أن المجموعة الأكبر من رموز الكتابة التخطيطية A تحمل صفات اللغة الأكادية، مع تأثر واضح باللغة اللوفية Luwian حيث تتشابه بعض نقوشها مع نقوش الكتابة اللوفية[1].

3. مثال على فك رمز من رموز الكريتية

لقد قام بهذا العمل الأستاذ كينانيدس استنادًا إلى نظريّة أنَّ الكتابة الهيروغليفية الكريتية والكتابات التخطيطية (A & B) قد تطوّرت عن السومرية، حيث بيّن أنّ لدينا ختمان (كما هو مبين في الشكل رقم 4)، ولدينا إشارتان تحملان الرمزين (038) و (010) في المعجم الهيروغليفي الصغير والمعروف اختصار (YHL) إنّ هذين الرمزين معًا (038 & 010) ظهرا ست مرات في المعجم، وقد دونا في واحد وأربعين كتابة يدوية، وقد قام كينانيدس بتحليل القيمة الصوتية ومعنى كلّ إشارة:

الإشارة الأولى: وهي (038) الموجودة في الصورة الأولى من (الشكل4) تظهر في العديد من الأشكال في الكتابة الهيروغليفية الكريتية. بينما يظهر في الصورة الثانية من (الشكل4) الكلمة السومرية القديمة (dem) التي تشير إلى قالب المعدن أو تشير إلى عامل الفرن المعدني، بينما تشير الكلمة السومرية القديمة (de0) إلى معالجة المعدن بالحرارة، لذلك المقطع (de) نلاحظ أنّه ينتهي بساكن، والجدير بالملاحظة أنّ هذه الإشارة تظهر بالكتابة التخطيطية B أيضًا، وتمّ إحصاء عدد المرّات التي ظهرت فيها فكانت نحو 140 مرة، وترجمت إلى برونز؛ المعدن الأكثر شيوعًا في ذلك العصر. كما تبيّن أنّ هذه الإشارة ظهرت بالكتابة التخطيطية A (327) مرة، وبدلاً عن ذلك المقطع (de) تم استخدام أيقونة فرن صهر المعدن

[1]- Kenanidis, K., Cretan Hieroglyphics, Op. Cit., 2016- 2017, p.6

في الكتابة التخطيطية (A & B) نحو 45 مرة. إنّ القيمة المعنويّة للصورة مطابقة للقيمة المعنوية في الشكل المسماري، حيث يصوّر فرن العامل في صهر المعدن، بعد ما يسمّى به العامل نفسه الذي يدعى simug [1]، (انظر الشكل رقم 5).

الإشارة الثانية: هي (010) والتي يرمز لها بالساق والساقين في اللغة السومرية تقابلان المفردة gìr وتلفظان بالسومرية ŋe(r) "me-ri" in Emesal) وإنّ الحرف الساكن الأولي الأصلي ŋ، لذلك الساقان لفظت باللّغة السومرية ŋe(r). إنّ كلتا **الإشارتين** (038 & 010) معًا تدلان على الكلمة السومرية الأكثر شيوعًا de.er = {الله God}، في (الشكل 4) يقرأ من اليسار إلى اليمين gde.eh (حيث تم إسقاط حرف r الساكن من نهاية الكلمة كما في اللغة السومرية). بينما يقرأ (الشكل 5) deŋero (هنا بلاحقة سومرية بإضافة (ok) كما في الكتابة المسمارية بإضافة (ak). وفي (الشكل 6) نقرأ الكتابة أوّلا من اليمين بـ de-ŋe-i التي تؤيّد deŋej، ومثلما أنّ حرف r ساكن فإنّ حرف j كذلك ساكن، «j كتبت بالإشارة المقطعية (i)، وبالكتابة التصويرية على شكل نبتة»، في الحقيقة إنّ لفظةde-ŋe-i (من deŋej) هو الشكل الأكثر شيوعًا للكلمة deŋer التي تصوّر على الأختام الهيروغليفية الكريتية، سوية مع أكثر الإشارات المدوّنة على الأختام، مثل هذه النّقوش تذكر بـ(deŋer) ؛ وهو يشير إلى الإله الشخصي لمالك الختم، أو ربمّا يشير إلى الإيمان بوجود الله ﷻ، وربما يشير إلى إحساس بوحدانيّة الإله. إنّ دراسة خاتم واحد كأنموذج قدّم كلّ هذه المعلومات الثمينة[2].

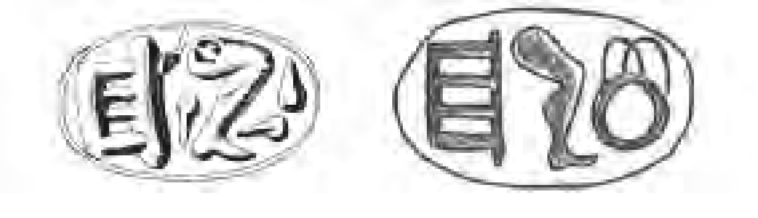

(الشكل4) نقلا عن Kenanidis, K., 2016-2017, p.7

[1]- Kenanidis, K., Cretan Hieroglyphics, Op. Cit., 2016- 2017, pp.6,7.

[2]- Ibid, pp.6,7.

الكتابة التصويرية الكريتية

الكتابة التخطيطية B	الكتابة التخطيطية A
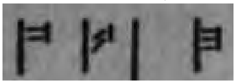	

(الشكل 5) نقلا عن Kenanidis, K., 2016-2017, p.7

الكتابة التخطيطية B

الكتابة التخطيطية A

(الشكل 6) نقلا عن Kenanidis, K., 2016-2017, p.7

خامسًا: الكتابة التخطيطيّة Seript Linear B

لقد تعرّضت قصور كريت للهدم ما بين سنتي 1500- 1450 ق.م نتيجة عدد من الزلازل المدمّرة، أو نتيجة المد والجزر، أو نتيجة ارتدادات بركان مدمّرة، لقد أرهقت هذه الكوارث الطبيعية أهل كريت ولم يعودوا قادرين على النّضال من أجل دولتهم، أما الآخيون كانوا قد تسرّبوا ببطء إلى الجزيرة وشكّلوا أقليّة، لكنّها كانت قادرة على تسلّم السّلطة فيها، وتبنّى هؤلاء الغزاة الجدد الحضارة المينوية، والدليل على ذلك عدم وجود أيّ انقطاع أو تبدّل مفاجئ، بينما ظهر تبدّل ما في نمط الإدارة. فمن خلال الألواح الكتابيّة التي أطلق إيفانس عليها اسم الكتابة التخطيطية Seript Linear B، يظهر أنّ نظام السّلطة أصبح أكثر مركزيّةً، وأكثر تسلّطًا، وأخذ الفنّ يفقد نزعته الطبيعيّة وأصبح أكثر عظمةً ويميل للطابع الرسمي[1]. وفي أحد نصوص قصر كنوسوس والمعنون باسم الملك (wa-na-ka) يظهر أنّ عند هذا

[1]- Gabriel-Leroux, J., Op. Cit., 1941, p.44.

الملك ضابط عسكري كبير يمكن أن يكون قائد الجيش ومساعد الملك، وكان يترأّس المحكمة المؤلّفة من كبار ضبّاط الجيش الذين سموا بالاتباع (e-qe-ta) أو الرفاق إن صحّت التسمية.

1. قصّة فك رموز الكتابة التخطيطيّة B

بينما كان إيفانس يلقي محاضرة عن الألواح والكتابة الغريبة التي تحويها، وقيامه بنقل أعداد منها إلى بريطانية من جزيرة كريت، كان هناك طالب ثانوية يستمع لكلّ كلمة يقولها إيفانس، وهذا الطالب كان الشاب مايكل فينتريس Michael Ventris الذي استهواه غموض هذه الكتابة وعكف يفكر فيها، ثم عبّر عن رأيه بكّل جرأة وهو لا يزال طالبًا في الثانوية، وكعادة الغرب الذي يستمع لجميع الآراء والطروحات ويحترمها دون أن يستهزئ بأصحابها، نشر مايكل مقالاً في سنة 1940م توقّع فيه أن تُسفر الأبحاث عن وجود صلةٍ قويّةٍ بين كتابات الأتروسكيين في إيطاليا والكتابات التخطيطية في كريت، ولمّا نشبت الحرب العالميّة الثانية خدم مايكل في البحرية البريطانية كضابط مهندس، إلا أنّه لم ينقطع عن دراسة كتابات كريت في أوقات فراغه، وهكذا أثمرت جهوده عن فك شيفرة الكتابة في سنة 1952م وتم إعلان الخبر عبر أثير هيئة الإذاعة البريطانية، وسرعان ما تهافتت عليه الاتّصالات والاستفسارات من مختلف العلماء المهتمين، ثم انضمّ إليه جون شادويك John Chadwick أحد المختصّين في فقه اللغة اليونانية وقدّما في مقال مشترك نظريتهما في إطار أكاديمي نشرته مجلة الدراسات الهلينية سنة 1953م، وبعد الثناء العظيم الذي ناله مايكل، توفي إثر حادث أليم سنة 1956م عن عمر لا يزيد عن 35 سنة[1]. في الواقع إنّ فكّ رموز هذه الكتابة التخطيطية، التي تعتبر أوّل كتابة في أوروبا، قد بيّن أنّها تتعلّق باليونانيّة الموكينيّة والأسرة المالكة الآخية[2]. وقد تبينّ أنّ الكتابة التخطيطية B مميزة عن الكتابة التخطيطية A وعن الهيروغليفية الكريتية، حتى إنّ الفرق بين القيم الصوتيّة بين الكتابة التخطيطية A والكتابة التخطيطية B يتراوح ما بين 9% و13%، ويبدو أساسًا أنّ اتّجاه الكتابة من اليمين إلى

[1]- سيد أحمد علي الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم، من حضارات كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندر، ط2، القاهرة، دار النهضة العربية، 1976م، ص55، 56.

[2]- Gabriel-Leroux, J., Op. Cit., 1941, p.44.

اليسار. ويلاحظ في الكتابة التخطيطية B ندرة وجود ساكنين متتالين، أمّا نظام العدّ فيها فهو نظام العدّ العشري، خلافًا لنظام العدّ السومري الستيني.

2. أماكن انتشار الكتابة التخطيطية B

لقد أطلق إيفانس على الألواح الطينيّة التي دوّنت كتابات القرن الخامس عشر قبل الميلاد اسم الكتابة التخطيطيّة Seript Linear B (أو ما يعرف عند أساتذة الاختصاص بالخط المينوي B)، وتؤرّخ نصوصها بنحو سنة 1400 ق.م، ويبدو أنّ مخطوطات هذه الكتابة قد جُلبت إلى قصر كنوسوس من قبل مستوطني الحضارة الموكينية Mycenean Civilization حيث غدت هذه الكتابة أداة تدوين اللغة اليونانية، وقد ظهرت هذه الكتابة في جزيرة كريت، حيث عثر على نصوص هذه الكتابة في خمسة مواقع؛ كما في خانيا Khania وقصر كنوسوس. كما عثر على ألواح هذه الكتابة في أربعة مواقع في مختلف أنحاء بلاد اليونان مثل بيلوس Pylos حوالي 1088 كتابة أرخت نحو سنة 1200 ق.م، وفي موكيناي Mycenae حوالي 85 كتابة أرخت نحو 1250 - 1225 ق.م، وفي تيرينس Tiryns حوالي 68 كتابة أرخت نحو 1200 ق.م، وفي ثابيس Thebes حوالي 400 كتابة وأرخت ما بين 1300 – 1260 ق.م، وغالبًا ما تظهر هذه الكتابات على الألواح الطينيّة وعلى الجرار[1].

3. كتابات قصر كنوسوس

تعدّ كتابات قصر كنوسوس من مدوّنات الكتابة التخطيطية B، وكان إيفانس قد كشف عن مئات الألواح الطينية بين أنقاض هذا القصر في أوائل القرن العشرين، وكانت هذه الألواح الطينية عبارة عن فواتير، وإيصالات، وسجلات، وكشوف حسابات مما اقتضته إدارة أعمال الأسرة المالكة، كما عثر في مستودع سلاح هذا القصر على صناديق كانت مخصّصة لحفظ الأسلحة، كان يرافقها ألواح طينية دوّن عليها ما يحتويه الصندوق من سلاح. وقد بلغ عدد مدوّنات كنوسوس ما يقارب 4153 كتابة، وأرّخت ما بين 1400 – 1275 ق.م. والملفت

[1]- Finkelberg, M., Op. Cit., 2005, p.58.

للانتباه أنّ هذا الأرشيف يشبه أرشيفات الشّرق القديم لدرجة كبيرة، ولا سيّما أمور العمل ونظام الأوزان والعبارات الإدارية التي تعالج موضوعات اقتصاد القصر، كما أنّها تحوي الكثير من الكلمات المقتبسة من حضارة الشرق القديم، وقد كتب عن هذا الأمر من فك رموز هذه الكتابة وهما فينتريس وشادويك حيث يقولان: «**بالرغم من الاختلافات في المناخ والثقافة، هناك تشابهات كبيرة في الحجم ومنظومة القصر الملكي، وفي الموضوعات التي دوّنت على الألواح الطينية، حيث كانت الموضوعات متوازية وقريبة، ولم يقتصر الأمر على إدراج السلع وكمياتها، لكن التشابه كان أحيانا في تفاصيل أسلوب الكلام**»[1].

لقد كانت القصور والمدافن لزمنٍ طويل شاهدنا الوحيد على حضارة جزيرة كريت، لكن فك رموز الكتابة B زوّدنا بالكثير من المعلومات عن الفترة الآخية في كنوسوس، مما وضح تفاصيل العصور السابقة[2]. إنّ المدقّق في الكتابة التخطيطيّة B سيجد أنّ ملوك كريت لم يكونوا حريصين البتّة على تدوين أخبارهم الخاصة وأنباء معاركهم التي خاضوها والانتصارات التي أحرزوها على أعدائهم على واجهات أو جدران قصورهم أو مبانيهم الفخمة، كما لم يدوّنوا تلك الأخبار على أعمدة خاصّة يقيمونها تمجيدًا لآلهتهم عند عودتهم من إحدى المعارك كما فعل المصريون والعراقيون القدماء وسواهم من أبناء الشرق القديم، سواء بدوافع دينيّة لتمجيد الآلهة التي منحتهم النّصر لأسباب سنسمّيها فيما بعد أسباب تاريخيّة كان الهدف منها أن يطّلع أحفادهم من بعدهم على منجزاتهم العسكرية ومآثره التي تجعل ذكراهم خالدة[3].

ويبدو أنّ الكتابة لم تكن حكرًا على طبقة الكهنة أو على طبقة معيّنة من الكتّاب الرسميين، كما هو الحال في مصر، وربمّا أنّه كان بمقدور الجميع أن يتعلّمها سواء من التّجار أم العمال أم الفلاحين، ما يدلّ على تقدّم الثّقافة في البلاد[4]. وربمّا ستكشف الألواح الطينية التي كان

---

[1]- Ventris, M., and Chadwick. J., Documents in Mycenaean Greek, 2nd edn, Cambridge 1973, p.106.

[2]- Gabriel-Leroux, J., Op. Cit., 1941, p.46.

[3]- نور الدين حاطوم وآخرون، موجز تاريخ الحضارة، م.س، ص279، 380.

[4]- خليل سارة، دراسات في تاريخ الإغريق، مقدمة في التاريخ السياسي والحضاري، دمشق 2004م، ص113.

الكريتي يكتب عليها في يوم من الأيام ما كان عنده من علوم، أمّا الآن فكلّ ما نستطيع قوله أنّ الكريتيين تمتّعوا بنصيب وافر من علوم الفلك؛ لأنّهم اشتهروا كملاحين مهره، وتقول روايات الإخباريين إنّ الدوريين الذين استوطنوا كريت فيما بعد قد أخذوا عن المينويين التقويم المينوي، ويعترف المصريون أنّهم مدينون للكريتيين ببعض الوصفات الطبية، وقد أخذ عنهم اليونان بعض الأعشاب العطرية كالنعناع Mintha، والشيخ الرومي Aspithon، وعقارا آخرا مفيدًا كلّ الفائدة، يقال إنّه يشفي البدانة من غير حاجة إلى الاقتصاد في الطعام، كما تدل على ذلك أسماء هذه الأعشاب التي ظلّت تسمى بأسمائها الكريتية وكذلك هذا العقار[1].

4. كتابات قصر بيلوس

لقد عُثر في مدينة بيلوس Pylos (في ميسليا) على كتابات شديدة الشبه بالكتابات التخطيطية B، حيث عثر على جرار فخاريّة عليها أشكال من هذه الكتابة، التي صارت تعرف اصطلاحًا بكتابة بيلوس، وكانت بيلوس بالأصل من مناطق نفوذ الحضارة الكريتية في بلاد اليونان منذ قرون، لكنّها انقلبت عليها وساهمت في دمارها، مما تسبّب في انتقال مركز الثّقل من كريت إلى بلاد اليونان القارية. وقد بلغ عدد هذه الألواح حوالي 1088 لوح أو شذرات من لوح، وتمّ تأريخ هذه الألواح بسنة 1200 ق.م، وقد وجدت وسط أنقاض حجرة واحدة بالقرب من مدخل القصر، حتى إنّ علماء الآثار قد أطلق عليها اسم حجرة السجلات Archive Room، ويبدو أنّها كانت مكتبًا إداريًّا صغيرًا ملحقًا بالقصر. وإنّ طول كلّ لوح منها نحو ثلاث بوصات، وهي مختلفة الأشكال بعضها مستطيل وبعضها الآخر مربع وبعضها مخروطي، وجلّها مصنوع من الطين الني غير المحروق، مما عرّض بعضها للتلف، لكن الدمار المفاجئ للقصر والنيران التي اشتعلت به جعلت أعدادًا من هذه الألواح يتعرّض للشي، وبالتالي ازدادت صلابتها ومقاومتها[2].

---

[1]- ول ديورانت، قصة الحضارة، م.س، ص32.

[2]- سيد أحمد علي الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم، م.س، ص54.

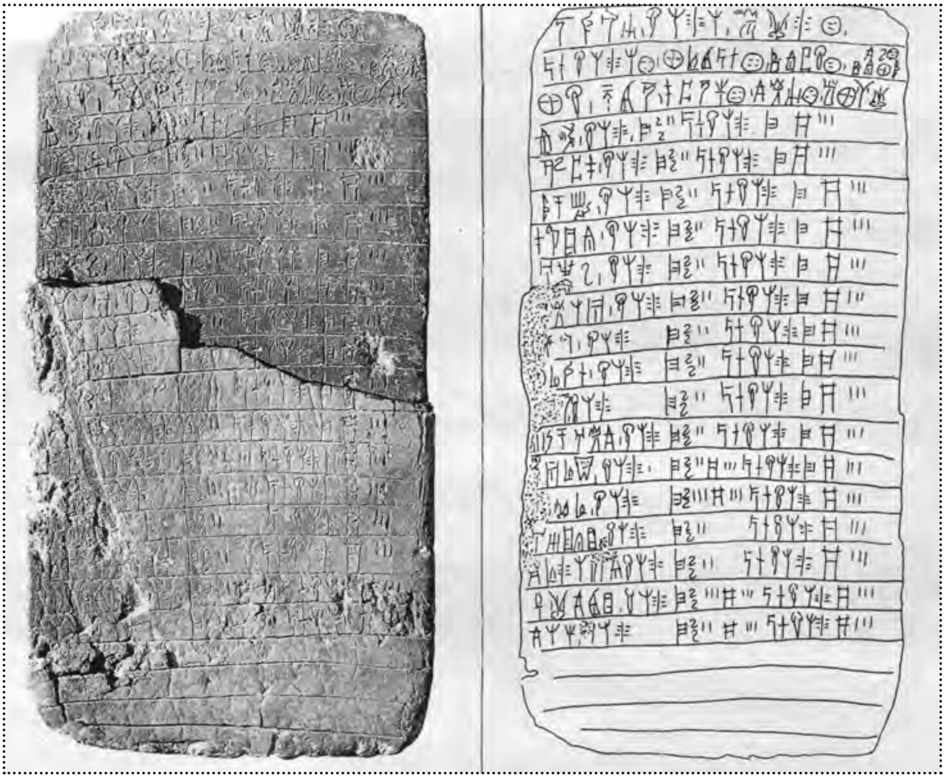

(الشكل 7) اللوح الطيني من بيلوس رقم 826

إنّ هذا يعني أنّ الألواح التي وصلتنا هي الألواح التي كانت قد دوّنت وقت الدمار، حيث تعرّضت لنيران الكارثة مما أتاح لها فرصة البقاء، وهذا يبيّن ضآلة العدد الذي وصلنا. وما يؤخذ على هذه الأقراص أيضًا هو غياب تأريخها، باستثناء بعض الألواح التي تذكر الشهر، كما أوردت بعض الأقراص عبارة «هذه السنة» أو «السنة الأخيرة» وهذا يشير ضمنًا إلى أنّ هذه الأقراص لم يزد عمرها عن السنة، وربّما أنّها كانت تدور ويعاد استخدامها، أو ربّما أنّ الشّتاء كان ينهي سجلات السنة الفائتة بأمطاره الغزيرة ورطوبته، وبالتالي سيصبح من المستحيل عمليّة جمع أيّ مادة تاريخيّة من هذه السجلّات، فنحن لا نمتلك أسماء ملوك ولا نعرف سنوات حكمهم. وإن كنّا نعلم من خلال النّصوص أنّ هناك قصرًا ملكيًّا يتبعه 16 من حكام الأقاليم، ولكلّ حاكم إقليم نائب، ويمكننا أن نتعرّف عليهم من خلال أحد ألواح بيلوس (اللوح رقم829) الذي يحدّد كميات البرونز التي ساهم بها 32 مسؤولاً (16

حاكم إقليم، ونائب لكل حاكم) في كافة أنحاء المملكة، ويبدو أنّ هذا البرونز كان موجودًا في الأماكن العامّة التي تخصّ السّكان، مثل المعابد، وربمّا أنّ ظروف معيّنة مثل المجهود الحربي تطلّبت إرسال هذا البرونز للملك.

لقد كان الغرض الرئيسي من هذه الألواح هو تدوين الأعمال اليوميّة، والسّجلاّت الإداريّة، ويبدو أنّ نظام الكتابة التخطيطية B كان قد تمّ ابتكاره من أجل هذه النّشاطات، حيث تشمل هذه الألواح على جانب كبير من قوائم اسميّة لأشخاص، وبعضها يوضّح وظائفهم وحرفهم أو يشير إلى استئجار الأراضي والمستحق عليها من نتائج المحصول أو التي قاموا بتسليمها للسلطات، وبعضها يسجّل المنتجات ولا سيما المنسوجات الكتانيّة التي اشتهرت بها بيلوس، أو المصنوعات النحاسيّة المصدرة إلى الخارج، وبعضها الآخر يشتمل على بيان بالمواد التموينية التي صرفت لخدمة القصر وأتباعه، أو الهدايا القربانية التي أرسلت إلى محاربي الآلهة ومعابدهم، أو التي أرسلت إلى خفر السواحل ومجدّفي الأسطول. كما احتوى الأرشيف على قوائم جرد أدوات وأمتعة منزليّة أو معدّات عسكريّة، وبيان بتوزيع قوات حربية، وتمدّنا هذه السجلات بصورة حية للقصر الملكي وكلّ من كان يخدم فيه من رجال ونساء وأطفال، حيث نراهم منهمكين في تصريف الشؤون المنزلية أو الإدارية[1]. وقد شاركت المرأة في بعض الأعمال مثلها مثل الرجل حيث هناك نصّان من بيلوس يدرجان أسماء النّساء العاملات ومستحقاتهن من الحنطة والتين (اللوح رقم 573) (الشكل 8). إنّ أغلب ألواح بيلوس تتحدّث عن أعمال المرأة التي انحصرت في صناعة المنسوجات من الكتان أو من الصوف.

(الشكل رقم 8) اللوح الطيني رقم 573 من بيلوس

[1]- خليل سارة، دراسات في تاريخ الإغريق، م.س، ص114.

1. مقارنة بين كتابات القصرين

لقد كان أرشيف بيلوس أكثر تنظيمًا من أرشيف كنوسوس لذلك دراسته أسهل؛ حيث صنّف كتاب بيلوس النّصوص التي تتحدّث عن النّبيذ، والنّصوص التي تتحدّث عن القمح، والنّصوص التي تتحدّث عن الرّجال، والنّصوص التي تتحدّث عن النّساء، والنّصوص التي تتحدّث عن السّلع الأخرى. ولقد لاحظ علماء اللّغات القديمة أنّ جميع النّصوص التي كانت تتحدّث عن مادة بعينها قد دوّنت بذات يد الكاتب، بمعنى أنّ هناك كتّابًا مختصّون في تدوين المواد والسلع كلٌّ حسب اختصاصه، وربمّا كان هناك سلال قد صنّفت فيها الألواح الطينيّة. وربمّا أنّ سبب تقدّم أرشيف بيلوس على كنوسوس؛ أنّ أرشيف كنوسوس أقدم بقرن وربمّا أكثر، إلا أنّ كلا الأرشيفين يظهران تطابقًا في النّظم الإدارية المعتمدة في القصرين، عمومًا إن هناك معلومات غنيّة ومهمّة في ألواح بيلوس وكنوسوس وتيرينس وموكيني.

هل استعار اليونان الكتابة التخطيطية B من الشرق القديم؟

2. كتابات تل دير العُلا Tell Deir Alia

وقبل الانتقال من كريت إلى بلاد اليونان القارية يجب الإشارة إلى أنّه عثر على أقراص طينيّة في الشّرق القديم عليه كتابات تشبه الكتابة التخطيطيّة B، كما في **تل دير العُلا** Tell Deir Alia في الأغوار الوسطى شرقي نهر الأردن، ولا يبعد هذا التل أكثر من 4 كم شمال جسر نهر الزرقاء، وتؤرّخ هذه الكتابات بنحو 1200 ق.م[1]، اكتشفت الألواح في 14 نيسان 1864م من قبل بعثة أثريّة هولنديّة أردنيّة مشتركة، وكان تعدادها 11 لوحًا طينيًّا، حوت ثلاثة منها على كتابات ونقوش ويبدو أنّها نفذت بواسطة إبرة مدبّبة، وكتبت في الموقع ذاته أي أنّها ليست وافدة إليه، وربمّا أنّ الأداة التي استخدمت للكتابة على الطين الطري كانت قد صنعت من العظم[2]. وإنّ هذه الكتابة تحمل مكوّنات الأبجديّة الخطّيّة حيث كتبت من اليمين إلى اليسار، وتوجد ضربات عموديّة فصلت الكلمات عن بعضها، وهي تجمع

---

[1]- Finkelberg, M., Op. Cit., 2005, p.59

[2]- Kafafi, Z. A., The Archaeological Context of the Tell Deir ʿAll Tablets, Yarmouk University, Irbid p.121 & Franken, H.J. Excavations at Tell Deir ʿAlla. The Late Bronze Age Sanctuary. Louvain: Peeters, 1992, p.58

بين كتابات مينوس الخطية، والإشارات التصويرية إلى حدّ ما، وتشبه الأبجدية الفينيقية، والكتابات اليمنيّة القديمة أيضًا.

إنّ هذا التّشابه يذكّرنا برأي من الآراء المهمّة في موضوع أصل الكتابة الأبجديّة وانتشارها، وهو رأي الباحث الألماني موريتز، الذي رأى أنّ أصل الحروف بعد الكتابة الهيروغليفية، كان في اليمن وفي رأيه أنّ اليمنيين هم من اخترع الكتابة (الأبجدية) لا الفينيقيين، بحيث إنّ الفينيقيين بنوا كتابتهم على الكتابة اليمنيّة، ومن ثمّ أخذ اليونانيون عن الفينيقيين، فيكون العرب هم الذين ابتكروا الكتابة[1].

(الشكل رقم 9) كتابات دير تل العلا

[1]- محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، القاهرة، 1939م، ص41.

3. كتابات وادي بيكا Beqa في لبنان

والأهم هو العثور في وادي بيكا Beqa في لبنان على صنف من الكتابات الغامضة، وهذه الكتابات خطيّة بدلاً من أن تكون تصويريّة، واعتبرها البعض كتابة مقطعيّة، وجدت مدوّنة على قطع فخارية، وكشفت من قبل ماكيلاند McClelland وفي موقع جسر وادي بيكا على بعد بضعة أميال من كامد اللوز (في الجزء الجنوبي الشرقي من سهل البقاع) أرخت بـ 1800 ق.م، وقد اكتشف المنقّبون الألمان عدداً من الأوستراكا ostraca عليها إشارات من ذات النّمط اعتبرت إشارات كتابية مبكّرة (الشكل 10) تم تأريخها بالقرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد. إنّ إشارات كامد اللّوز تشبه الكتابة العربية الجنوبيّة، وربمّا تطوّرت منها فيما بعد الكتابة التخطيطية B، وربمّا تطوّرت عنها الفينيقيّة أيضًا، حيث رتّبت الإشارات في خطوط أفقيّة من اليمين إلى اليسار، وهناك ضربات عموديّة قسّمت الكلمات. في الواقع لقد احتوت شقفَ ألواح بيكا ميّزات غير عاديّة، فهذه الإشارات المبكرة المجرّدة تمامًا، تشبه مكوّنات الأبجديّة الخطيّة والتي ستظهر فيما بعد[1].

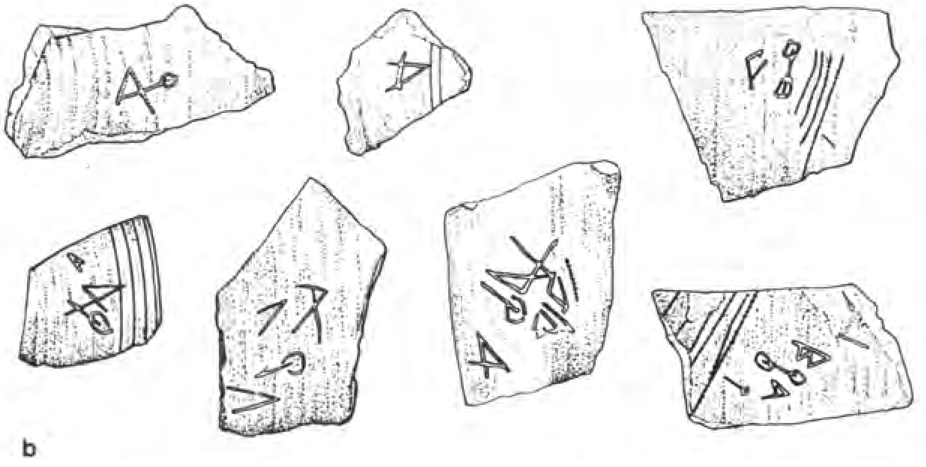

(الشكل 10) كتابات وادي بيكا نقلاً عن موسوعة كامبردج للتاريخ القديم ص796

[1]- The Cambridge Ancient History, Vol III, Part 1, Cambridge University Press1988, p.796

سادساً: الكتابة والتدوين في عصر هوميروس

تجدر الإشارة إلى أنّه ليس هناك إشارة واضحة عن الكتابة لا في الإلياذة ولا في الأوديسة، عدا إشارة واحدة جاءت عابرةً في الإلياذة في النشيد السادس، وهذا نصّها:

وخط على رقعة مهرا رسوم الحمام كما أضمرا

وسيره لحميه المبجل بـلـيـقـيـة بالكتاب ليقتل

فقد أرسل فروتيوس رسولاً إلى والد زوجته المدعو سوباتس ملك ليقية، حيث خط علامات كثيرة على لوحين منطبقين، وقد حمل هذا الرسول الإشارات المدوّنة التي فيها أمر مقتله، ورغم أنّه لا دليل ثابت على معرفتهم الكتابة في ذلك العصر، إلّا أنّ الظّاهر أنّهم كانوا يتفاهمون بإشارات مخصوصة يخطّونها على رقاع[1]. ويرى **جورج سارتون** أنّ العلامات القاتلة تشير إلى نوع من الكتابة؛ كالكتابة الكريتيّة التي كشفها إيفانس في جزيرة كريت، فليقية كانت مستعمرة كريتية، وعلى هذا نستطيع أن نتّخذ من هذا البيت المقتطف من أشعار هوميروس برهانًا على أنّ نوعًا من الكتابة كان معروفًا في تلك الأيام التي تؤرّخ بالقرن الثاني عشر قبل الميلاد[2]. إنّ ما يلفت الانتباه أنّه مضى على ابتكار «الكتابة» أكثر من ألفَي سنة في الشرق القديم، ونحن نتساءل كيف ظلّ هوميروس جاهلاً بالأمر؟ حتى إنّه يشير إلى الكتابة مرّةً واحدةً في 28 ألف بيت وبطريقةٍ مُشوَّشة[3].

يرى جورج سارتون أنّ هوميروس لم يكن يهتمّ بالكتابة، إلّا على أنّها وسيلة للتّفاهم نادرة غامضة يمكن أن تستخدم في الأحوال الشّاذّة، ولكنّها وسيلة لا تعني رجال الأدب. ويؤكّد جورج سارتون أنّه لم يدرِ في خلد هوميروس أن يدوّن منظوماته. وكيف يكون في استطاعته أن يفعل ذلك مع العلم بأنّ لا قيمة لاختراع الكتابة في الأغراض الأدبيّة إذا لم يكملها أدوات الكتابة، ولم يكن في زمن هوميروس من هذه الأدوات ما يلائم المؤلّفات الطويلة، فأوراق البردي لم تصبح ميسورة في بلاد اليونان حتى بداية الأسرة السادسة والعشرين المصرية أي

[1]- هوميروس: الإلياذة، ترجمة: سليمان البستاني، لا ط، القاهرة، دار كلمات عربية، 2011م، ص455.

[2]- جورج سارتون: تاريخ العلم، العلم القديم في العصر الذهبي لليونان، ترجمة: طه باقر وآخرون، تدقيق: قسطنطين زريق وآخرون، لا ط، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2010م، ج1 الأصول الشرقية واليونانية، ص292.

[3]- باري باول: هوميروس، ترجمة: محمد درويش، مراجعة: شيماء الريدي، لا ط، المملكة المتحدة، مؤسّسة هنداوي، 2019م، ص41.

مع حكم بسماتيك الأول (663 - 609 ق.م)[1]. وإن كنّا نؤيّد ما ذهب إليه الأستاذ باول أنّ غياب الكتابة في عالم هوميروس لَخيرُ شاهد على انحصار المجتمع الهيليني وإقليميّته بعد سقوط الحضارة الموكينية نحو سنة 1150 ق.م، ودليل على العُزلة الهيلينيّة عن مراكز الحضارات القديمة[2].

سابعًا: دور الفينيقيين في نقل الأبجدية إلى اليونان

إنّ أثمن ما ساهم به الفينيقيون في الحضارة الإنسانية هو ابتكار أبجديّة مبسّطة لتسجيل الصوتيات التي ينطقون بها الكلمات، ومن المعروف أنّ الفينيقيين أخذوا فكرة الأبجدية عن السومريين والذين كانت طريقتهم تعرف باسم الكتابة المسمارية، وجعلوا من مقاطع المسمارية حروفًا. ويفترض العلماء أنّ هذا التّطوّر حدث في أوغاريت إبّان القرن الرابع عشر ق.م بعد ذلك قامت مدينة بيلوس (جبيل) باختصار هذه الأبجدية الجديدة لتصبح اثنين وعشرين حرفًا بدلاً من ثلاثين وهي الأحرف الأساسية التي تقوم عليها الأبجدية الفينيقيّة. ولقد فضّل الإغريق تبنّي الكتابة الفينيقيّة (الأبجدية) على جميع أنواع الكتابات الأخرى لسهولة استخدامها[3]، وإن كنّا دائمًا نردّد عبارة فضل الفينيقيين على مختلف الشعوب في ابتكار الأبجديّة الصوتيّة، ونقلها إلى اليونان، ومع اعترافنا للفينيقيين بشرف السبق في ابتكارهم هذا، إلاّ أنّنا لم نسأل أنفسنا قط، كيف استعار الإغريق المخطوطات وعدلوها بما يتناسب مع احتياجاتهم، حيث يرى إدوارد شوايزر أنّ الصوتيات العمليّة المتضمّنة في تلاوة الترنيمات الدينيّة في معابد الآلهة وفي أشعار هوميروس كانت خطّة أوّليّة ضروريّة لاستخدام أبجديّة أجنبيّة في كتابات الإغريق[4].

إنّ عمليّة نقل الأبجديّة الفينيقيّة إلى اليونان قد تمّت في القرنين التاسع- الثامن قبل الميلاد، ويبدو أنّ اليونان قد بذلوا جهودًا جبّارة في جعل الأبجدية الفينيقية تناسب أصواتهم لا بل عقليّتهم، فمثلاً أسقطوا فيما بعد الحروف التي لا تستطيع حنجرتهم نطقها مثل الصاد

[1]- جورج سارتون، تاريخ العلم، م.س، ص292.

[2]- باري باول، هوميروس، م.س، ص41.

[3]- سيد أحمد علي الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم، م.س، ص128، 129.

[4]- بنيامين فارتن: العلم الإغريقي، ترجمة: أحمد شكري سالم، مراجعة: عبد الحكيم منتصر، لا ط، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2011م، ج2، ص101

والواو كما أضافوا حروفًا متحرّكة إلى الأبجدية الفينيقيّة التي تتكوّن أساسًا من حروف ساكنة، ولكي يكونوا أمينين ظلّوا يسمّون تلك الأبجديّة بعد تطويرها بالفينيقية[1]، ويبدو أنّ عمليّة النّقل النّهائي للأبجديّة من الفينيقيين لليونان قد سبقها عدد من التّجارب التمهيديّة، قبل أن تأخذ الحروف اليونانيّة شكلها النهائي، ويبدو أنّ هذه التّجارب التمهيديّة كانت تجري على الساحل السوري، ويبدو أنّ الصّلات الطويلة والتي استمرّت لقرون عدّة في أجزاء مختلفة من الساحل السوري تركت آثار كتابات يونانية فيه، وقد وصلت هذه الصلات في القرن الثامن إلى ذروتها، وربما قبل ذلك، وقد لعبت كريت وقبرص دورًا مهمًّا في نقل الأبجديّة الفينيقيّة إلى اليونان، حيث كشف علماء الآثار في جزيرة كريت على طاسة برونزيّة أرخت ما بين 950 – 850 ق.م عليها كتابات فينيقيّة، وهذا الاكتشاف يعزّز مكانة كريت كمعبر لحضارة الشّرق القديم إلى بلاد اليونان عبر العصور[2].

أمّا **قبرص** فقد كان تاريخها غامضًا بعض الشيء، وكانت تجري البحوث عنها دون نظريّة واضحة، وما ميّز قبرص هو غناها بالغابات والنّحاس وموقعها المميّز قبالة الشواطئ السورية وشواطئ الأناضول، ولا شكّ أنّ هذا الموقع وهذه الثروات قد جلب إليها سكان آسيا، وهكذا شكّلت معبرًا لحضارة آسيا باتّجاه جزر بحر إيجة[3]. ويبدو أنّ الوجود الفينيقي قد تسرّب إليها مبكرًا، ربمّا منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد، حيث كشف عن مزهريّة في قبرص على قاعدتها ثلاثة حروف فينيقيّة (الشكل 11)، وقد أرخت هذه المزهريّة في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، لا شكّ أنّ لهذه الرموز قيمتها، ولا شكّ أنّ المؤثّرات الحضاريّة ومن ضمنها الكتابة قد انتقلت من الفينيقيين إلى اليونانيين بفعل التّجارة، ولا سيّما أنّ الحضور الفينيقي صار أمرًا واضحًا وضوح عين الشمس في المياه الإقليمية اليونانية من القرن التاسع قبل الميلاد[4].

---

[1]- سيد أحمد علي الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم، م.س، ص129.

[2]- The Cambridge Ancient History, Op. Cit., 1988, p.817.

[3]- Gabriel-Leroux, J., Op. Cit., 1941, p.19.

[4]- The Cambridge Ancient History, Op. Cit., 1988, p.817.

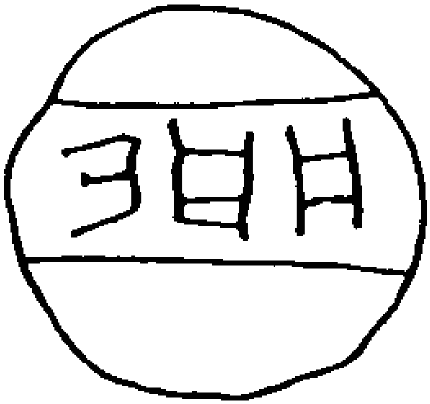

(الشكل 11) الحروف الفينيقيّة الثلاث التي عثر عليها مدوَّنة على قاعدة مزهرية في قبرص.

ثامناً: نتائج ومناقشة

بما أنّ بحثنا اعتمد على الرّوح النّقديّة، كان من الواجب أن تتماشى نتائجه مع هدفها، وبالتالي فإنّ جميع الآراء الشائعة ليست مقدّسة وهي قابلة للنّقد، ضمن إطار علمي إنساني ديني. أمّا أهمّ النّتائج التي توصّل لها البحث فهي:

إنّ فكرة الوحدانيّة والإيمان بوجود خالق واحد سابقة لفكرة تعدّد الآلهة التي شاع الاعتقاد بها سابقًا أنّها كانت شائعة في بعض الحضارات القديمة.

إنّ نقد أصول الكتابات القديمة في كريت، بأشكالها الثلاث، يبيّن أنّها وافدة من الشّرق القديم عبر الأناضول والساحل السوري باتّجاه بلاد اليونان عبر هذه الجزيرة التي استوعبت جميع المؤثّرات الحضاريّة القادمة من الشّرق، ثمّ أعادت صياغتها للعالم اليوناني باللّغة التي يفهمها، وهذا ينسف فرضيّة المعجزة اليونانيّة من جذورها.

يبدو أنّ جميع منابع الحضارة اليونانيّة يقع في الشّرق القديم، فرغم أنّ العلماء قد عجزوا عن قراءة الهيروغليفيّة الكريتيّة إلاّ أنّ هناك من الدلائل ما يثبت أنّها مشتقّة من الكتابة السومرية المسمارية، استنادًا إلى مبدأ الكلمة الأحاديّة والمقطع المكافئ، وهذا عكس الفكرة الشائعة أن الهيروغليفية الكريتية إبداع محليّ أو ربمّا تطوّرت عن الهيروغليفيّة المصريّة.

رغم عجز العلماء عن قراءة الكتابة التخطيطية A إلاّ أنّ أحدث الدّراسات اللّغويّة تؤكّد أنّ هذه الكتابة تحمل صفات اللّغة الأكاديّة، وهذا عكس الاعتقاد الشائع أنّها متطوّرة عن الهيروغليفيّة الكريتيّة.

أمّا الكتابة التخطيطيّة B، التي تمُكّن علماء اللّغة من فكّ رموزها، فقد تبيّن أنّها نتاج تفاعل حضاريّ عميق مع أبناء الشّرق القديم، ثمّ طوّرها أبناء كريت بما يتناسب مع حضارتهم، والأدلّة القادمة من وادي بيكا في لبنان ومن تل دير العلا في الأردن هي خير شاهد على ذلك، وهذا يتناقض مع الرأي الشائع أنّها قد تطوّرت عن الكتابة التخطيطيّة A، لا بل إنّ هذه النّظريّة سقطت مع فرضيّة المعجزة اليونانيّة؛ لأنّ جميع المحاولات الحديثة للعديد من علماء اللّغة لقراءة الكتابة التخطيطية A بواسطة الكتابة التخطيطية B باءت بالفشل.

لم يقتصر دور أبناء الشّرق القديم على نقل الأبجدية لليونان على يد الفينيقيين في الألف الأوّل قبل الميلاد؛ لأنّ كلّ أسس ما يسمّى بالمعجزة اليونانيّة هو نتاج تفاعل حضاري عميق مع حضارة الشّرق القديم، وبدل أن نتحدّث عن المعجزة اليونانيّة يجب علينا أن نتحدّث عن معجزة الشّرق القديم.

المراجع العربيّة والمعرّبة

1. باري باول، هوميروس، ترجمة محمد درويش، مراجعة شيماء الريدي، مؤسّسة هنداوي، المملكة المتحدة 2019م.

2. بنيامين فارتن، العلم الإغريقي، ج2: ترجمة أحمد شكري سالم، مراجعة عبد الحكيم منتصر، المركز القومي للترجمة القاهرة 2011م.

3. جورج سارتون، تاريخ العلم، العلم القديم في العصر الذهبي لليونان، ج1 الأصول الشرقية واليونانية، ترجمة طه باقر وآخرون، تدقيق قسطنطين زريق وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2010م.

4. خليل سارة، دراسات في تاريخ الإغريق، مقدمة في التاريخ السياسي والحضاري، منشورات جامعة دمشق، دمشق 2004م.

5. سيد أحمد علي الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم، من حضارات كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندر، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة 1976م.

6. لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1991م.

7. محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، القاهرة 1939م.

8. نور الدين حاطوم وآخرون، موجز تاريخ الحضارة، ج1: حضارات العصور القديمة، مطبعة الكمال، دمشق 1965م.

9. هوميروس، الإلياذة، ترجمة سليمان البستاني، دار كلمات عربية، القاهرة 2011م.

10. ول. ديورانت، قصة الحضارة، حياة اليونان، ج1 من مج2، ترجمة محمد بدران، بيروت، د.ت.

المراجع الأجنبية

1. Finkelberg, M., Greeks and pre-Greeks, Cambridge University Pres, Cambridge 2005.

2. Franken, H.J. Excavations at Tell Deir ʿAlla. The Late Bronze Age Sanctuary. Louvain:

Peeters, 1992.

3. Gabriel-Leroux, J., Les premières Civilisations de la Méditerranée, presses Universitaires de France, Parise 1941.

4. Godart L., Olivier J.-P., Corpus Hieroglyphicarum Inscriptionum Cretae. Études Crétoises, CHIC 31,1996

5. Goormachtigh, M., Phaistos Disk and its meaning: a new approach. 5- 7- 2015.

6) Kafafi, Z. A., The Archaeological Context of the Tell Deir ʻAllā Tablets, Yarmouk University, Irbid.

7. Kenanidis, K., Cretan Hieroglyphics; The Ornamental and Ritual Version of the Cretan Protolinear Script, Anistoriton Journal, vol: 15, 20162017-

8. Leick, Gwendolyn., A Dictionary of Ancient near eastern mythology London and New York, 1991.

9. Revesz, P. Z., A Computer-Aided Translation of the Phaistos Disk, International Journal of computers; Vol; 10, 2016.

10. Schoep, Ilse, The origins of writing and administration on Crete, Oxford Journal of archaeology, Oxford 1999.

11. Surnin. V., Hieroglyphs of the Phaistos disc: History and full text translation., Rostov-on-Don, 2013.

12. The Cambridge Ancient History, Vol III, Part 1, Cambridge University Press1988.

13. Ventris, M., and Chadwick. J., Documents in Mycenaean Greek, 2nd edn, Cambridge 1973.

التَّأثِيرَاتُ الشَّرْقِيّةُ عَلى الْحَضَارةِ الإغريقيّة

نبيل علي صالح[1]

مقدمة

يستندُ الغربُ الثقافي والسّياسي المعاصر، في نظرته الفوقيّة والمركزيّة للعوالم الأخرى، ومنها عالمنا الإسلامي وعموم العوالم الشرقيّة التي انبثقت منها الحضارات البشريّة الأولى في بلاد الرافدين ومصر وسوريا، يستندُ على رؤيةٍ ثقافيّةٍ قديمة تعود إلى عصر اليونان الذي يعتبرونه (هناك في الغرب الحديث، وفي صلب فضاء الثقافة الغربية) عصرَ المعجزة العقليّة التي أسّست ـ كما يزعمون ـ لكلّ ما بعدها من حضارات وثقافات إنسانيّة، متناسين ما قدّمته وأعطته وأنجزته حضارات الشّرق القديمة ـ قبل عصر اليونان ـ من رأسمال مادي ورمزي، وآثار ماديّة علميّة ومعارف فلسفيّة وفكريّة وإنسانيّة واسعة، وفي شتّى مجالات النّشاط البشري.

في هذا البحث، سنحاولُ إثبات القاعدة والخلفيّة الشرقيّة للفكر اليوناني، ولمختلف علومه وفلسفته وكثير من مواقع نظراته الحياتيّة والوجوديّة. وسنتّبع فيه منهج البَحث الاستقرائي التحليلي.

أوّلاً: مقدّمة تاريخيّة عن زمنِ نشوء حضارات الشرق وحضارة اليونان

على عكس ما كانَ سائدًا (أو حاولوا جَعْله سائدًا) حتّى لفتراتٍ زمنيّةٍ قريبة من أنّ الإغريقَ اليونانيين هم أصحابُ معجزةِ العقل، أو ما أطلق عليها بعض الباحثين الغربيين «المعجزة البشريّة»، أو هم أصحاب الحضارة الأكثر قِدَمًا وتطوّرًا وعطاءً وتميزًا وإنتاجيّةً في حركة التّاريخ البشري من بين كلّ الحضارات، فقد أكّدت معظم أقوال العلماء والباحثين

[1]- كاتب وباحث سوري.

المتخصّصين، واعترافات الفلاسفة والعلماء والمؤرّخين، وكلّ أعمال الحفر والتنقيب الأثري (الأدلّة التاريخية والأثريّة) التي جرتْ في بعض بلداننا العربيّة (وبخاصّة في كلّ من مصر والعراق وسوريا وفلسطين ولبنان)، أكّدت أنّ هذه الأراضي ـ التابعة لتلك البلدان في يومنا هذا- شهدت ولادة الحضارات البشريّة الأولى، ونشوء أقدم المدن والممالك الإنسانيّة التي احتوت على كنوز تاريخيّة وأثريّة عظيمة، وقدّمت للبشرية حياة التّحضّر والمدنيّة بمعالمها ومفرداتها العمليّة الأولى، وأعطت الكثير من الاختراعات والاكتشافات واللّبنات الأولى لتطوّر العقل البشري في تمكين وجوده الحضاري الحي على الأرض في فعْله وعمله وحيازته لأسباب القوّة ووسائل العيش وأدوات التواصل[1].

1. حضارات الشّرق القديم عامّة في مراحل نشأتها الزّمنيّة

إذا أردنا وضع تحقيبٍ زمنيٍّ لنشأة الحضارات القديمة الأولى في حركة التاريخ البشري، يمكن القول -بناءً على مراجع التاريخ، وأعمال الحفر الأثري- بأنَّ الحضارةَ التي نشأتْ على أرضِ كلّ من سوريا ومصر وبلادِ الرافدين بالذّات تعتبر من أقدم الحضارات المدينيّة في العالَم أجمع؛ حيث إنّه وبعد أنْ قضى الإنسانُ القسمَ الأعظم من حياته في أطوار عيشه البدائي، دخلتِ البشريّةُ في أخطرِ تجربةٍ وأصعب امتحانٍ لا تزال تعانيهما بانتقالها إلى طور الحضارة الناضجة والمنتجة (حضارة العقل والفلسفة والإنجاز)..

ولا نعدم وجود كثير من مفكّري الغرب الحديث (ونخبه وعلمائه) يتحدّثون عن قناعة وعمق فكري تاريخي عن الأصول الشرقيّة للحضارات البشريّة كلّها (وليس فقط الحضارة اليونانيّة)، رغم أنّهم ينتمون فكريًّا ومفاهيميًّا وجغرافيًّا لها، ويردّونها (أي أصل الحضارة

[1]- راجع المصادر التالية:

-هنري فرانكورت: **فجر الحضارة في الشرق الأدنى**، ترجمة: ميخائيل خوري، دار مكتبة الحياة، لبنان، بيروت، طبعة عام 1959 م.

-مارتن برنال: **أثينه السوداء، الجذور الآفروسيوية للحضارة الكلاسيكية**، تحرير ومراجعة وتقديم: أحمد عثمان، ترجمة: لطفي عبد الوهاب يحيى وآخرون، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة، مصر، القاهرة، طبعة عام 2002 م، الجزء الأول (تلفيق بلاد الإغريق).

-سامي سعيد الأحمد: **حضارات الوطن العربي القديمة أساساً للحضارة اليونانية**، طبعة أولى 2003، منشورات بيت الحكمة، العراق، بغداد.

-أسامة عدنان يحيى: **تاريخ الشرق الأدنى: دراسات وأبحاث**، دار أشوربانيبال للكتاب، العراق، بغداد، طبعة أولى 2015 م.

اليونانية) إلى عالم الشّرق، وأنّ اليونانيين عرفوا الحضارة بعد احتكاكهم بالشّرق وأخذهم منه وتفاعلهم مع منتجاته ومكتشفاته الأولى؛ حيث يرى «جورج كونتينو»: «لم تكن حضارة وادي الرافدين أقدم حضارة فحسب، بل كانت أكثر الحضارات العالمية اتزانًا وأصالةً، وإنّ الحضارات التي تلتها، أسّست فوقها وعقدت أصالتها في الإضافات. ولمْ يُتحْ للبشريّة التّخلص من هذا التعقيد إلا مع بداية الفكر المعاصر.. لذا فإنَّ الانتباهَ واجبٌ من أخذ ما يقوله الأجانب من أنّ حضارات وادي الرافدين كانت ممزوجة بالأساطير!»[1]. وذهب كثيرون غيره إلى الرأي نفسه حين قرّروا أنّه لم يبقَ من شيءٍ في مدينة اليونان لم يلحق به تأثيرُ الشّرقِ في آسيا الصغرى، ولا يستثني من ذلك الدين اليوناني الذي اقتبس كثيرًا من المعتقدات والأفكار الشّرقيّة.. وأنّه مهما قلبنا وجوه الرأي وأمعنّا البحث، فلن نعثر على مدنيةٍ يونانيّةٍ أصيلة بريئة من التّأثّر بالحضارات الشرقيّة، غير أنّ الإعجاب الشديد باليونانيين هو الذي جعل جمهرة من أصحاب الرأي، تصرّ على إنكار تأثر حضارة اليونان بحضارات الشرق[2].

طبعًا ذلك الانتقال الحضاري المديني، تحقَّقَ لأوّل مرّة في تاريخ الإنسان بانتقال وادي الرافدين ووادي النيل ـ في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد ـ إلى حياة التّحضّر المدنيّة (الثّبات العَيشي على الأرض)، بحسب ما يذكر الدكتور طه باقر في كتابه عن تاريخ الحضارات القديمة[3]. وأيضًا بحسب «صمويل كريمر» في مؤلّفه الهام عن «ألواح سومر» الذي يصّرح بأصالة حضارة الرافدين وأقدميتها مؤكّدًا على إذا تجاهلنا المخطوطات التي كانت تكتب على الأوراق، وذهبنا إلى النّظر للألواح التي حُفر عليها بالكتابة المسمارية (التي يصعب محوها، أو تزييفها)، فإنّنا سنجد عدد الألواح التي تم اكتشافها لغاية عام 1995 م يزيد عن مليون لوح طيني مشوي، غير التي لم تكتشف بعد.. وسيبهر القارئ ببعض ما حوت تلك الألواح، ويقف احترامًا لتلك الحضارات الرّاسخة الأصيلة[4].

2. حضارة الرافدين

لقد سبقت حضارةُ العراق في قِدَمها نشأةَ كلّ الحضارات القديمة في كلّ من الهند والنيل

---

[1]- جورج كونتينو: **الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور**، ترجمة وتعليق: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، لا ط، العراق، بغداد، طبعة عام 1979 م، ص40.

[2]- إسماعيل مظهر، **فلسفة الألم واللذة**، ط1، القاهرة، دار كلمات عربية للنشر والتوزيع، 2012 م، ص18.

[3]- طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ط2، بغداد، شركة دار الوراق للنشر، 2012 م، ج1، ص225.

[4]- صمويل كرومر، **ألواح سومر**، ترجمة: طه باقر، تقديم: أحمد فخري، ص225.

وبلاد اليونان والصين، وغيرها من الحضارات. حيث ولدت على تلك الأرض (أرض بلاد الرافدين) العديد من الممالك الحضاريّة البشريّة الأولى التي لا تزال آثارها الماديّة العينيّة والرّمزيّة الفكريّة حيةً وشاهدةً بوضوح على عَبَقها وقِدَمها وأصالتها، كالحضارة البابليّة والسومريّة والآشوريّة والأكاديّة.

وقد عُرِفَتْ تلك الأطوار الحضاريّة المدنيّة في العراق للمختصين المحدثين بأسماء المدن والقرى والمواقع التي ظهرت فيها لأوّل مرّة، ومدن الطور الأقدم هي: (حسونة) ثم (سامراء) و(حلف) و(العبيد) و(الوركاء) وأخيرًا (جمدة نصر). وشهدَ العراقُ خلال هذه الأطوار اتّساع الزّراعة وبداية الحياة الحضريّة ونشوء أولى المدن.. وعرف بناة الحضارة أيضًا فنّ التعدين وابتدعوا دولاب الخزاف وصنعوا الآجر المفخور والعربة ذات العجلة الدائرية[1]، وكذلك المحراث فضلاً عن السفن الشراعية[2].

وعرف في أوائل تلك الأطوار أيضًا فنُّ النّحت، وظهرتْ كذلك المباني العامة كالمعابد، حيث كثرتْ وازدادتْ أهميتها منذ طور (العبيد). وعرف طور الوركاء (3500 ق.م) بالعهد الشبيه بالكتابي، ومن المعروف أنّ الكتابة قد أرسيت قواعدها تمامًا خلال الطور الذي أعقبه وهو (جمدة نصر) في حدود سنة 3000 ق.م[3].

نعم لقد أذهلت منطقة بلاد ما بين النهرين الغرب بآثارييه وعلمائه ومؤرّخيه.. وفي هذا الشأن، يعتبر العالم بول كولينز من متحف «أشموليان» بمدينة أكسفورد البريطانيّة أنّ تلك البقعة من العالم أسرتْ المخيّلة الغربية، حيث أسّست مجمّعات بشريّة مستقرّة هي المجتمعات الزّراعيّة الأولى حوالي العام 6000 قبل الميلاد اعتمدت فيها على نظم ري ونظم إداريّة جديدة، كما قدّمت الكثير من التفاصيل والتوضيحات عن عالم الكتاب المقدس؛ ولذا كان هناك شعورٌ بوجود عالمٍ غريب وغير مألوف، لكنّه ينطوي في الوقت نفسه على

[1]- بهنام أبو الصوف، **التاريخ من باطن الأرض: آثار وحضارات وأعمال ميدانية**، مطابع شركة الأديب، الأردن، عمان، طبعة عام 2009 م، ص 43 وما بعدها.

[2]- هنري فرانكفورت، **فجر الحضارة في الشرق الأدنى**، ترجمة: ميخائيل خوري، دار مكتبة الحياة، لبنان، بيروت، طبعة عام 1959 م، ص60 وما بعدها.

[3]- عبد العزيز حميد صالح، **موجز تاريخ العراق القديم**، موقع الجزيرة نت، تاريخ مشاهدة الرابط على الشبكة العنكبوتية: 10 /8/ 2019 م- الرابط:
https://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/fc87a7965-e7c-4eb8-ae03-deced819e104#L1

تلك السّمات الرئيسيّة التي كانت مألوفة المتمثّلة في الإمبراطوريات والمدن والملوك[1]..

وهذه المجهودات التاريخيّة ـ التي كان للتفكير والعقل الشرقي (إذا صح الاصطلاح أو جازت التسمية) الدور الأكبر في معرفتها وبنائها ـ أفضتْ بمجملها إلى إيجاد ثقافةٍ مميّزة ومتطوّرة تمثّلتْ في العادات والتقاليد والمعتقدات والتفكير الفلسفي والحكمة العمليّة، والأنماط الفكريّة والميثولوجية التي اشترك بابتداعها وإيجادِها سكّان تلك المنطقة، حيث كتبوها ووثّقوها لأوّل مرّة منذ الألف الرابع قبل الميلاد على شكل نصوص بلغتهم المسماريّة التي اخترعوها واشتقّ اسمها من الشكل المميز للحرف المسماري ذي الرأس المدبب.. وكانت الكتابات تسجّل على ألواح من الطّين اللين ثم تجفّف بالشمس أو بالأفران حاملة أختامًا رسميّة أسطوانية[2].

3. الحضارة السوريّة:

ولا يمكن أنْ ننسى هنا أيضًا الحضارة الشرقيّة المهمّة الأخرى، وهي **الحضارة السورية القديمة** التي ازدهرت خلالَ الألف الثانية قبل الميلاد في مناطق كثيرة من سوريا المعروفة، وكان على رأسها وفي مقدّمتها حضارة مملكة إيبلا ومملكة ماري[3]، وحضارة مملكة أوغاريت الفينيقيّة الساحلية (على شاطئ البحر الأبيض المتوسط/ مدينة اللاذقية السورية)[4] التي أعطت للبشريّة الحروف الأبجديّة الأولى خلال القرن السادس عشر قبل الميلاد.. وهذا كان من أرقى وأعلى أشكال الإبداع الفكري والإنتاج الثقافي في تاريخ البشريّة، وليس فقط على مستوى المقارنة بين حضارات الشرق وحضارة اليونان..

---

[1]- راجع: هنري فرانكفورت، **فجر الحضارة في الشرق الأدنى**، م.س، ص65.
-ألاستير سووك: **بلاد ما بين النهرين**: البقعة العتيقة التي بدأ منها التاريخ، موقع bbc، تاريخ النشر: 2016/12/16 م، تاريخ مشاهدة الرابط (2019/8/12 م)- الرابط:
http://www.bbc.com/arabic/vert-cul-38342736

[2]- راجع: الراوي، فاروق ناصر: **العلوم والمعارف، حضارة العراق**، ط1، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1985 م، ج2، ص2.
-هاري، و. ف. ساكز: **الحياة اليومية في العراق القديم (بلاد بابل وآشور)**، ترجمة: كاظم سعد الدين، دار المأمون للترجمة والنشر، العراق، بغداد، طبعة عام 2010 م.

[3]- راجع: بشار خليف: **مملكة ماري وفق أحدث الكشوفات الآثارية**، طبعة دمشق لعام 2005 م.

[4]- جبرائيل سعادة: **رأس شُمرا وآثار أوغاريت**، ط1، دمشق، طبعة وزارة المعارف السورية، 1954 م، ص22.

4ـ الحضارة المصرية:

وأمّا **قدماء المصريين (الفراعنة)** فقد حقّقوا إنجازات كبرى وأشادوا حضارتهم المكتوبة قبل الإغريق بعشرات القرون، بالتالي لا أحد يستطيع إنكار هذا القدم التاريخي لهذه الحضارة، وأن المصريين هم الحكماء الكبار في تاريخ الإنسانية، وأن مصر تعتبر مُعَلِّمة الإنسانية على حد تعبير هنري توماس[1].. وهي التي يعود تاريخها المكتوب لعهود غابرة ابتداءً من الألف الثالث قبل الميلاد، وكان أثرها الإنساني الإبداعي الفكري والعلمي واضحًا في كلّ المجالات الدينيّة والفلسفيّة والفنيّة والطبيّة والهندسية والفلكيّة... إلخ، حتى إنّ كثيراً من الباحثين الغربيين اعتبرها مهدًا للحضارة الإنسانيّة كلّها، بما تركته من بصمات واضحة حتى على الحضارة اليونانية.. حتى باتت المصدر الأكبر للوحي المتجدّد الذي ألهم الحضارات المجاورة خلال قرون طويلة[2].

طبعًا هذا الكلام لا يعني أنّه لم تنشأ حضاراتٌ في نواحٍ وبقع جغرافيّة أخرى من العالم؛ بالعكس، فقد ظهرتْ الحضارة الإغريقية منذ القدم، وتصاعدتْ في نموّها وتطوّرها المادي والعقلي إبّان القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد، وخاصّةً عند ظهور وازدهار مدن حديثة كأثينا وإسبارطة، اشتهرتْ بالفن والعمارة والفكر والسياسة والفلسفة، وكانت من أوائل الحضارات والدول التي تمتّعت بتقدّم سياسيّ اجتماعيّ تمثَّل في وجود برلمان له روح ديمقراطيّة متداخلة مع تفاصيل الدولة، يتمثل في رجال الدين والفلاسفة والجيش[3]... حيث لاحظنا كيف حقّق الإسكندر المقدوني حلم اليونانيين في تكوين إمبراطورية كبيرة بعد الاستيلاء على مصر والشام وشمال إفريقيا، وكانت هناك دعوة لتوحيد الإغريق والمقدونيين على الحكم الفارسي، امتدتْ الحضارةُ الإغريقية من «مواريا» في الهند إلى مصر وتركيا وسوريا، كما ظهرت في بلاد البلقان حتى وصلت بحر إيجة، وقد أثّر موقع الحضارة اليونانيّة تأثيراً كبيراً فيها، وذلك لقربها من الشرق واتّصالها الحضاري والتجاري بدول شمال إفريقيا، ويسمّي الإغريق أنفسهم بـ«الهيلنيين»، كما مرّت حضارتهم بعصور عدّة منها «الأرخي» و«الكلاسيكي» و«الهيلينيسي»، أولى الحضارات الإغريقية ظهرت في مدينة تسمّى

[1]- فاتن عبد العظيم، **الفلسفة اليونانية قبل سقراط**، ط2، القاهرة، مكتبة سعيد رأفت، 1996 م، ص16.

[2]- راجع: مارتن برنال، **أثينه السوداء، الجذور الآفروسيوية للحضارة الكلاسيكية**، م.س.

[3]- صلاح أبو السّعود، **الحضارة الإغريقية**، ط1، القاهرة، مكتبة النافذة، 2013 م، ص166.

«Cyclades» وكان السكان يزرعون الزيتون والعنب ويربون الحيوانات، كما نشأت مدن أخرى قريبة منها في البحر المتوسط وبعض الجزر أيضًا مثل: كريت ورودس وقبرص إلى أن انتقلت إلى بلاد اليونان، وقد كان لكلّ مدينة جيشها وقوانينها وبرلمانها الخاص، حيث نشأت الدولة الإغريقية في القرن الثامن قبل الميلاد وحتى 350 قبل الميلاد[1].

ثانيّاً: مجالاتُ التّأثيرِ الحَضَاري الشّرقي في حضارة اليونان

يؤكّدُ المؤرِّخون وعلماءُ التاريخ والآثار بمختلف مواقعهم واتجاهاتهم ومناهجهم، أنَّ العالمَ القديم احتوى ـ في منطقتنا هنا التي يطلقُ عليها اسم أو مصطلح «الشرق الأدنى»- على كتلتين حضاريتين أو كتلتين مدنيّتين من أضخم (وأهم) الكتل البشرية التي ظهرت في حركة التّاريخ الإنساني، واستمرتا لأكثر من 3000 عام، وهما المدنيّة المصريّة ومدنيّة بلاد ما بين النهرين (العراق)[2]. وكانَ لبروُزِهما وَقْعٌ كبيرٌ وتأثير بالغ الأهميّة على الإنسانيّة ككل، من حيث ما قدّمتاه من عطاءات حضاريّة وإنجازات ماديّة ورمزيّة فكريّة وفلسفيّة، بما كانَ يَسْتدعي دومًا إعمالَ حركة النّظر والتّأمل العقلي في هذه المَجْهُوْدَات البَشريّة العظيمة التي بُذلتْ وقُدِّمتْ على طَرِيقِ نَشأةِ (وبناءِ ونهوض) هاتين الحضارتين العظيمتين[3].

ولا يخفى على أحدٍ أنّ هناك كتلة حضارية ثالثة لا تقلّ أهميّة وعظمة وعمقًا وعطاءً إنسانيًّا عن الحضارة الفرعونيّة وحضارة بلاد وادي الرافدين، وهي الحضارة السّورية القديمة التي شَكّلتْ حضورًا بارزًا على خارطة الحضارة الشّرقيّة، وباتت من أهمّ المعالم الحضاريّة المضيئة في عالم الشّرق القديم[4].

ولقد كان للحضارات الشرقيّة القديمة الثلاث تأثيرٌ ماديٌّ ومعنويٌّ مهمّ وكبير على كلّ الحضارات التي جاءت بعدها، وخاصّة حضارة اليونان (الإغريق) التي أبدعت هي بدورها من الناحية الحضاريّة الماديّة والناحية الفكريّة الفلسفيّة والعقليّة، والذي كانَ امتدادًا

[1]- فورزي مكاوي، **تاريخ العالم الإغريقي وحضارته: من أقدم عصوره حتى عام 322 ق.م**، ط1، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 1980 م، ص185.

[2]- أندريه إيمار وجانين أوبوايه: **تاريخ الحضارات العام: الشرق واليونان القديم**، ط2، بيروت، باريس، منشورات عويدات، 1986 م، المجلد الأول، ص24.

[3]- راجع: م.ن، ج1، ص131 .

[4]- هورست كلينغل، **تاريخ سوريا السياسي (3000-300) ق.م**، ترجمة: سيف الدين دياب، ط1، دمشق، دار المتنبي، 1998 م.

(وإضافة واستكمالاً وشرحًا) لما أنجزه وأبدعه بناة الحضارات الشرقيّة السّابقة الضاربة في أعماق التّاريخ الإنساني كالحضارة الفرعونيّة وحضارتي سوريا وبلاد الرّافدين.

وهذا الوعي التاريخي الذي يعيد الفرع اليوناني إلى الأصل الشرقي القديم ليس مجرّد تخمين أو فرضيّة ظنيّة لا أساس لها، بل هي حقيقة واقعة اعترف بها الغرب قبل الشرق، وتوصّل إليها وأكّدها علماءُ الآثار ومؤرّخو العالم القديم والرحّالة الجغرافيون من مختلف الاتّجاهات الحضاريّة، كما وتؤكّدها ـ إلى يومنا هذا ـ القرائن والأدلّة والبراهين المادية، خاصّة على صعيد ما لمسناه من وجود حالة التماثل بين طروحات فلاسفة الشرق القديم للقضايا والمشكلات الوجودية والحياتية الإنسانية، وبين طرح فلاسفة اليونان للقضايا نفسها والمشكلات[1]، إضافةً لما كانَ بين اليُونَانيين وبين أبناءِ حضارات الشرّق من صلات تفاعل وتواصل وعلاقات تبادل تجاريّة واقتصاديّة وفكريّة وسياسيّة، ساعدتْ ـ كما يؤكّد كثيرٌ من الباحثين والمختصين الآثاريين[2] ـ اليونانيينَ على تطوير حياتهم وفكرهم على النحو المتقدّم الذي ظهر واضحًا في كتاباتهم وآثارهم ومختلف رؤاهم وإنجازاتهم الفكريّة والعقليّة في مجالات الفن والفلسفة والدين والهندسة والطب والفلك.

وإذا كانت الحضارة اليونانيّة بدأت الولوج في عصر الازدهار العقلي والفلسفي خلال القرون العشرة الأخيرة قبل الميلاد، فإنّ حضارات الشّرق القديمة يعود تاريخها المكتوب إلى القرن الأربعين قبل الميلاد، ما يعني أنَّ أسس التفكير الكوني والتأمّل الوجودي ابتدأ من تلك الحضارات الشرقيّة القديمة، قبل اليونانيين بحوالي ثلاثة آلاف عام.. وهذا يعني بالمحصّلة أنَّ اليونانيين قد اضطرّوا للانفتاح على تلك الحضارات بهدف التعلّم منها والاستفادة من إنجازاتها، ومعرفة ما لديها من قيم وتصوّرات ورؤى فلسفيّة وفكريّة وتراكيب حضاريّة في أساليب العيش والسلوك والتّصرّف أمام تحديات الوجود والحياة البشريّة.

---

[1]- يؤكد «هيرودوت» في تاريخه صفحة 134 أنّ المصريين هم أوّل من وضع أسماء الآلهة الإثني عشر، وهم أوّل من شيّدوا المعابد والمذابح ونصب الآلهة.. وفي صفحة 156 يذكر أنّ اليونانيين أخذوا طقوس عباداتهم من مصر.. وفي صفحة 162 يذكر أن اليونانيين أخذوا بعض الأحكام الدينيّة من مصر كمنع مقاربة المرأة في المعابد، وعدم السماح للنساء بدخول المعابد بدون اغتسال...إلخ. (راجع تاريخ هيرودوت)

Herodotus: The Histories (B.2- 123), Eng. Trans. By Aubery de Selincourt, Penguin Books, U.S.A. 1963, P 134- 156- 162).

[2]- مصطفى النشار، **المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية**، ط1، القاهرة، دار قباء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1997 م، ص12.

1. دور الحضارة المصريّة القديمة[1]

تعود جذور الحضارة المصريّة إلى الألف الرابع قبل الميلاد، عندما استوطن الإنسان المصري على ضفاف نهر النيل، الذي أمدّ مصرَ بالحياة، ليمارس (هذا الإنسان) وجوده الحي ودوره المنتج من خلال تفاعله مع واقع حياته ومحيطه الحيوي، مبتدئًا بزراعة الأرض وتدجين الحيوان.

والمنطقة هناك كانت تمتلك أسسَ الاستيطان الحضاري الزّراعي الأوّل، فقد توافرت الماء والأرض والمناخ.. فراحَ الإنسان المصري يتلمّسُ بدايات نشاطه ونهضته من خلال تنمية خبراته واكتساب مهارات جديدة في استثمار تلك الأرض، خاصّة على صعيد اكتشاف واستنباط تكتيكات زراعيّة أساسيّة تحقّق له غايته في درء مخاطر فيضان نهر النيل، والتأقلم مع مواسم جفافه ونقصان مائه.

وتؤكّدُ معظمُ البُحوث التاريخية الرائدة في مجال التنقيب والبحث الأثري المادي أنّ الامتدادَ الزمني للحضارة المصرية القديمة كان بين عامي (3150– 50) ق.م.. أي أنّها بدأتْ عندما وحّد الملك (مينا نارمر) جنوب مصر وشمالها معًا، وتطوّرتْ بعدَ ذلك على مدى الثّلاث ألفيات اللّاحقة. وضمّت تاريخيًّا سلسلة من الممالك المستقرّة سياسيًّا، تخلّلتها فترات عدم استقرار نسبي تسمّى الفترات المتوسّطة. وبلغتْ مصر القديمة ذروةَ حضارتها في عصر الدّولة الحديثة، وبعدَ ذلك دخلت البلادُ في فترة انحدارٍ بطيء. ثم هُوجمتْ مصر في تلك الفترة من قبل العديد من القوى الأجنبيّة، وانتهى حكمُ الفراعنة رسميًّا حين غزت الإمبراطوريّةُ الرومانيّةُ مصرَ وجعلَتْها إحدى مقاطعاتها[2].

أ. إنجازات الحضارة المصرية:

لقد قدّمت الحضارةُ المصريّة للبشريّة الكثيرَ من الإنجازات الحضاريّة الماديّة، وشهدت تقدّمًا عمرانيًّا فريدًا ومميّزًا ما زال شاهدًا إلى يومنا هذا (كالأهرامات ومعبد أبي سمبل وتمثال أبي الهول)، كما اشتهرتْ بعلوم الطّب والفلك والفلسفة.. وقد حكمتها أسر عدّة

[1]- مصطفى النشار، **المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية**، ط1، القاهرة، دار قباء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1997 م، ص48.

[2]- Bains, John and aromir Malek (2000). The Cultural Atlas of Ancient Egypt (الطبعة revised). Facts on File. ISBN 0816040362.

وأطلق عليهم اسم الفراعنة، اتبعوا عبادات عدّة كعبادة الآلهة والتوحيد وعبادة الشّمس.. وهذه العبادات استمرّت لمراحل زمنيّة طويلة، ووصل أثرها إلى الحضارة الرومانيّة التي كان القوم فيها يقدمون لآلهة مصر العبادة التي نهجوا عليها وفقًا للمراسيم التقليديّة المتعارفة، ويبنون لهم الهياكل وينقشون على جدرانها رسوم الطقوس الدينيّة بالخط الهيروغليفي[1].. وتتجلّى عظمة هذه الحضارة فيما قدّمته للبشريّة في مجالات وموضوعات الهندسة والعمارة وفنون النّقوش والتصوير والحياة العقلية (والفلسفية) والمادية.. خاصة مع امتدادها الزّمني التاريخي الطويل، وحضورها الفاعل والقوي في مجريات العالم القديم، بما تركته من كم هائل من الآثار الكاشفة عن حجم التقدّم المعرفي الذي كان يعيشه أهلها، وهي أكثر الحضارات الشّرقيّة المؤثّرة في بلاد الإغريق ثقافيًّا وعلميًّا ودينيًّا[2].

ب. التأثير الفلسفي للحضارة المصريّة

وعلى المستوى الفلسفي اعتبرَ كثيرٌ من المؤرّخين أنّ المصريين القدماء هم أوّل من تفلسفَ وبحثَ في مقولاتِ الفلسفة (والحكمة) انطلاقًا من تأملات فلاسفتهم في وجودات الطبيعة ومظاهرها المختلفة والمتعددة، بما يعني أنّ الفضل في تأسيس أصول الفكر الفلسفي والعلمي عند باقي الحضارات ومنها حضارة اليونان، يعود إلى فكر من سبقوهم، وهم قدماء الحضارات الشرقية، وعلى رأسهم قدماء (فلاسفة) الحضارة المصرية التي شكلت مصدراً للمعرفة بشتى أنواعها بالنسبة لليونانيين، وأن المؤرخين والفلاسفة قد زاروها وتعلموا فيها، ونقلوا عنها الكثير في مختلف الميادين مما لا يمكن حصره. وقد أكّد المؤرخ «هيرودوت» في تاريخه هذه الحقيقة، حيث يقول: «أن المصريين هم أول من اكتشف مسيرة الإنسان ومنهم نهل شعراء الإغريق.. وأنّ اليونانيين أخذوا الهندسة من مصر.. وكذلك يشير إلى أنّ اليونانيين أخذوا بعض القوانين المنظمة لعلاقة الفرد بالدولة من عند المصريين»[3].

---

[1]- أندريه إيمار وجانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، م. س، المجلد 1، ص39.

[2]- راجع:

- وليام جيمس ديورانت: **قصة الحضارة**، تقديم: محيي الدين صابر، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجيل، لبنان، بيروت، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، طبعة عام 1988 م، ج 2، ص 66.

- أندريه إيمار وجانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، م. س، ج1، ص39.

[3]- راجع كتاب المؤرخ اليوناني القديم هيرودوت (**هيرودوتس**):

Herodotus: The Histories (B.2- 123), Eng. Trans. By Aubery de Selincourt, Penguin Books, U.S.A. 1963, P150- 151- 169- 180 - 213.

كما أيّدت تلك الأقوال المكتشفات الأثريّة الحديثة، كما اعترف بها فلاسفة اليونان الكبار أنفسهم أمثال أفلاطون وأرسطو[1].

فقد أفادَ اليونانيون من الحضارة المصرية القديمة (الفرعونية) في ميادين كثيرة منها: الرياضيات والهندسة. وتؤكّد وثائق البردي ـ التي تعود في أصولها إلى الألف الثالث قبل الميلاد- تفوُّق المصريين القدماء في هذين العلمين، لا سيّما أنّ بناءَ الأهرام كان يستلزم ويتطلّب دقّة رياضيّة بالغة في القياس والحساب الهندسي، لا يمكن الوصول إليه دون معرفة واسعة بالهندسة والعلوم الرياضيّة المتعدّدة. كما تطلّبت عمليات مسح الأراضي، بعد فيضان النيل وانخفاضه، إجراء عمليات حسابية واسعة ودقيقة. ولقد أشار أرسطو إلى نشأة الرياضيات العملية في مصر، وأكّد هيرودوت انتقال علم الهندسة من مصر إلى بلاد اليونان. وكشفت المراجع أنّ فيثاغورس عاد من مصر إلى بلاده، وهو يحملُ معه مبادئ علم الهندسة. كما أفاد اليونانيون من علوم المصريين القدماء وخبراتهم في ميدان الطب والتشريح، فقد تحدّث هيرودوت عن براعة المصريين وتقدّمهم في هذا الميدان، وتؤكّد وثائق البردي الطبية، التي تعود إلى العصر الفرعوني المبكر، هذه الحقائق كلّها. ومن الثابت أيضًا أنّ اليونانيين تأثّروا بعقائد المصريين وطقوسهم الدينيّة تأثّرًا بالغًا. فقد حظيت آلهةُ المصريينَ باحترام اليونانيين، بل اعتبر هيرودوت أنَّ أصل معظم أسماء الآلهة اليونانيّة إنّما جاء من مصر، فآمون المصري هو زيوس (كبير آلهة اليونان)، وإيزيس المصرية هي ديميتر اليونانية، وأوزيريس المصري هو ديونيوس اليوناني...إلخ. وتحتوي الجزر اليونانية على معابد ونقوش مخصّصة لإيزيس وغيرها من الآلهة المصرية. كما بيّن هيرودوت أنّ الكثير من أفكار[2] وطقوس اليونان الدينيّة ذات أصول مصريّة مثل عادة النّوم في المعبد، اعتقادًا منهم أنّ الذي ينام في المعبد ـ كما يقول سارتون[3] ـ يعتبر ضيفًا في العالم الآخر ورفيقًا للموتى، وأحلامه في المعبد لها قيمة خاصّة. كما

---

[1]- مصطفى النشار، **المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية**، م.س، ص13.

[2]- يقول هيرودوت: «إنَّ المصريينَ هم أوّل منْ قالَ بمبدأ خلود النّفس وبقائها بعد فناءِ الجسد، حيث تنتقلُ إلى كائنٍ آخر في ميلاد جديد.. ولقد نقلَ بعضُ الكتّاب اليونانيين هذه النظرية، بعضهم من المتقدّمين وبعضهم من المتأخّرين، وقد وضعوها وكأنّها من إبداعهم، وأسماء هؤلاء الكتاب معروفة لي، ولكنني أمتنع عن ذكرهم». (راجع كتاب The histories لهيرودوت، مصدر سابق).

[3]- جورج سارتون: **تاريخ العلم**، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1970 م، ج3، ص185.

تأثّر اليونانيون بدعوة إخناتون (ت 1334 ق.م)[1] الذي دعا إلى إله واحد، وجاهدَ لرفع مستوى وعي الإنسان الديني. وظلَّ للآلهة المصرية مكانة كبيرة في بلاد اليونان على امتداد قرون طويلة، حتى إنّه عندما احتلَّ الاسكندر المقدوني مصر عام 332 ق.م، نُصِّب فرعونًا حسب الطقوس الدينيّة المصريّة، كما ارتحلَ بنفسه إلى قلب الصحراء الغربية لزيارة معبد الإله آمون، الذي كان قد ذاع صيته وانتشرت عبادته في العالم اليوناني. ولم يقف تأثّر اليونانيين بالحضارة المصريّة القديمة عند الميادين السابقة، وإنّما امتدّ إلى ميدان الأدب والأساطير، حيث تسرّب، بصفة خاصة، الأدب الأسطوري المصري إلى ثقافة اليونان، مثل أسطورة أوزيريس المصرية، التي تعدّ رمزاً لعلاقات الإنسان بالطبيعة والآلهة، ويعتبرها جارودي أوّلَ تراثٍ غنيّ أسهمتْ بهِ مصر في الحضارة الإنسانيّة.

كما تشابهت أسماء آلهة الإغريق مع أسماء الآلهة المصرية، ولذلك رجّح هيرودوت المؤرّخ أن تكون جاءت من مصر، يقول هيرودوت: «في الواقع إنّ معظم أسماء آلهة الإغريق جاءت بلاد الإغريق من مصر. ذلك أنّني عن طريق التحرّي تأكّدتُ أنّ هذه الأسماء جاءتْ من بلاد أجنبية، وإني لأعتقد أنّها جاءت بصفة أساسيّة من مصر»[2].

لقد ثبت إذًا وبالأدلّة أنّ مجمل الأفكار الفلسفيّة التي تبنّاها الفلاسفة اليونانيون نجد جذورها عند الحضارات القديمة وعلى رأسها الحضارة الفرعونية المصرية، رغم أنّه لم يعثر الباحثون على دليل يثبت بأنَّ هذه الحضارات قد مارست البحث في الأسباب والأدلّة عند طرحها للرؤى والأفكار كالذي مارسته الحضارة اليونانية بأصالة. فالأفكار القديمة المطروحة، هي أقرب للتأملات العرفانيّة والرؤى الأسطوريّة، ومع ذلك لم يمنع اليونانيين من التعويل عليها واعتبارها أساسًا للبحث والتفكير. وبالتالي، فقد أصبح الفكر اليوناني

[1]- في مقارنة بين إخناتون (الملك الفرعون الأشهر) وأفلاطون (أحد أهم فلاسفة اليونان)، ترى الباحثة عفاف فوزي نصر في كتابها «الفلسفة المصرية القديمة وأثرها على الفلسفة اليونانية أن هناك ترابطًا وثيقًا بين الشخصيتين، فشخصية إخناتون تحوي في طياتها كثيراً من الأفكار وبعض مناحي الحياة العقائدية والأدبية، وبعض السياسات في الحكم، والأفكار «الإخناتونية» تكاد تُوجد لكثير من أمور الحكم بعض المقومات الأساسية التي كانت تتناسب مع ظروف البيئة الطبيعية بين الفلسفات. ويعد إخنَاتون أول من قام بوضع فلسفة للمصريين، حيث أقام فلسفته على فكرة «الوصول إلى الحقيقة الكاملة للأشياء»، مما شكل الركيزة الأساسية في نظرته إلى اللاهوت والفن المصري القديم، وشكل طبقات المجتمع وقام بوضع أساس لشرعية الحكم، وذلك في إطار فلسفي ورؤية عقلية ودينية واضحة.» (راجع: الفلسفة المصرية القديمة وأثرها على الفلسفة اليونانية، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، القاهرة، طبعة أولى لعام 2015 م، ص 11).

[2]- راجع: مارتن برنال، **أثينه السوداء**، م. س، ج1، ص46.

انعكاسًا لفكر ما سبقه من حضارات مع الأخذ بنظر الاعتبار اختلاف طريقة إنتاج هذا الفكر أو تبريره. لذا جاز لنا أنْ ننزع على ما قدّمه اليونانيون نزعة الأصالة، لكونهم أوّل من بدأ بالبحث في الأسباب للقضايا الفلسفية أو القضايا العامّة المتعلّقة بالكون والوجود، وهي الصورة التي تعطي للبحث طابعه النّظري من الناحية العلميّة. رغم أنّ هذا الموقف لا يمنعنا من إرجاع هذه الأصالة ـ باعتبار آخر ـ إلى الحضارات القديمة، لتأثّر اليونانيين بمن سبقهم وأخذ الكثير عنهم، سيما حكماء مصر القدماء، ومن ذلك نظرياتهم المتعلّقة بالفيض ووحدة الوجود، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ هذه الأفكار قد طُرحت مقطوعة الصّلة عن أدلّتها واعتباراتها «العلمية»[1].

طبعًا علينا ألاّ ننسى هنا ـ تأكيدًا لمبدأ أصالة الحضارات الشرقيّة وخاصّة المصريّة- أنّ المدرسة الأيونيّة المتأخّرة، ضمت أسماء فلاسفة يونانيين لامعين مثل (هراقليطس وانكسوجوراس وديموقريطس) نهلوا من مدارس ومعابد الأسرار المصريّة، فقد قال هيراقليطس بأنّ أصل العالم هو النّار، وهو مبدأ مصري (بير= هرم= نار)؛ لأنّها من الشّمس نار الكون المركزيّة فضلاً عن مبادئه في الفيض الكوني والمعرفي والعقل الكلي (اللوغوس). وبلغنا بالمثل أنّ هيراقليطس وأمبيدوقليس وأنكساجوراس وديموقريطس كانوا أيضًا من مواطني أيونيا، وعنوا بأمور الطبيعيات. لذلك فإنّنا حين نتعقّب مسار ما سمّي «الفلسفة اليونانية» نجد أنّ تلامذة أيونيا عادوا إلى موطنهم الأصلي بعد أن تلقّوا تعليمهم على أيدي الكهنة المصريين، هذا بينما هاجر البعض الآخر إلى أنحاء أخرى من إيطاليا، حيث استقرّوا هناك[2].

وأمّا الفيلسوف سقراط (469-399) ق.م، فقد كان -بحسب ما يثبت جورج جيمس[3] ـ عضوًا مميّزًا في نظام الأسرار المصري. نال مرتبة رفيعة فيه بدليل أنّه لم يهرب من الموت (رغم أنّ الكثيرين عرضوا عليه الهرب) بل اعتبر ذلك قدره، وكانت مبادئه تنضح من أفكار الأسرار المصريّة. ومن أهمّ مبادئه هو مبدأ العقل الكلي (نوس) أو العلّة العاقلة التي كانت

---

[1]- يحيى محمد: **حضارة بين حضارتين (مقارنة بين الحضارة الإسلامية والحضارتين اليونانية والغربية)**، الحوار المتمدن، العدد: 3073، تاريخ النشر: 2010/7/2 م، تاريخ المشاهدة، 2019/8/15 م، الرابط:
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=223543&r=0

[2]- جورج جيمس: **التراث المسروق (الفلسفة اليونانية فلسفة مصرية مسروقة)**، ترجمة: شوقي جلال، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، القاهرة، طبعة عام 1996، ص 25.

[3]- م.ن، ص124.

تجسّدها العين المفتوحة لأوزيريس وحورس والتي تشير إلى البصيرة الكونيّة للإله والوجود غير المحدود للإله باعتباره العاقل الأعظم. ومبدأ الخير الأسمى الذي عبرّت عنه نظم الأسرار المصريّة القديمة وصرّحت بأنّه غرض الفضيلة وخلاص النّفس. أمّا مبادئه الأخرى في (التناسخ والخلود وكون الجسد مقبرة النّفس والأضداد والتناغم) فهي أفكار أخذها من الفيثاغوريين الذين أخذوها بدورهم من الأسرار المصرية.

2. دور الحضارة السورية القديمة

شهدت سوريا منذ القدم (حوالي 8000 ق.م) نشوء أقدم الحضارات البشريّة على وجه المعمورة. وهذا ما دلّت عليه ووثّقته الحفريات والاكتشافات الأثريّة الهائلة التي جرت في مختلف المواقع السوريّة. ولا تكاد تخلو منطقة من مناطق سورية من التلال والمواقع الأثريّة التي تعود إلى فترات زمنيّة مختلفة. وترجع الفترات الزمنية الأولى لبدايات الاستيطان في سوريا إلى العصر الحجري ما قبل الفخاري[1]. ولاحقًا انتشرت المدن على ضفاف الأنهار وبالقرب من الأراضي الخصبة وطرق التجارة، فتأسّست ممالك ومدن بشريّة أولى احتوت على أنظمة سياسيّة واجتماعيّة ملكية، مثل مملكة إيبلا الواقعة شمال سورية (3000) ق.م، ومملكة ماري (2900) ق.م، ومملكة أوغاريت الفينيقية (1600) ق.م، وممالك كثيرة أخرى انتشرت على كامل مساحة سوريا.

وأهم ما قدّمته ممالك سوريا هو أبجديّة أوغاريت السورية باللاذقيّة التي كانت أكمل أبجديات العالم القديم وأغناها وأكثرها شمولاً، وقد احتوت على 30 حرفًا.. وبجانب لغتهم الأساسيّة استخدم سكان أوغاريت لغات عديدة ووضعوا لذلك قواميس متعدّدة اللغات، ولكن اللّغة الرئيسة التي اكتـُشفت في رسائلهم هي لغة سامية خاصة[2].. كما اكتشفت في مملكة إيبلا السوريّة أوّل غرسة زيتون تعود للعام 2200 قبل الميلاد. وتعدّ سورية الموطن الأوّل لشجرة الزيتون. وعثر في موقع مملكة إيبلا على أرشيف يحوي حوالي 15،000 لوحًا مسماريًّا يقدّر أنّها تعود إلى العام 2250 قبل الميلاد، وهي مكتوبة بخطّ مسماري مشتقّ من

---

[1]- **سوريا عبر العصور، (الجزء الأول ما قبل التاريخ والتاريخ القدم)**، موقع سوريات، تاريخ المشاهدة، 2019/8/22 م، الرابط: https://souriat.com/201739912/06/.html.

[2]- إ. ش. شيفمان: ثقافة اوغاريت، ترجمة: حسان اسحق، ط1، سوريا، دمشق، 1988 م، ص 12.

الخط المسماري السومري، ولكن اللّغة هي لغة سامية غير معروفة سابقًا تعرف الآن بلغة إيبلا، وهي من أقدم اللّغات السامية المعروفة، وترتبط ارتباطًا وثيقًا بما أطلق عليه لغة Gelb الأكادية القديمة[1].

ـ مظاهر التأثير الشرقي السوري في حضارة اليونان

من المعروف أنَّ أوجَ ازدهار الحضارة السورية يعودُ إلى الألف الثالث قبل الميلاد، وقد استفادت الحضارة اليونانية فائدة مزدوجة من إنجازات هذه الحضارة وإبداعات أهلها المادية منها والفكرية من ناحية، ومما نقله التجار الفينيقيون (الكنعانيون) من متاجر وأفكار بلدان الشرقين الأدنى والأقصى إلى بلاد اليونان من ناحية أخرى. والواقع أنّ أعظم هديّة قدّمها الفينيقيون للحضارة الإنسانيّة كانت -بحسب ما ذكرناه- اختراع الحروف الأبجديّة منذ القرن السابع عشر قبل الميلاد، وقد اقتبس اليونانيون هذه الأبجديّة الفينيقيّة منذ أواخر القرن العاشر قبل الميلاد تقريبًا[2]. وأكّد هذه الحقيقة المؤرّخون اليونان أنفسهم، فهذا هيرودوت يقول بأنَّ الفينيقيين هم من علّموا اليونانيين كثيراً من العلوم والمعارف[3]، وفي مقدّمتها الحروف الأبجدية التي لم يكن هؤلاء على علم بها[4]. ومن خلال اليونانيين والفينيقيين دخلت هذه الحروف إلى إيطاليا ثم إلى الغرب الأوربي عامة. فقد أخذ الرومان من اليونانيين كثيراً من العناصر الحضاريّة وكان من أهمّها الأبجديّة الفينيقيّة. وقد أظهر اليونانيون براعة في تطوير هذه الأبجديّة بحيث تلائم خصائص لغتهم، حيث أضافوا إليها الحروف الصوتيّة، وأخذوا يكتبونها من اليسار إلى اليمين بعكس الفينيقيين. ولا شكّ في أنَّ «الألف بتا» الأوروبية هي أثرٌ باقٍ من الدّين العظيم المدين به، لا اليونانيون فحسب، وإنّما الغرب

[1]- انظر:

-**أوغاريت والفكر**، الحوليات السورية المجلد 29-30، وهو عدد خاص بالندوة العالمية للدراسات الأوغاريتية، عام 1979-1980 م، ص15 وما بعدها.

-**موسوعة ويكيبيديا**، تاريخ المشاهدة، 2019/8/29 م، الرابط:

https://ar.wikipedia.org/wiki/تاريخ_سوريا

[2]- راجع: مارتن برنال، **أثينا السوداء**، م.س، ج1، ص28.

[3]- يقول هيرودوت: «علم الفينيقيون الإغريق أشياء كثيرة من بينها، وفي مقدمتها الحروف.. إن الفينيقيين كانوا يستوطنون بويوتيا، وإن الايونيين تعلموا منهم فن كتابة الحروف» (راجع تاريخ هيرودت مصدر سابق وأثينا السوداء، مصدر سابق، ص28 وما بعدها).

[4]- تاريخ هيرودوت، ترجمة وتحقيق: عبد الإله الملاّح، المجمع الثّقافي طبعة عام 2001 م. وهي ترجمة عن الطّبعة المنقحة في 1936 للتّرجمة الإنكليزية الّتي قام بها رولنسن.

الأوروبي كله للفينيقيين.. أمّا ما نقله التّجار الفينيقيون العاملون في الممالك السورية إلى العالم اليوناني من سلع وبضائع ومتاجر (وما تحمله في ثناياها من ثقافات وفنون وصناعات) فهي لا تعدّ ولا تحصى. فقد نقلوا صناعات سورية ومصريّة ورافديّة، هذا فضلاً عن سلع الشّرق الأقصى؛ ونذكر منها على سبيل المثال: القمح وورق البردي والعطورات من مصر، والمجوهرات والمصنوعات النسيجيّة والمعدنيّة والزجاجيّة والعاجيّة والصباغة الأرجوانية من سورية (أوغاريت)؛ هذا بالإضافة إلى الحرير والتوابل والأحجار الكريمة القادمة من الصين والهند. ويؤكّد «برستد»[1] أنّ اليونانيين لم يكتفوا بشراء المصنوعات الشرّقية التي كان ينقلها هؤلاء الفينيقيون، وإنّما أخذوا يقلدونها ويتعلّمون على أيدي الصناع الفينيقيين الكثير من فنونها، حتى شاع بين اليونانيين أنفسهم فن الزخرفة والتزويق الشرقي[2].

3. دور (وتأثير) حضارات بلاد الرافدين

نشأتْ على أرضِ العراق أقدم الحضارات، بدءًا من الحضارة السومرية، واختراع الكتابة الأولى، إلى الحضارة البابلية الأولى (العلوم الفلكية والحساب)، والحضارة الآشورية والآرامية والكلدانية.. ولا يمكن لأيّ متابع وقارئ لحضارة وادي بلاد الرافدين القديمة (بتنوعها وتمدّنها وتعدّد ممالكها الحضارية من السومريين والآكاديين والبابليين والآشوريين والكلدانيين) إلا أن يعجب بها ويقف مشدوهًا أمامها لما أنجزته وأعطته من إسهامات حضاريّة مادية حيويّة كبرى للبشرية جمعاء وليس فقط للحضارة اليونانية[3].. وهذا ما يتحدّث عنه أحد أهم مؤرخي التاريخ البشري، أرنولد توينبي حيث يؤكد على حقيقة أنَّ بلاد ما بين النهرين هي مهد الحضارات القديمة مطلقًا عليها مصطلح «الحضارة الأصلية»[4]، وأنّ الإنسان وجد على هذه الأرض منذ خُلق الإنسان، فقد دلّت الحفريات

---

[1]- «جيمس هنري برستد»، عالم آثار ومؤرخ أمريكي، من أشهر علماء الآثار الشرقية والمصرية بالذات، له العديد من المؤلفات والاكتشافات الأثرية المصرية، لكن كتابه الأكثر شهرة على الإطلاق هو كتاب «فجر الضمير» الذي أثبت فيه بالأدلة التاريخية والأثرية المؤكدة أنّ الحضارة المصرية القديمة هي مهد الأخلاق والقيم والحضارة، وهي منبعها الذي انتشرت منه إلى مختلف بقاع العالم والحضارات الأخرى.

[2]- **المساهمة الفرنسية في دراسة الآثار السورية بين عامي 1969-1989 م، طبعة وزارة الثقافة**، سوريا، دمشق، ط 1، 1989 م، ص76.

[3]- راجع على سبيل المثال: ساغر، هاري: عظمة بابل، ترجمة وتحقيق: خالد عيسى وأحمد غسان سبانو، ط1، دار رسلان للطباعة والنشر، 2018 م.

[4]- ستيفن لويد، **فن الشرق القديم الأدنى**، ترجمة: محمد درويش، لا ط، بغداد، دار المأمون، 1988 م، ص9.

الأثرية التي تمّت على مدى ما يقرب من مئة عام وجود مجتمع بشري متقدّم ومتحضّر على هذه الأرض. وتمتع ذاك الإنسان بفكرٍ خلق اللّغة والفلسفة وجميع العلوم التي قد نرى فيها تألّقه في جميع مجالات الحياة الأرضيّة والسماويّة، واستطاع أن يتجاوز الذات إلى دراسة كنه الأشياء والموجودات والعوالم والمجرات والنجوم وغيرها[1].

وقد تعدّدت الأشكال وتنوّعتْ الميادين التي استفادت منها البشريّة، وبالذات حضارة اليونان من حضارة بلاد الرافدين.. وتأتي على رأس تلك الإفادات الكتابةُ المسمارية التي شكّل اختراع السومريين لها (حوالي العام 3200 ق.م) نقطة الانطلاق الحاسمة في تقدّم الحضارة الإنسانية؛ لأنّ جميع الشعوب استخدمت المسمارية في كتابة لغاتها.. كما أفاد اليونانيون من تراث الرافدين في ميدان الفلك والرياضيات، العملية منها والنظرية. وتؤكّد المراجع[2] أنّ العالم الرياضي «فيثاغورس» اعتمد كثيرًا في بناء نظرياته الرياضيّة المعروفة على ما كان قد توصّلَ إليه علماء حضارة بلاد الرافدين من نظريات ومعادلات رياضيّة. كما وتعلّم اليونانيون من البابليين (ومن ثم الكلدانيين)، مبادئ علم الفلك[3] وطرائق رَصْد الأجرام السماوية وأدواته، والجداول الفلكية والخرائط الجغرافية والتقاويم الفلكية[4]، حتى إنّ التقويم البابلي والكلداني صار نموذجًا للتقاويم الإغريقية والرومانية قبل إدخال التقويم اليوناني. وكان العالم اليوناني «طاليس» قد تنبّأ بكسوف الشّمس (الذي حدث في الثامن والعشرين من شهر أيار/مايو عام 585 ق.م) بعد أن اطّلع على علوم البابليين الفلكيّة. كما استفاد اليونانيون من البابليين في ميدان القانون ولا سيّما قانون حمورابي (1750 ق.م)[5]

[1]- راجع: ك. ماتفيف وأ. سازونوف: **حضارة بلاد ما بين النهرين العريقة**، ترجمة: حنا صادق، لا ط، دمشق، مطبعة دار المجد، 1991 م.

[2]- سامي النشار، **المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية**، م. س، ص117؛ صالح، عبد العزيز: الشرق الأدنى القديم، ط3، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1982 م، ص460 وما بعدها.

[3]- J.Burnet: Early Greek Philosophy, P43.

وراجع أيضاً: فؤاد الأهواني، أحمد: **فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط**، ط1، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1954، ص50.

[4]- ول ديورانت، قصة الحضارة، م.س، ص585.

[5]- وهي القوانين التي أبدعها وصاغها الملك البابلي حمورابي، لتكون مدونة قانونية حقيقية مكتوبة لأول مرة في التاريخ البشري، وتتألف من 282 مادة قانونية ضبط فيها –ومن خلالها- حمورابي معايير السلوك في إمبراطوريته الواسعة ضمن بلاد الرافدين.. وحُفرت هذه القوانين على عمود بطول سبعة أقدام ونصف من «الديوريت»، وهي تشمل حقوق الملكية، والسلوك الإجرامي، والعبودية والطلاق، كما اشتملت على عقوبات قاسية لكلّ من يخالفها، وساهمت هذه القوانين في تحديد شكل الحياة البابلية عهد حمورابي، إلاّ أنّها أثرت في كافّة أنحاء العالم القديم لما يزيد عن ألف سنة بعد إقرارها.

الذي غدا نموذجًا لكلّ القوانين التي سادت في الغرب والشرق في العصور القديمة.

وعلى سبيل المثال ـ فيما يخصّ هذه القوانين الحمورابية ـ فإنّ ما ورد فيها في تمييزها بين الطبيب الجراح والبيطري، وتحديد أجور كلّ منهم، والعقوبات المترتبة على أخطائهم المهنيّة، تدلّ على ازدياد معارف العراقيين القدماء بالعلوم الطبية، والتي وصلت إلى مرحلة راقية في تاريخ بلاد الرافدين إبان العصر البابلي القديم (القرن العشرين قبل الميلاد)، شأنه شأن بقيّة العلوم والمعارف التي ازدهرت خلال تلك الفترة والفترات اللاّحقة، خاّصة خلال العصر الأشوري الحديث (القرن الثامن والسابع قبل الميلاد)، حيث عُثر على مئات الرقم الطينية بين مخلفات مكتبة الملك الاشوري «آشور بانيبال» (668-627) ق.م.. وحتى نكون أكثر دقّة بخصوص هذه النقائش، يجب أن ننوّه إلى أنّ معظم تلك النّصوص الطبيّة عبارة عن معلومات طبيّة أعيد استنساخها من قبل كتبة بلاد الرافدين لرُقم طينية تعود إلى فترات سابقة للفترات السومرية والأكدية والبابلية المتعلّقة منها بالنّصوص الطبية[1].

ـ تأثير الأدب الملحمي لبلاد الرافدين في حضارة اليونان

لقد تأثّر اليونانيون تأثّرًا واسعًا وعميقًا بالأدب الملحمي الذي ازدهر في بلاد الرافدين، ولعلّ أبرز مثال على ذلك تأثّر الشاعر اليوناني «هوميروس» (الذي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد) في ملحمتيه «الإلياذة» و«الأوديسة» بملحمة «جلجامش» الرافدية المشهورة[2]. وتؤكّد الدّراسات الحديثة أنّ ملحمة جلجامش هذه قد سبقت ملحمة «هوميروس» بأكثر من ألف وخمسمئة عام، بل تعدّ أقدم الملاحم البطوليّة في تاريخ الحضارات. وهي تعالج قضايا إنسانيّة خالدة مثل الحياة والموت والخلود والحكمة والمعرفة والحرية والبطولة... ولهذا كان المفكّر روجيه جارودي على حق بقوله: «إنّ ملحمة جلجامش تشتمل على

[1]- عامر سليمان، **نماذج من الكتابات المسمارية**، النصوص القانونية، ط1، بغداد، منشورات المجمع العلمي العراقي، 2002، ج1، ص184.

[2]- وهي ملحمةٌ سومريّة شعريّة مكتوبة بالخط المسماري على اثني عشر لوحاً طينياً، اكتشفت لأول مرة في العام 1853 م، في موقع أثري اكتشف بالصدفة، وعرف فيما بعد أنه كان المكتبة الشخصية للملك الآشوري «آشوربانيبال» في مدينة «نينوى» العراقية، ويُحتفظ بالألواح الطينية التي كتبت عليها الملحمة في المتحف البريطاني. والألواح مكتوبة باللغة الأكادية، ويوجد في نهايته توقيعاً لشخص اسمه «شين ئيقي ئونيني» الذي يعتقد البعض أنه هو كاتب الملحمة التي يعتبرها البعض أقدم قصة كتبها الإنسان، وطبعت ونشرت ببغداد في ثمانينيات القرن العشرين بترجمة الآثاري المعروف طه باقر. (طه باقر، **ملحمة كلكامش**، العراق، بغداد، طبعة 4 لعام 1980 م). (للاستزادة راجع: فراس سواح، **كنوز الأعماق: قراءة في ملحمة جلجامش**، دار سومر للطباعة والنشر والتوزيع، قبرص، نيقوسيا، طبعة أولى لعام 1987 م).

كلّ مقومات الفكر الغربي، والذي يعد وريث الحضارة اليونانيّة القديمة». كما تأثّر الأدب الأسطوري اليوناني القديم بالأساطير البابلية القديمة لا سيما تلك المتعلّقة بقصّة الطوفان والخلق. هذا فضلاً عن أسطورة عشتار وتموز البابليّة التي أثّرت في أسطورة «أفروديت» و«أدونيس» اليونانيّة. وكانت هذه الأسطورة وغيرها قد وصلت إلى بلاد اليونان عن طريق البحارة الفينيقيين. ويعتقد أحد الباحثين أنّ سكان الرافدين قد عالجوا بأساطيرهم مشكلات أساسيّة غدتْ في معظمها مواضيع فلسفيّة عالجها فلاسفة اليونان فيما بعد، وأضافوا إليها إضافات جديدة شكّلت تطوّرًا كبيراً في ميدان الفكر الإنساني[1].

هذا وقد اعتبر الباحث البريطاني كولينز[2] أنّ الإسهام الأكثر أهميّة لـ«بلاد ما بين النهرين» لليونانيين وللعالم الحديث يتمثّل في بلورة مفهوم المدينة، أو المكان الذي يشكّل ساحةً لكلّ ما يمكن أن يحدث من تفاعلات مفعمة بالحيويّة. حيث أدّى نشوء النّظام الإداري هناك إلى قيام أولى النّماذج الخاصّة بما يُعرف بـ«دولة المدينة» وهو ما تلاه ظهور الممالك ثم الإمبراطوريات.. وأنّه على مدى قرون عدّة، شهدنا تطورَ مراكز حضرية ضخمة، يعيش فيها آلاف الأشخاص، وليس بوسعنا أن نحدّد حتى الآن بدقّة السبب الذي قاد إلى تجمعهم معًا. كلّ العوامل المحتملة مطروحة في هذا الشأن، مثل البيئة، أو الحاجة إلى إدارة الموارد[3].

يتّضحُ مما تقدّم أنّ الحضارات الشرقيّة كانت متقدّمة من حيث الزمن والتطوّر المدني والعمراني ـ وكذلك العلمي والثقافي ـ على الحضارات الغربيّة المتمثّلة في الحضارة اليونانيّة والرومانيّة، وهذا ما أقرَّ وصرّح به «وِيل ديورانت» الأميركي صاحب موسوعة «قصة الحضارة»، حيث قال في كلام طويل نلخّص منه ما نصّه: «لقد انقضى منذ بداية التاريخ المكتوب حتى الآن، ما لا يقلّ عن ستّة آلاف عام، وفي خلال نصف هذا العهد كان الشرق الأدنى مركز الشؤون البشريّة التي وصل إلينا علمها... نشأت الزراعة والتجارة، والخيل

[1]- راجع:

-جين بوتيرو وآخرون، **الشّرقُ الأدنى الحضارات المبكرة**، ترجمة: عامر سليمان، جامعة الموصل طبعة عام 1986 م.

-هنري فرانكفورت، **فجرُ الحضارة في الشّرق الأدنى**، ترجمة: ميخائيل خوري، دار مكتبة الحياة، لبنان، بيروت، طبعة عام 1959م.

[2]-بول كولينز هو مدير المعهد البريطاني للدراسات العراقية (متحف أشموليان في مدينة أكسفورد البريطانية)

[3]- ألاستير سووك، بلاد ما بين النهرين: البقعة العتيقة التي بدأ منها التاريخ، موقع هيئة الإذاعة البريطانية (BBC)، تاريخ المشاهدة: 2019/9/22 م، الرابط:

http://www.bbc.com/arabic/vert-cul-38342736

المستأنسة (الهجينة) والمركّبات، وسُكّت النّقود، وكتبت خطابات الاعتماد، ونشأت الحِرف والصناعات، والشرائع والحكومات، وعلوم الرياضيات والطب، والحقن الشرجية، وطرق صرف المياه، والهندسة والفلك، والتقويم والساعات، وصوّرت دائرة البروج، وعرفت الحروف الهجائيّة والكتابة، واخترع الورق والحبر، وأُلّفت الكتب وشيُّدَت المكتبات والمدارس، ونشأت الآداب والموسيقى، والنحت وهندسة البناء وغيرها، ونشأت عقيدة التوحيد ووحدة الزوجة، واستخدمت أدهان التجميل والحليّ، وعُرِف النرد والداما.. عرفت هذه الأشياء كلّها واستمدّت منها أوروبا وأميركا ثقافتها على مدى قرون، عن طريق كريت واليونان والرومان، وقصارى القول أنّ الآريين لم يشيّدوا صرح الحضارة، بل أخذوها عن بابل ومصر، وأنّ اليونان لم ينشؤوا الحضارة إنشاءً؛ لأنّ ما ورثوه منها أكثر ممّا ابتدعوه.. فإذا درسنا الشرق الأدنى وعظّمنا شأنه، فإنّا بذلك نعترف بما علينا من دَيْن لمن شادوا بحق صرح الحضارة الأوروبية والأميركية، وهو دَين كان يجب أن يؤدّى من زمَنٍ بعيد»[1]..

ثالثًا: آلياتُ انتقالِ تراث الشّرق المادي والرمزي إلى اليونان

نشأت المراكزُ الحضريّة الشرقيّة القديمة (التي نمتْ وأضحت لاحقًا مراكز حضاريّة كبرى) في كلّ من مصر والعراق وسوريا وبلاد فارس والهند وغيرها، وارتبطت تلك المواقع والمراكز الحضارية ببعضها بعضًا عبر شبكة طرق بريّة وبحريّة.

وكان طريق الحرير من أهمّها وأطولها وأشهرها. وقد ربط هذا الطريق بلاد الصين في أقصى الشرق مع حضارات الغرب في اليونان، مرورًا بالهند وإيران والعراق وتركيا.. وقد انتقلت عبر هذه الطرق الكثير من قوافل التجارة الخاصة بنقل شتّى أنواع السّلع والمنتوجات والبضائع اللاّزمة لحياة ومعيشة الناس والمجتمعات بين تلك المدن والممالك القديمة، كما كانت الطرق البحرية معروفة آنذاك بين شواطئ سورية ومصر وشواطئ اليونان.. وكانت تنتقل مع تلك البضائع والمعاملات التجارية، الكثير من المواريث الثقافيّة والفكريّة والعادات والمعارف والتقاليد الاجتماعية لحضارات الشرق القديم وعلى رأسها حضارة مصر القديمة التي تحدّث علماء التاريخ عن أنّ بدايات الاتّصال الحضاري وانطلاق قوافل

[1]- ول ديورانت، **قصة الحضارة**، م.س، ج2، ص9-10.

التبادل التجاري بينها (بين مصر) والعوالم الحضرية الأخرى، جرى باتجاه الشرق عبر الطريق البري من خليج السّويس، والطريق البحري بالبحر الأحمر عندما كانت الأنهار تصب فيه في الأزمان القديمة. حدث هذا حوالي العام 1485 ق.م..

وقد وثّقت سجلاتُ التاريخ وجودَ العديد من الطّرق والمعابر التي سلكتها عملية الانتقال الفكري والمادي لتراث الشّرق القديم (أو لأجزاء أساسية منه) إلى عالم اليونان القديم؛ **منها**[1]:

1. منطقة «آسيا الصغرى»

ويقصدُ به منطقةُ السَّاحل الجنوبي الغربي من آسيا الصغرى (تركيا حاليًا)، والتي عُرفت تاريخيًّا باسم منطقة أو ساحل «أيونيا»[2]، فهذه المنطقة آسيوية في موقعها الجغرافي وشرقيّة في تراثها الحضاري، وكان قد استوطنها مهاجرون يونانيون منذ بدايات الألف الأوّل قبل الميلاد. وازدهرت الحضارة فيها قبل أن تزدهر في بلاد اليونان الأم (أي أثينة وإسبارطة)؛ لأنّ مدنها، وبخاصّة «ملطية»، كانت مصبًّا للمتاجر والثقافات التي كانت تصل إليها من بلدان الشرق الأدنى (مصر وسورية والرافدين) والشرق الأقصى (الهند والصين). ولم يكتف أهل «أيونيا» بما كان يصل إلى مدنهم من تراث الشّرق، وإنّما انطلقوا بأنفسهم يجوبون البلاد شرقًا وغربًا بحثًا عن التجارة والعلم؛ بحيث لم يبدأ القرن السابع قبل الميلاد، حتى كان اليونانيون، من أهل أيونيا، قد طوّقوا البحر المتوسّط بمستعمراتهم، وتفتّحتْ عيونهم على حضارة بلاد الشرق الأدنى، وعن طريقهم دخل الكثير من تراث هذه البلاد إلى بلاد اليونان[3].

---

[1]- عادل زيتون، **تراث الشرق في حضارة اليونان**، مصدر سابق.

[2]- احتوتْ «أيونيا» على مدرسة تعليمية مهمة، وظهر ما يقرب من اثني عشر فيلسوفاً يونانياً قبل سقراط، بدأت بهم هذه المدرسة، وهم (طاليس، انسكيماندر، انكسيمانس)، وهؤلاء سافروا إلى مصر ودرسوا فيها وتتلمذوا على أيدي فلاسفتها ومدارسها وكتبها.. وحين عادوا قال طاليس: إن أصل العالم هو الماء، بينما قال انكسيماندر، إن أصله هو البيرون (الفضاء اللامتناهي)، وقال أنكسيمانس، إنه الهواء. ولم يذكروا الآلهة، وهكذا تأسست بدايات الفلسفة الإغريقية التي كانت جذورها في تعاليم مدارس الأسرار المصرية. (راجع: خزعل الماجدي، **الأيدي المصرية**، صحيفة الاتحاد الظبيانية (الإماراتية)، تاريخ النشر: 2017/10/11 م).

[3]- **الفلسفة المصرية القديمة وأثرها على الفلسفة اليونانية**، مصدر سابق، ص 59 وما بعدها + عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، مكتبة الأنجلو المصرية، المجلد الأول (الجزء 1 حول مصر والعراق) ص460 وما بعدها.

2. رحلاتُ أبناء الشّرق أنفسهم إلى بلاد اليونان (وغيرها من بلدان الغرب):

قامَ عددٌ غير قليل من أبناء الشّرق برحلاتٍ تجارية وسياسية إلى بلاد اليونان والغرب الأوروبي.. ومن المعروف أنَّ بعض أبناء المصريين القدماء أقاموا مستوطنات لهم في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وهذا ما يؤكّده هيرودوت حيث يقول بأنّهم أقاموا مستوطنات لهم في شبه جزيرة «البليوبونيز»[1] نفسها. ويكفي أن نعرف أنّ مصر كانت هي المصدّر الرئيسي للقمح وورق البردي المتوجّه إلى بلاد اليونان. كما قام الفينيقيون بنشاط تجاري واستيطاني واسع في عالم البحر المتوسط، منذ أواخر الألف الثاني قبل الميلاد؛ حتى إنّهم سبقوا اليونانيين في اكتشاف الغرب الأوروبي[2]. ويهمنا أن نؤكّد أنَّ هذا النّشاط التجاري للمصريين والسوريين كانَ يحملُ في ثناياه علاقاتٍ حضاريّة واسعة، فالتّجار لم ينقلوا السّلع والمتاجر فحسب، وإنّما حمَلوا معهم أيضًا الأفكار والعادات والقيم والفنون والعقائد والعلوم؛ وكانت مستوطناتهم على سواحل المتوسط وعلى الأرض اليونانيّة مراكز حضارية أضاءت بنورها لا بلاد اليونان وحدها وإنّما الغرب الأوروبي أيضًا.. ومن ناحية أخرى هاجر الكثير من علماء الشرق الأدنى إلى بلاد اليونان بسبب احتلال الفرس، في عهد الملك قورش الثاني (559-529 ق.م) وفي عهد ابنه قمبيز الثاني (529-521 ق.م)، لبلدان الشرق الأدنى (بلاد الرافدين وسورية ومصر)، كما أنّ الاحتلال الفارسي لآسيا الصغرى أدّى إلى تشتّت فلاسفتها وعلمائها في أرجاء الغرب الأوروبي؛ بل إنّ الكثير من مدنها قد أُفرغت من مثقّفيها مثل مدينة ملطية التي انتهى عهد ازدهارها العلمي منذ سقوطها بيد الفرس عام 546 ق.م. وتؤكّد المراجع أنّ المدرسة الفيثاغوريّة في جنوب إيطاليّة قد تأسّست على أيدي أحد العلماء المهاجرين من آسيا الصغرى بعد هذا الاحتلال[3].

[1]- وهي شبه جزيرة تقع جنوب اليونان تبلغ مساحتها 21500 كم مربع.

[2]- هورست كلينغل، **التجارة في بلدان المشرق القديم والتفاعل مع جزيرة كريت في الألف الثالث قبل الميلاد**، أضواء جديدة على تاريخ وآثار بلاد الشام، لا ط، دمشق، 1989، ص117.

[3]- ولتر ستيس، **تاريخ الفلسفة اليونانيّة**، م.س، ص29 وما بعدها.

رابعًا: إطلالةٌ نقديّة على فكرة المركزيّة الغربيّة العائدة إلى زمن الإغريق (نقد ما يسمّى بالمعجزة الإغريقية)

لمْ تنهضْ حضارةٌ لوحدها، ولمْ تزدهرْ أمّةٌ من تلقاءِ نفسها.. والبناءُ العقلي والحضاري البشري الذي أشادَ مدنيّات وممالك مزدهرة وأنتجَ وأنجزَ وصنعَ، لم يتفجّرْ من لا شيء ولم يأتِ من فراغ، بل هو عبارةٌ عن حصيلة تفاعليّة لتراكم أعمال وخبرات طويلة أسهمت فيها مجتمعات وأمم وحضارات وثقافات ومعارف شتى متعدّدة ومتنوّعة عبر مسيرة التاريخ الإنساني كله.. نعم هي حصيلة مجهودات بشرية مادية ومعنوية هائلة أنتجتها تفاعلات عقول واجتماع إرادات وتضافر فعاليات جبارة ونشاطات مجتمعية كبرى عظيمة خاضت غمار الحياة من موقع الفعل والعطاء والحضور الإبداعي.. بهذا المعنى لا يمكن القول بتميز أيّة حضارة ولا علو كعبها على أخرى.. وليس من المنطق والموضوعيّة في شيء أن نذهب نحو تهميش حضارة أو تراث الآخرين، أو محاولة طمس الحقائق التاريخيّة لجلب الفخر القومي أو العرقي لطائفة أو مجموعة محدّدة من النّاس.. وعليه، فإنّ العلوم التجريبية والقوانين العملية والمعارف النظريّة من حكمة وفلسفة ونظريات إنسانية في الدين والحياة والوجود، قد نشأت ثمّ تطوّرت في بلاد الشرق وبدرجات متفاوتة بين حضاراتها.

بهذا المعنى أيضًا لا يصحّ القول بشيء اسمه «معجزة» سواء كانت معجزة عقلية أو حضارية خاصة بأمة ما من الأمم، مثلما قدّمت لنا العقليّةُ المركزيّة الغربية حضارةَ اليونان كأصلٍ وقاعدة وأساس لكلّ حضارات العالم وثقافاته، معتبرةً إيّاها معجزة قائمة بذاتها دونًا عن بقيّة حضارات العالم، ومنها حضارات الشرق القديم. لكن هذا لا يعني أنّ اليونانيين لم يقدّموا شيئًا للحضارة الإنسانيّة، بل يجب الاعتراف بدور حضارتهم الذي نراه يتمثّل في:

- **قطف خلاصة المعارف القديمة وصياغتها بالشكل العلمي المُمَنهج**، والعقلي الدقيق، على يد «أرسطو»، كما نراه اليوم ممّا وصل إلينا منه، وهذا الدّور ليس بالدور الثانوي في حركة تطوّر العلوم، بل هو محوري ومهم، فما قام به «أرسطو» يعدّ من الناحيّة الأخلاقيّة عمل يستحق عليه الثناء والشكر، ومن الناحيّة العلميّة هو عمل جبّار، لا يقدر عليه إلا من كانت له مكانة وقدرات ذهنيّة فذّة، ومعرفة ودراية بصنوف العلوم التي يكتب فيها .

ـ **القضاء على الاحتكار المعرفي** الذي مارسه كهنة المعابد في الحضارات الشرقية، وإخراج العلوم التجريبية والنّظرية من سراديب السرّيّة (التي كانت تحيطها بها الحضارات السابقة وخاصة في مصر) إلى عموم من طلبها وكانت له القابليّة لتقبّلها، وهذا الدّور لهو فضل كبير يحسب «لأرسطو» ويجب على الجميع الاعتراف به[1].

1. التعصّب الثّقافي الغربي في ميدان التاريخ

إنّنا نعتقد أنّ عدم قناعة كثير من القوى الحضارية والنخب الفلسفية والفكرية والسياسية في هذا العالم البشري الفسيح، بأصالة الحضارة اليونانية، ووجود شواهد وقرائن مادية على وجود تأثيرات حضارية نوعيّة كبرى لحضارات الشّرق القديم على حضارة اليونان، لم يمنع الحضارة الغربية ـ التي تفجّرتْ حداثتُها الفكريّة والعلميّة قبل نحو قرنين من الزمن ـ من تأسيس ذاتِها على قاعدةِ الانتماء النّهائي للجوهـر العقلي اليوناني أو ما أسماه الوعي الأوروبي بـ «المعجزة اليونانية»، بل اعتبرت نفسها وريثة وحيدة ونهائيّة لهذا الجوهر، وامتداداً جديداً (إعادة إنتاج وقولبة) لتلك اللحظة العقلية اليونانية (بمواريثها ونتاجاتها) التي صاغت مقدّمات الحضارة الكونيّة وأسسها الذاتيّة دونما وجود أيّ تأثير ودور واضح لبقيّة حضارات العالم الأخرى في ادّعاء ثقافوي نخبوي وصل حدود العنصرية الثقافية والعقلية..

والخطورة الأكبر في هذا الادّعاء التّاريخي، أنّ تلك النّظرة الفوقيّة الاستعلائيّة للغرب الحديث باتت ـ من جهة أولى- هويّةً مفاهيميّة قارّة لدى الغرب السياسي والثقافي، ثبتت في الذّهنيّة العامة ـ وليس فقط النخبوية- خصائصَ ومميّزات عرقيّة وحضاريّة خاصّة بالهويّة الغربيّة جاعلةً منها ثقافة متعالية، متمحورة حول نفسها، قوامها النّظر إلى الآخر (خاصة الشرقي) نظرة دونيّة منذ أيام الفلسفة الإغريقية إلى الآن؛ وشكّلت ـ من جهة ثانية ـ محرّضًا ودافعًا قويًا للتبشير والاستشراق الغربي، وبالتالي تمهيد الطريق لولادة عصر الاستعمار الغربي الحديث بكافّة أشكاله وألوانه، في توجُّهِه لاحتلال دول ونهب مقدّرات شعوب واستغلال مواردها، وتحويلها لأسواق ضخمة بهدف استهلاك منتجاته وسلعه وابتلاعها، ولاحقًا التّحكّم في وجودها ومستقبلها ومنع تطوّرها وازدهارها، رغم شعارات التنوير

[1]- حبيب مقدم، المغالطة القديمة المتجددة في خصوص نشأة الفلسفة والعلوم، تاريخ المشاهدة: 2020/1/10م، الرابط: http://islamwhy.com/contents/view/details?id=411&cid=38

الظاهري التي يطرحها الغرب، وأنّه يؤدّي مهمّة حضاريّة «أخلاقية» لتحرير الشعوب الأخرى من الهمجيّة والتّوحّش.

والواقع التاريخي للغرب الحديث أكّد أنّه لا يمكن الفصل بالمطلق بين التبشير والاستعمار والنهب الاستعماري مهما حاول الباحثُ أن يكون حياديًّا وموضوعيًّا، فقد أثبتت الدِّراسات النّوعيّة المعمّقة وجود حالة تَعانق وتآزر بين مجمل الحركات الاستعماريَّة والحركات التَّبشيريَّة الّتي كانت تُبارك الفتوحات وتبيح القتل خدمةً للإله أو للرب..!!. وباستقراء حركة الكشوف الجغرافيَّة التي قادها الإسبان والبرتغاليّون يُعثر على أوامر بابويَّة (صادرة عن الكرسي الرسولي في الفاتيكان آنذاك) تمنح للجيوش الحق في استغلال أراضي الكفرة (المتوحشين=الهمج)، والتَّصدي لهم في حالة الرَّفض والمُقاومة (التصدي يعني القتل!). وهذا يعني أنّ إمكانيَّة التَّواجد الأحاديِّ مسألةٌ غير عقلانيّةٍ بالنِّسبة إلى الفكر الغربيّ؛ فالدِّين والغرب شيئان متناظران ومتساويان، حيث إنَّ الغربَ أنشأ الدين وعاش تحت عقده وعقيدته، وهو (أي الغرب) الذي أثار القضايا الميتافيزيقيَّة، وحاول فهم العالم وتكيَّف مع الكيانات المتخيَّلة من (آلهة وأرواح وشياطين، وبارتباط مفهوم الغرب بالجذور الأسطوريَّة للحضارة الإغريقيَّة والرُّومانيَّة؛ فإنَّه يمنح نفسه قوَّة المَعرفة وسُلطتها، وبانتمائه للدّيانتين اليهوديَّة والمسيحيَّة، فإنَّه يُضفي على وجوده طابع القداسة)[1].

2. العقل واحد والثقافات متعدّدة

مع أنّ العقل الذي خلقه الله تعالى وأودعه في الإنسان (أي إنسان) وميّزه به (ومن خلاله) عن بقيّة الكائنات الحيّة في تكريمٍ وجودي عظيم، بقي هو هو في جوهره وحقيقته، سواء عند إنسان حضارات الشرق القديم أو عند إنسان حضارة اليونان وغيرهم؛ ولكنّه في الوعي الغربي بات هناك عقلان، عقل متخلّف شرقي لا يتطوّر، وعقل آخر غربي (يوناني) هو أبو التطوّر والحداثة.. وهذا سبّبه التعصّب الأوروبي للذات العقلية الغربية، ونظرة الغرب العنصرية لباقي حضارات العالم ومجتمعاته؛ وهي نظرة ما زالت تتغذّى من عقليّة التّفوّق

[1]- عبد الرّحمن حسن حنبكه الميدانيّ، أجنحة المكر الثّلاثة وخوافيها، التّبشير -الاستشراق- الاستعمار، ط8، دمشق، دار القلم، 2000 م؛ سعد الله، مكي: مُصطلح «الغَرْب» بين النّشأة الأسطوريَّة والنّهاية الكوسموبوليتيَّة، موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرابط: https://www.mominoun.com/articles، تاريخ المشاهدة 2019/10/28 م.

اليوناني (ما يسمى بالمعجزة اليونانية)، عقلية الرجل الأبيض المبدع والمنتج والخلاق بطبيعته، والرافضة للآخر الذي هو متخلّف وهمجيّ (بربري)، وعاجز بيولوجيًا عن تحقيق أيّ تطوّر والوصول إلى أي تَحَضُّر. إنّ البيولوجيا والعلم الحديث يؤكّدان أنّ البشريّة واحدة[1]، وأنّ العقل واحد لا يتغيرّ، (وما يتغير هو الظروف والتربة والدوافع والاستخدامات)؛ وهذا العقل هو الذي استخدمته الأمم الشرقية في الماضي السّحيق، فاستحدثت به (ومن خلال إبداعاته التطبيقية) الصّناعات والعلوم والفنون ولقّنتها لليونان، فأغنتهم عن بذل الجهد والوقت في استكشافها بأنفسهم؛ وفضلاً عن الفنون والعلوم نجد عند الأمم الشرقية القديمة قصصاً دينية وأفكاراً في العالم والحياة إذا اعتبرنا موضوعها ومغزاها رأيناها حقيقة تسمى فلسفية؛ فقد نظروا في أسمى المسائل مثل الوجود والتّغير، الخير والشر والأصل والمصير، فكان التوحيد والشرك، وكانت الثنائية الفارسية، وكانت وحدة الوجود عند الهنود، وكان غير ذلك؛ ولم تخرج الفلسفة فيما بعد عن هذه النظريات الكبرى، بل قد نستطيع أن نجد لكل فكرة يونانية مثيلة شرقية تقدمتها أو أصلاً قد تكون نبتت منه[2].

وإذا رجعنا إلى اليونانيين أنفسهم فإنّنا نجدُ لديهم - في بعض متونهم وشروحاتهم الفكريّة والمفاهيميّة الأساسيّة المهمّة التي وصلتنا - اعترافات واضحة بأسبقيّة حضارات الشرق القديم وأهميّة إنجازاتهم الحضاريّة الماديّة والمعنويّة في شتّى أشكال الصنائع والاختراعات والآداب والفنون.. وعلى هذا فقد تحدّث المؤرّخ اليوناني «هيرودوت» في القرن الخامس قبل الميلاد، عن عظمة حضارة المصريين القدماء، وتفوّقها على حضارة بلاده (اليونان) في كثير من الصّناعات والمجالات والفنون العملية، وذكَرَ ما يدينُ به فلاسفة اليونان وعلماؤهم[3].. بما يعني أن لا مركزية ولا تمركزًا عرقيًّا بل هو تواصلٌ حضاري وتفاعلٌ عقلي بشري خلّاق ومنتج.. والواقع أنّ التّأكيد على المنابع الشرقيّة للحضارة اليونانية القديمة لا يُعدُّ بحالٍ من الأحوال تقليلاً أو تصغيراً من قيمة هذه الحضارة ودورها

[1]- لا يوجد أيّ أساس علمي لنظرية النقاء الحضاري، وقد انتقد كثير من المفكرين الغربيين هذه الفكرة العنصرية ومنهم «جون ام هوبون»، في كتابه «الجذور الشّرقيّة للحضارة الغربية، ترجمة: منال قابيل، مكتبة الشّروق الدّوليّة، 2006 م»، ويذهب مؤلّف الكتاب إلى إثبات أنّ الغرب قد استفاد من موارد الشّرق البشريّة والفكريّة لإنشاء نهضته وحضارته.

[2]- فارس كرم، **تاريخ الفلسفة اليونانية**، لا ط، القاهرة، طبعة مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012 م، ص7.

[3]- الشيخ محمد كامل عويضة، **الفلسفة والمدارس الفلسفية المحدثة**، لا ط، بيروت، دار الكتب العلمية، 1995 م، سلسلة رقم 19، ص40.

في بناء هيكل الحضارة الإنسانية ككل. فنحن لا نقلّل ولا ننتقص من قيمة حضاراتنا الشرقية، وبالذات حضارتنا العربية الإسلامية عندما نعترفُ بتأثّرها وتفاعلها الخصب مع بقية حضارات الأمم الأخرى شرقًا وغربًا على السّواء، وفي مقدّمتها الحضارة اليونانيّة القديمة، والتي غدا علماؤها وفلاسفتها أكثر شهرة في العالم العربي والإسلامي، مما كانوا عليه حتى في الغرب الأوروبي والعالم البيزنطي في العصور الوسطى[1].. وإذا ما كانَ الوفاءُ واحترام الآخر والاعتراف بالجميل قيمةً إنسانية رفيعة في العلاقات الاجتماعية، فإنّها تشكّل شرطًا أساسيًا لقيام حوار جاد بين الحضارات. ولهذا فإنّ نظريّة «المعجزة اليونانية» تتناقض مع حقائق التاريخ والعلم والعقل، مع حقائق الإنسانية المفكّرة..

واليوم، يمكننا أن نعثر في الغرب على كثير من الباحثين والمفكرين الرافضين لمقولة المعجزة اليونانيّة، بل يمكن القول بوجود تيّار فكريّ قويّ يمضي اليوم في اتّجاه إعادة النّظر في ما يسمّى بـ(المعجزة اليونانية). وهناك محاولات مهمّة لكشف الحقيقة، والتي تتّصف بالطابع العلمي في تفنيد نظريّة المعجزة اليونانيّة وإثبات المصدر المصري خاصّة والشرقيّ عامة، تتمثّل فيما كتبه المؤرّخ الفرنسي (ألبار يوفتن) والفيلسوف (ألبار بونان) والطبيب (جون برنارد بولاي) والعلاّمة (ماير) و(دنكر) و(روبرتسون)، وغيرهم من المهتمين بالموضوع، فقد رأى (ماير) مثلاً أنّ المدنية اليونانيّة لم تبدأ في الرقيّ الحقيقيّ إلا بعد أن احتكّتْ بالشّرق في (أيوليا) و(أيونيا) بآسيا الصغرى، بينما ذهب (دنكر) إلى الرأي نفسه حين قرّر أنّه لم يبقَ من شيء في مدنية اليونان لم يلحق به تأثير الشرق في آسيا الصغرى، ولا يستثنى من ذلك الدين اليونانيّ الذي اقتبس كثيراً من المعتقدات والأفكار الشرقية[2]. أما (روبرتسون) فيقول في كتابه (تاريخ حرية الفكر) إنّنا مهما قلبنا وجوه الرأي وأمعنا في البحث، فلن نعثر على مدنية يونانيّة أصيلة بريئة من التأثّر بالحضارات الشرقيّة، غير أنَّ الإعجابَ الشّديد باليونانيين هو الذي جعلَ جمهرة من أصحاب الرأي تصرّ على إنكار تأثّر حضارة اليونان بحضارات الشّرق. وهناك مفكرون آخرون ينتمون إلى هذا التيّار الذي لم يؤمن بنظريّة المعجزة اليونانيّة، منهم (جلاديش) و(روث) والبيرفور وجورج سارتون وروجيه جارودي وغيرهم»[3].

---

[1]- عادل زيتون، **تراث الشرق في حضارة اليونان**، مجلة العربي، باب: تاريخ وتراث وأشخاص، العدد 595، حزيران 2008 م، ص54.

[2]- خزعل الماجدي، الأيدي المصرية، م.س.

[3]- حسن طلب، أصل الفلسفة (حول نشأة الفلسفة في مصر القديمة وتهافت نظرية المعجزة اليونانية)، لا ط، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2003 م، ص16.

لكن ما يحزّ في النّفس للأسف، أنّه وبرغم كلّ نتاجات العقل الإنساني، وتوفُّر إمكانات هائلة للنفاذ إلى حقائق التاريخ والجغرافيا، وبرغم كل تلك الاعترافات لكبار شخصيات الغرب بأهميّة الحضارات الشرقيّة ومدى تأثيرها على الحضارات الأخرى بما فيها حضارة اليونان، ما زال العقل الغربي مرتهنًا لأسطورة التّكوين والبدايات بشكل بنيويّ خلاصيّ عميق. فالغرب في بنته العقليّة ما زال هو الغرب المجبول بفكرة المعجزة وهو العقل الناتج عن معجزة عقلية وفلسفية عملية لليونان القديم، ولفكرة الإنسانيّة الّتي ظهرت في الحضارة الرّومانيّة، ولأخلاقيّات الكتاب المقدّس والتّجديد البابويّ في القرنين الحادي عشر والثّالث عشر.. وهذا الكلام نلمسه في كثير من الدراسات الفكرية لبعض أقلام الغرب المهمّة التي ما زالت تكرّس في ذهنيّة النّاس تلك الأفكار النمطيّة لنقاء الغرب وأصالة حضارته وعدم اقترانها مع أية مؤثّرات أجنبية[1]..!!.

وللأسف فقد نجحت تلك الأقلام في تكريس نمط واحد أو قراءة واحدة لحركة التاريخ بأحداثه ووقائعه ومختلف تحوّلاته وفاعليّة الإنسان في مجرياته، وهي القراءة السائدة اليوم، والتي نراها محكومة في أغلب جوانبها بخلفيّة استكبارية ودوافع سياسيّة استعمارية عنصريّة، يمكن أن نعتبرها اليوم امتدادًا لحركة الاستشراق الغربي لعوالم الشّرق بهدف استغلاله ونهبه والتحكّم بموارده وعيشه..

3. الأصالة للتنوّع الثّقافي والتعدّديّة الحضاريّة

على الرغم من استمرار محاولات كثير من نخب الغرب (في مواقع الثقافة والسياسة) ـ ومن ساعدهم من طبقات سياسيينا ومثقفينا المستغربين والملتحقين بثقافة الغرب دونما وعي ومسؤوليّة وانحياز لثقافة الأمّة التّاريخيّة- الإبقاء على تلك الفكرة الشريرة والمقولة العنصريّة التي تناقض مسيرة الإنسان في حركته منذ فجر التاريخ، لا بدّ من التأكيد ـ أخيرًا ـ على أنّ الحضارات البشريّة التي عاشت في التاريخ لم تتفرّد أمة أو جماعة بشريّة واحدة في صنعها وبنائها وتفجير طاقات أفرادها، بل كانت بمجملها حضارات متراكمة الخبرات والتجارب

[1]- يراجع بهذا الخصوص كتاب «فيليب نيمو»، الصادر حديثاً:

Philippe Nemo, Qu'est ce que l'Occident, Editions, Puf, collection Quadrige, Paris, 2013.

أسهم فيها الجميع (دون استثناء لأمة أو جماعة)، بما فيهم الحضارة العربية والإسلامية، (بكل ما فيها من مكونات ورؤى ونتاجات عقلية وعاطفية) التي احتوت وهضمت وأعادت إنتاج كثير من ذلك التراث اليوناني والروماني.. بما يجعلنا نقول إنّ العرب والمسلمين لم يكونوا مجرّد وسطاء أو ناقلين لحضارات الآخرين (في الغرب أو في الشرق على السواء) بأفكارها ومعارفها ونتاجاتها؛ بل هم كانوا فاعلين ومؤثّرين فيها من خلال ما قدّموه من عطاءات جديدة، وأيضًا عبر ما أعادوا قولبته وصياغته وهضمه من أفكار ومعارف ونتاجات الشعوب والأمم الأخرى.. وبما يدفعنا للقول إنّنا أمام تاريخ حضاريّ إنسانيّ وكونيّ شامل يجسد ـ في وعينا له ـ إسهامات وتراثات كلّ الشعوب البشريّة، ثقافيًا وعلميًا.

وفي قناعتي هذا الاعتزاز بحضاراتنا الشرقيّة القديمة، وتصدّينا اليوم لمحاولات الانتقاص من قدرها، وتحويل الأنظار عمّا أعطته للإنسانيّة من معارف وخبرات ومجهودات ونتاجات ماديّة ورأسمال نظري ثري وكبير، يحمّلنا نحن الأجيال الحالية واللاّحقة مسؤوليّة كبرى على أكثر من صعيد وجهة، **فمن جهة يجب العمل على استرداد آثارنا المنهوبة** لدى متاحف الغرب والتي يعرضها في متاحفه ومعارضه، وهي آثارٌ ولقى وتحف أثرية قيّمة للغاية ماديًا ومعنويًّا وتاريخيًّا، نُهبت من أراضينا -خلال القرنين الماضيين- على يد المستعمر وأذنابه وبعثاته الأثرية التي عَملتْ في معظم مواقعنا وتلالنا الأثرية في عالمنا العربي والإسلامي، ومن ثم يجب العمل بل الانكباب على دراستها وتقييمها وتحليلها واستخراج معانيها ومبانيها المعرفية الكثيرة الوافرة.. **ومن جهة أخرى يجب الاهتمام بمواقعنا الأثرية الكثيرة والهائلة وتوسيع نطاقات الحفريات الأثرية** في تلك الأمكنة والمواقع الأثرية التي لم يتم الكشف عنها بعد، مع ضرورة دراسة النتائج الناجمة عن تلك المجهودات التنقيبيّة لحضاراتنا الشرقيّة.. وأودّ أنْ أذكر هنا مثالاً بسيطًا -بحكم عملي وخبرتي في مجال الرقابة والإدارة الأثرية ـ وهو أنّ مدينة أوغاريت أو مملكة أوغاريت (موقع رأس الشمرة الأثري) ـ التي تقع في مدنية اللاّذقيّة السّورية- لم يتم الكشف عن كلّ ما تختزنه من معالم ولقى وطمائر أثريّة، حيث إنَّ نسبةَ ما تمَّ الكشف عنه وإظهاره عبر أعمال التنقيب الأثري الجارية فيها منذ العام 1929 م (تاريخ اكتشاف الموقع) إلى يومنا هذا، لا تتعدّى الـــ 13% من إجمالي مساحة الموقع كلّه والبالغة 250 دونم.

المصادر والمراجع

أوّلاً- الكتب العربية:

1. أحمد فؤاد الأهواني، **فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط**، دار إحياء الكتب العربية، مصر، القاهرة، طبعة أولى لعام 1954 م.

2. أندريه إيمار وجانين أوبوايه، **تاريخ الحضارات العام: الشرق واليونان القديم**، منشورات عويدات، بيروت، باريس، طبعة 2، 1986 م، المجلد الأول.

3. أسامة عدنان يحيى، **تاريخ الشرق الأدنى: دراسات وأبحاث**، دار أشوربانيبال للكتاب، العراق، بغداد، طبعة أولى 2015 م.

4. إ. ش. شيفمان، **ثقافة اوغاريت**، ترجمة: حسان اسحق، سوريا، دمشق، طبعة أولى لعام 1988 م.

5. إسماعيل مظهر، **فلسفة الألم واللذة**، دار كلمات عربية للنشر والتوزيع، طبعة أولى لعام 2012 م، مصر، القاهرة.

6. **أوغاريت والفكر**، الحوليات السورية المجلد 29-30، وهو عدد خاص بالندوة العالمية للدراسات الأوغاريتية، عام 1979-1980 م.

7. بشار خليف، **مملكة ماري وفق أحدث الكشوفات الآثارية**، طبعة دمشق لعام 2005 م.

8. جورج جيمس، **التراث المسروق (الفلسفة اليونانية فلسفة مصرية مسروقة)**، ترجمة: شوقي جلال، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، القاهرة طبعة عام 1996.

9. جورج سارتون، **تاريخ العلم**، دار المعارف، القاهرة، مصر، طبعة ثانية لعام 1970 م، ج 3.

10. جورج كونتينو، **الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور**، ترجمة وتعليق: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، العراق، بغداد، طبعة عام 1979 م.

11. جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة**، طبعة دار الطليعة، لبنان، بيروت، ط 3، عام 2006 م.

12. جبرائيل سعادة، **رأس شُمرا وآثار أوغاريت**، طبعة وزارة المعارف السورية، سوريا، دمشق، ط 1، عام 1954 م.

13. حسن طلب، **أصل الفلسفة (حول نشأة الفلسفة في مصر القديمة وتهافت نظرية المعجزة اليونانية)**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، القاهرة طبعة عام 2003 م.

14. ستيفن لويد، **فن الشرق القديم الأدنى**، ترجمة: محمد درويش، دار المأمون، العراق، بغداد، طبعة عام 1988 م.

15. سامي سعيد الأحمد، **حضارات الوطن العربي القديمة أساساً للحضارة اليونانية**، طبعة أولى 2003، منشورات بيت الحكمة، العراق، بغداد.

16. سامي النشار، **المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية**، دار قباء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، طبعة أولى لعام 1997 م.

17. صلاح أبو السّعود، **الحضارة الإغريقية**، مكتبة النافذة، مصر، القاهرة، طبعة أولى لعام 2013 م.

18. طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، شركة دار الوراق للنشر، العراق، بغداد، طبعة ثانية 2012 م، ج 1.

19. طه باقر، **ملحمة كلكامش**، العراق، بغداد، طبعة 4 لعام 1980 م.

20. عبد العزيز صالح، **الشرق الأدنى القديم**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 3، مصر، القاهرة 1982 م.

21. عفاف فوزي نصر، **الفلسفة المصرية القديمة وأثرها على الفلسفة اليونانية**، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، القاهرة، طبعة أولى لعام 2015 م.

22. عامر سليمان، **نماذج من الكتابات المسمارية، النصوص القانونية**، منشورات المجمع العلمي العراقي، العراق، بغداد، طبعة أولى لعام 2002.

23. فاروق ناصر الراوي، **العلوم والمعارف، حضارة العراق**، ج 2، دار الحرية للطباعة، العراق، بغداد، طبعة أولى لعام 1985 م.

24. فوزي مكاوي، **تاريخ العالم الإغريقي وحضارته: من أقدم عصوره حتى عام 322 ق.م**، دار الرشاد الحديثة، المغرب، الدار البيضاء، طبعة أولى لعام 1980 م.

25. فوكس وبيرن، **الإسكندر الأكبر**، تحقيق وإشراف: رؤوف سلامة، مصر، الإسكندرية، طبعة دار المستقبل، بلا تاريخ.

26. فاتن عبد العظيم، **الفلسفة اليونانية قبل سقراط**، طبعة ثانية، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، 1996 م.

27. فرانسوا دوما، **حضارة مصر الفرعونية**، تحقيق: ماهر جويجاتي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، القاهرة، طبعة عام 1998 م.

28. فراس سواح، **كنوز الأعماق: قراءة في ملحمة جلجامش**، دار سومر للطباعة والنشر والتوزيع، قبرص، نيقوسيا، طبعة أولى لعام 1987 م.

29. ك. ماتفيف وأ. سازونوف، **حضارة بلاد ما بين النهرين العريقة**، ترجمة: حنا صادق، مطبعة دار المجد، دمشق، عام 1991 م.

30. مارتن برنال، **أثينه السوداء، الجذور الآفروسيوية للحضارة الكلاسيكية**، الجزء الأول (تلفيق بلاد الإغريق)، تحرير ومراجعة وتقديم: أحمد عثمان، ترجمة: لطفي عبد الوهاب يحيى وآخرون، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة، مصر، القاهرة، طبعة عام 2002 م.

31. محمد عبد الرحمن مرحبا، **الموجز في تاريخ العلوم عند العرب**، تقديم: جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، لبنان، بيروت، الطبعة الثالثة 1981 م.

32. منى عبد الرحمن المولد، **محاضرات في الفلسفة اليونانية ابتداء من سقراط**، مطبعة السلام، مصر، القاهرة، بلا تاريخ.

33. محمد كامل عويضة، سلسلة: **الفلسفة والمدارس الفلسفية المحدثة**، رقم 19، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، طبعة عام 1995 م.

34. **المساهمة الفرنسية في دراسة الآثار السورية** بين عامي 1969-1989 م، طبعة وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، ط 1، لعام 1989 م.

35. هيرودوت، **تاريخ هيرودوت**، ترجمة وتحقيق عبد الإله الملاّح، المجمع الثّقافي طبعة عام 2001 م. وهي ترجمة عن الطّبعة المنقحة في 1936 للترّجمة الإنكليزية الّتي قام بها رولنسن.

36. هنري فرانكورت، **فجر الحضارة في الشرق الأدنى**، ترجمة: ميخائيل خوري، دار مكتبة الحياة، لبنان، بيروت، طبعة عام 1959 م.

37. هاري ساغر، **عظمة بابل**، ترجمة وتحقيق: خالد عيسى وأحمد غسان سبانو، دار رسلان للطباعة والنشر، طبعة أولى، عام 2018 م.

38. هورست كلينغل، **التجارة في بلدان المشرق القديم والتفاعل مع جزيرة كريت في الألف الثالث قبل الميلاد، أضواء جديدة على تاريخ وآثار بلاد الشام**، دمشق 1989، ص 117.

39. هورست كلينغل، **تاريخ سوريا السياسي (3000-300) ق.م**، ترجمة: سيف الدين دياب، ط 1، دار المتنبي، سوريا، دمشق، 1998 م.

40. هاري، و. ف. ساكز، **الحياة اليومية في العراق القديم (بلاد بابل وآشور)**، ترجمة: كاظم سعد الدين، دار المأمون للترجمة والنشر، العراق، بغداد، طبعة عام 2010 م.

41. وليام جيمس ديورانت، **قصة الحضارة**، تقديم: محيي الدين صابر، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، لبنان، بيروت، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، طبعة عام 1988 م.

42. يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة اليونانية**، طبعة مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، القاهرة، عام 2012 م.

43. ولتر ستيس، **تاريخ الفلسفة اليونانيّة**، ترجمة: مجاهد عبد المنعم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، طبعة 1984 م.

ثانيًا- الكتب الأجنبية:

1- Bains, John and aromir Malek (2000). The Cultural Atlas of Ancient Egypt (الطبعـــة revised). Facts on File.ISBN 0816040362.

2- Lawson ،Russell M. (2004). Science in the ancient world: An Encyclopedia. Santa Barbara, California, Denver Colorado, and Oxford, England: ABC CLIO. p: 234–235. ISBN 978-1-85109-534-6.

3- Herodotus: The Histories (B.2-123), Eng. Trans. By Aubery de Selincourt, Penguin Books, U.S.A. 1963, P150-151.

ثالثًا- المجلات والدوريات والصحف:

مجلة العربي الكويتية، العدد 595، حزيران 2008 م.

رابعًا- مواقع الأنترنت:

1 - موقع صحيفة الاتحاد الظّبيانية الإماراتية.

2 - موقع الحوار المتمدن.

3 - موقع الجزيرة نت.

4 - موقع الإذاعة البريطانية BBC.

5 - مدونة الدكتور صباح الناصري.

6 - موقع سوريات.

7 - موقع موسوعة ويكيبيديا.

الفصل الثاني

الدين والأسطورة

* الأسطورة بين الحضارة الكريتيّة والحضارة الآخيّة
* الشرك وتعدّد الآلهة في منظومة الإلياذة
* الأساطير والآداب الإغريقيّة بين الأصول الشرقيّة والمحليّة
* المؤثّرات المصريّة في الميثولوجيا الإغريقيّة
* نظام الآلهة عند الإغريق القدماء
* المعابد والطقوس في تاريخ الإغريق القديم

الأسطورة
بين الحضارة الكريتيّة والحضارة الآخية

محمود كيشانه[1]

مقدمة

لا شكّ في أنّ الأسطورة كانت سمةً بارزةً من سمات الحضارة الإغريقيّة القديمة، وهذا ما نجده ماثلاً بوضوح في الحضارة الكريتية والحضارة الآخية، لكن هذا لا يعني أنّ الأصل في العقل البشري القديم هو الأسطورة، فهذا ما لا نقول به؛ لأنّ الأصل فيه هو التوحيد. فقد كان المنهج الإلهي هو المنهج النّقي الذي أنزله الله تعالى للبشريّة، إلّا أنّ هذا المنهج تعرّض للتشويه على أيدي البشر، حتى كاد لا يبين من كثرة ما لحق به من أساطير وخرافات. ومن ثمّ كان توجّه الحضارتين إلى الأسطرة البعيدة عن المنهج الإلهي النقي.

وهذا التوجّه كان مناسبًا لتلك الفترة التاريخيّة من حياة البشريّة، والتي ابتعدت فيها عن المنهج الإلهي، حتى صارت هاتان الحضارتان تمثّلان مرحلة من مراحل العقل الساذج، ومن ثمّ كان هذا التّوجّه الخرافي ملائمًا لتلك العقليّة التي كانت تميل إلى الأقاصيص عن الأصل البشري والأبطال القوميين والدين والتاريخ وغيرها. أمّا العقل البشري الآن فقد وصل إلى مرحلة من الوعي بحيث ينظر إلى هذه الأساطير على أنّها خرافات ساذجة، وإن كان يدرك أنّها شكّلت وعي الغرب ممثّلاً في اليونان في مراحله التاريخيّة الأولى.

ومن ثم فإنّ هذا البحث يحاول أن ينطلق للكشف عن مفهوم الأسطورة في كلّ من الحضارتين: كريت والآخية، خاصّة وأنّ هاتين الحضارتين كان لهما دور كبير في تاريخ الإغريق القديم، وكان لهما وضعهما بين الحضارات الإغريقيّة اللاحقة، كما أنّ هذا البحث يعمد إلى بيان أنواع الأسطورة في هاتين الحضارتين؛ إذ كان للأسطورة أنواعها التي تتعلّق بتاريخ الجنس البشري، أو بتاريخ الأبطال والملوك وغيرها، وهذا بدوره يكشف عن دور

---

[1]- باحث في الفلسفة، محاضر بجامعة القاهرة ـ فرع الخرطوم.

الأسطورة في صناعة هذا التاريخ وكتابة سطوره، كما أنّ البحث يحاول أن يستخلص خصائص الأسطورة في هاتين الحضارتين، وذلك من خلال الأسطورة ذاتها، وعلاقة أهل اليونان القدماء بها، ومن خلال المعطيات التي تقدّمها، وينتهي البحث بخاتمة تبيّن أهمّ ما توصّل إليه من نتائج.

أولاً: تعريف الأسطورة

1. أسباب الاختلافات في تعريف الأسطورة

بادئ ذي بدء، فإنّ المؤرّخين يتّفقون على أنّ الأسطورة تعود إلى أزمان سحيقة ضاربة في التاريخ الإنساني، وظهرت قبل مرحلة الكتابة[1]، ما يعني أنّها ظهرت في عصور ما قبل العلم والمعرفة، وهي العصور الضاربة بدورها في البدائيّة والخرافة.

والمتأمّل في طبيعة الأسطورة وأنواعها يجد أنّه لا استقرار على تعريف مانع جامع لها، فالتعريفات متعدّدة، قد تتّفق في جزء منها وتختلف في أجزاء، وهذا يرجع في ظنّي إلى عاملين رئيسين:

الأوّل، طبيعة عصر الأسطورة ومكانها بالنسبة للمتلقّي، فقد ينطبع عصر الأسطورة على الأسطورة ذاتها، فهناك أساطير عن أصل الخلق في عصر، وأساطير عن عصر الأبطال، إلى غير ذلك، فقد ينظر الدّارس لعصر دون عصر، أو للأسطورة في أمة غير أمة، فيجعل تعريفه مقتصرًا على هذا العصر، أو هذه الأمة، دون النّظر إلى العصور والأمم الأخرى، فينشأ الاختلاف في التعريف.

الثاني، التنوّع في الأساطير أحد أسباب الاختلاف الظاهرة في تعريفها، فالأساطير متنوّعة وموضوعاتها متعدّدة، ومن ثم يأتي التعريف متأثّرًا تأثّرًا كبيراً بنوعيّة الأسطورة، أو ببعض الأنواع دون غيرها، فيكون التعريف لا جامعًا ولا مانعًا، نتيجة القصور في الإلمام بأنواعها كلّها.

[1]- انظر: قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية: الأسطورة.. توثيق حضاري، ط1، البحرين، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، 2005م، ص14.

2. تعريف الأسطورة من منظور غربي

وكمثال على ذلك يعرّف قاموس كامبردج (cambridge dictionary) الأسطورة قائلاً:

« قصّة موغلة في القدم، أو مجموعة من قصص العصور القديمة، ليست صحيحة على الدوام، يرويها الناس، وتدور حول حدث أو شخص مشهور»[1].

في حين يعرفه قاموس وليام وبستر (merriam-webster dictionary) قائلًا:

«قصّة تعود إلى الماضي خاصّة، قصّة شعبيّة لا يمكن التحقّق منها»[2].

ويعرفها قاموس ماكميلان (macmillan dictionary) قائلاً:

«قصّة قديمة عن مشاهير وأحداث في الماضي، وهي ليست صحيحة عادة»[3].

في حين يعرّفها (vocabulary dictionary) قائلاً:

« قصة أكبر من الحياة، تنتقل من جيل لآخر....... وهي تأتي من كلمة (legere) اللاتينيّة، وكانت الأسطورة يقتصر فيها على القصص المكتوبة، في حين تنازلت اللّغة الإنجليزية عن ذلك، فصارت الأسطورة في الغالب تعيش في القصص التي يقصّها الناس على بعضهم بعضًا، ويمكن أن يكون الشخص أسطورة حقًا، فآن فرانك تعد أسطورة في الحفاظ على يومياتها المرحة في زمن الحرب، بل يمكن أن يكون شخص أقلّ شهرة أسطورة، فالمعلم الذي خدم مهنته بجد يعدّ أسطورة لأبناء الحي»[4].

3. تعريف الأسطورة

أمّا عن تعريف الأسطورة ـ من وجهة نظرنا ـ فهي فعل خرافيّ متعالٍ عن الواقع، يشعّ منه كلّ ما يتنافى مع المنطق السديد والعقل السليم في الغالب، تقوم على قصّ حدث تاريخيّ له أصل في الواقع، لكن زيد عليه، وقد تكون من وحي خياليّ خصب، أو تفسّر ظاهرة ما في الطبيعة أو ما بعدها، أو تؤكّد على معتقدٍ ما لدى أتباعها، أو تقيم نظامًا ترتئيه في فهم

[1]- https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/legend

[2]- (https://www.merriam-webster.com/dictionary/legend

[3]- (https://www.macmillandictionary.com/dictionary/british/legend

[4]- (https://www.vocabulary.com/dictionary/legend

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية. لكن يجب التأكيد على أنّ هناك فرقًا كبيراً بين الأسطورة والمعجزة، فالمعجزة فعل خارق للعادة، ليس فيها تأليه للبشر، ولا تشبيه الإله بالإنسان، في حين نجد الأسطورة تقوم على هذا، كما أنّ المعجزة تأتي تأكيدًا للمنهج الإلهي على يد من اصطفاهم الله تعالى لرسالته، في حين الأسطورة التجسيد ونزع القدسيّة عن الله تعالى.

4. متى ظهرت الأسطورة؟

وقد ظهرت الأسطورة في بلاد الإغريق منذ آلاف السنين قبل الميلاد، حيث اعتقدوا أنّ هناك مجتمعًا فوقهم تصدر منه كلّ الأوامر والنواهي التي تسيّر العالم، هذا المجتمع هو مجتمع الآلهة التي تسكن أعلى جبل الأولمب، حيث يناطح السحاب، وهذا هو المكان المناسب للآلهة على اعتقادهم. حيث «تصوّر خيال الإغريق أنّ الآلهة الكبرى، وعددها اثني عشر ربًّا وربّة من الناحية الرسميّة، وأربع عشرة ربًّا وربّة من الناحية العرفيّة كانت تعيش في مجمع.. فوق جبل الأولمب تحت رياسة زيوس»[1]. ويجب التنبيه هنا على أنّ مجتمع الأولمب في التصوّر الأسطوري مجتمع إلهة، وليس مجتمع ملائكة على المعنى الإسلامي، فالحضارتان الكريتية والآخية كانت تنظر لمجتمع الأولمب على أنّه مجتمع مسيطر على العالم، وأن ما به هم آلهة أو أبناء آلهة، ومن ثم يسيطرون على العالم بدافع الاعتقاد بألوهيتهم في التصوّر القديم، في حين أنّ الملائكة على المعنى الإسلامي مخلوقات خلقها الله تعالى مكلّفة بما أمرها الله تعالى به.

5. الأسطورة وفكرة الإله

والأسطورة في كريت والآخية - كما هي الحال في بقيّة المدن اليونانيّة في التاريخ اليوناني القديم ـ ترتبط ارتباطًا وثيقًا بفكرتهم عن الآلهة، فلا وجود للأسطورة بمنأى عن الآلهة في الحضارتين، فهي التي تمتلك الشّمس والقمر والنجوم والأنهار والمحيطات والجبال والأرض والسماء والمطر والرياح، وبالجملة كلّ ما يشمله الكون الكبير منه والصغير. وهذا ما تكشف عنه بوضوح الإلياذة، من ذلك قول هوميروس: «وحداء القافلة التي لا تفتأ تخب

[1]- سيد أحمد علي الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ط2، القاهرة، دار النهضة العربية، 1976م، ص14.

في بيداء الأزل، إلى الواحة المفقودة في متاهة الأبد، ركبانها الآلهة وأبوللو وكيوبيد، وملؤها ولدانها المخلدون»[1]، وقوله: «ورقت له الفتاة، حين علمت أنّه رب الأرباب، وسيد آلهة الأولمب زيوس العظيم»[2].

6. الأسطورة كمرآة للحضارتين

ومن ثم فإنّ الأسطورة تخرج من كونها قصصًا أدبيّة إلى رحاب أوسع من ذلك بكثير، فهي تعبرّ عن تصوّر الشعوب الإغريقية خاصّة في تلك المرحلة التاريخيّة محلّ الدراسة ـ كريت والآخية ـ حتى إنّ البعض ـ مبالغًا ـ نظر إليها على أنّها «مرآة صادقة تعكس أفكار الشّعب الإغريقي الدينيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة... تصوّر مراحل تطوّر أفكاره على مدى العصور المتتالية.. تكشف عن عاداته وميوله وتوجّهاته.. تعمّق جذور حضارته، وترسم ماضيه التليد»[3]. لكنها على كلّ حال ـ من وجهة نظرنا ـ كانت مرآة كاذبة ظنّ الإغريقيون أنّها حقيقة، في حين لم تكن غير خرافات يأتيها الباطل من خلفها ومن بين أيديها؛ لأنّها خالفت المنهج الإلهي وأصالة التوحيد.

ومن ثمّ نظر بعض الدّارسين إلى الأساطير على أنّها حلقة اتّصال مهمّة بالماضي، وأنّها في كثير من الأحيان تكون المصدر الوحيد لمعارفنا عن الكيفيّة التي نظر بها الأقدمون إلى العالم من حولهم، وكيف فسّروا من خلالها ظواهره العديدة[4].

7. الأسطورة والعقل الجمعي

فالأسطورة الإغريقيّة إذًا، كانت تعبيراً عن الذّات الجمعيّة أو العقل الجمعي بكلّ ما فيها من أفكار واتّجاهات وميول ومعارف، فهي تعبيرٌ صادقٌ عن كلّ ما يتعلّق بالحضارة الإغريقية القديمة في المدينتين: كريت الكريتيين وتساليا الآخيين. ومن ثمّ، فمن الخطأ النّظر إلى الأسطورة على أنّها مجرّد عمل يصنف في خانة الأعمال الأدبيّة أو الملاحم الشعبيّة؛ لأنّها

[1]- هوميروس: الإلياذة، ترجمة: دريني خشبة، ط1، القاهرة، دار التنوير للطباعة والنشر، 2014م، ص13.

[2]- م.ن، ص14.

[3]- عبد المعطي شعراوي، أساطير إغريقية (الآلهة الكبرى)، لا ط، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 2005م، ص6.

[4]- انظر: أمين سلامة، الأساطير اليونانية والرومانية، طبعة القاهرة، 1988م، ص7.

كانت في كلّ أمر يتعلّق بالإغريقي، فقد جعلها دأبه وديدنه. فإذا حاولت معرفة الاعتقادات الدينية في الحضارتين فعليك بالأسطورة، وإذا أردت معرفة أحوالهما الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية فعليك بالأسطورة، وإذا أردت معرفة الميول والمعارف والاتّجاهات فيهما فعليك بالأسطورة.

ثانيًا: أنواع الأسطورة

من المهم قبل الحديث عن أنواع الأسطورة في حضارة كريت والحضارة الآخية أن نجاوب على الأسئلة الآتية:

ما مراحل الأسطورة؟

هل تظهر في الأسطورة اليونانية مسحة أدبية؟

ماذا عن علاقة الأسطورة بتفسير العالم في تلك الحقبة التاريخية؟

1. مراحل الأسطورة

وقد كانت هناك مراحل متعدّدة متعلّقة بالأسطورة، ومن ثم يقول أحد الباحثين ـ وإن كان على كلامه نقد ـ «بادئ ذي بدء أحاديث خرافة، ثم جرت مجرى العقائد والسنن، وهي لا تخلو من مغازٍ أبديّة وحكمٍ غالية، عليها مسحة من التاريخ، وميزتها على العظات المجرّدة من الحوادث استقرارها بسهولة في الذهن، وانتقالها إلى الأعقاب لشبوعها ولذاذتها»[1]. ومصدر النّقد أن البدء لم يكن بحال ما خرافة، ولكن البدء كان منهجًا إلهيًّا فيه كلّ الخير للبشر، إلّا أنّهم غيّروا وبدّلوا في هذا المنهج، حتّى أصابه التشويه، ومن ثمّ فإنّه وفق أصالة المنهج الإلهي منهج التوحيد فإنّها بادئ ذي بدء كانت أحاديث صحيحة لحقتها الخرافات والأساطير بفعل البشر، وتم تحريفها عبر المبالغة والتجسيد.

2.الأسطورة كمسحةٍ أدبيّةٍ

بما يعني أنّ تغلغلها في عقليّة اليونان وقلبه لم يكن من فراغ، وإنّما لأنّها لامست عاطفة الإنسان، وجذبت لبّه بسمتها الأدبي، وهو السّمت المحبّب إلى الغالبيّة العظمى من أبناء

[1]- محمود فهمي، تاريخ اليونان، لا ط، الجيزة، مكتبة ومطبعة الغد، 1997م، ص19.

الجنس البشري؛ كونها تميل إلى أسلوب القصّ أو الحكي المسلّي، فضلاً عن أنّها لامست حاجة عند البشريّة في تلك الفترة التاريخيّة، التي كانت دائمًا ما تبحث عن إجاباتٍ للأسئلة التي كانت تعتلج في العقول، خاصّة الأسئلة المتعلّقة بالإله والكون والإنسان وأصل الجنس البشري.

فقصيدة هزيودوس المسمّاة «أنساب الآلهة»، وكذلك قصيدته المسمّاة «الأعمال والأيام» ـ ويضاف إليهما إنتاج هوميروس ـ تعدّ من قبيل القصّ الشّعري الذي يلامس عاطفة الإنسان، فالقصيدة الأولى لهزيودوس ـ التي تحكي عن ولادة الإلهة ـ كان يراها هو نفسه غصنًا من النار منحته إيّاه ربات الشعر، ونفثن فيه أشعارًا جميلة وأغاني طريفة[1].

3. الأسطورة وتفسير العالم

وتمثّل الأسطورة في الحضارتين محاولة لتفسير العالم وعلاقته بالإله، ولكن التفسير الذي يناسب تلك العقليّة البدائيّة في العصور الخرافيّة، فهي كانت محاولة للفهم، ولكن على طريقتهم الخاصّة، فالشاعر هزيود ـ أو هزيودوس- في كتابه «أنساب الآلهة» كان يصوّر في شعره كيفيّة ولادة الإلهة كما لو كانت بشرًا، كما ربط بين هذه الولادة وبين خلق الكون[2].

وهي المحاولة التي تختلف جذريًّا عن المحاولة التي قام بها الفلاسفة العقليون في اليونان فيما يمكن تسميته بعصر العقل اليوناني، الذي احتلّ فيه الفكر مكانةً عاليةً عن ذي قبل في الحضارتين: كريت والآخية. ومن ثم فإنّ أحد الباحثين عندما ذهب إلى أنّ الأسطورة لا تولد كلاً منظّمًا، كما هو الحال في أيّ نظام فلسفي أو لاهوتي أو علمي، إنّما تولد من الصدفة[3].

ونحن لا نقول بالصدفة، ولكن نقول تولد الأسطورة عند الحاجة أو العوز إلى تفسير قضيّة تتعلّق بالعالم أو الإنسان أو الآلهة؛ إذ ليس من المقبول أن تكون الصدفة هي سبب الأسطورة؛ ذلك أنّ الأسطورة ـ وإن كانت عملاً بدائيًا خرافيًا ـ فإنّها صيغت تلبية لتفسير العالم من حولها، حتى ولو لم تكن تراعي العقل؛ ذلك أنّها كما قلنا تعبّر عن

[1]- Hesiod ,Theogony, Translated by M. L. West , Oxford. Wew York , 1988 , P 3 , 4.

[2]- انظر: هزيودوس: أنساب الآلهة، ترجمة وتحقيق: صالح الأشقر، ط1، منشورات الجمل، 2014هـ، ص50، 69، وغيرهما.

[3]- انظر: بيار غريمال، الميتولوجيا اليونانية، ترجمة: هنري زغيب، ط1، بيروت – باريس، منشورات عويدات، 1982م، ص11.

مرحلة ساذجة من مراحل التاريخ الإنساني. ومن الأمثلة الدّالة على ذلك قصّة بدء الخليقة في الأسطورة اليونانيّة القديمة؛ إذ تشير إلى أنّ الخليقة بدأت من الفوضى، وأنّ ذلك حدث بعد زواج السّماء والأرض ـ في اعتقادهم ـ وبعدما ولد لهم الأبناء (التيتان)، هؤلاء الأبناء قاموا بثورة في وجه أبيهم السماء، وقاموا بتقطيع أعضائه[1].

4. أنواع الأسطورة

ويمكن القول، إنّ أساطير هاتين الحضارتين تتعلّق بأنواع محوريّة عدّة، لكنّنا نختار منها بعضها في هذه الدراسة:

الأوّل: أساطير تتعلّق بأنساب الآلهة وأصل الجنس البشري.

الثاني: أساطير تتعلّق بنشأة البلاد والمدن.

الثالث: أساطير تتعلّق بالأبطال الأسطوريين القدماء.

الرابع: أساطير تتعلّق بالحروب والانتصارات.

الخامس: أساطير تتعلّق بالدين.

السادس: أساطير تتعلّق بقوى الشر.

أ. أساطير تتعلّق بأنساب الآلهة وأصل الجنس البشري

يذهب اليونانيون إلى أنّ أباهم بروميثفس أحد أبناء أورانوس، وأنّ ابنه ذفكاليون استوطن تسّاليا على شواطئ نهر بينيوس، «ثمّ غضبت السّماء، فأفاضت النّهر، حتى أحدث طوفانًا أغرق البلاد، ولم ينج من هذه المصيبة غير ذفكاليون وزوجه برًا، ورست السفينة التي كانت تحملها على رأس جبل عال وسط أرض مقفرة، وأوحت الآلهة إلى ذفكاليون أن يلتقط بعضًا من عظام أمّه، ويعنون بها أحجارًا عظيمة من الأرض، ويقذف بها بعيدًا ففعل، فكانت الحجارة كلّما مسّت الأرض صارت رجالاً، وتبعت برًا مثل زوجها، فكانت حجارتها نساءً، فعاد إلى إغريقية عمرانها، ثم رزق ذفكاليون ولدًا يدعى هيلين، وهو أبو الأمة اليونانيّة الأصلية، ورزق هيلين ثلاثة أولاد: يولوس أبا اليوليين، وذوروس أبا الذوريين، وكسوثوس

[1]- Hesiod ,Theogony, , P 6 , 7.

الذي رزق يون أبا اليونيين، وأخيوس أبا الأخائيين»[1]. وهي أسطورة تبدو عليها البدائيّة والسّذاجة كسمت الأساطير الإغريقية القديمة، بيد أنّ هذه الأسطورة تحاول أن تبينّ أصل النشأة الإغريقيّة، محاولة الرّبط بين القبائل الإغريقيّة القديمة تحت لواء واحد، وتربطها بآصرة القرابة والدم.

في حين أنّ الأسطورة التي مجّدت في أصل الجنس الكريتي، هي ذاتها التي مجّدت في جنس الآخيين، حيث تذهب الأسطورة إلى أنّه عندما غضب زيوس على الجنس البشري لما اقترفه من مظالم سلّط عليهم طوفانًا لم ينج منه إلا رجل واحد، هو ديوكاليون وزوجته في سفينة أو صندوق استقرّ على جبل بارنسس، وتناسلت من هلّن ابن ديوكاليون جميع القبائل اليونانيّة، وكان هلن جد آخيوس وأيون اللذين تناسلت منهما القبائل الآخية والأيونية. يقول ول ديورانت: «إنّ الأسطورة في الكثير الغالب قطعة من الحكم الشعبيّة يخلق منها الشعر أشخاصًا، وكثيراً ما تكون الأسطورة قطعة من التاريخ، تضخّمت بفضل ما اتّصل بها من قصص جديدة على مرّ السنين»[2]. وهذه نقطة جوهريّة من الأهميّة بمكان؛ ولذا يمكن القول إنّ الأسطورة الإغريقيّة ليست كلّها كذبًا وخرافة، على اعتبار أنّها في أحيان كثيرة تنبني على أصل تاريخي في جزء منها، نعترف أنّه جزء قليل جدًا، إلا أنّه بفعل الزمن وتوالي الأجيال تكتمل الأسطورة بحيث يكون جلّها خرافة، ويتوه داخلها الجزء الحقيقي الواقعي. بما يعني أنّ الأسطورة أو الخرافة لم تولد هكذا من رحم الطبيعة، ولكنّها تصنع على يد الإنسان وعينه، فهو المحرّك الرئيس لها، فهو منشؤها ومصدرها، حتى إذا فني جيل يوناني قديم تولاّها الجيل الذي بعده بالرعاية فيزيد عليها ما شاء متى شاء، فلا رقيب ولا حسيب، ما دام الأمر في إطار اللاّ منطق واللاّ عقل.

ب. أساطير تتعلّق بنشأة البلاد والمدن

لا شكّ في أنّ الحضارتين الكريتية والآخية اعتمدتا على الأسطورة في نشأة المدينتين، فكريت التي كانت لها تضاريسها الطبيعية المترامية، حيث كانت الجبال تقسّمها إلى

---

[1]- محمود فهمي، تاريخ اليونان، م.س، ص20.

[2]- انظر: ويل ديورانت: قصة الحضارة، لا ط، تونس، بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، المجلد الثاني، الجزء الأوّل، ص85.

تقسيمات عدّة، تسكنها مجموعة من العشائر المتباغضة المتصارعة، وهي -حسب ويل ديورانت- تقيم في قرى منفصلة مستقلّة، يحكمها زعماؤها، وتتقاتل كما يتقاتل سائر النّاس بفطرتهم، حتى خرج من بين ظهرانيهم زعيم يستطيع أن يضمّ هذه العشائر وتلك القرى تحت لواء واحد، وهو مينوس، وينشئ مملكة هو سلطانها، ويجعل الكلّ يدافع عنها، ثم تنشئ أسطولاً بحريًا يسيطر على بحر إيجة، ويقضي قضاءً مبرمًا على القراصنة الذين كانوا يهدّدون حياة الناس وممتلكاتهم، وعليه قامت حضارة كريت في إثر القراصنة[1].

ـ ارتباط مدينة كريت بالملك مينوس

هذا البطل الخارق لا شكّ لا ينفكّ عن الأسطورة، فمينوس أوّلاً لا نعلم حقيقة، هل هو اسم الرجل أو لقب له كلقب فرعون أو كسرى أو قيصر أو غيرها، لا نستطيع الجزم هل هو شخصيّة حقيقة أم شخصيّة خرافيّة، خاصّة وأنّ حياته مرتبطة بالأساطير والأقاصيص الخرافيّة، فهو يستخدم الآلهة في تحقيق مآربه السياسية، «وهو يغوي الآلهة، ويستخدمها لمعونته؛ ليجعل طاعة الناس إياه أيسر عليهم وأقل تكلفة، ويلقّن كهنته النّاس أنّه من نسل فلكانوس، وأنّه تلقّى من هذا الإله القوانين التي يصدرها، وإذا ما كان الملك قديرًا أو سخيًّا فإنّ هؤلاء الكهنة يخلعون عليه من جديد السلطة الإلهية»[2].

ـ تأثير مدينة كريت

وكريت كمدينة وحضارة كان لها تأثير كبير على الواقع المحيط، فقد سيطرت على البحار الإغريقية مدّة من الزمن، وسيطرت سيطرة تامّة على أثينا، فظهر تأثيرها فيها وفي غيرها من المدن التي طالها نفوذها وسيطرتها، ومن ثم كان لها القدرة على نشر ثقافتها ومعتقداتها فيها، «وكما يحدث دائمًا في مجال الحضارة عندما تمتزج الشعوب عقب الفتوحات، يسمّى المغلوب عادة هو الغالب على الصعيد الروحي والفكري، وهو الذي يفرض من ثم حضارته وعلمه وأفكاره، إن لم يفرض دينه كلّه أو جلّه»[3].

---

[1]- انظر: ويل ديورانت، قصة الحضارة، م.س، المجلد الثاني، ج1، ص24.

[2]- انظر: م.ن، ص24.

[3]- فؤاد جرجي بربارة، ، الأسطورة اليونانية، لا ط، سوريا، وزارة الثقافة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، 2014م، ص9.

ـ مدينة تساليا الآخيين

في حين أنّ الآخيين كانت قبيلة يونانيّة ظهرت في القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد في مدينة تساليا، وصار بيدهم مقاليد الحكم فيها، ويشير ول ديورانت إلى أنّهم فرضوا آلهتهم الجليّة والسماويّة على الآلهة الأرضية التي كان يعبدها من كان قبلهم في الحضارات السابقة عليهم[1].

والآخيون هم أهل البلاد الأصليون، كانوا يعيشون فيها في أزمنة موغلة في القدم، فالآخيون قبيلة يونانيّة ظهرت على الساحة خلال القرنين: الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد، من تساليا إلى البلوبونيز، ويشير المؤرّخون إلى أنّ دماءهم امتزجب بدماء المسينيين الذين عاشوا في هذه البلاد لفترة طويلة من الزمن، حتى صاروا الطبقة الحاكمة في عام 1250 قبل الميلاد[2].

وإذا كانت المدينة الأم في الحضارة الكريتية ترتبط باسم مينوس، والتي بنى فيها قصر الشهير كنوسوس، فإنّ المدينة تساليا في الحضارة الآخية لا ترتبط في الأسطورة بشخص معيّن كسابقتها، فالأشخاص الذين تطوّرت المملكة أو المدينة على يديهم كثر، حتى سمّي عصر الحضارة الآخية بعصر الأبطال؛ نظرًا لكثرة الأبطال الذي ظهروا فيه. وقد أشارت الأوديسة إلى قوّة الأسطول البحري للآخيين[3]، كدلالة على القوّة الحربيّة التي كانوا يتمتعون بها.

ت. أساطير تتعلّق بالأبطال الأسطوريين القدماء

إنّ الأسطورة الأغريقيّة كانت تذهب إلى أنّ الأبطال الأسطوريين من البشر يستمدّون قوّتهم من الألهة، فزيوس الإله الرئيس للآلهة اليونانية، حاكم السماوات، والد الآلهة الأخرى وأبطال البشر[4].

---

[1]- انظر: ويل ديورانت، قصة الحضارة، م.س، ص76.

[2]- انظر: م.ن، ص76.

[3]- انظر: هوميروس: الأوديسة، ترجمة: دريني خشبه، لا ط، القاهرة، دار الكتب الأهلية، 1945م، ص131.

[4]- Creation Stories from Around the World Creation 2: Ancient Greece, c. 725 BCE
Hesiod's Theogony .Translated by A. Athanassakis, Hesiod: Theogony, Works and Days, Johns Hopkins University Press, Baltimore, 1983, P 17.

ـ تمجيد الأبطال في أساطير الحضارتين

ومن ثم عمدت الحضارتان: الكريتية والآخية إلى تمجيد الأبطال الأسطوريين والملوك العظام الذين قامت على أكتافهما الحضارة، حاكين عن الصعاب والعقبات التي واجهوها وتجشموها وتغلبوا عليها حتى قامت دولتهم، وساهموا في رقيّها ونهضتها، ولو بمفهومهم القديم عن الرّقي والنهضة. حيث سمع اليونانيون بالمشاق الكبيرة التي تكبّدها آباؤهم الأوائل حتى جعلوا إغريقية صالحة للعيش والسكن، فتخيّلوا المجهود الذي بذلوه في إصلاح الأرض ومطاردة الحيوان المفترس، وتطهير المستنقعات، وتحويل مجاري النّهر، والقضاء على اللّصوص والأشقياء[1].

ويعدّ مينوس أسطورة من أساطير الحضارة الكريتية، وبطلاً من أبطالها العظام، فقد «كان ملكًا ذا سطوة، وجاء من سيرته بالعدل والاستقامة ما جعله أن يكون قاضيًا لجميع أبناء الجحيم»[2]. كذلك الحال بالنسبة لأخيوس أبي الآخائيين.

ـ موقع الإنسان في الأسطورة

وهذا يدلّ على أنّ الأسطورة الإغريقيّة لم تكن تولي وجهها شطر عالم ما وراء الطبيعة، عالم الآلهة فقط، بل كانت تولي وجهها كذلك شطر العالم المشاهد، فاهتمّت بالإنسان، وجعلته محورًا من محاور بناء التاريخ والأرض والوطن، على الرغم من شيوع تأثير الآلهة في مقدرات البشر في الأساطير الإغريقيّة في الحضارتين وفي غيرهما من حضارات ما قبل الميلاد في اليونان. ومن ثم نفهم أنّ الأسطورة في تلك الفترة التاريخيّة كانت تُبنى على محورين أساسيين: الإلهة والإنسان، قد تكون الأولى مساندة وداعمة للثاني، وقد تكون حسب فهمهم معيقة تصدّه وتمنعه عن الوصول إلى الهدف الذي يرتئيه.

ولا مانع عندهم من أن ينتصر الإنسان على الآلهة؛ إذ إنّ عالم الآلهة في تصوّرهم البدائي لم يكن يختلف في قليل أو كثير عن عالم الإنسان، في تدبير المؤامرات، وحباكة المعوقات، وتبني الشرور والآثام، فليس بغريب إذن أن تكتمل فكرتهم البدائيّة هذه بانتصار الإنسان على الإله، واختيار طريق مخالفة بالكلية للطريق التي أرادها له.

[1]- انظر: محمود فهمي، تاريخ اليونان، م.س، ص20.

[2]- جرجي ديمتري سرسق، تاريخ اليونان، ط1، بيروت، 1876م، ص14.

ـ أبطال الأسطورة الآخية

أمّا الأبطال الأسطوريون في الحضارة الآخية فهم كثيرون حتى سُمّي عصر الحضارة الآخية بعصر الأبطال، لما ضمه من أبطال أسطوريين يتحاكى بهم التاريخ جيلاً بعد جيل، لما أظهروه من مهارة فائقة في القتال بشجاعة تنمّ عن قلب من حديد لا يعرف الخوف أو اليأس أو غيرهما من شيم الجبناء والمتخاذلين ممن لا يذكر لهم التاريخ اسمًا ولا رسمًا. فأبو الأخيين أخيوس من أساطير الحضارة الآخية وأخيل وأجممنون وغيرهم[1].

ـ عصر الأبطال

ويعدّ عصر الآخيين أكثر بروزاً في هذا الأمر عن مثيله الكريتي، ذلك لأنّه لم يكن عصر أساطير ملوك كما في كريت، ولكنّه كان عصر أساطير الأبطال؛ ذلك أنّ الآخيين أظهروا بسالة كبيرة في الحروب والقتال، سواء أكان عن وجه حق، أم عن غير وجه حق. يظهر ذلك جليًا في الأفعال البطوليّة التي أظهرها هؤلاء الأبطال، «وتذكر النّقوش الحثية اسم ملك يدعى أتار سياس تقول إنّه ملك الأهيجافا في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وأكبر الظنّ أنّه أتريوس ملك الآخيين. وتقول الأساطير اليونانيّة أنّ زيوس أعقب تنتالوس ملك فريجيا، وأنّ هذا أعقب بلبس، وأعقب بلبس أجممنون»[2].

ث. أساطير تتعلّق بالحروب والانتصارات

من اللازم التأكيد على أنّ العصر البدائي في تلك الفترة التاريخيّة كان يحفل كثيراً بالقوّة والأقوياء، وربمّا كانت الحياة شيئًا رخيصًا لدى الكريتي والآخي أمام القوّة والشجاعة والجسارة، فلم يكترثا كثيراً للموت، حيث كانوا باحثين عن مجدٍ شخصيٍّ لا تحقّقه إلا الحروب التي تظهر فيها الشجاعة الحقيقيّة. ومن ثم فإنّنا نجد الأساطير الأغريقيّة تمتلئ بأحداث الحروب والانتصارات التي لا تخلو من جوّ خرافيّ وقصص أسطوريّة تمجّد هذا أو ذاك، تعلى من قدر مدينة على أخرى، وحضارة على مثيلاتها.

---

[1]- من هؤلاء الأبطال الأسطوريين أيضًا أوليسيز بطل إيثاكا، وبروتسيلوس ونسطور وأجاكس وبالاميديز وغيرهم. انظر: هوميروس، الإلياذة، م.س، ص106، 107.

[2]- انظر: ويل ديورانت، قصة الحضارة، م.س، ص77.

ـ أسطورة الحروب وتدخّل الآلهة

أساطير الحروب والانتصارات ليست بأساطير لولا تدخّل الآلهة فيها منحازةً لفريق دون الآخر، هذه الأساطير كانت مشبعة بأفعال الآلهة، تدخّلاتها، انحيازاتها، فالآلهة في الحضارتين لم تكن دعاة خير فقط، بل كانت دعاة شر ودعاة خير، ولنا أن نقول إنّ الحروب في الأساطير الأغريقيّة القديمة كانت تتمّ بتدخّل صريح من الآلهة، بلا غضاضة في أن يناصر بعضها فريقًا، والبعض الآخر يناصر فريقًا آخر، بل لا مانع من أن تؤجّج الصّراع وتعمل على اشتداد الحرب، فكلّ فريق مؤيّد من قبل آله أو أكثر، ويعتبر انتصار الفريق في الحرب انتصارًا للإله المؤيّد له. بل إنّ الأسطورة هنا لا تأنف من أن تجعل الآلهة في صراع بينهم وبين بعضهم بعضًا، لا بينهم وبين البشر فحسب، تأمّل أسطورة أبناء كرونوس وريا، وما حدث من شأن ثورة ابنهما زوس على أبيه – وكلهم في نظر الأسطورة اليونانية آلهة – واغتصاب الحكم منه بعد صراع[1].

ـ أسطورة المانيوتور جزء من أساطير الحروب

وهناك العديد من الأساطير في هذا المجال؛ فحرب كريت الكبرى بقيادة مينوس ضدّ أثينا كانت برعاية آلهيّة لا شك. وكان سببها ما قيل عن قتل ابن الملك مينوس على يد من أرسلهم ابن ملك أثينا حقدًا عليه وحسدًا منه على ما أظهره من مهارة. وكانت هذه الجريمة كافية لكي يثور ملك كريت الذي علم ما حدث لابنه بالتفصيل، فقام بتجهيز جيش جرّار وزحف به نحو أثينا، وقام بذبح الكثير من الأثينيين. بل ولم يكتفِ بهذا القدر فقام بحصار المدينة ليجبر جميع أهلها على الاستسلام، وقد كان هذا الحصار مرهقًا بالنسبة لأهل أثينا، فقد شحّ عنهم الماء ونفد الطعام لفترة طويلة، فما كان من (ايجوس) ملك أثينا إلّا أن أرسل إلى (ماينوس) ليعرض عليه الصّلح، لكن الأب المكلوم رفض الصلح، وقال إنّ أثينا كلّها لا تعوّضه عن ابنه، ومع ذلك قبل الصلح على أن يعود إلى كريت ومعه 7 فتيان أقوياء وسبع فتيات عذارى ليلقي بهم إلى المانيوتور، ولم يجد ملك أثينا إلا أن يوافق على هذا العرض الذي كان يتكرّر كلّ عام، وفي روايات أخرى كلّ 9 أعوام، وإلّا سيواجه حربًا أمام حضارة كريت القويّة آنذاك.

---

[1]- Hesiod ,Theogony, , P 15 , 16 , 17.

ـ أسطورة الحرب والانتصار عند الآخيين

أمّا الحروب والانتصارات في الحضارة الآخية فلم تكن مختلفة عن مثيلتها فيما يتعلّق بتدخّل الآلهة في تغيير مسار الحرب والقتال، فالحروب التي خاضتها الحضارة الآخية سواء في بداية نشأتها، أو حلقاتها الصراعيّة القتاليّة، أو تطوّر أحداثها، أو في نهايتها. ففي حرب طروادة مثلاً كان كلّ شيء من صنع الآلهة، فالسبب في هذه الحرب هي الآلهة، واشتداد حلقاتها القتالية يعود إلى الآلهة، وتطوّر أحداثها يعود إلى الآلهة، ونهايتها أيضًا تعود إلى الآلهة، فهيرا وأفروديتي – وهما من كبار الآلهة حسب الاعتقاد الإغريقي – هما السبب في اشتعال هذه الحرب التاريخية، فهيرا كرهت طروادة والطرواديين بسبب كرهها لباريس أحد أبناء ملك طروادة[1]، وأفروديتي قدّمت يد المساعدة؛ كي يخطف باريس الحسناء هيلين. ومن ثم «تدور رحى الحرب على مستويين... بين طرفين، هذان الطرفان ليسا الإغريق والطرواديين.. بل هما البشر والآلهة.. فالطرواديون والإغريق يتشابهون في كل شيء... هم جميعًا بشر بالرغم من اختلاف جنسياتهم.. يتحدثون لغة واحدة..»[2]. كلّ ذلك دليل واضح على أنّ الحروب والانتصارات ـ حسب الأسطورة الإغريقية - كانت برعاية خاصّة من الآلهة.

وما يدل على ذلك أيضًا، النّصوص الهوميرسية ذاتها، والتي أبرزت صراع الآلهة وانقسامها بين الهيلانيين والطرواديين في حربهم الشهيرة، تقول الإلياذة:

«وقفت ندنامة الآلهة هيب اللعوب الهيفاء تسقي أربابها خمرًا، وكان الأولمب يزخر بسادته.

فهذا زيوس العظيم مستويًا على عرشه الضخم المرصَّع بالجواهر والياقوت.

وهذا أبوللو سيّد الشمس وصاحب القوس، يوقِّع على قيثارته أشجى ألحانه........

وهذه حيرا مليكة الأولمب، تود لو تضرم النار في قصور مولاها، إن لم يقض بانتصار الإغريق.

وهذه منيرفا الحكيمة الراشدة، تصمت صمتًا أبلغ من وحي الأولمب كله، ترى هل تستطيع تسخير هذه العصبة من الأرباب لسحق باريس وقومه وأحلافه.

[1]- كان حب باريس وهروبها معه سببًا في نشوب حرب طروادة ومقتل العديد من الأبطال الأسطوريين، انظر:
Carlos Parada,Genealogical Guide to Greek Mythology, published in 1993, P 500 ,501

[2]- عبد المعطي شعراوي، أساطير إغريقية، الآلهة الكبرى، م.س، ص10.

ثم طائفة كبيرة من الآلهة وأنصاف الآلهة.

هيب اللعوب تسقي الجميع خمرًا !» [1].

هذه الآلهة هي التي تضرم الحرب كلّما حاول أحد الفريقين أو كليهما السلم، «سمعت حيرا خطبة أجاممنون من علياء الأولمب، فأفزعها أن ينقاد الجنود له، وهالها أن يستعد الجميع للرحيل ! فاستدعت منيرفا، وخاطبتها بصدد ما قاله قائد الهيلانيين، ثم اتّفقتا على أن تذهب منيرفا إلى معسكر القوم، فتلقى البطل المغوار أوليسيز، فما تنفك تحضّه وتحرّضه، حتى يقوم هو بإلهاب عاطفة الجند، وتفتيح عيونهم على العار الأبدي الذي ينتظرهم في بلادهم، إذا عادوا إليها من غير أن يظفرهم أربابهم بأعدائها، قانعين من الغنيمة بالإياب، بعد تسعة أعوام في دار الغربة»[2].

ج. الأسطورة والدين

تمثّل الأسطورة في الحضارة الإغريقيّة القديمة كلّ الدّين، فدينهم واعتقادهم كلّه أسطورة، وهذا ما تكشف عنه قصيدة تيوغونيا أو أنساب الآلهة لهزيودوس، فقد كانت عبارة عن سرد لعقائد اليونان وأساطيرهم الدينيّة[3].

فقد كانت الحضارة الكريتيّة - على سبيل المثال – تمثّل العزّة الصمدانيّة في هيئة آلهة قادرة على كلّ شيء، وهي مصدر الخير والخصب والنّماء، وسيدة الكون بأجزائه المختلفة، والساهرة عليه جميعه، فهي آلهة الزّرع والضّرع والأرض والبحر والسماء، وهي التي تسيّر بأمرها كلّ العناصر، وتسيطر على مصير الإنسان[4].

وما لا شكّ فيه أنّ الحضارة الكريتيّة أو الإيجيّة أو المينوسيّة ارتبطت فيها الحياة الدينيّة بالأسطورة ارتباطًا وثيقًا، كما هو الحال في العصور الإغريقية قبل الميلاد، وهذا الارتباط يعبرّ عن تلك المرحلة من التاريخ البشري، والتي كانت تميل إلى الخرافات التي كانت تعدّ جزءًا أصيلاً في تشكيل الإنسان في تلك الفترة. وهذا ما حدا ببعض الباحثين إلى التمسّك

[1]- هوميروس، الإلياذة، م.س، ص111، 112.

[2]- م.ن، ص105، 106.

[3]- Hesiod ,Theogony, , P 3, 4 ,12 , 15 , 16 , 17.

[4]- انظر: فؤاد جورجي بربارة، الأسطورة اليونانية، م.س، ص10.

بفكرة أنّ الأسطورة الإغريقيّة ارتبطت بجميع عناصر الطبيعة، وجعلتها تحت هيمنة الآلهة الصغار منها والكبار[1].

ـ الآلهة كمصدر للقوّة

إنّ الآلهة في حضارة كريت ومن بعدها الحضارة الآخية كانت مصدر القوّة، فمجتمع الآلهة لم يكن يقوم على مبدأ أخلاقيّ ينتصر فيه للضعيف من القوي ويدافع فيه عن المظلوم ضدّ الظّالم، وإنّما كان مجتمعًا يقوم على القوّة، ليس إلاّ. ويمثّل زيوس كبير الآلهة رمزاً لهذه القوّة، بعدما أقصى والده الإله كرونوس عن العرش[2]، ولكي يأمن مكر أشقّائه حسب الأسطورة، فقد قسّم أمر الألوهيّة بينه وبينهم، فزيوس إله السّماء، وبوسيدون إله الماء، وهاديس إله باطن الأرض، في حين صارت الأرض بسطحها أمرًا مشاعًا بين الثلاثة، لكن زيوس هو الأقوى، حتى إنّه قيل: «لو أنّ حبلاً امتدّ بين السّماء والأرض ووقف كلّ الآلهة معًا يشدون أحد طرفيه، ووقف زيوس وحده يشدّ الطرف الآخر، لاستطاع زيوس وحده أن يجذب إليه الطّرف الذي يجذبه كلّ الآلهة.... ليس بغريب إذن أن يصبح زيوس كبيراً للآلهة... ليس من الغريب أن يخضع له بقيّة الآلهة... لا يخضع زيوس لقانون، فهو الذي يضع القانون، يخشاه الجميع، فهو الذي يعاقب كلاً من المجرم والبريء، يشعر بالسّمو والتّعالي، لذلك فهو شديد الحساسيّة، يغضب لأتفه تصرّف نحوه، يعتبره إهانة لكرامته»[3]. وهذا يعني أنّ مجتمع الآلهة كما تصوّره الأساطير لا يختلف في قليل أو كثير عن مجتمع البشر، فالتّماثل واضح بقوّة، والتّشابه بينهما بارز[4].

ـ الأسطورة والإيمان الساذج

لقد كان أصحاب تلك الحضارة يؤمنون إيمانًا لا شكّ فيه بوجود الأرواح من حولهم، ومن ثمّ فليس من الغريب أن نجدهم في الكتب التاريخيّة يعبدون القمر والجبال والأشجار والحجر، وكان فكرهم مشغولاً بعوالم الجنّ والعفاريت، ومن ثم فإنّ هذا الوضع ينبّئ بأنّ

[1]- انظر: جمل شحيد: افتتاحية كتاب الأسطورة اليونانية لفؤاد جرجي بربارة، سوريا، وزارة الثقافة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، 2014م، ص 7.

[2]- Hesiod ,Theogony, , P 15 , 16 , 17.

[3]- عبد المعطي شعراوي، أساطير إغريقية.. الآلهة الكبري، لا ط، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 2005م، ج3، ص9.

[4]- Hesiod , Works and Days , , Translated by M. L. West , Oxford , New York , 1988 , P 38 , 39 , 45.

قضيّة الدّين في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الغرب لن تكون واضحة بالنسبة لهم إلا في ضوء عالم من وحي خيال العقل البدائي، الذي لم تكن صورة الإله بارزة له البروز الذي يجعله يحيط بمفهوم الدين أو أن يصل إلى تكوين صورة منطقيّة له.

ومن ثم فقد نظر أحد الباحثين إلى الديانة الكريتية مثلاً على أنّها عبارة عن مزيج من العقائد البدائيّة التي تؤمن بالقوى الخفيّة والخرافات وعبادة القوى الطبيعيّة، «حيث عبدوا تقريبًا كلّ شيء، ولكنّهم قدّسوا الثيران والأفاعي بشكل خاص، لاعتقادهم بقدرتها التناسليّة الكبيرة، كما قدّسوا الحياة، واعتبروا أنّ استمرار الحياة ميسّر بالتناسل، ولذا قدّسوا كلّ ما يمتّ للخلق والإخصاب والتناسل، والآلهة الأم رمز كلّ حياة، حيث عبدوها وبين ذراعيها ابنها الإلهي (فلخانوس)، الذي ولدته في مغارة بالجبال، وقد صوّروه في أشكال وحالات عدّة، فهو تارة دون أمّه مكانة ومنزلة، وأعلى منها شأنًا طورًا آخر، وهو يموت ويعود إلى الحياة كلّ سنة مرّة،... ويمثّلونه في شكل نصفه إنسان ونصفه ثور، أما الآلهة الأم فقد غلب عليها اسم ريا»[1]. وريا هذه هي أخت كرونوس وزوجته وأم ديمتير هاديس، وهيرا، وهستيا، وبوسيدون، وزيوس[2].

ـ المذكّر والمؤنّث في علاقته بالدين والأسطورة

ومن ثمّ نفهم أنّ المذكّر لم يكن مهيمنًا على العقليّة الكريتيّة كالمؤنّث في قضيّة الدين والأسطورة، فلقد كانت صيغة التأنيث هي الصيغة الأعلى أثرًا في الدين والأسطورة، وربمّا في الحياة الاجتماعية؛ إذ من الواضح أنّ المرأة الكريتيّة لم تكن حبيسة دارها، بل كانت تشارك الرجل في أمور الحياة. إذ لما كانت في نظرهم القائمة على استمرار الحياة وتجدّدها بما تقوم به من تناسل، فإنّها حصلت على تلك المكانة العالية، خاصّة في الأسطورة والدين، «وحين يسمو تفكيره ـ يقصد الكريتي ـ إلى إيجاد إله بشريّ يصوّر لنفسه إلهته أمًّا ذات ثديين وجسم فارع الطول، وأفاع تلتف حول ذراعيها وثدييها، وتتلوى في شعرها أو تتدلّى في أنفة وكبرياء من رأسها، وهو يرى في هذه الإلهة الأم الحقيقية الأساسيّة من حقائق الطبيعة، وهي أنّ الموت عدوّ الإنسان الألد، تغلبه قدرة الأم الخفيّة العجيبة على التناسل والتكاثر، وهو

[1]- علي عكاشة، شحادة الناطور، جميل بيضون: اليونان والرومان، ط1، إربد، دار الأمل للنشر والتوزيع، 1410هـ - 1991م، ص 27.

[2]- Creation Stories from Around the World Creation 2: Ancient Greece, c. 725 BCE Hesiod's Theogony, P 18.

لذلك يؤلّه هذه القدرة»[1]. فهي إذن منبع الحياة في الحضارة الكريتيّة، وإليها يرجع كلّ فضل في شيوع الحياة في الإنسان والحيوان والنبات، ومع هذه القاعدة الاعتقاديّة الأسطوريّة، إلاّ أنّهم لم يأنفوا من تصوير آلهتهم في صورة بشريّة، تتموضع فيها معاني الشّر في الغالب[2].

والدليل على غلبة الأنوثة على الذكورة في الاعتقادات الأسطوريّة أنّ الإلهة الكريتيّة المؤنّثة التي تظهر في بعض المأثورات وهي تحمل طفلاً إلهيًّا بين ذراعيها هو فلكانوس تحتلّ مكانة أكبر من ابنها، فالابن مكانته أقل في القلوب، غير أنّ ديورانت يذهب إلى أنّ فلكانوس – الذي هو زيوس الكريتيين - كان يزداد أهميّة على مرّ الأيّام، فهو يمثّل المطر الخصب، والرطوبة التي هي أساس كل شيء، وهو يموت، ثم يقوم من قبره؛ ليكون رمزًا للنبات المجدّد للحياة، وبوصفه إلهًا للخصب يتصوّر في بعض الأحيان كأنّه حلّ في جسد الثّور المقدّس، وبهذه الصّفة ضاجع باسفيا زوجة مينوس في الأساطير الكريتية، فولدت له ثور مينوس المينوتور[3].

ـ الأسطورة ومظاهر العبادة

فضلاً عن أن الكريتيين كانوا يتعبّدون إلى آلهتهم بالتعاويذ والأدعية والطقوس، سواء أكان ذلك في المنازل أم في دور الأماكن المقدسة المغارات، كما أنّهم في الأعياد الكبرى يقيمون الاحتفالات والألعاب البهلوانيّة، وأهمّها لعبتا مصارعة الثيران والشطرنج، ذلك أنّهم عثروا في قصر كنوسوس على رقعة مربّعة مقسّمة إلى مربّعات مرصّعة بالذّهب، وكانت الاحتفالات تتمّ في مسارح خاصّة ذات مقاعد متدرجة منحوتة من الحجر[4].

ويمكن القول إنّ الأساطير الإغريقيّة القديمة من بداية التاريخ الإغريقي في حضارة كريت كانت تؤمن بتعدّد الآلهة، فلم يكن لديهم توحيد، أو إيمان بإله واحد، وكيف يؤمنون بإله واحد وهم يصوّرون الآلهة في صورة أشدّ قبحًا من البشر؟ فهي عندهم تتفنّن في التنكيل بالبشر، ووضع العراقيل أمامهم، وتنظر لهم نظرة عداء

[1]- انظر: ويل ديورانت، قصّة الحضارة، م.س، ص29.

[2]- Hesiod , Works and Days , P, , 42: 45.

[3]- انظر: ويل ديورانت، قصة الحضارة، م.س، ص29، 30.

[4]- على عكاشة، شحادة الناطور، جميل بيضون، اليونان والرومان، م.س، ص27.

وكراهية، كما صورتها أساطير الحضارة الكريتية والحضارة الآخية سواء بسواء.

وعليه فقد قدّسوا الطبيعة، وآمنوا إيمان لا يتزعزع بالأرواح، فزيوس إله السماء باعث البرق والرعد، ودميتر إله الأرض إله الزرع والخضرة، وبرسفون ابنة دميتر إله الربيع.

ولم يكن للكريتيين والآخيون معابد لآلهتهم؛ كمقر للعبادة والطقوس الدينية التي يتقربون بها إليها، وكانوا يتقرّبون إليها بذبح الثيران وغيرها من الحيوانات قربنًا لها، بل لقد كان ذبح البشر تقرّبًا للآلهة أمرًا لا غضاضة فيه عندهم. فقد «كان السّكان في مدينة كريت يقيمون مذبح الإله أو الإلهة في بهو القصر أو المغارة، أو على قمم الجبال، ويزين هذه الأماكن بأن يضع فيها مناضد؛ لكي يصب عليها السوائل قربانًا للآلهة»[1].

فهناك العديد من الشعائر والطقوس التي كان يؤدّيها الكريتي في معرض إيمانه اللاّ محدود بالأسطورة، فقد كانت تقام الصلوات والذبائح والاحتفالات والمراسم، يقيمها إما كاهنات أو موظفون من رجال الدولة الكريتية، منها أنّه: «يطرد الشياطين ويتّقي أذاها بحرق البخور، ويثير الإله الغافل بالنفخ في صدفة بحر، وبالقيثارة والناي، وينشد الأناشيد الجماعية تعبّدًا وخشوعًا، ويعمل على إنماء البساتين والحقول، بإرواء أشجارها ونباتها بمراسم دينيّة، وترى كاهنات البلاد وهن عاريات هائجات، يهززن الأشجار التي نضجت ثمارها، لتسقط حملها، أو نساءها يسرن يحملن الفاكهة والأزهار يقدمنها للآلهة التي يحملنها في هودج، ويومئن بها إليها»[2].

ـ الموت والأسطورة

وكانت قضيّة الموت ركنًا محوريًا في الحياة الدينيّة في حضارة كريت علمًا بأنّها تعدّ ركنًا كذلك في كلّ حضارة تالية في علاقتها بالدين، باعتباره الحدّ الفاصل بين عالمين، عالم موجود مشاهد، وعالم غيب لا يعرفون عنه شيئًا إلا من خلال الأسطورة التي حاكوها حوله، وتبادلوها جيلاً بعد جيل. وتعدّ المرأة في الحياة الدينيّة في تلك الحضارة هي الوحيدة القادرة على مواجهة الموت باعتباره صورةً من صور الحياة الدينيّة، وذلك لقدرتها على التّكاثر والتناسل وإنتاج البشر.

[1]- حسن نعمة: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، لا ط، بيروت، دار الفكر اللبناني، 1994م، ص103؛ انظر: ويل ديورانت، قصة الحضارة، م.س، ص29، 30.

[2]- انظر: ويل ديورانت، قصة الحضارة، م.س، ص30.

ولما كانت قضيّة الموت تشغل بالهم كثيراً، فقد كانت لهم طقوس معيّنة في مراسم دفن الموتى، فالميّت يوضع في تابوت ممتلئ بألوان الأطعمة والأشربة، وغيرها من الأمور الأخرى المسلّية، لاعتقادهم بأنّ الميّت سيبعث مرّة أخرة، وهذه الأمور هي مؤنسه في حياته الأخرى.

وبذلك كانت فكرة الموت والخلود تهيمن في جزء كبير منها على الأسطورة الإغريقية في الحضارتين، فقد عنيت حضارة كريت عناية خاصّة بالموتي؛ حيث كانوا يدفنون الموتى في توابيت معيّنة مصنوعة من الصلصال، بها قليل من الطعام وأدوات الزينة وبعض الدّمى الصغيرة في صورة نساء، كي يقمن بمواستهم أبد الدّهر، في حين إذا كان الميّت ثريًّا أو ملكًا فقد كان يوضع معه أشياء ثمينة، أو حلي كان يتزيّن به في الدنيا. فضلاً عن أنّ الاعتقاد اليوناني كان يؤمن بأنّ أرواح الموتى قادرة على فعل الخير والشر للناس، حيث لجأت الأسر اليونانية إلى تعظيم الميت، وكانت عبادة الأبطال امتدادًا لعبادة الموتى والأسلاف[1].

وفي الحضارة المسينية - وهو اسم يطلقه الدارسون على الحضارة الآخية، على الرغم من أن بعضهم يعتبرها مرحلة سابقة على الحضارة الآخية الكبيرة أو مقدمة لها أو بداية لها - كانوا يهتمون بدفن موتاهم والعناية بهم؛ إيمانًا منهم بوجود حياة أخرى في عالم آخر غير هذا العالم، حيث استدل الدارسون على وجود أدوات ومستلزمات معيشية داخل قبور موتاهم، في دليل واضح على أنهم كانوا يؤمنون بأن هؤلاء الموتى سيقومون ويمارسون حياة من نوع آخر تستلزم وجود تلك الأدوات والمستلزمات.

الحال ذاته كان في الحضارة المسينيّة، فإنّ المسينيين كانوا يدفنون موتاهم في جرار من الفخّار أيضًا، وقلّما كانت تحرق جثثهم كما الحال في عصر الأبطال. وتلك من مؤثّرات عصر الحضارة الكريتية، بما يعني أنّ قضيّة الدين في الحضارة المسينيّة تدلّ دلالةً قاطعة على تأثّرها بالدين الكريتي، «ففيه - كما في كريت - نجد البلطة المزدوجة والعمود المقدّس واليمامة الإلهيّة وعبادة أم إلهة ممثّلة في إله غلام لعلّه ولدها، وهنا أيضًا نجد أربابًا صغارًا في صورة أفاع، وقد بقيت الأم الإلهة في بلاد اليونان خلال كلّ ما حدث في دينها من تطوّر وتغيير»[2].

[1]- حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، م.س، ص104.

[2]- انظر: ويل ديورانت، قصة الحضارة، م.س، ص65.

في حين أنّ الحضارة الآخية كانت تعمد إلى حرق الموتي، وليس وضعهم في صناديق من الفخار كما كانت تعمد كريت وميسيني، وهذا دليل واضح على اختلافها في فهم طبيعة الحياة الأخروية في العالم الآخر، وتضع أطارًا مغايرًا لحقيقة فهمها للدين بصورة لم نجدها في حضارة كريت. فضلاً عن أنّ الحضارة الآخية هنا كانت كمثيلتها كريت في تقديم القرابين إلى الآلهة خاصة البشر؛ إذ تحكي لنا الإلياذة عمّا دار بين أجاممنون وعراف الحملة على طروادة في الحوار التالي:

«ما وراءك يا كالخاس ؟

ـ مولاي!

ـ تكلم تكلم يا كالخاس.

ـ الآلهة، الآلهة عطشى يا مولاي.

ـ عطشى؟

ـ أجل، عطشى إلى الدماء.

ـ دماء من؟

ـ دماء ابنتك!

ـ ابنتي! ابنتي من؟

ـ افيجنيا..

ـ ويلاه، ماذا تقول؟

ـ لا بد من تقديمها قربانًا! لا بد من أن يطل دمها على مذبح ديانا يا مولاي.

ـ ولمه؟

ـ لكي تطلق الرياح من عقالها، ولكي تكون فدى للجيش كله، ولهيلاس جميعًا.

ـ ياللهول، لا كانت هذه الحرب»[1].

[1]- هوميروس، الإلياذة، م.س، ص68.

ـ الأسطورة هي الدين في الحضارتين

وهذا يعني أنّ الأسطورة كانت هي الدين في حضارة كريت والحضارة الآخية، فلا دين بغير الأسطورة، وليس هناك أسطورة إلا وكانت هي كلّ الدين الإغريقي القديم، ويتشكّل الدين في الحضارتين بتشكّل الأسطورة، وينمو بنموّها، ويفقد كلّ أثر بدونها، والدليل على ذلك أنّه بالبحث عن مفهوم الدين في الحضارتين، فلا يمكن إدراكه إلا في ضوء الأسطورة. ذلك أنّ الأسطورة التي تتدخّل في تحديد صورة الإله وكنهه وطبيعته – وهي طبيعة أقرب إلى طبيعة البشر – وتكتمل في الدين الإغريقي الذي هو أسطورة في قضيّة الخلود ومتعلّقاتها التي ذكرناها في السطور السابقة.

ح ـ أساطير تتعلّق بقوى الشّر

الأسطورة الإغريقيّة كانت تحمل بوادر شرّ على مستويات عدّة، ولم يكن الإغريقي في الحضارتين يأمن مكر السّماء باعتبارها مقرّ الآلهة في ظنّه، فكان يظهر لها الخوف والاحترام، فإنّه «لا شيء كان يبدو له قادرًا على تجاوز سموّ السّماء الرّهيب المستقرّ، الذي لا يمكن الوصول إليه، والذي كان تهديده يختبئ وراء ستار من الغيوم الداكنة، ويظهر من خلال العواصف التي كانت تنطرح عليه فجأة ببرق ورعد»[1].

ـ أسطورة الشّر في كريت

من ذلك ما تحكيه لنا أسطورة الماينوتور، حيث نذر مينوس للإله بوسايدون ثورًا أبيض؛ كي يساعده في الوصول إلى زعامة المملكة؛ وحين اعتلى مينوس سلطنة كريت حنث بوعده، واحتفظ بالثور الأبيض، وكان العقاب شديدًا له، فقد قذف بوسايدون حب الثور الأبيض في قلب باسيفائي زوجة مينوس فضاجعت الثور، فنتج عن هذه المضاجعة الوحش الأسطوري ماينوتور، صار الوحش الذي تكفلته أمه بالرعاية والاهتمام مفترسًا آكلا للبشر، فعمد مينوس إلى بناء متاهة تكون مسكنًا لهذا الوحش في مدينة كونوسوس، وتم حبس الماينوتور فيها عاجزًا عن الخروج منها.

---

[1]- لوك بنوا: إشارات ورموز وأساطير، ط1، بيروت، لبنان، عويدات للنشر والطباعة، 2001م، ص43.

وتكتمل الأسطورة بمقتل ابن مينوس على يد قطّاع طرق أرسلهم ابن ملك أثينا لذلك؛ حقدًا على الابن الذي تفوّق في بطولة الألعاب الأوليمبية، فانتفض الأب المكلوم وهاجم أثينا، وانتصر عليها، وفرض عليها ضريبة عبارة عن سبعة شبان أقوياء وسبع حسناوات ليأكلهم المانيوتور. وتنتهي الأسطورة بمقتل المانيوتور على يد تيسيوس ابن ملك أثينا بمساعدة بنت الملك مينوس نفسه.

ـ أسطورة الشر عند الآخيين

أمّا أساطير الشّر في الحضارة الآخية فكثيرة ومتعدّدة، فلم تخلُ حرب في تلك الحضارة من تدخّل الآلهة، بل والعمل على اشتعالها، فكلّ ما قام من حروب في الحضارة الآخية – وكذلك كريت – إنمّا من صنع آلهة الشّر، فهناك آلهة تناصر فريقًا، وهناك أخرى تناصر الآخر. وكلّ فريق وهو بصدد تأييد فريقه يعمد إلى ازدياد الشر والعمل عليه، وما حرب طروادة – التي خاضها الآخيون ضدّ الطرواديين - عنا ببعيدة.

من ذلك ما روي عن طلب الآلهة لمناصرة الهيلانيين على الطرواديين دماء أفيجنيا قربانًا لها، « رويت الآلهة إذن وشفت ما في نفسها من ظمأ إلى دماء الضحايا، وإن لم تغفر لديانا الباردة، ديانة ربة القمر، إنقاذها للفتاة التعسة أفيجنيا، وهي قاب قوسين أو أدنى من خناجر الكهنة والربيين القساة»[1].

ومن ذلك أيضًا ما يسرده هوميروس عن فكرة أجاممنون في إنهاء الحرب بسلام والعودة إلى الوطن وحقن الدماء قائلاً:

« لكن الآلهة لا تريد هذا!

وكيف تنتهي حرب أثارها باريس بين ربات الأولمب في البدء؟

أليس هو قد قضى بالتفاحة لفينوس؟

[1]- هوميروس، الإلياذة، م.س، ص77.

إذن فينوس تنصره، وهي لذلك تقيه هوان الهزيمة، وذل الإنكسار، لكنه أين يهرب من حيرا سيدة الأولمب التي وعدته نعيمًا وملكًا مقيمًا، إذا هو أعطاها التفاحة؟

لقد أسخطها بما لم يسخطها أحد به من قبل، وهي لذلك تصل ليلها بنهارها في تدبير السوء له، والكيد لوطنه وعشيرته وكل من يلوذ بهما!

ثم أيان يهرب من سخط مينرفا كذلك؟

أليست مينرفا قد وعدته الحكمة التي لم يؤتها أحد من قبل، إذا كان قد قضى لها بالتفاحة؟

إن منيرفا هي الأخرى تتربص به السوء، وتود لو أظفرت به أعداءه، فينكلون به، ويسقونه عذاب الهون، لقضائه بالتفاحة إلى فينوس»[1].

وهي كما نرى أساطير تحمل الكثير من البدائية، وهي تحمل في داخلها صورة من البساطة والخرافة؛ ذلك أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين الأسطورة ومرحلة العقل البدائي؛ إذ لولا هذا العقل الذي لم يستطع تفسير العلاقة بين الله والكون والله والإنسان لما وجدت الأسطورة، فالأسطورة بنت هذا العقل وربيبته التي صنعت ونشأ وترعرت على عينه.

ومن هنا ذهب كثير من العلماء الباحثين في الأصل الإنساني إلى أن الأسطورة ظاهرة بسيطة للغاية، رافضين تفسيرها تفسيرًا سيكولوجيًا أو فلسفيًا معقّدًا؛ لأنّها تمثّل البساطة ذاتها، وتعدّ مظهرًا من مظاهر بساطة الجنس البشري، ومن ثم فإنّ هذا الفريق لا يراها نتاج تأمّل أو فكر، كما أنّه عدّ وصفها على أنّها نتاج الخيال ليس أمرًا كافيًا، مستندين إلى أنّ الخيال لا يستطيع تصوّر جوانبها الخياليّة والوهميّة، ومن ثم فإنّ قصور تفكير البداوة الإنسانيّة هو المسؤول عن هذه الحماقات والنقائص؛ إذ لولا الغباء البدائي ما وجدت الأسطورة[2].

ثالثاً. خصائص الأسطورة

لا شكّ في أنّ للأسطورة مجموعةً من الخصائص التي تعبرّ عنها، بل وتقوم عليها؛ حيث لا غنى لها عنها، قوامها الخرافيّة، الخياليّة، مجافاة العقل والمنطق، عدم قابليتها للتحقّق،

[1]- هوميروس، الإلياذة، م.س، ص105.

[2]- انظر: أرنست كاسيرر: الدولة والأسطورة، ترجمة: أحمد حمدي محمود، لا ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975م، ص18، 19.

التماثليّة، إخضاعها الإله لقاعدة الزمن، غلبة المسحة الأدبية عليها، وهي خصائص لا تمتّ الأسطورة بقدر ما تمّت لصانع هذه الأسطورة ومروّجها وطبيعة العصر البدائي الذي تظهر فيه والمتلقّي لها، ذلك المتلقّي الذي ليس ببعيد عن طبيعة عصره في التفكير الساذج والتّلقّي البدائي.

1. الخرافيّة والخياليّة ومجافاة العقل

أوّل ما يواجهنا في خصائص الأسطورة سمتها الخرافي، والشيء الخرافي وهو الذي لا يقوم على منطق أو عقل، ولكنّه يقوم على الوهم المطلق، وهذا السّمت الخرافي انبنت عليه الأسطورة، فهو قاعدتها الأولى، والركن الركين الذي تقوم عليه، ومن ثم فإنّ موضوعات الأسطورة التي تناولناها في السطور السابقة اصطبغت بصبغة خرافيّة بارزة، فأصل الجنس البشري اليوناني الكريتي أو الآخي قام بالأساس على الخرافة. نعلم يقينًا أنّ هناك بعض الجزئيات التي حملتها الأسطورة كانت واقعيّة، إلاّ أنّ هذه الجزئيات اليسيرة انبنت عليها الحكاية بصورة خرافيّة، حتى صار الخرافي يستحوذ على الواقعي، وقد تكون الأسطورة في الأصل حقيقة، إلا أنّها صنعت حولها هالة من الخرافات التي أفقدتها أصلها التاريخي الذي قامت عليه، والمثال على ذلك المتاهة التي أنشئت تحت قصر الملك مينوس، هذه المتاهة تأكّد وجودها من خلال الاكتشافات الأثريّة الحديثة، وهي جزء من أسطورة المينوتور، لكن هذا الجزء الحقيقي من الأسطورة انبنت عليه العديد من الخرافات التي لا يقبلها طفل صغير، فكيف لنا أن نقرّ بوجود المينوتور؟! فضلاً عن أن نؤمن بشموله على جزئين: جزء إنساني، وجزء حيواني؟! وكيف لنا أن نؤمن بأنّه كانت تقدّم له سبع فتيات حسان، وسبعة شباب أقوياء من أثينا قربانًا له، حتى يأكلهن؟! هذا كلّه من الجانب الخرافي الذي أحاط بالأسطورة، وجعل منها فعلاً ظلاميًّا ألقى على التاريخ الحقيقي شبهة من التزييف الذي أفقد التاريخ حقيقته. وعلى الرغم من أنّ الأسطورة تنتمي إلى زمن قد انقضى - على حد رأي أحد الباحثين - فإنّها ظلّت حاضرة في الوعي[1]. ونحن نؤكّد على تلك المقولة من خلال حضارتي كريت والآخية، إذ مما لا شكّ فيه أنّ الأساطير القديمة

[1]- انظر: جان بيير فرنان، بيير فيدال ناكيه: الأسطورة والتراجيديا في اليونان القديمة، ترجمة: حنان قصاب حسن، ط1، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 1999م، ص5.

السابقة على الحضارتين كانتا ذات تأثير كبير فيهما، خاصّة ما يتعلّق بالأساطير الإلهية.

لكن إذا كانت الأسطورة في جزء منها تقوم على أمر واقعي ولو في جزء يسير منها، فإنّ ذلك نادر في الأسطورة، ذلك أنّ الأغلب الأعم في الأساطير أنّها لا أصل تاريخي لها، انظر مثلاً إلى أساطيرهم حول الآلهة. لقد نظروا إلى عالم الآلهة نظرةً خرافيّةً لا تضاهيها نظرة أخرى، فالآلهة عندهم تتقاتل وتتصارع فيما بينها، تبثّ سمومها في الإنسان فتقوم صراعات وحروب تستمرّ عقودًا طويلة، ولا مانع من أن تضاجع الحسناوات، فيلدن مولودًا فيه من الإلهية أكثر مما فيه من الإنسانية. وعلى هذا تقوم الخرافة الإغريقية القديمة خاصة في حضارتي كريت والآخية محلّ دراستنا هذه.

ويعدّ الخيال من ملازمات الخرافي، فالخيال جزء أصيل في الأسطورة الكريتية والآخية ـ فضلاً عن أي أسطورة ولدت في كلّ زمان وأيّما مكان ـ فهي ولدت في رحم الخيال واختمرت فيه ونشأت وترعرعت في كنفه، هذا الخيال هو الذي كان يحرّك العقليّة الكريتيّة والآخية لبناء الأسطورة في الحضارتين، وفي غياب العقل الذي يستطيع تكوين صورة ما عن الإنسان والعالم والله، نجد الوهم يقود في تلك الفترة، إذ لا يستطيع مطلقًا أن يفهم حقيقة العلاقة بين هذه الثلاثة، فيلجأ مرغمًا إلى خياله الواهم، محاولاً أن يشبع رغبته في تفسير وجوده وعلاقته بالإله والعالم من حوله وفق ما يملك.

وبالنّظر إلى طبيعة الأسطورة في الحضارتين يجد ذلك، فالملك مينوس تصوّره الأسطورةُ القائمة على الخيال الواهم على أنّه ملك في ثوب إلهي، بل ربّما صوّرته في صورة ما هو فوق الإلهي، ذلك أنّها تجعله قادرًا على غواية الآلهة واستخدامها أداة طيعة في يده؛ تحقيقًا لمآربه في الحكم والسلطة. ومن الواضح أنّ ذلك لا يصنعه إلا الخيال والوهم. والملك أخيوس أبو الآخيين لا يظهر كذلك في صورة إنسان أو ملك عادي، ولكنه يظهر في الخيال الأسطوري في صورة الإله أو ابن الإله الذي يستطيع أن يغير العالم، وأن يسخّر قوى الطبيعة، فضلاً عن الآلهة، لتحقيق أهدافه في السيطرة والملك.

كما أنّ الخيال وإن كان قد هداهم إلى أمر إيجابي وهو الإيمان بالبعث، فإنّه من جانب آخر سلب منهم هذا الأمر الإيجابي، بالميل إلى نوع من الخيال السلبي؛ إذ كانوا يضعون العديد من الأدوات والمستلزمات مع الميت في قبره المصنوع من الفخار أو الصلصال،

ظنًّا بأنّه عندما يقوم سوف يأكل ويشرب، ويمارس حياته المادية التي كان يحياها في الدنيا.

ويترتّب على الخرافي والخيالي مجافاة العقل والمنطق؛ إذ في الأسطورة الإغريقية القديمة يتواري المنطق خجلاً، والعقل حياء، إنّها تعني - في التحليل الأخير - انتحار المنطق وقتل العقل، ليحلّ محلّهما اللاّ عقل واللاّ منطق، فالمتأمّل في الأسطورة في حضارتي: كريت والآخية يجد أنّنا أمام أحداث أسطوريّة خرافيّة لا تقوم على أساس من عقل أو منطق، فأصل الجنس البشري في الأسطورة يفترض قيامه في غيابهما، نشأة الحضارتين والمدن التي كانت تقع تحت سيطرتهما تمتزج فيها الأسطورة بالتاريخي، الأبطال الأسطوريين في الحضارتين - وفي غيرهما - آلهة في صورة بشر، ولذا فكلّ أفعالها لا تتفق مع منطق أو عقل، وإنّما تدور في دائرة مفرغة من اللاّ منطق واللاّ عقل.

وإذا كان من صفات الله تعالى الحكمة الآلهية والعناية بالكون والقيام على رعايته، فإنّ الآلهة في الثقافة الكريتيّة والآخية لا تراعي حكمة ولا تنتبه لرعاية وعناية بهذا الكون، فأفعال الآلهة عندهم سببها الهوى المريض، لا العقل، وصنائعها تقوم على الشهوة، لا المنطق.

كما أنّ اللاّ عقل واللاّ منطق يظهر في تعدّد الآلهة في الحضارتين، فالأسطورة في الحضارتين - وكذلك كل الأساطير اليونانية - تقوم على فكرة تعدّد الآلهة، وهي الفكرة المرفوضة عقلاً ودينًا، فالعقل والمنطق يقودان إلى إله واحد لهذا الكون الفسيح، إذا لو تعدّدت الإلهة لصار الخلاف والصراع بينهم مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾، وقوله سبحانه: ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ..**﴾، والمتأمّل في الأسطورة الإغريقية يتأكّد من نفاذ الآيتين السابقتين، فالتعدّد قرين الخلاف والصراع، والوحدانية قرين التناسق والانسجام والترتيب والنّظام في هذا الكون الفسيح.

ومن ملازمات الخرافي والخيالي واللاّ منطقي عدم قابليّته للتحقّق؛ حيث يقاس الشيء بالعقل وبمدى قابليته للواقع، وفيما يتعلّق بالعقل فقد سبق الحديث عن انتحاره في الأسطورة الإغريقية في الخصيصة السابقة، أما فيما يتعلّق بعدم قابليّة الأسطورة للتحقّق على أرض الواقع، فذلك يرجع إلى أنّها متعالية عليه، وليست تدور في رحابه. والشيء المتعالي عن الواقع يكون مناقضًا له، ولا يتّسق في الغالب معه، ومن مظاهر تعاليه اعتماده على الخرافة

والخيال الواهم وعدم تماهيه مع العقل والمنطق، فإذا ظهرت واحدة منها في شيء دلّت على أنّه متعال، ومن ثمّ فهو غير متطابق مع الواقع، ويستحيل تحقيقه فيه.

وبالنّظر إلى الأسطورة الإغريقيّة خاصّة في الحضارتين -محلّ الدّراسة- يوجد هناك تعاليًا على الواقع ليس له نظير، وهذا التعالي أفضى - بلا شك - إلى عدم واقعيّة ما انتهت إليه الأسطورة، ويظهر التعالي عن الواقع وعدم قابليته له في كلّ مرحلة من مراحلها، أيًّا كان موضوعها أو طبيعة الإشكاليّة التي تعالجها، سواء في تناولها للشخصيّات المحوريّة أو الأحداث الكبرى والصغرى، أو في تناولها للآلهة، أو في تناولها لموضوعات الحياة الدنيوية أو الأخروية.

2. التماثلية (بين الإله والإنسان)

فكرة التّماثل بين الإله والإنسان تعدّ من أبرز خصائص الأسطورة الإغريقية، ذلك أنّها تفترض أنّنا أمام عالم شبيه بالإنسان تظهر فيه تعدّديّة الآلهة المرفوضة إسلاميًّا، كما تظهر فيه فكرة الصّراع بين الآلهة بعضهم بعضًا وبينهم وبين البشر، وتلك فرية كبيرة لا تدانيها فرية أخرى[1].

وفكرة التّماثل هذه تظهر في كلّ شيء، فلا مجال في الأسطورة اليونانيّة لآلهة منزّهة، تتّسم بالتقديس والتعالي عن الموبقات، لا مجال لآلهة تنشر الخير، وتدعو الإنسانية إليه، بل الأسطورة اليونانيّة تصوّر هذه الآلهة مع بعضها بعضًا وكأنّها في حلبة من المصارعة، تغالب بعضها بعضًا، وتتصارع بعضها بعضًا، في مماثلة فجة بين العالم الإلهي والعالم الإنساني.

الآلهة في الأسطورة الإغريقية في الحضارتين وفي غيرهما قد تكون أقل حكمة وكياسة من بعض البشر، فهي تصوّرها وهي تغضب لأتفه الأسباب، فلا مجال لعقل ولا حكمة، بل لا مجال لعناية بالإنسان ولرعاية به وبحاجاته. وفي ذلك مماثلة تفترض تصوير الآلهة في صورة الأدنى، وهذا من تخاريف الأسطورة اليونانية.

العلاقة بين العالمين في هذه الأسطورة تحكمها المنفعة، ولا شيء غيرها، وهي منفعة قد تكون متبادلة، وقد تكون غير متبادلة، فالآلهة تتّخذ من البشر أداة لتحقيق أغراضها، وهي

[1]- تأمل مثلاً ما تذكره الإلياذة من وقوف الآلهة في حرب طروادة، منهم من يقف مع الطرواد، ومنهم من يقف مع الأغريق في تماثل واضح بين عالم الآلهة وعالم الإنسان. انظر: هوميروس، الإلياذة، م.س، ص547، وما بعدها.

في الغالب أغراض دنيئة، والبشر يتخذون من الآلهة أداة لتحقيق الكسب على الأرض، وهو في الغالب كسب سلطويّ أو ماديّ.

الآلهة في الأسطورة اليونانية في الحضارتين تضاجع من تشاء من الحسناوات، وتشتهي من تشاء من الجميلات، ألم تحك لنا الأسطورة الكريتية كيف حلّ الإله زيوس في جسد الثور المقدّس؛ لكي يضاجع زوجة مينوس باسيفائي؛ حتى تلد الماينوتور؟! هم في الأسطورة دعاة حرب، لا دعاة سلام، دعاة شر، لا دعاة خير في الغالب، لا همّ لهم إلا التفكير في صنع الدسائس ونشرها بين البشر، وهذه كلّها من صفات البشر لا صفات الإله. «وقد تخيّل الإغريق في أشعارهم آلهتهم في صورة البشر تمامًا، يأكلون ويشربون ويتصارعون مع بعضهم البعض أيضًا، فكان عالم الآلهة عبارة عن انعكاس لحياة الطبقة الأرستقراطية في العصر الهومري، ولكل طائفة معبودها أو معبودتها»[1].

إذًا، الأسطورة في تلك الفترة وغيرها تنبني على مماثلة واضحة بين عالمين ما أبعد الشقة بينهما: عالم الألوهية، وعالم الإنسان. كدليل على بدائية العقل الذي طرحها، وبدائية المرحلة التاريخية التي كان فيها.

الآلهة في الأسطورة خاضعة لفكرة الزمن، فهي آلهة مزمّنة، بمعنى أنّ لكلّ مرحلة تاريخية آلهتها التي صنعتها عقول البشرية، نعلم أنّ هناك آلهة كبرى في التاريخ اليوناني، وتلك راسخة في الذهن اليوناني القديمة، إلا أنّ هذا لم يمنعها من اختراع آلهة أخرى، فالآلهة في الأسطورة الكريتية والآخية وغيرهما تصنع على عين البشر، لا العكس، ومن ثم فإنّ بعض الآلهة في تلك الأسطورة لها زمن محدّد، ثم تتلاشى من محيط الأسطورة، ويتوقّف عندها ذكر الذاكرين.

3. غلبة النّزعة الأدبية

من أكثر الخصائص التي يمكن ملاحظتها للوهلة الأولى تلك النّزعة الأدبية التي تنطوي عليها الأسطورة في حضارتي: كريت والآخية. وهي تتبع أسلوب القص، وهو الأسلوب المحبّب لدى العامّة، فقد كان له تأثير كبير على قلوب اليونانيين القدماء ونفوسهم.

---

[1]- محمد إبراهيم بكر، ، قراءات في حضارة الإغريق القديمة، لا ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002م، ص55.

فالأسطورة اليونانية القديمة أكثر درامية من المسلسلات الدرامية ذاتها، تجد فيها ما تجده في المسلسلات من الحبكة وأكثر، فالشخوص حاضرة بقوّة في الأسطورة سواء أكانت بشرية أم إلهية على اعتقادهم، تقوم بالدور المنوط بها، وكأنّنا أمام عمل درامي محبك، والأحداث تتسلسل التسلسل الذي يؤدي بها في النهاية إلى الغرض الذي سيقت لها. كلّ ذلك في وجود ما يشبه الحبكة الدرامية والعقدة في كبرى القصص والروايات.

إنّ الأسطورة هي في حقيقتها عمل أدبيّ ـ لا نقول إنّها تضاهي ما انتهت إليه الاتّجاهات الأدبية الحديثة ـ حيث عناصر العمل موجودة من مكان وزمان وشخوص وأحداث وحبكة وعقدة وغيرها. ومن ثم يري أحد الباحثين أنّ الأسطورة من حيث الشكل حكاية أدبيّة يلعب الآلهة فيها دور البطولة، ولكنّها حكاية مقدّسة، فالقدسيّة التي خلعها الإغريق عليها هي التي تميّز جنس الأسطورة عن الأجناس الأدبية الشبيهة بها[1]. والدليل على تلك النّزعة الأدبيّة في الأسطورة الإغريقيّة أنّها لا زالت مصدر إلهام للأدباء والشعراء، ومعينًا لا ينضب للكشف عن المواضيع التي تصوّر حياة الإنسان بأفراحها وأتراحها[2].

وهذا النّوع من القصّ الأسطوري ذي المسحة الأدبيّة كان اللّون الملائم لعقليّة تلك المرحلة التاريخيّة من بدء الحضارة اليونانية، فهي مرحلة بدائية والبدائي يناسبه القص الخرافي القائم عن نوع من الخرافة والسذاجة من قبل الملقي والمتلقّي سواء بسواء.

وبالنّظر إلى أيّ أسطورة من أساطير حضارتي كريت والآخية، تجد ذلك شائعًا بصورةٍ بارزة لا يمكن بأيّ حال نكرانها، خاصّة وأنّ الأسطورة إمّا أن تتناول تاريخ الأبطال الأسطوريين، أو نشأة المدن أو أصل نشأة الجنس إلى غير ذلك من الموضوعات التي تهمّ أبناء الحضارة وأتباعها، انظر مثلاً إلى أسطورة المناينوتور لتجد ذلك الملمح الأدبي، انظر إلى الإلهة ريا

[1]- انظر: فراس السواح: الأسطورة مكون من مكونات الدين، حوار مع فراس السواح أجراه معه دارين أحمد، عن برنامج مبدعون، تليفزيون أبو ظبي، 22 / 5 / 2003م؛ انظر: إلياد، مرسيا: مظاهر الأسطورة، ترجمة: نهاد خياطة، ط1، دمشق، دار كنعان للدراسات والنشر، 1991م، ص8.

[2]- انظر: أ. أ نيهاردت: الملحمة الإغريقية القديمة، ترجمة: هاشم حمادي، لا ط، دمشق، الأهالى للطباعة والنشر والتوزيع، 1994م، ص7.

وما تقوم به من أفعال، انظر إلى زيوس الذي اختاروه إلهًا للسماء، انظر إلى أخيوس وأخيل وأجممنون في الحضارة الآخية. كل ذلك يساق سوقًا في صورة أدبية تعمل على جذب عاطفة المتلقي اليوناني وقلبه، فينقاد بكلّيته إلى تصديقها والإيمان الجازم بها، والرفض القاطع لكلّ ما يعارضها.

4. محورية الآلهة وأبنائهم

الأسطورة في الحضارتين تتركز على الآلهة أو أبناء الآلهة من الملوك حسب تصورهم، أو من هم مدعومون بشكل أو بآخر من الآلهة، ولذا كان زيوس وكرونوس وريا وغيرها من جعلتهم الأسطورة آلهة محور الأسطورة الذي كانت تتمحور حوله، كما كان مينوس والماينوتور وأجاممنون وأخيل وغيرهم كثيرون محاور أساسيّة من محاور هذه الأسطورة.

5. التركيز على موضوعات مخصوصة

الأسطورة في الحضارتين لها موضوعات مخصوصة، كالظواهر الطبيعية، والطقوس الدينية، والاحتفالات. فالكثير من الأساطير كان يدور حول ظواهر الطبيعة، كالرياح والمطر والجبال وغيرها، وجعلوا لكلّ منهم إلهًا، فهناك إله للرياح، وآخر للمطر، وثالث للجبال وغيرها. كما أنّ العديد منها كان يدور حول الطقوس الدينيّة بما يصحبها من تقديم القرابين على المذبح، كما كان لهم احتفالاتهم الخاصّة التي كانت تنبني على جانب كبير من الخرافة.

6. معالجة مواضيع ميتافيزيقيا

الأسطورة في الحضارتين كان لها ملمح فلسفيّ من خلال بعض القضايا التي كانت تعالجها، فالأساطير عالجت قضايا من نحو: نشأة الكون، خلق الإنسان، أصل الآلهة، بعض الظواهر التي تعدّ غيبيّة، وهي موضوعات عالجتها الفلسفة اليونانيّة والفلسفات التي تلتها، وهذا يعني أنّ الأسطورة كانت تقوم على مسحة فلسفيّة، وإن كانت لم تصل إلى العمق الذي تناولت به هذه الفلسفات تلك القضايا.

7. التسليم بمضمون الأسطورة

الأسطورة كانت أمرًا مسلّمًا به من قبل أبناء هاتين الحضارتين، وهذا يعود في نظرنا إلى

صبغتها التي كانت تصطبغ بها، وهي الصبغة الدينيّة التي كانت الآلهة محورها، فوجود الإلهة في الأسطورة كان يمثّل مدخلاً للسيطرة على عقليّة الشعوب في تلك الفترة، فتذعن للساسة وتنقاد لهم، وتتلقّى كلّ أمر أسطوريّ دون نقاش في صورة من صور التسليم التام، كدليل واضح على الخضوع من جانب وتقديس الآلهة من جانب آخر.

8. تفاوت الحضور الإنساني

من خصائص الأسطورة الكريتية الآخية أنّ الحضور الإنساني كان متفاوتًا، ففي بعض الأساطير كان الإنسان فيها لا يشغل موقعًا محوريًا كذلك الدور الذي تشغله الآلهة، حتى إن هذا الدّور في بعض الأساطير يكاد لا يبين، إلا خدمة للآلهة، وإبراز لنفوذها وسلطتها، لكن هذا لا ينفي أنّ بعض الأساطير كان الإنسان يحتلّ فيها دورًا محوريًّا كما نجده في الأساطير حول مينوس وآخيل وغيرهما من أبطال الحضارتين وأعلامها.

الخاتمة

يمكن القول إنّ البحث كشف عن أنّ الأسطورة لها موقعها في تاريخ اليونان القديم، الأمر الذي لا يمكن معه تغافلها أو إنكارها؛ ذلك أنّها مشكّل رئيس للهويّة اليونانيّة القديمة في تلك العصور الموغلة في سلسلة التاريخ البشري، وهذا ـ لا شكّ ـ يقودنا إلى أنّ الأسطورة الإغريقيّة في الحضارتين كان لها دورها البارز، وتأثيرها الواضح في التاريخ اليوناني القديم، وربمّا هناك من يؤمن بصدقها إلى الآن، خاصّة من أبناء اليونان ذاتهم، الذين يؤمنون بصحّة الأسطورة الإغريقية في كثير من جوانبها.

ويمكن أن نعدّد بعض النتائج المستخلصة من هذا البحث فيما هو آت:

أ - إنّ الأسطورة جزء لا يتجزّأ من الحضارتين: حضارة كريت، والحضارة الآخية؛ إذ لا يمكن فهم هاتين الحضارتين بمنأى عن الأسطورة، فالأسطورة ركن من أركان تشكّل الهويّة الكريتية والآخية، وعامل من عوامل تصويرها في الذهنيّة التاريخيّة التالية لها.

ب - الأسطورة في الحضارتين لا تخلو من سند تاريخيّ في بعض أجزائها، فالأسطورة الكريتية والآخية كانت عبارة عن حدث تاريخيّ حقيقيّ امتزجت به الخرافة وتراكمت عليها فوقها خرافات أخرى، حتى صار الحدث التاريخي لا يبين من كثرة ما أحاط به من خزعبلات وافتراءات هي إلى اللاّ عقل واللاّ منطق أقرب منها إلى أيّ شيء آخر. فالمتاهة التي بناها الملك مينوس - على سبيل المثال - قد تكون حقيقية، لكنّها بفعل الخرافات صارت أبعد ما تكون عن الواقع، بسبب ما لحق بها من خرافات عن المAينوتور وكيفية ولادته وهيئته، وغيرها مما تزخر به هذه الأسطورة، مما لا يقبله عقل ولا منطق.

ج - الأسطورة في الحضارتين الكريتية والآخية لها أنواعها المتعدّدة، فهي لا تقف عند نوع واحد، أو موضوع واحد، ولكنّها تتعدّى ذلك إلى مجموعة من الأنواع التي تكشف عن أهميّة الأسطورة في الحضارتين، وتداخلها في أغلب شؤون حياتهم، إن لم يكن كلّها.

د - للأسطورة في الحضارتين خصائصها المميزة، وسمتها الذي تتّسم به، كونها تعبّر عن مرحلة من مراحل بدايات الوجود الإنساني، ولذا كانت هذه الخصائص تتواءم مع هذا الوجود البدائي، فكانت أقرب إلى السذاجة والخرافة منها إلى أي شيء آخر.

المصادر والمراجع

أولاً – الكتب

1. أرنست كاسيرر، الدولة والأسطورة، ترجمة أحمد حمدي محمود، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975م.
2. أمين سلامة، الأساطير اليونانية والرومانية، طبعة القاهرة، 1988م.
3. أ. أ نيهاردت، الملحمة الإغريقية القديمة، ترجمة هاشم حمادي، دمشق، الأهالى للطباعة والنشر والتوزيع، 1994م.
4. بيار غريمال، الميتولوجيا اليونانية، ترجمة هنري زغيب، طبعة بيروت – باريس، منشورات عويدات، ط1، 1982م.
5. جان بيير فرنان، بيير فيدال ناكيه، الأسطورة والتراجيديا في اليونان القديمة، ترجمة حنان قصاب حسن، سورية، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1999م.
6. جرجي ديمنري سرسق، تاريخ اليونان، طبعة بيروت، ط1، 1876م.
7. جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (تأليفًا) كتاب: الأسطورة.. توثيق حضاري، مملكة البحرين، ط1، 2005م.
8. جميل شحيد، افتتاحية كتاب الأسطورة اليونانية، لفؤاد جرجي بربارة، سوريا، وزارة الثقافة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، 2014م.
9. حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، بيروت، دار الفكر اللبناني، 1994م، ص 103.
10. سيد أحمد علي الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم القاهرة، دار النهضة العربية، ط2، 1976م.
11. عبد المعطي شعراوي، أساطير إغريقية (الآلهة الكبرى)، القاهرة، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، 2005م.

12. على عكاشة، شحادة الناطور، جميل بيضون، اليونان والرومان، إربد، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط2، 1410هـ - 1991م.

13. فؤاد جرجي بربارة، الأسطورة اليونانية، سوريا، وزارة الثقافة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، 2014م.

14. فراس السواح، الأسطورة مكون من مكونات الدين حوار مع فراس السواح أجراه معه دارين أحمد، عن برنامج مبدعون، تليفزيون أبو ظبي، 22 / 5 / 2003م.

15. لوك بنوا، إشارات ورموز وأساطير، بيروت، لبنان، عويدات للنشر والطباعة، ط1، 2001م.

16. مرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة، ترجمة نهاد خياطة، دمشق، دار كنعان للدراسات والنشر، ط1، 1991م.

17. محمد إبراهيم بكر، قراءات في حضارة الإغريق القديمة،القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002م.

18. محمود فهمي، تاريخ اليونان، الجيزة، الناشر مكتبة ومطبعة الغد، 1997م.

19. هزيودوس، أنساب الآلهة، ترجمة وتحقيق صالح الأشقر، منشورات الجمل، ط1، 2014م.

20. هوميروس، الإلياذة، ترجمة سليمان البستاني، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م.

21. هوميروس، الإلياذة، ترجمة دريني خشبة، القاهرة، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 2014م.

22. هوميروس، الأوديسة، ترجمة دريني خشبه، القاهرة، دار الكتب الأهلية، 1945م.

23. ويل ديورانت، قصة الحضارة، المجلد الثاني، الجزء الأول، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بيروت، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بدون.

ثانيًا - المراجع الأجنبية

1. Creation Stories from Around the World, Creation 2: Ancient Greece, c. 725 BCE
2. Hesiod's Theogony, Translated by A. Athanassakis, Hesiod: Theogony, Works and Days, Johns Hopkins University Press, Baltimore, 1983, P 17.
3. Carlos Parada,Genealogical Guide to Greek Mythology, published in 1993, P 500 ,501
4. Hesiod, Theogony, Translated by M. L. West, Oxford. Wew York, 1988.
5. Hesiod, Works and Days, Translated by M. L West, Oxford. Wew York, 1988, P 38, 39, 45.

ثالثًا - الروابط الألكترونية الأجنبية

1. https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/legend
2. https://www.merriam-webster.com/dictionary/legend
3. https://www.macmillandictionary.com/dictionary/british/legend
4. https://www.vocabulary.com/dictionary/legend

الشرك وتعدّد الآلهة في منظومة الإلياذة
(رؤية نقديّة)

غيضان السيد علي[1]

مقدمة

تعدّ منظومة الإلياذة -التي نظّمها «هوميروس» أعظم شعراء (الإغريق) قاطبةً، الذي عاش على أرجح الأقوال في منتهى القرن العاشر أو بداية القرن التاسع قبل الميلاد- من أهمّ الآثار الخالدة التي تعبرّ عن طبيعة الحياة الدينيّة عند اليونان القدماء؛ فهي ركن ركين في سيرة الحضارة اليونانيّة؛ إذ تعدّ من أقدم النّصوص إن لم تكن أقدمها على الإطلاق.

تعكس «الإلياذة» – وهو هنا ما يهمّنا في المقام الأوّل- حالة الشّرك وتعدّد الآلهة التي سادت الحياة الدينيّة عند اليونان القدماء؛ إذ أسهبت في ذكر أديانهم وما كانوا يعبدون، كما توضّح نسبة العباد والخلق إلى هذه المعبودات. كما تصفهم معبودًا معبودًا بين ذكر وأنثى، ومكانة كلّ منهم بينه وبين زملائه، كما ذكرت مزايا كلّ إله وعيوبه! ومن ثمّ لم يكن غريبًا أن تُقسِّم «الإلياذة» الآلهة إلى طبقات ودرجات مع بيان منزلة كلّ طبقة على حدة، كما بيَّنت طبيعة العبادات والصلوات والأدعية والأضاحي والقرابين التي كانت تُقدّم لهم، وبحثت في عالم الأرواح وسائر ما يمكن التطرّق إليه للوقوف على طبيعة المعتقدات الدينيّة اليونانيّة في تلك الأزمنة الغابرة.

وتكمن أهميّة هذه الدراسة في أنّها تتناول برؤية نقديّة طبيعة الحياة الدينيّة في أحد أقدم الآثار في تاريخ الحضارة الغربية، تلك الآثار التي راح الغرب ينفخ فيها الرّوح اليوم مرّة أخرى؛ ويُحيي كلّ مضامين تراثه الإغريقي من فنّ وأدب وشعر وفلسفة وعقيدة؛ ليَميز بها على حضارة الشّرق.. ويا ليته ما فعل؛ لأنّه عكس عقليّة أسطوريّة لا يفخر بها من

[1]- أستاذ الفلسفة المساعد بكلية الآداب جامعة بني سويف.

يتعقّل المضمون. كذلك تقف هذه الدّراسة وقفة نقديّة على طبيعة الدين اليوناني؛ لتبيّن ما به من أوجه نقص وقصور، وعيوب ومخازي، وما تشوبه من شوائب غير عقليّة، تبرهن ـ بشكل قوي وإلى حدٍ بعيد ـ على خرافة القول المشهور بـ[المعجزة اليونانية]، التي أسّست الفلسفات والعلوم من العدم، وعلى غير مثال سابق، وأنَّ الإنسان اليوناني قد تميّز بصفات وخصائص ميّزته عن سائر البشر في تلك الحقبة المبكرة من التاريخ، لتنتهي إلى تهافت هذا القول.

ولأجل المعالجة الجيّدة لهذا الموضوع تم تقسيم هذه الدراسة إلى: مقدمة بيّنت طبيعة الموضوع وأهميّة دراسته وطبيعته النّقدية، ثم خمسة محاور متتالية، جاء أوّلها تحت عنوان: «التعريف بالالياذة»، والثاني «مكانة الإلياذة في التاريخ الغربي قديمًا وحديثًا»، ثم جاء المحور الثالث بعنوان «الدين اليوناني وتعدّد الآلهة وفقًا للإلياذة»، في حين عالج المحور الرابع موضوع «الاستخدام النفعي المادي للدين في الإلياذة». بينما جاء المحور الخامس ليتناول: «الأفعال المشينة للآلهة في الإلياذة»، ثم جاءت الخاتمة لترصد أهمّ النتائج التي توصّلت إليها هذه الدراسة.

وقد اعتمدتْ هذه الدّراسة على مجموعة من المناهج البحثيّة، أهمّها: المنهج التّحليلي بغية تحليل المضامين التي تتضمّنها نصوص «الإلياذة» أو النّصوص الشّارحة لها. كذلك اعتمدتْ على المنهج النقدي حيث حَرصتْ هذه الدراسة على الوقوف موقفًا نقديًّا من الدين اليوناني الذي يقوم على الشّرك وتعدّد الآلهة وفقًا لسياق أسطوري، تحكم فيه النفعيّة المقيتة العلاقة بين البشر والآلهة، فضلاً عن تلك الصورة الشّائنة لتلك الآلهة التي ترتكب من الأفعال ما يترفّع عنه الكرام من البشر. بالإضافة إلى المنهج المقارن الذي يقارن الدين اليوناني كما جاء في «الإلياذة» بالأديان السابقة أو المعاصرة له في الحضارات الأخرى.

أوّلًا: التعريف بالالياذة

«الإلياذة» أو «الإلياس» نسبةٌ يونانيّةٌ إلى «إليون» عاصمة بلاد الطرواد، وهي ملحمةٌ شعريّةٌ تتكوّن من اثنى عشر ألف بيت. وقد أرَّخت في موضوعها الرئيسي وسيرتها الأدبيّة لحياة الصّراع ما بين اليونانيين ومملكة طروادة، وذلك من خلال شخصيات أبطالها الستة:

(هيلانة- فاريس بن فريام- أخيل- هيكتور- أجاممنون- فريام ملك طروادة)، وكيف انقسمت الآلهة في إدارة المعركة فانحازت «هيرا» و«أثينا» و«فوسيذ» و«هيفاست» إلى الإغريق، وانحاز «آذيس» و«أبوللون» و«أرتميس» و«لاتونة» و«زنثس» و«الزهرة» إلى الطرواد. وتمازج الفعل البشري مع الفعل الإلهي، وتصارعت الآلهة كما يتصارع البشر، فلا غرابة أن نجد «أثينا» إلهة الحكمة تجرح «آريس» إله الحرب، أو أن تلطم «أثينا» «الزهرة»، أو أن يتصارع «أبوللون» و«فوسيذ»، أو أن تلطم»هيرا» «أرتميس» وتنزع من على كتفها قوسها وكنانتها، أو أن يلقي «زيوس» بـ»هيفاست» من فوق جبل الأوليمب ليقع على الأرض. فجلّ أبطال «الإلياذة» تقريبًا هم من الآلهة أو أبناء وبنات الآلهة.. والآلهة في «الإلياذة» بشريّة إلى أقصى الحدود، لا تختلف عن الإنسان إلا في كونها خالدة، ومزوّدة بقوى خارقة للطبيعة، أمَّا من الوجهة الخلقيّة فليس فيها ما يدعو إلى الاستحسان.

وتبدأ «الإلياذة» بأسباب غزو الإغريق لطروادة وهي أسباب أسطورية يسوقها «هوميروس» مستلهمًا أحداث حرب حقيقيّة وقعت بالفعل في تاريخ يقع ما بين 1280-1183 ق.م حسب رأي معظم المؤرّخين؛ إذ يقوم الأمير الطروادي «فاريس بن فريام» بزيارة إلى مدينة «اسبرطة» اليونانيّة في غياب ملكها «منيلاوس»، وما زال بـ «هيلانة» زوجة ملك «اسبرطة» الفاتنة حتى استهواها فأحبته، ووافقته على الفرار معه إلى بلاده. فعمَّ الغضب بلاد الإغريق لهذه الفعلة الشائنة، ولمّا أتعبت اليونانيين الحيلة في استخلاص»هيلانة» تأهّبوا للحرب، ومن ثمَّ قام ملك «اسبرطة» اليونانيَّة بإعداد الجيوش متّجهًا إلى مدينة طروادة لمحاصرتها، لكن استبسال أهالي طروادة بجانب أسوار مدينتهم وقوّة حصونها حال دون سقوط المدينة، وحاصر الإغريق المدينة لمدّة عشر سنوات كاملة ما بين كرٍّ وفرٍّ، وهزيمةٍ وانتصار. وكانت أبرز انتصارات الطرواديين في تلك الفترة التي حدث فيها جفاء بين «أغاممنون» زعيم الزعماء و«أخيل» القائد الأسطوري، والتي كاد فيها الثاني أن يبطش بالأوّل لولا أن «أثينا» إلهة الحكمة هبطت من السماء وصدّته قسرًا. وما زال «أخيل» معتزلاً للحرب حتى قتل الطرواد صديقه الحميم «فطرقل» (باتروكلوس)، فنهض «أخيل» للثأر- فيما عرف بـ «غضبة أخيل» وهي محور القصّة كلّها ـ وأغار على الطرواد فبطش بهم بطش الأسود بالحملان حتى تحصّنوا بأسوار مدينتهم إلا قائدهم «هيكتور» الذي تصدّى لـ»أخيل» خارج أسوار المدينة، حيث قتله الأخير ومثَّلَ بجثّته، ولكن سرعان ما هدأ

غضب «أخيل» وسكن جأشه، فَرَقَّ لشيبة «فريام» وألقى إليه بجثّة ابنه وسيَّرَه آمنًا. ولكن بعد فترة قصيرة تم لأهل طروادة الانتقام؛ حيث استطاع أحد شجعان هذه المدينة من قتل «أخيل» بواسطة سهم مسموم أصاب به كعب قدمه، وهو المكان الوحيد المكشوف في جسمه المُغطى بالدروع الحديدية الثقيلة. واستطاع «أوذيس» أكثر اليونانيين دهاءً ومكرًا من وضع حيلة ماكرة ينهي بها هذا الحصار الطويل؛ إذ أشار على الجيش اليوناني أن يتظاهر بالانسحاب والعودة من حيث أتى تاركًا حصانًا خشبيًا ضخمًا على الشّاطئ، اختبأ بداخله «أوذيس» نفسه وبعض المقاتلين الشجعان. ونجحت الحيلة، وبلع الطرواديون الطعم، ونقلوا الحصان الخشبي داخل المدينة، وعمَّ الفرح أرجاء المدينة، وأقيمت الأفراح ورقصوا وشربوا حتى ثملوا تمامًا وناموا ليستيقظوا على طعنات سيوف المختبئين داخل الحصان الخشبي، الذين فتحوا أبواب المدينة ليدخل الجيش اليوناني الذي أحرق ودمّر، فلم يبق ولا يذر أحد من سكانها، لتنتهي بذلك حكاية طروادة. وقد جعل «هوميروس» موضوع «الإلياذة» مرتكزًا على أيّام قلائل هي الأيّام الستة والخمسين من السنة العاشرة لحصار طروادة، وما وقع فيها من أحداث بين «أخيل» و «أغاممنون» و«فطرقل» من جهة اليونان وبين «فاريس» و«هكتور» و«فريام» من جهة طروادة.

ثانيًا: مكانة الإلياذة في التاريخ الغربي قديمًا وحديثًا

تعود أهميّة «الإلياذة» كأثر تاريخيّ مهمّ في التاريخ الغربي في أنَّها كانت المصدر الأساسي الذي استقى منه المؤرّخون تاريخ اليونان القديم؛ حيث ذكر «هوميروس» حوادث كثيرة أثبت الأثر صحّتها إلى جانب حوادث أخرى لم تثبت بعد، فرأوا أنَّ ثبوت البعض يرجّح ثبوت الكثير مما بقي. وأنَّ «هيرودوت» الملقب بأبي التاريخ يستمدّ منها معارفه، ويستشهد بأقوالها كلّما أُغلق عليه أمر أو اضطر إلى إثبات حجة. وإذا رجعنا إلى مؤلّفات جميع المؤرخين من اليونان والرومان والإفرنج رأيتها مرصَّعة ترصيعًا بشواهد «الإلياذة» مما يثبت علوّ مكانتها في التاريخ؛ حيث يصنّفها «جورج سارتون» كأوّل مأثورات العصر اليوناني القديم[1]. كما أنَّ «الإلياذة» ما زالت حتى اليوم المصدر الرئيسي للفكر العقدي اليوناني، لما تحويه من قصص عن أصول الآلهة وأسمائها وأنسابها وأشكال الطقوس وأسس العبادات.

---

[1]- جورج سارتون، تاريخ العلم- العلم القديم في العصر الذهبي لليونان، ترجمة: محمد خلف الله وآخرون، لا ط، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2013، ج1، ص287.

فأهمّ ما يميّز الآلهة في «الإلياذة» أنّها آلهة بشريّة إلى أقصى الحدود، لا تختلف عن الإنسان إلا في كونها خالدة ومزوّدة بقوّة خارقة للطبيعة البشرية [1].

ومما يعكس المكانة الكبيرة للإلياذة في التاريخ الغربي قديمًا أنَّ الفيلسوف اليوناني الكبير «أرسطوطاليس» كان من أشدّ المعجبين بصاحب «الإلياذة» حتى إنَّه ألحق نَسَب مؤلّفها بالآلهة. كما عمل أرسطو نفسه على تنقيح نسخة من «الإلياذة» التي كان مغرمًا بها ثم أهداها إلى «الإسكندر المقدوني» الذي كان يحملها معه أينما ذهب، فكانت بمثابة جليسه في حِله، وأنيسه في ترحاله، يتحدّى نهج مواقعها، ويترنّم ببدائعها، ويتمثّل بها في كلّ ما عنَّ له من الأقوال والأفعال[2]. واعتبر «هيراقليطس» أشعار «هوميروس» مَنْجَماً لا ينضب مَعِينه من الورع الديني والحكمة الفلسفيّة[3].

وأهمّ ما يُقال في أهميّة «الإلياذة» ومكانتها عند قدماء الغرب ما يقوله أشهر مترجمي «الإلياذة» إلى العربيّة، وأهمهم على الإطلاق وهو الأستاذ سليمان البستاني؛ حيث يقول:» إنّك لا تكاد تتصفّح كتابًا من كتب الأدب والتاريخ مما كان يوثّق به عند قدماء الغرب إلا رأيته مشحونًا بالشواهد المنقولة عن شاعرنا مشفوعة بالإطراء والإكبار. وكان يقتبسون من أقواله على نحو ما يقتبس اليهود من التوراة، والنصارى من الإنجيل، والمسلمون من القرآن والحديث. كلّ ذلك مما مهّد سبيل إحلاله عندهم ذلك المحل الرفيع حتى تنازعته البلاد، وشغفت به العباد، وعني الملوك والعلماء بجمع شتات قريضه، وعكف الرفيع والوضيع على ادخاره كنزًا لا ينفد»[4].

وقد تسابق الملوك والأدباء بل والعوام على جمع أبيات «الإلياذة» وتنسيقها وتبويبها، ومن جملة مرويات العصور الغابرة أنَّه تألفت طائفة من أدباء اليونان صرفت همّها في جمع «الإلياذة» وتنقيحها وتعديلها، وبيان الشّوائب والدّخائل التي تسلّلت إليها. ومن أهم ما يدلّ على رفعة مكانتها عند اليونان القدماء أنَّ القائد اليوناني «ألقيبيادس» لم يتمالك نفسه وهو

---

[1]- برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الأول(الفلسفة القديمة)، ترجمة: زكي نجيب محمود، مراجعة: أحمد أمين، لا ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2012، ص41.

[2]- سليمان البستاني، مقدمة ترجمته للإلياذة، لا ط، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2015، ص 22.

[3]- أحمد عتمان، الأدب الإغريقي تراثًا إنسانيًا وعالميًا، ط2، القاهرة، دار المعارف، د.ت، ص17.

[4]- سليمان البستاني، مقدمة ترجمته للإلياذة، م.س، ج1، ص22.

فتى أن انهال على أستاذه بالشتم والسب، ثم بلغت به الحدّة أن ضربه؛ لأنّه لم تكن عنده نسخة من شعر «هوميروس» وهو ذنب في ذلك العصر عظيم. كما تبقى حادثة «زويلوس» الكاتب هي أشهر ما قيل في هذا الإطار؛ حيث إنَّه لمَّا قام بانتقاد أشعار «هوميروس» في حوالي القرن الرابع قبل الميلاد، فثار عليه الجميع من العوام والخاصة، حتى قُبض عليه وتمّ صلبه وقتله رجمًا! ولم يفتر الاهتمام اليوناني بـ»الإلياذة» إلا عقود أعوام معدودات في بدء انتشار النصرانيَّة، وسرعان ما عاد الاهتمام بـ»الإلياذة» مرة أخرى؛ حيث كان بعض العامّة من الإفرنج في القرون الوسطى يتّخذون منها الأحراز والتعاويذ ويجتهدون في تأويل أبياتها حتى يستدلّون منها على إشارات تفسّر لهم المستقبل! وأبلغ من كل ذلك أنَّ لفيفًا من الأطباء المشهود لهم كانوا يعالجون بعض المرضى بأبيات من «الإلياذة»؛ فإذا استُوصفوا علاجًا للحمى الرباعيّة أَمروا بوضع نسخة من النَّشيد الرابع من «الإلياذة» تحت رأس المريض! وما زال المؤرّخون الأوروبيون المعاصرون يعوّلون كثيراً على «الألياذة» كمادة تاريخيّة أصيلة للتأريخ لأحداث تلك العصور الغابرة[1].

وهنا يُمكننا التساؤل: كيف يمكن أن يكون للإلياذة تلك المكانة التاريخيّة وهي مجرّد عمل أدبيّ لا يُمكن الاعتماد عليه بصفة كليّة في التأريخ؟! وخاصة إذا وضعنا في الاعتبار أنَّ مؤلّفها شخص مجهول، فكما يقول جورج سارتون: «لو أردنا أن نجيب عن السؤال: من هو «هوميروس»؟ لم نستطع أن نجيب بأكثر من أنَّ «هوميروس» هو مؤلف الإلياذة. ويبدو أنَّه ليس هناك من سبيل إلى الإفلات من هذه الدائرة»[2]. فقد تخيّلوه شيخًا كفيف البصر. وما يزيد الأمر غرابة أن ألحق «أرسطوطاليس» نَسَبُه إلى الآلهة حيث يرى أنَّه قد سطت طائفة من قرصان «أزمير» أثناء الجلاء اليوناني على فتاة من جزيرة «يوس» وهي حبلى من أحد الآلهة فَسَبوها واحتملوها إلى بلدتهم فولدت الشاعر![3]. بل إنَّهم اختلفوا في تعيين الزمن الذي ظهر فيه، فتراوحت الأقوال حول وجوده في خمسة قرون كاملة، من القرن الثاني عشر قبل

[1]- سليمان البستاني، مقدمة ترجمته للإلياذة، م.س، ج1، ص23-24.

[2]- جورج سارتون، تاريخ العلم، م.س، ج1، ص288.

[3]- سليمان البستاني، مقدمة ترجمته للإلياذة، م.س، ج1، ص22.

الميلاد حتى القرن السابع. كما اختلفوا- أيضًا- في نسبته إلى أي مدينة؛ فتمّ نسبته إلى سبع مدن يونانيّة زعمت كلّ مدينة أنّها مسقط رأسه. ولا شك أنَّ أمثال هذه الادّعاءات المتضاربة خير شاهد على الجهالة، ولو تزيَّنت بزي العلم والمعرفة، فهي تدلّ على أنّه حتى في الأزمنة القديمة لم يبقَ للنّاس معرفة بـ«هوميروس» على أنَّه إنسان عادي. ومن ثم يمكننا أن نعيد التّساؤل: كيف يمكن أن يثقَ المؤرّخون كلّ هذه الثّقة في عمل أدبيّ لا يُعرف من هو مؤلّفه على الوجه الدقيق! ألم يعوّل علماء الحديث في علم الجرح والتعديل الإسلامي على سيرة الروّاة وطبيعة سيرهم وسلوكهم للتّأكّد من صدق الرّاوي فيما نقل من عدمه؟

كما أنَّه من المعروف أنَّ الأعمال الأدبيّة وخاصّة الملحميّة منها، التي نُظمت قبل أن تعرف الأمم الكتابة أو قبل أن تشيع الكتابة بين أفرادها، واعتمدت على روايات المنشدين المتجوّلين الذين ألفوا الانتقال من بلد إلى آخر حريصين على إدخال السرور وإذكاء الروح العالية في نفوس أرباب ضيافتهم، وإسماعهم ما يحبوا أن يستمعوا إليه. فمن المعروف أنَّ الشُّعراء المتجوّلين في كل زمان ومكان لم يكن ليمانعوا في إضافة ما يُعجب أو حذف ما لا يلقى القبول، فيضيفون ما وافق الهوى، ولاقى الاستحسان، واستهواه الخيال، واستُقبل بالابتسام أو بغيره من علامات الرضا والقبول والاستحسان. ومن ثم تتوق قرائحهم إلى خلق قصائد جديدة أو تحوير قصائد قديمة تحويرًا تامًا وفقًا لما يطلبه المستمعون. وهو الأمر الذي يبرّر- في اعتقادنا- تلك السقطات التي تطالعنا بين الحين والآخر على طول الإلياذة، أو ذاك التكرار الذي لا تدعو إليه ضرورة أو الانتقال بين الأحداث المختلفة بطريقة غير سليمة.

ومن هنا يجدر بنا أن نقول: إنَّه لا يمكن التعويل على معلومات التاريخ الغربي القديم المعتمدة في الأساس على «الإلياذة»، والاطمئنان إليها على أنّها معلومات صحيحة. فأيّ تاريخ هذا الذي يعتمد على ملحمة تحكي حكايات أسطوريّة تناقلتها الأجيال عبر المنشدين المتجوّلين لشاعرٍ مشكوك في وجوده؟! ومن ثمَّ فإنّنا نرى أنّه يجب أن يُقذف بالإلياذة فورًا من سجلات التاريخ إلى ميادين الأدب.

ثالثًا: الدين اليوناني وتعدّد الآلهة وفقًا للإلياذة

1. الالياذة المصدر الرئيس للديانة اليونانيّة

يكاد يجمع مؤرّخو الأديان على أنَّ الديانة اليونانيّة من أكثر الديانات الوضعيّة غموضًا؛ نظرًا لغيبة الوثائق والآثار التي تُعين على تحديد تلك الفترة التاريخيّة التي نشأت فيها هذه الديانة، والأطوار المختلفة التي مرّت بها طقوسها ومعتقداتها. فما برح المؤرّخون المحدثون يقطعون بأنَّ الأساطير اليونانيّة وعلى رأسها «إلياذة هوميروس» هي المصدر الرئيسي للفكر العقدي اليوناني والديانة الأوليمبية على وجه الخصوص، وهي الديانة التي استأثرت الإلياذة بذكر تفاصيلها، وذلك بما تحويه من قصص عن أصول الآلهة وأسمائها وأنسابها وأشكال الطقوس وأسس العبادات المقدّمة إليها. وهذا المصدر -كما سبق أن قلنا- لا يصلح أن يكون مصدرًا تاريخيًّا[1]. هذا فضلاً عن غموض المعتقدات وتداخل صفات الآلهة والمعبودات وتشعّب وظائفها والجهل بأصولها.

2. سمات الآلهة في الإلياذة

ومهما يكن من أمر فإنّ للإلياذة وللدين في اليونان بشكل عام سماتٍ عديدةً يمكن الحديث عنها وفق التالي:

أ. تعدّد الآلهة:

أوّل سمة يمكن أن نميّز بها الدين اليوناني هي سمة التعدّديّة؛ حيث تتعدّد الآلهة وتكثر وتتنوّع، ويرجع ذلك إلى طبيعة الثّقافة اليونانيّة في ذلك الحين؛ حيث إنَّها كانت ثقافة تجمع بين الأمور الحسيّة الطبيعيّة والأمور العقليّة المجرّدة إلى جانب النّظم السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة. كما لعبت الطبقيّة المسيطرة على المجتمع اليوناني في ذلك الوقت دورًا كبيرًا في ذلك التعدّد والتّنوّع؛ فقد شهد هذا العصر تصدّعًا كبيرًا بين طبقتين اجتماعيتين: الطبقة الارستقراطية وطبقة العام؛ حيث إنَّه كان لكلّ طبقة آلهتها المخصوصة؛ فالطبقة الدنيا كانت تتعلّق بالآلهة المحسوسة مثل: «ديميتر» ربة البقول والفاكهة والزراعة

[1]- انظر: عصمت نصار، الفكر الديني عند اليونان، تقديم: مصطفى النشار، ط2، القاهرة، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ص21.

والحصاد، و«ديونسيوس» إله الخمر، و«هيفاست» إله النار ورب الحدادين والصناع، بينما اهتمت الطبقة الارستقراطية بالآلهة الارستقراطية مثل «زيوس» كبير الآلهة، و«أبوللون» رب الشعر والموسيقى والعرافة[1]. بينما يردُّ الجغرافيون تعدّد الآلهة في تلك الديانة إلى الطبيعة الجغرافيّة للخريطة السياسيّة التي كانت تقسم اليونان إلى مجموعة جزر متفرّقة ودويلات منفصلة بموانع طبيعية. فلكلّ مدينة آلهتها التي يعدونهم سكانها بُناتها وحُمَاتها، وكان تكريمها واجبًا وطنيًا. الأمر الذي يخرج فكرة الواحد والكثرة من إطار الفكر العقدي ويخضعها إلى التطوّرات السياسية[2].

ب. السلالة الواحدة للآلهة

وثمة سمة ثانية يمكن ملاحظتها على آلهة الدين اليوناني المتعدّدة، وهي أنّهم جميعًا ينتمون لأسرة واحدة تتكون من «زيوس» رب الأرباب والسلطة والقانون الذي انتصر تمامًا على كل الأقوياء والعمالقة، وتمكّن من السيطرة على قوى السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما. ومع «زيوس» أخوته: «هادس» إله الموت والجحيم، و«بوسيدون» إله الأوقيانوس الذي يعيش في البحار، و«هيفاست» إله النار. وزوجته «هيرا» إلهة الزواج، وأبناؤهما: «أبوللون» إله الشمس و«آرتميس» إله الزواج و«أفروديتي» إلهة الحب و«أثينا» إلهة العلم والحكمة والفن و«آريس» إله الحرب و«هرمس» رسول الآلهة، و«ديونيسيوس» إله الخمر[3].

ت. التجسيد الحسي أو التمثّل

وقد رافق تعدّد الآلهة في الديانة اليونانيّة سمة ثالثة هي أنَّ الإغريق كانوا يمثّلون آلهتهم تمثيلاً محسوسًا، فتصوّروهم على هيئة البشر، ورسموهم في صورة الإنسان شكلاً وقوامًا ومضمونًا؛ فالألهة يحتاجون إلى النّوم ويأكلون ويشربون[4] وكانوا يحبّون ويكرهون ويفرحون ويحزنون ويتزوّجون وينجبون أولادًا ويقيمون علاقات مشروعة وغير مشروعة مع الآلهة والبشر، فلا مانع عندهم ولا يشقّ عليهم أن يستولدوا الإنسيات أو يزوجوا بناتهم من الإنس

[1]- انظر: محمد كمال جعفر، الإنسان والأديان – دراسة مقارنة، ط1، الدوحة، دار الثقافة، 1985، ص287.

[2]- انظر: عصمت نصار، الفكر الديني عند اليونان، م.س، ص24.

[3]- انظر: الخشت، محمد عثمان: تطور الأديان- قصة البحث عن الإله، ط1، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2010، ص207-208.

[4]- انظر: هوميروس: الإلياذة، تعريب ونظم: سليمان البستاني، لا ط، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2015، ج1، ص404.

فيستولدوهن[1]. وفي كلتا الحالتين ينشأ المولود بشرًا كسائر الناس، وللإناث من الآلهة ولعٌ كولع الإنسيات بالتبرج والزينة ولهن حلى وطيب، يدللن أزواجهن ويستهوينهم ويخاصمنهم ويستعن بالذكور والإناث عليهم لقضاء لبانة منهم. وهم كالبشر درجات فوق بعضها البعض يشبهونهم بالمعنى شبههم بالمادة. يملؤون على العباد صفائح الحكمة وألواح الفضيلة، ثم يمالئونهم على العبث بها.

ث. القوّة والخلود:

تميّزت الآلهة كلّها تقريبًا بالقوّة الخارقة والقوام البديع والجمال الرائع، كما تميّزوا أيضًا عن البشر في شيء جوهريّ وهو أنّهم كانوا يعيشون أبدًا في شباب دائم فلا تتقدّم بهم السن فيهرمون. كانوا خالدين لا يذوقون طعم الموت. وكان «زيوس» أكثرهم قوّة وهيبة وأعلاهم شأنًا ومكانة بوصفه ربًا للآلهة والناس. ومع هذا فإنّ ذلك لم يمنع من أن يتبع كلّ إله هواه، وينساق وراء ميوله الخاصّة، وقد يتمرّد على «زيوس» نفسه أحيانًا أو يتملّقه ويداهنه أحيانًا أخرى. بل حدث ذات مرّة أن كاد له فريق منهم محاولين الإطاحة به عن عرشه. فلم يكن عرش «زيوس» دائمًا وطيد الأركان مثله في ذلك مثل عرش الملوك على الأرض[2].

ج. بين الخلق والقدر

تبرز سمة خامسة من سمات الدين اليوناني، وهي أنَّ الآلهة لا علاقة لها بمخلوقات الكون أو البشر؛ فالكون مخلوق من قبلهم، ولم يكن لهم يدٌ في كتابة الحياة أو الموت. وكان القدر قوّة أخرى لا سيطرة لهم عليها، بل تتحكّم هذه القوّة القدريّة في الآلهة نفسها، فتبدو الآلهة كائنات محدودة لها غايات محدودة، لا تأبه بالخلق ولا تعنيهم شؤون البشر إلا من زوايا معيّنة، كانت حياتهم رغدة سهلة – كما صورها «هوميروس» في الإلياذة- ينفقون معظم وقتهم فوق جبل «أوليمب» المغطى بالثّلوج في مآدب وحفلات أو في تدبير المكائد، أو قد يدعوهم «زيوس» بين الفينة والفينة إلى الاجتماع للبت في أمر مهم. وكانت الأهواء تتحكّم في سلوكهم مع البشر، فيقدّمون العون لمن يؤثرون، وينزلون غضبهم على من يبغضون. وكان معيار ذلك هو مقدار تقرّب النّاس إليهم بالتعبّد وتقديم القرابين وحرق

[1]- انظر: هوميروس: الإلياذة، تعريب ونظم: سليمان البستاني، لا ط، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2015، ج1، ص240-241.

[2]- انظر: عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني- العصر الهللادي (1)، لا ط، بيروت، دار النهضة العربية، 1976، ص196.

البخور في الهياكل والمعابد. وكثيراً ما كانت تحلّ نقمتهم على من لا يذكرونهم من البشر أو يضنون عليهم بالقرابين أو لا يوفون بنذور نذروها لهم[1].

ح. التأثّر بمعبودات السابقين

وسمة سادسة من سمات الدين اليوناني تفرض نفسها هنا كسمة مميّزة، وهي أنَّ آلهة اليونان كما صورتها «الإلياذة» خليط من معبودات من تَقَدَّمهم من الملل كالبابليين والأشوريين والمصريين والهنود، ولكنهم (أي الإغريق) هذَّبوا العبادة وارتقوا بها بضع درجات فأهملوا- إلى حدٍ كبير- عبادة الحيوان والجماد، وجعلوا للصفات والموصوفات أجسامًا حية مدركة هيّؤوها بهيئة البشر ومسحوها بمسحة اللاهوت[2]. وإنّ أسماء هذه الآلهة هي مجرّد تحريف لأسماء آلهة الحضارات التي سبقتهم.

خ. انقسام الألهة إلى خيّرة وشريرة

وتأتي السمة السابعة كسمةٍ نقديّةٍ لمجموع السّمات السابقة، وهي أنَّ «هوميروس» أسقط على الآلهة صفات خيّرة وأخرى شائنة شريرة لا تليق بمقام الألوهيّة الجليل. كما أنَّ آلهة «الإلياذة» تفتقر مجتمعة إلى السّمات الإلهيّة التي تميّز الأرباب عن دونها من الكائنات الحيّة، فلا نجد من بينها من يمتلك قوّة الخلق والعناية والقدر والغائية والسمو والغنى والرفعة، الأمر الذي أفقدها مصداقيتها من جهة، وفتح الباب أمام المتشكّكين للكفر بها من جهة أخرى. كذلك يمكن ملاحظة عجز السياق الأسطوري عن تبرير عبادة اليونانيين لها، اللّهم إلا الخوف من وعيدها، والطمع فيما عساه أن يجلب الخير لعبادها. وآلهة الأوليمب لا تعدو أن تكون انعكاسًا لبعض القيم والعادات الاجتماعيّة السائدة لثقافة اليونانيين، التي تجمع بين التدنيّ الخلقي وسلوك النبلاء المشين الذي يتّخذ من السيادة للأقوى دستورًا له[3].

د. التشويش وانعدام التنظيم العقدي

يُمكننا القول بأنّنا أمام ديانة مشوشة الأفكار، مطموسة المعالم، مجهولة التاريخ، بها

[1]- انظر: عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني- العصر الهلادي (1)، ص197.

[2]- انظر: سليمان البستاني، معجم الإلياذة، م.س، ص1164-1165.

[3]- انظر: عصمت نصار، الفكر الديني عند اليونان، م.س، ص79.

نقص غير مألوف في النّظام، تفتقر إلى تنظيم يمُاثل ما نجده في الأديان السائدة في العالم الحديث، فليس لها نبي متفوّق، ولا مشرّع يفسّر طبيعة الآلهة، ولا كتب مقدّسة ذات نص محدّد يحتوي في تعاليمه على بادئ الأخلاق لا قواعد تقوم عليها، ولا لها سلطة دينيّة ونظام كهنوتي يقوم بتنظيم العبادات، ويشرف على أداء الطقوس ويحمي العقيدة من التحريف والتجديف. وإنّها ديانة لا تفسّر نشأة الظواهر الكونيّة، ولا تحثّ على حياةٍ متفانيةٍ ورعة، ولا تمسك بتعاليم دينيّة مستقيمة ولا نظام متّفق عليه ليوم البعث والحساب، ولا نظام مقبول للتوبة والتكفير[1]. وإنمّا هي مجموعة من الأساطير البدائيّة لإنسان بدائي وروايات خرافيّة تتضمّن ظروفًا وأحداثًا خارقة يقوم بها آلهة وأبطال خرافيون من البشر تختلف تمامًا عن الظروف والأحداث التي يقوم بها الإنسان العادي شأنها في ذلك شأن الأساطير الدينية في كافة الأمم الغابرة. وقد اختلق الإنسان البدائي تلك الآلهة عندما أعيته مواجهة الطبيعة بأخطارها ومخاوفها، فاستعان بموجودات خياليّة أكثر قدرة منه لمواجهة هذه الأخطار وتلك المخاوف وألّهها وأخذ يتقرب إليها.

رابعًا: الاستخدام النفعي المادي للدين في الإلياذة

الاستخدام النّفعي للدين يعني توظيف الدين لتحقيق مصالح وغايات مباشرة ذات طبيعة شخصية أو فئويّة. وسواء تمّ هذا الاستخدام من جانب أفراد أو جماعات بعينها، أو من جانب أنظمة وسلطات فالنتيجة واحدة: تحويل الدين من كونه ذا طبيعة روحيّة إلى أداة من الأدوات الماديّة التي يتم تحقيق المنافع من خلالها. فيتم اختزال الدين في وظائف وغايات ذات طبيعة دنيويّة مرهونة بوقت معيّن، هو وقت الاحتياج إليها، دون مراعاة الجانب الروحي الذي يمثّل جوهر الدين وغايته.

1. الخلط بين المقدّس والدنيوي

إنّ المتأمّل في الدين اليوناني، حسب «الإلياذة»، يراه دينًا تم توظيفه توظيفًا نفعيًّا ماديًّا بامتياز، فلا يميّز بين المقدّس والدّنيوي، ولا يُعنى بقيم مقدّسة تتعالى فوق كلّ نفع دنيوي مادي مباشر، ولا يشير إلى أيّ ارتباط دائم بين الإنسان والمعبود في السرّاء والضرّاء. فالإنسان

[1]- انظر: س. م. بورا: التجربة اليونانية، ترجمة: أحمد سلامة محمد السيد، لا ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989، ص75-76.

لمَّا كان على جهل وعدم دراية بحقيقة الظواهر الطبيعية، ولم يحاول تفسيرها وفق قانون العليّة، وإنّما فسّرها على أنّها قوى عاقلة فاعلة بذاتها، خاصة أنّ تعدّد أحوال الظواهر الطبيعيّة بين أحوال مفيدة وضارة، والحوادث الكونيّة المفاجئة مثل الزلازل والبراكين والفيضانات والصواعق والعواصف أنشأت حالة من الخوف من المجهول عند ذلك الإنسان البدائي، ونظرًا لقصور منطقه العقلي، فإنّ ذلك كلّه استثار خياله الذي قام بدوره بتأليه ظواهر الطبيعة، أو بإعطاء الألوهيّة صفات الطبيعة كي يستخدمها لصالحه؛ كي تحميه من ناحية، وتردّ عنه الأذى أو تنتقم له من أعدائه من ناحية أخرى.

2. استرضاء الآلهة بالقرابين

وتعدّ الديانة اليونانية -بحسب «الإلياذة»- إحدى ديانات الطبيعة القائمة على الشرك والتعدّد؛ إذ تقوم على تسلسل هرمي للآلهة، أي الإيمان بتعدّد الآلهة، وهي آلهة ذات مواصفات إنسانيّة لكنّها أعلى قدرة -كما سبق القول- ومرتّبة ترتيبًا هرميًّا يقف في أعلاها إله أكبر هو «زيوس» كبير العائلة، ربّ الأرباب وكبير الآلهة. وإنّ هذه الآلهة يمكن استرضاؤها بوسائل الاسترضاء الإنساني رغبة في اجتذاب خيرها واتّقاء غضبها. ومن هنا لجأ اليوناني القديم إلى الأضاحي والقرابين والنذور إلى هذه الإلهة وتلك المعبودات، على أنّ إرضاءها لم يكن هو الغاية المنشودة، بل كان الهدف والغاية هو مصلحة هذا الإنسان في دفع الشر والضرر وجلب الخير والنفع، ومن ثم قامت عبادة هذه الأرباب على أهداف قصيرة وآنية المنفعة.

3. تقسيم الآلهة وفقًا للمنفعة

وهذا ما تعكسه -إلى حدٍ بعيد- الوظائف المختلفة لكلّ إله من الآلهة؛ إذ كان يتمّ اللّجوء إلى «زيوس» صاحب المهام الكثيرة والوظائف المتعدّدة بوصفه كبير الآلهة عند الحاجة إلى المطر أو عند الخوف الشديد من البرق والرعد، بوصفه ربّ السّماء وإله الأحوال الجويّة. أو عندما تسوء أحوال المعيشة والزروع والأرزاق. أو عند الحرب حيث كان يدخل شريكًا مع «آريس» إله الحرب، فكان «زيوس» -أيضًا- إلهًا للحرب لا يرحم أعداءه، فهو المنتقم من الخائنين والمارقين والجاحدين، وحامي الحدود وأملاك الأسرة والمساكن والمتضرعين

والأضياف. أمَّا «هيرا» فكان يتم اللّجوء إليها من قِبل الراغبين في الزواج، فإذا تزوّجوا أعرضوا عنها وأصبحت لديهم بلا فائدة! كذلك كان يلجأ الراغبون في الثروة إلى «هاديس» إله الثروة الذي يمتلك باطن الأرض وما تحويه وخاصة الثروة الزّراعيّة. أمَّا «بوسيدون» إله البحار والمجاري المائيّة فكان الملاحون والبحارة يقيمون له الصلوات ويقدّمون له القرابين، أمّا غيرهم فليسوا في حاجة إلى عبادته ما داموا في غنى عن خدماته، فهم، فقط، يلجؤون إلى عبادته وقت الحاجة إلى هذه الخدمات.

كذلك كانت «ديميتر» ربة البقول والفاكهة وراعية المحاصيل الزراعية التي كان يتضرّع إليها الفلاحون والمزارعون وقت الحاجة إليها.

وكذلك كان «هيفاست» ربّ الحدادين والصنّاع الذي كان محور اهتمام هذه الفئة دون غيرها. أمّا «أثينا» فقد كانت ربّة الحكمة والمعرفة، و«أبولون» ربّ الشّعر والموسيقى والعرافة. في حين عَبَدَ الصيّادون «أرتميس» بوصفها ربّة الصيد، يلجؤون إليها طمعًا في حمايتها لهم من الحيوانات المفترسة ورغبة في زيادة نصيبهم من الصيد. في حين كانت « أفروديتي» ربّة العشق والإغراء والفتنة يلجأ إليها كلّ من أصابته لوعة العشق والغيرة والفرقة والعراك والانتقام. وقد انتشرت عبادتها في شتى أنحاء بلاد اليونان، وكان لها عيدًا يعرف بـ«الأفرديسيا» يقام في أوّل شهر أبريل من كل عام، وفيه تطلق حريّة الاختلاط الجنسي لكلّ من يشاء ويقصده الماجنون والماجنات من كلّ مكان.

أمّا «آريس»، إله الحرب، فكان يتوسّل إليه المحاربون دون غيرهم من أجل أن يثير الرّعب في قلوب أعدائهم، ويحفظهم ويعيدهم إلى ديارهم سالمين. كذلك كان «هرمس» ربّ الطُّرق وحامي المسافرين والمرتحلين. وكان «ديونسيوس» إله الخمر صاحب أكثر العبادات طرفة وإثارة؛ ويرجع ذلك لطقوسها الموسومة بالمجون واللهو والسكر.

هذا فضلاً عن الآلهة الصغرى مثل: «توخي» ربّة المصير والحظ، و«إيروس» إله الحب والعواطف، وغيرهما من الآلهة التي قسَّمها الباحثون إلى ثلاثة أقسام، هي: المعبودات السماويّة والأرضية، وأنصاف الآلهة، والأبطال الخارقين. وهي الآلهة التي اختلف المؤرّخون حول طبيعة علاقاتها بآلهة الأوليمب وعلّة عبادة اليونانيين لها. ويرى البعض

أنّ هذه الآلهة الصغرى هي آلهة شرقية تسلّلت إلى العقيدة اليونانيّة بفعل التأثير الثقافي بين الشعوب، وأن هوميروس قد وجد في سماتها ما يكمل به ما افتقرت إليه آلهة الأوليمب، محاولاً بذلك معالجة الخلل الواضح في سياق فكرة الألوهيّة التي ابتدعها[1]. لكنّه مع ذلك لم يستطع تبرير تدنيّ مكانة هذه الآلهة الصغرى بالنسبة إلى مكانة آلهة الأوليمب، بالرغم من إسناد هوميروس لتلك الآلهة الصغرى مهام كبرى ووظائف عظمى. الأمر الذي يضعف البناء الهرمي لفكرة الألوهيّة اليونانيّة من جهة، ويفضح الخلل الدرامي في النسيج الأسطوري للملاحم الإغريقية من جهة ثانية، ويكشف عن الخلل في بنية المعتقد الموروث من جهة ثالثة[2].

وهكذا قدّمت لنا الإلياذة معبودات ذات اختصاصات معيّنة، يلجأ فيها الإنسان إلى الإله صاحب الاختصاص المحدّد وقت الاحتياج إليه، ويعرض عنه مستغنيًا وقت الاستغناء عن خدماته. فإذا ما رغب الإنسان في عون الآلهة فليس بدٌ من تقديم الولاء المستحق لهم، ثم بعد ذلك ينال الثواب الأوفى[3]. ومن ذلك ما يقال أنّ «أفجينيا» قد قدَّمها أبوها «أغاممنون» قربانًا إلى الإلهة «أرتميس» كي تمنحه رياحًا مواتية تمكّن أسطوله من الإبحار إلى طروادة. وتضرع الكاهن «خريسيس» إلى الإله «أبوللون» لينتقم ممن خطفوا ابنته من الآخيين[4]. كما أنّ اليوناني القديم كان إذا أخفق في ايفاء الآلهة حقّها من التقدير والتكريم فكان عليه أن ينتظر أن تختلّ أموره وتنحرف عن سواء السبيل[5].

وهو الأمر الذي يؤكّد أنَّ اليوناني البدائي لم يعبد مظاهر الطبيعة بوصفها شيئًا جامدًا، بل حوَّلها إلى قوى مشخّصة تُعبد، فصارت كائنات حيّة مشخّصة. وقد لعب الخيال بهذه القوى الإلهيّة المشخّصة فجرّدها من قداستها الإلهيَّة، وأضفى عليها الصفات الإنسانيَّة المتغيّرة فصورها كائنات منحازة تنحاز لفريق بشري ضد فريق آخر، بل وتنقسم قسمين ينحاز كلّ قسم إلى فريق من الفريقين المتصارعين المتحاربين، ويُستعان بقوّتها الخارقة ضدّ قوى

[1]- انظر: عصمت نصار، الفكر الديني عند اليونان، م.س، ص80.

[2]- انظر: م.س، ص88.

[3]- انظر: س. م. بورا، التجربة اليونانية، م.س، ص84.

[4]- انظر: م.ن، ص82.

[5]- انظر: س. م. بورا، التجربة اليونانية، م.س، ص85.

الآلهة المعادية حتى يحدث توازن في ميدان القوى، ورغم ذلك ينهزم فريق أمام الآخر رغم مساندة الآلهة له، الأمر الذي ينأى بهذه الآلهة بعيدًا عن الصفات الإلهية التي تليق بمقام الألوهيّة الرفيع، ويصوّرها صاحب «الإلياذة»- أيضًا- كائنات تنحاز حسب الهوى والمزاج، تنتصر وتنهزم، تتصارع وتتحارب، بل ويجرح بعضها الآخر ويصيبه إصابات بالغة. لتبقي في نهاية الأمر تصرفات لا تفسير لها، وعلى الناس أن يقبلوها ببساطة كأمر متوقع من كائنات تتبع أهواءها ورغباتها وعواطفها بلا أدنى عوائق.

وهكذا تسقط عقلانيَّة هذا الدين بالكليّة مع هذا الاستخدام النفعي المادي المباشر؛ حيث لا تتّسق هذه النّفعيّة المؤقّتة المرهونة بمصالح دنيويّة خالصة مع حقيقة القداسة الإلهيّة التي يتطلّبها مقام الألوهيّة. ما يعكس خفّة العقل اليوناني القديم وطيشه، الذي زعم أنَّه صاحب المعجزة اليونانية التي علَّمت العالم أجمع، مما يوحي بتهافت هذا الزعم. كما يعكس أمرًا آخر شديد الأهميّة، وهو المادية المتأصّلة في التفكير اليوناني في تلك الحقبة المبكرة، والتي عجزت عن تصوّر الإله المتعالي الذي لا تدركه العقول والأبصار، خالق هذا الكون وصانعه من العدم، إله النّاس أجمعين وربّهم الواحد الأحد الذي لا شريك له ولا ند ولا ولد، القديم الذي لا بداية لوجوده، الباقي الذي لا نهاية لوجوده.

وبناءً عليه، يتعارض هذا التّصوّر اليوناني للآلهة عمومًا مع التّصوّر الإسلامي الذي يرفض التعدّد قلبًا وقالبًا، قال تعالى: ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ (الأنبياء:22). كما يتعارض مع تلك التشبيهات التي جعلها اليونان لآلهتهم، فالله سبحانه وتعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ (الشورى:11). أي أنَّ الله سبحانه وتعالى في عظمته وكبريائه وملكوته وفي أسمائه الحسنى وصفاته العلى لا يشبه شيئًا من مخلوقاته ولا يُشبّه به، وإنّما جاء مما أطلقه الشّرع على الخالق والمخلوق، فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي؛ إذ صفات القديم – عز وجل- بخلاف صفات المخلوق.

خامسًا: الأفعال المشينة للآلهة في الإلياذة

لم تكتفِ «الإلياذة» بأن صوَّرت الآلهة في صور بشريَّة، بل نسبت إليها كلّ ما يجلب العار على البشر، مثل: السرقة والفحشاء والخداع[1]؛ ففيهم الجشع، وفيهم الطمع، وفيهم الكذب، ومنهم الحقود والكنود، ومنهم الباغي والباغية، والطاغي والطاغية، والزاني والبغية[2]. وقد يستبد بهذه الآلهة الغضب الجنوني أو تنهش قلوبهم الغيرة العمياء. بل كانوا لا يتورّعون أحيانًا عن النّفاق والمداهنة والكذب والمخاتلة[3]. ويسود الوئام بينهم أحيانًا وأحيانًا الشّقاق والخصام.

ومن هذا الوصف الكلي العام لأبرز الأفعال الشائنة للآلهة نرصد فيما يلي أفعال كلّ إله على حدة، وخاصة تلك الأفعال التي تعبّر عن كثير من النقائص والمخازي، كما وردت في «الألياذة»، والتي لا يليق بمن كان لديه القليل من الفطنة أنّ يتخيّلها في إله يعبده، مما يساهم بشكل قويّ في الجانب النّقدي لهذه الديانة، فتبدو ديانة خرافيّة يرفضها حتى عقل الأطفال لا العقل اليوناني الذي يدّعي بأنَّه صاحب المعجزة اليونانيّة. كما يتّضح -أيضًا- بشكل جلي تهافت الوصف الهيغلي لهذه الديانة بأنّها دين الجمال في محاضرات 1842م و1827م، ودين الحرية والجمال في محاضرات 1831م، وإنّ هيغل لم يكن موضوعيًّا في وصفه ذلك، وإنّما كان منحازاً لاعتقاده الشخصي بأنّ الحضارة الغربيّة هي وريثة الحضارة الإنسانية[4]. وتبرير ذلك ما تنسبه «الإلياذة» من أفعال مشينة إلى الآلهة وهو ما سنقف عليه فيما يلي:

1. كبير الآلهة والعلاقات الغرامية

«زيوس»: وهو كبير الآلهة الذي صُوِّر على هيئة رجل مستند على يده اليمنى بيده اليسرى صولجان وهو رمز السلطان، ويكلّل رأسه تاجٌ من الزيتون أو من البلوط. وتنسب له الآلهة

[1]- انظر: مصطفى غلوش، الأسطورة في الفلسفة الإغريقية، لا ط، الزقازيق، دار الأرقم للنشر والتوزيع، د. ت، ص25.

[2]- انظر: سليمان البستاني: معجم الإلياذة، ملحق بالجزء الثاني من تعريبه للإلياذة، لا ط، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2015، ص1166.

[3]- انظر: هوميروس، الإلياذة، م.س، ص235.

[4]- انظر: غيضان السيد علي، التوظيف الأيديولوجي للأديان عند هيجل من تطور الأديان إلى الدين المطلق(مقاربة نقدية)، بحث محكم منشور على موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود بتاريخ 20 يونيو 2019، على الرابط الإلكتروني التالي: https://www.mominoun.com/articles/التوظيف-الإيديولوجي-للدين-عند-هيجل-من-تطور-الأديان-إلى-الدين-المطلق-مقاربة66- 57.

العديد من العلاقات الغراميّة وعشرات العشيقات، وكثيرٌ من العلاقات النسائيّة غير المشروعة وارتكاب أفعالاً مخزية؛ حيث إنَّه قد عاشر «ميتس» إلهة الكيل والعقل والحكمة، وارتاب منها وظنَّ أن أبناءها سوف ينزلونه عن عرشه ـ كما فعل هو بأبيه ـ فابتلعها واكتسب صفاتها وأصبح هو إله الحكمة. كما تنسب له الأساطير اليونانيّة أنَّه ضاجع «ليتو» المنحدرة من صلب الجبابرة، وأنجب منها «أبوللون» و«أرتميس». وعاشر «ثيميس» فولدت له الساعات الاثنتا عشرة فأصبح إله الزمان. وواقع «يورنيوم» فولدت له إلهات اللّطف الثلاث. كما عاشر اخته «ديمتير» وأنجب منها «برسيفوني». كما ألصقت به الأساطير زيجات عدة منها زواجه من ربة العرف الراسخ أو القانون الطبيعي التي أنجب منها ربات القدر وربات الفصول الأربعة، وزواجه من «نموسيني» ربة الذاكرة التي أنجب منها ربات الفنون التسع[1].

في حين لم تنسب له الإلياذة أيّ زوجة شرعيّة إلا من اخته «هيرا» التي كانت تكبره في السن، وهي أكثر منه وقارًا وشدّة، والتي كثيراً ما كانت تعنّفه على سوء تصرّفاته ولا سيما مع عشيقاته، ولذلك كان «زيوس» يضجر منها وينصرف إلى نزواته وملذّاته التي لم تقتصر على «إلهات» السماء! بل تعدّت ذلك إلى الإنسيات فضاجع «نيوبي» وهي أولى محظياته من الآدميين، وكانت «ألكمينا» آخرهن، وقد أنجب منها «هرقل» و«مينوس» و«ردمانثوس» و«اياكوس» وغيرهم. بل إنَّ مخازي «زيوس» وأفعاله الشائنة تعدّت كلّ الخطوط الحمراء التي لا تليق حتى بتصرفات الطالحين والمجرمين من بني البشر، فتنسب إليه الأساطير أنَّه اختطف الشاب الوسيم المدعو «جنيميد» ووطئه وجعله ساقية فوق جبل الأولمب[2]. فأي إله ذلك الغارق في ملذاته؟! الذي تتعدّد نزواته فيعاشر الكثيرات من الآلهة والإنسيات من البشر؟! بل ويختطف الشباب ويمارس الشذوذ! بل يتخفّى في شكل ثور من أجل إغراء «يوروبي». وأيُّ صورة تلك التي كان يتخيّلها هذا المجتمع للآلهة؟! إنّها صورة شائنة مخزية لا ترقى حتى للبشر البدائيين، خاصّة إذا ما قارناها بما سبقها من تصوّرات الحضارة الفرعونيّة لكبير الآلهة في الشرق؛ إذ تصوّر المصريون الإله «آمون» بأنّه الخالق القوي، واهب الحياة لكلّ الموجودات التي تسبّح بحمده، ومانح القدرة لسائر الآلهة المعبودة التي تتضاءل أمام

[1]- انظر: عصمت نصار، الفكر الديني عند اليونان، م.س، ص65.

[2]- انظر: عصمت نصار، الفكر الديني عند اليونان، م.س، ص24.

جلاله وبهائه وعظمته، وهو القدرة الخفيّة المحاطة بالأسرار، وهو الإله الذي لم يسبقه للوجود شيء والمتجلي في صورة «رع» والمتجسد في صورة «بتاح». فكم هو الفارق بين صورة الإله أو كبير الآلهة في بواكير الحضارة المصرية القديمة، وبواكير الحضارة اليونانية التي ادّعت أنّها قدمت تطوّرًا في الفكر بكلّ أطيافه وصل إلى حد الإعجاز!

2. الإلهة الغيورة

«هيرا»: زوجة زيوس والتي تلعب دورًا كبيراً في أحداث «الإلياذة»؛ إذ تنحاز إلى الإغريق ضد أهل طروادة، وتصوّرها «الإلياذة» ومعظم الأساطير اليونانية بأنّها امرأة غيور لا هَمَّ لها إلا مطاردة زوجها الخائن وعشيقاته، وإثارة غضبه بألفاظها الجارحة[1]. وهو الأمر الذي جعل «زيوس» يغضب منها ويصبّ عليها جام غضبه في كثير من الأوقات، فكان يلكمها تارة، ويقيّدها بالسلاسل ويعلقها في السحب موثوقة القدمين تارة أخرى. الأمر الذي دفعها للكيد والانتقام من عشيقات «زيوس» وأبنائهن. وقد أنجبت من «زيوس» كل من « آريس» و«ايليثويا» و«ايليثيا». ومن فرط غضبها على «زيوس» ابتهلت لـ«جايا» و«أورانوس» ليهباها ابنًا أقوى من زيوس، فأنجبت تنينًا رهيبًا يُدعى «تيفاون» الذي كان وبالاً على البشر، وحملته إلى «دلفي» ووضعته لترعاه الأفعى الرهيبة «بيثون» التي صرعها «أبوللون» بسهمه الذي لا يطيش. وروت الأساطير أنَّ «هيرا» أنجبت «هيفاست»(إله النار) دون معاونة «زيوس»، بيد أنها كانت تنكره وتبغضه لعرجه ودمامته، فكاد لها ووضعها في شرك حديدي ورفعها إلى السماء، ثم فكها من أغلالها مرغمًا بعد إلحاح آلهة الأوليمب وحيلة «ديونسيوس» إله الخمر[2].

3. الإله الشاعر والمغرم دائمًا

«أبوللون»: وهو رب الشعر والموسيقى، نَسَبَهُ «هوميروس» إلى العائلة الأوليمبية فجعله ابنًا لـ«زيوس» من «ليتو» التيتانية إحدى إلهات الجنس القديم، وتوأمًا لـ«أرتميس»(ربة الصيد) وهو المنحاز إلى الطرواديين. وتنسب له الأساطير عشرات القصص الغراميّة التي انتهت جميعها نهاية مأساويّة، منها: عشقه لـ«دافني» ربة الغار التي هربت منه، واستنجدت بأبيها إله النهر «بينوس» فسحرها شجرة غار، وأضحت بالنسبة لـ«أبوللون» مجرّد ذكرى.

[1]- انظر: هوميروس: الإلياذة، ترجمة: أحمد عتمان وآخرون، لا ط، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2008، ف 250، ص139.

[2]- انظر: عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني- العصر الهللادي (1)، م.س، ص231.

ومن معشوقاته «كاسندرا» ابنة «برياموس» ملك طروادة التي أغرت «أبوللون» بجمالها، فوهبها القدرة على التّنبّؤ، ولما أراد مواقعتها تمنّعت، فجعل النّاس يُكذّبون نبوءاتها رغم صدقها ثم صارت من المجاذيب. بل إنَّه عشق شابًا صغيرًا اسمه «هياكنثوس»، ولكنّه صرعه بيده من غير قصد أثناء تعليمه رمي القرص فحزن عليه حزنًا شديدًا وسعى جاهدًا لتأليهه[1]. فأيّ إله هذا الذي يقوم بكلّ هذه الأفعال الشائنة والمخزية؟ وأيّ تصوّر لمعبود بهذه الأفعال لدى قوم يعقلون؟!

4. الإله الغاضب الشرير

«**هاديس**»: إله العالم السفلي المظلم؛ حيث كانت تذهب أرواح الموتى وفقًا لتصوّر الإغريق، وهو أبغض الآلهة وأثقلهم ظلاً ولا سيما على البشر، ولذلك لم يقيموا له معبدًا على الأرض، فهو غاضب دائمًا لا تنفع الزلفى إليه، ولا رجاء في استرضائه ولا سبيل إلى ذلك[2]. وتنسب له الأساطير الكثير من الأفعال الشائنة، ومنها أنّه اختطف «برسيفوني» واغتصبها. ونجد رأس «هاديس» مرسومة على إناء فخاري وهي مدارة إلى الخلف؛ لأنَّها رأس من لا ينبغي لأحد أن يمعن فيه النّظر؛ رأس الإله الرهيب الذي يوري الأحياء ويحجبهم عن الأشياء[3]. وهنا يمكننا أن نتساءل ما الذي يحمل البشر على عبادة هذا الإله غير المحبّب إليهم؟ فمن العسير بالفعل أن نفهم كيف أقبل قدماء اليونانيين على عبادة مثل هذه الألهة.

5.عاشق عرائس البحر

«**بوسيدون**»: وهو إله البحار والمياه العذبة، وزوج «إمفيتريتي» سيدة البحر التي اغتصبها عنوة بعد أن حملها الحوت إلى فراشه، فكافأه «بوسيدون» على ذلك؛ إذ رفعه إلى السماء ليحتلّ مكانة بين الكواكب فأصبح برج الحوت. وقد كان لـ«بوسيدون» هذا عشرات العشيقات من عرائس البحر والجنيات وحوريات الينابيع وأنجب منهم أبطالاً ووحوشًا أشهرهم «الكليكوبس»(بوليفيموس)، ومن أشهر أولاده «تريتون» الإله الرهيب الذي صُوّر على هيئة إنسان نصفه السفلي على شكل سمكة أو حوت، والربة «رودس»، ومن أبنائه

---

[1]- انظر: عصمت نصار، الفكر الديني عند اليونان، م.س، ص72-73.

[2]- انظر: هوميروس، الإلياذة، تحقيق سليمان البستاني، م.س، ص560.

[3]- انظر: عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني- العصر الهلادي (1)، م.س، ص233.

الحصان «أريون» وقد أنجبه من معاشرته لـ»ديميتر» [1]. فأيّ إله هذا الذي يغتصب وينجب وحوشًا ترهب البشر؟! أين هم من فكرة الإله الذي هو خير محض؟!

6. إلهة تعاشر كل من يقع في طريقها

«**ديميتر**»: وهي ابنة «كرونوس» و«ريا» وشقيقة «زيوس» وأم «برسيفوني» زوجة «هاديس» وملكة عالم الموتى. وتروي الأساطير أنَّها عاشرت «ياسيوس» شقيق «دردانوس» الجد الأكبر للطرواديين، وروي أنّها عاشرت شقيقها «زيوس» وأنجبت منه «بلوتوس» إله الثراء، وروي أنّها تزوّجت «بوسيدون»[2] أو عاشرته أثناء مرورها بـ «أركاديا» بحثًا عن ابنتها التي خطفها «هاديس». فأيّ عقل هذا الذي يعطي قداسة إلهيّة لمثل تلك الربة التي تعاشر من تشاء، حتى لو كان شقيقها، ثم تنجب منه إله؟! فأيّ عبث هذا؟ إنَّه العقل الطائش الذي يردّد مثل هذا الهراء، وهو استهزاء بفكرة القداسة بأكملها.

7. الإله الأعرج

«**هيفاست**»: وهو ابن «هيرا» أنجبته بمفردها؟! ولد دميمًا فألقت به أمّه بعيدًا، غير أنّه عاد ثانية وتعرّف على أمّه، وأخذ يدافع عنها ضدّ زوجها كبير الآلهة «زيوس» الذي لم يجد مفرًّا من أن يلقي به من فوق قمة جبل الأوليمب ليقع على الأرض فيصير أعرجًا (والإله الأعرج هي فكرة لم يشابههم فيها أحد من قبل ولا من بعد). وقد تزوّج من أفروديتي رغمًا عنها، واكتشف ذات يوم خداعها وخيانتها له مع شقيقه أريس (إله الحرب) فصنع لهما شركًا ليفضحهما[3].

8. الإلهة اللّعوب والمتعطّشة للدم

«**أفروديتي**»: وهي ربّة العشق والإغراء والفتنة، ومن ألقابها «ريا» نسبة إلى عشيقها «آريس»و«ستراتيا» أي المحاربة. وقد عرفت بين آلهة الأوليمب بتعطّشها للدماء، وسرورها بتهافت الرجال عليها بعد اغرائها لهم، ثم تمنّعها لتستمتع بآلامهم من فرط الشوق إليها، وهي إلهة لعوب من العسير إحصاء عشاقها. فقد تزوّجت «هيفاست» رغمًا عنها أمام

[1]- انظر: عصمت نصار، الفكر الديني عند اليونان، م.س، ص68.

[2]- انظر: م.ن، ص69؛ انظر: عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني- العصر الهللادي (1)، م.س، ص239.

[3]- انظر: عصمت نصار، الفكر الديني عند اليونان، م.س، ص70-71.

إلحاح آلهة الأوليمب استجابة لشروط «هيفاست»؛ ومن ثم اتّخذت ذلك مبرّرًا لخيانته مع كثيرين، مثل: «آريس» الذي بادلته عشقًا بعشق وضاجعته في فراش زوجها، وأنجبت منه «إيروس» إله الرغبة والعشق. كما عاشرت «هرمس» رسول الآلهة الذي أنجبت منه «هرما فروديتيوس»، وهو كائن يجمع بين صفتي الذكورة والأنوثة. كذلك افترشت لـ«نيريتيس» ابن «نيريوس» إله البحر القديم ثم مسخته صَدَفة لرفضه الصعود معها إلى الأوليمب. وعاشرت كلّ من «أدونيس» الذي صرعه خنزير بريّ، وكذلك ضاجعت «بانخسيس» وهو أوّل من ضاجعت من البشر، وقد دفعها للافتراش له قوّته وجماله، فبدت له في صورة أميرة فيريجية، ثم صرّحت له بحقيقتها وحذّرته من البوح بما حدث بينهما، فلما نقض العهد فقعت عينيه، وقيل إنّ «زيوس» رماه بصاعقة أصابته بالعرج، وقد أنجبت منه «آنياس» جَد الرومان ومؤسّس دولتهم[1]. وهنا تتجلىّ أسوأ صورة لإلهة ليس لها هم إلا ممارسة الفسق والمجون لتنهار معها فكرة القداسة تمامًا.

9. رفيق الشر

«**آريس**»: وهو إله الحرب وابن «زيوس» و«هيرا»، ورفيق كل من «إيريس» ربة الشقاق، و«إنيو» ربّة الحرب والخراب، و«دايموس» إله الخوف، و«فوبوس» إله الفزع و«كوديموس» إله الضجيج. ويبدو أنّه رفيق كلّ ما هو شر؛ لذلك وصفته الأساطير بأنّه إله مكروه من سائر الآلهة والبشر، ومغضوب عليه من والديه لقسوة قلبه، جبان ضعيف يتوجّع ألماً من جراحه، ظالماً خائنًا لقومه وعشيرته[2].

10. الإله المتناقض

«**هرمس**»: رسول الآلهة ورب المنطق والفصاحة، انحاز إلى الإغريق في أحداث «الإلياذة»، وقتل «أرغوص» أحد أبطال الطرواديين. وهو كما تصوّره الإلياذة يجمع بين المتناقضات، فهو أحيانًا لطيف وخيرّ، وأحيانًا ماكر وخبيث، يجمع بين الخبث والكذب والخداع مع الإخلاص والمروءة. ومن مهامه النّظر في خدع الحرب[3]. وأرى أنّ أوصاف مثل

---

[1]- انظر: عصمت نصار، الفكر الديني عند اليونان، م.س، ص75-76.

[2]- م.ن، ص76.

[3]- انظر: هوميروس، الإلياذة، تحقيق: سليمان البستاني، م.س، ج2، ص961، ص 1113.

الكذب بالذات لا تجوز ولا تتّفق مع صفات رسول الآلهة، فكيف-إذن- يتم الوثوق برسول صفاته الكذب والخداع؟! إنّها من جملة الصفات التي ارتضاها العقل اليوناني للآلهة والتي لا تتّفق مع العقل حتى في طور سذاجته الأولى.

11. إله مسلوق

«**ديونيسيوس**»: وهو إله الخمر، ذاع صيته في الكتابات الهومريّة المتأخّرة بوصفه ربًا لقوّة الطبيعة والوجد والنشوة الدينيّة والنبيذ وثماره، وتنسبه الأساطير ابنًا لـ«زيوس» من «برسيفوني» ابنة «ديميتر»، وتعدّدت الروايات حول مدى كراهية «هيرا» له بسبب حب «زيوس» له، فكادت «هيرا» له، وأغرت الجبابرة بقتله، فلمّا علم «زيوس» بمكيدتها مسخه في صورة ماعز ثم ثور ليخفيه عن الأنظار، بيد أنَّ الجبابرة تعرّفوا عليه وأمسكوا به وقطّعوه إربًا ثم سلقوه في قدر. غير أنّ «أثينا» تمكّنت من انتشال قلبه قبل سلقه وحملته إلى «زيوس» فأعطاه إلى «سيميلي» وحملت به ثانية، وسمي بعد مولده «ديونيسيوس». وكان له عشرات العشيقات، غير أنّه لم يهوى إلا «أرادياني» التي تزوّجها وقدّم لها هدية العرس تاجًا به سبعة نجوم[1].

وهكذا نسبت «الإلياذة» شأن غيرها من الأساطير إلى آلهة اليونان سمات وصفات يخجل منها البشر العاديين، ما بالك بالآلهة وما يجب أن تتصف به من صفات السمّو والغنى والرفعة، وفي تصوري أنّ صفات آلهة اليونان لم تكن سوى تصوّرات تعكس بعض القيم والعادات الاجتماعية السائدة في المجتمع اليوناني في مراحله المبكرة، والتي كانت ترفع السادة والنبلاء من البشر فوق باقي طبقات المجتمع اليوناني، وترى أنّ من حقّهم كطبقة نبيلة متعالية أن تفعل ببقيّة الطبقات ما تراه من أفاعيل حتى لو كانت مشينة. إنّ الإله اليوناني كما جاءت صورته في «الإلياذة» ما هو إلا السيد اليوناني الذي يرتكب كافة الأفعال المشينة والمخزية ومع ذلك يريد أن تظلّ صورته مقدّسة لا مساس بها ولا غبار عليها.

ويُمكننا أن نستشفّ ذلك من قول برتراند رسل: «إنَّ الآلهة في الأمم كلّها تزعم أنّها خلقت العالم؛ أمَّا آلهة الأوليمب فلا يتقدّمون لأنفسهم بمثل هذه الدعوى، وغاية جهدهم أن

[1]- انظر: عصمت نصار، الفكر الديني عند اليونان، مرجع سبق ذكره، ص 78.

يفتحوا العالم غزوًا... فلماذا يؤدّون أي عملٍ شريف؟ إنَّهم وجدوا أنّهم أيسر لهم أن يعيشوا على الضرائب التي يفرضونها، وهم يصعقون بالصواعق من لا يدفع لهم ما يستحقون؛ إنّهم رؤس غزاة، وقراصنة تجري فيهم دماء الملوك؛ وهم يقاتلون ويأكلون ويلعبون ويعزفون الموسيقي؛ إنّهم يسرفون بالشراب ويقهقهون بالضحكات سخرية بالحدّاد الأعرج الذي يقوم بخدمتهم؛ إنَّهم لا يخشون شيئًا إلا مَلِكَهم، وهم لا يكذبون أبدًا إلا فيما يمس الحب والحرب»[1]. وهذا الوصف يؤكّد اعتقادنا ويقويه في أنّ نسبة هذه الأخلاق المشينة إلى الإلهة ما هي إلا تبريرًا لسلوك النبلاء المشين الذي اتّخذ من السيادة للأقوى دستورًا له.

خاتمة

نخلص مما تقدّم إلى مجموعة من النتائج المهمّة التي أسفرت عنها هذه الدراسة حول موضوع «الشرك وتعدّد الآلهة في منظومة الإلياذة»، لعلّ أهمها:

أوّلًا: إنّنا في الدّيانة اليونانيّة أمام ملّة مشوّشة تفتقد إلى تصوّر محدّد وواضح للإله يتناسب مع مقام الإلوهيّة الجليل. بل كان اليونانيون يطلقون صفة الألوهيّة على البشر أو على أيّ قوى غيبيّة يتخيّلونها يمكن تسخيرها لخدمتهم. كذلك لم يكن لهذه الديانة تنظيم يماثل ما نجده في الأديان السائدة في العالم الحديث؛ فليس لها نبي متفوّق ولا مشرّع يفسّر طبيعة ما تريده الآلهة من البشر. كما افتقدت الديانة اليونانية إلى أي كتب مقدّسة ذات نصّ يحدّد في تعاليمه مبادئ الأخلاق، ولا تنظيم رئيسي لهيكل كهنوتي هيراركي، ولا تفسير للظواهر الكونية. ولا تعاليم دينيّة مستقيمة يمكن اتباعها لعيش حياة متفانية ورعة، ولا نظام متفق عليه ليوم البعث والحساب، ولا نظام محدّد يمكن اللّجوء إليه عند ارتكاب الخطايا للتوبة والتكفير عن الذنوب والخطايا.

ثانيًا: إنَّ الديانة اليونانيّة هي ديانة وثنيّة تؤمن بتعدّد الآلهة الذي تخصّص كلّ واحد منهم في مجال معينّ مما يعكس نزعة نفعيّة ماديّة لا تليق بمقام الألوهيّة الرفيع؛ حيث يبقى الإله إلهًا حين الاحتياج إليه، ويدير اليوناني ظهره لهذا الإله في حالة الاستغناء عن خدماته. كما

[1]- برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ك1، الفلسفة القديمة، م.س، ص42.

عكست صراعًا غير مقبول بين الآلهة والبشر فلم يتورّع أبطال الإلياذة عن مواجهة الآلهة وتوجيه الأسلحة والقذائف إليهم، كما فعل «ديوميدس»، أو كما تطاول «مينيلاوس» على «زيوس» قائلاً بأنّه «لم يجد أسوأ منه إلهًا».

ثالثًا: إنَّ الفكر اليوناني بدأ أسطوريًّا بدرجة لافتة للنّظر؛ إذ انبهر اليونانيون بـ»الإلياذة» انبهارًا عظيمًا؛ ولم تصدم فيهم عقلاً ولا منطقًا؛ بل إنّهم كثيرًا ما عادوا إليها ليفسّروا ما غمض منها عليهم من أمور الآلهة أو الأمور الدّينيّة بصفة عامة. فكانت بمثابة مرجعيّة كبرى يعودون إليها كلّما استشكل عليهم أمرًا أو احتاجوا شيئًا يختصّ بعلاقاتهم مع الآلهة. الأمر الذي يعكس ضحالة هذا العقل اليوناني ويضع]المعجزة اليونانية[في مأزق كبير؛ فهيهات هيهات لمثل هذا العقل التي تكون هذه طبيعة بدايته أن يبدع إبداعًا على غير مثالٍ أو تأثيرات سابقة.

رابعًا: بُني الدين اليوناني على أساطير عقائديّة فاسدة، فقد كان من المتوقّع أن يتوصّل العقل اليوناني الذي أبدع]المعجزة اليونانية[-حسب زعم الغربيين- إلى أنّ التعدّديّة الإلهيّة ليست أكثر من وهم خرافي زائف، وأن يتوصّل مباشرة إلى وحدة في الألوهية انطلاقًا من وحدة العلّة وهي فكرة فلسفيّة في الأساس الأوّل. حتى إنّنا نجد أنّ أفكار «الإلياذة» الأسطوريّة قد وجدت لها مكانًا في الفلسفة اليونانيّة في عصرها الذهبي، ومن ذلك فكرة «القدر» وفكرة «الضرورة» اللتان تتحكّمان في كلّ شيء، وفي الآلهة نفسها، وقد تسرّبت الفكرتان إلى فلاسفة اليونان، وأخذوا بهما في تفسير الموجودات الطبيعية والأعمال الإنسانية. ولم يعتمدوا التفسير الطبيعي الذي يرد الكائنات إلى صورة ثابتة لا تتغيّر، كالبذرة التي تنمو فتصبح شجرة هي بعينها إلا تطبيقًا لفكرة الضرورة التي تخضع لها حياة الآلهة والبشر جميعًا في «الإلياذة».

خامسًا: أنزلت «الإلياذة» الآلهة من السماوات إلى الأرض؛ لكي يشاركوا الناس حياتهم اليوميّة، ليقعوا في الأخطاء نفسها التي يقع فيها البشر، وينزلقوا المزالق نفسها التي ينزلق فيها الأشرار من بني البشر، وتستهويهم الشهوات نفسها. ولا يكاد القارئ يشعر بأيّة فروق بين الآلهة وبين البشر رغم تمتّع الآلهة بالخلود فلا يدركهم الموت أو الشيخوخة، فضلاً عن

بعض القوى الخارقة التي يتمتّعون بها إلّا أنّ أخلاقهم وسلوكياتهم لا تختلف عن سلوكيات البشر الطيبين والأشرار معًا. كما أنّهم ليسوا عالمين بكلّ شيء؛ حيث إنَّهم كثيراً ما نجدهم يجهلون كثيراً من الأنباء الواردة من ميادين القتال بين الطرواديين واليونانيين. هذا فضلاً عن ارتكابهم الفواحش بأنواعها من زنا، وزنا محارم، واغتصاب، ولواط. بل إنَّهم كانوا لا يتورّعون في قتل أيّ إنسان تبعًا لعاطفة الحب والكره والغيرة والانتقام. كذلك لا سبب واضح يبرّر انحياز كلّ إله ـ رغم كثرة المحاولات لتفسير ذلك ـ إلى فريق من الفريقين المتصارعين سوى اتّباع الأهواء والأغراض والميول الشخصيّة المبرّأة من كل هدفٍ نبيل. وكلّ ذلك يبرهن على تهافت الوصف الهيغلي للدين اليوناني بأنّه دين الجمال في محاضرات 1842م ومحاضرات 1827م، ودين الحرية والجمال في محاضرات 1831م، خاصّة وأنّه يبدو دينًا محدود الأفق ضيّق المجال، يجعل قوّة القدر الأعمى والضرورة اللا معقولة تتحكّم في كلّ الأشياء بما فيها الآلهة؛ فالألهة في هذا الدين كائنات محدودة لها غايات محدودة ترتكب من الفواحش والخطايا ما ينأى عنه الكرام من البشر.

المصادر والمراجع

1. أحمد عتمان، الأدب الإغريقي تراثًا إنسانيًا وعالميًا، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، د.ت.
2. عبداللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني- العصر الهللادي، بيروت، دار النهضة العربية، 1976.
3. برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الأول (الفلسفة القديمة)، ترجمة زكي نجيب محمود، مراجعة أحمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2012.
4. جورج سارتون، تاريخ العلم- العلم القديم في العصر الذهبي لليونان، الجزء الأول، ترجمة محمد خلف الله وآخرون، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2013.
5. سليمان البستاني، الإلياذة، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2015.
6. عصمت نصار، الفكر الديني عند اليونان، تقديم مصطفى النشار، القاهرة، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2005.
7. محمد عثمان الخشت، تطور الأديان- قصة البحث عن الإله، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى، 2010.
8. محمد كمال جعفر، الإنسان والأديان – دراسة مقارنة، قطر الدوحة، دار الثقافة، الطبعة الأولى، 1985.
9. مصطفى غلوش، الأسطورة في الفلسفة الإغريقية، الزقازيق، دار الأرقم للنشر والتوزيع، د. ت.
10. هوميروس، الإلياذة، ترجمة أحمد عتمان وآخرون، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2008، ف 250.
11. هوميروس، الإلياذة، تعريب ونظم سليمان البستاني، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2015.
12. س. م. بورا، التجربة اليونانية، ترجمة أحمد سلامة محمد السيد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989.
13. غيضان السيد علي، التوظيف الأيديولوجي للأديان عند هيجل من تطور الأديان إلى الدين المطلق(مقاربة نقدية)، بحث محكم منشور على موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود بتاريخ 20 يونيو 2019، على الرابط الإلكتروني التالي: https://www.mominoun.com/articles/التوظيف-الإيديولوجي-للدين-عند-هيجل-من-تطور-الأديان-إلى-الدين-المطلق-مقاربة- 6657.

الأساطير والآداب الإغريقيّة
بين الأصول الشرقيّة والمحليّة

نوال طبيب[1]

مقدمة

تركت الحضارات الشرقيّة والإغريقيّة القديمة تراثًا ضخمًا من المعارف المتنوّعة المجالات. ولفهم مضامينها علينا أوّلًا أن ندرس الأسطورة التي تشكّل إحدى ركائز الثّقافة التاريخيّة القديمة، فلا يمكن أن نجد عملًا أدبيًّا أو علميًّا أو فنيًّا يخلو منها، بل أكثر من ذلك، فإنّها كانت المادّة الأوّليّة التي اعتمد عليها مؤرّخو العصور القديمة كهيرودوت في الكتابة التاريخيّة. ومن الأسطورة استمدّت الملاحم القديمة مكوّناتها؛ لتصبح بالتالي إحدى أهمّ مصادر دراسة مظاهر التطوّر الفكري للشعوب القديمة، ليس في الحضارة الإغريقيّة فحسب، بل في كلّ حضارات العالم القديم التي -من المؤكّد- تفاعلت في ما بينها، وأثّرت في بعضها البعض.

وانطلاقًا من هنا يتّضح أنّ البحث في خصوصيّة هذه العلاقة المشتركة بين تراث الشعوب القديمة الأسطوري والأدبي يعدّ من المواضيع الهامّة، بل أكثر من ذلك فإنّه يفتح أفاقًا جديدةً؛ لفهم باقي مجالات التفاعل الفكريّة منها والحضاريّة. فإلى أيّ مدى تأثّرت الأساطير والملاحم الإغريقيّة القديمة بتراث حضارات الشرق القديم الأسطوري والأدبي، خاصّة وأنّ هذه الأخيرة تميّزت عن الأولى بالأسبقيّة الزمنيّة؟

أوّلًا: الأساطير

يُجمع المؤرّخون والباحثون في مجال الدراسات التاريخيّة على أنّ الأسطورة الإغريقيّة القديمة تمثّل خلاصة تلاقي الثقافة الأسطوريّة الشرقيّة (المصريّة والبابليّة والفينيقيّة)

---

[1]- أستاذة التاريخ القديم، جامعة البويرة ـ الجزائر.

والإغريقيّة خاصّة، بدليل أنّ العديد من أسماء الآلهة الإغريقيّة مأخوذة من التّراث المصري والفينيقي[1].

وما اختطاف أوروبا الفينيقيّة من طرف الإله زيوس الإغريقي إلّا أفضل تجسيد أسطوريٍّ للقاء إغريقي- شرقي، كانت جزيرة كريت مسرحًا له. فيمكن القول إنّ الأساطير البابليّة والإغريقيّة تكاد تتطابق في موضوعاتها، خاصّة عند النّظر إلى الشخصيّات البطوليّة، فشخصيّة الإله **زيوس** تكاد تتطابق وشخصيّة الإله مردوخ البابلي؛ لأنّ زيوس حسب الأسطورة الإغريقيّة واجه العديد من الصعاب وقتل جميع الذين اعترضوا طريقه؛ ليجلس في النهاية على قمّة جبل أولمب. أمّا في الأسطورة البابليّة فإنّ الإله مردوخ جابه كلّ الفوضى التي أحاطت من حوله وأعاد الأمور إلى نصابها؛ ليجلس في النهاية على العرش وينظّم شؤون الكون.

ومن الصعب الفصل بين الأسطورة والملحمة القديمة رغم محاولة الدّارسين القيام بذلك؛ لأنّ عمليّة الفصل والتميز لا يكون لها وجود في ذاكرة المبدع الذي كتب نصّ الملحمة، ورغم كون كليهما (الملحمة والأسطورة) ميّزتا بين صفات الإله والبشر، إلّا أنّ الآلهة انفردت بصفة الخلود واشتركت مع البشر في بعض الصفات[2].

وركّز الفكر الدّيني الشرقي على قضيّة التكوين والخلق، ونظرة الإنسان إلى خلق العالم ونفسه، وعلى الدّور الاستثنائي والمميّز للآلهة في عمليّة التكوين. وتفسير ذلك بأنّ الإنسان عجز أن يكون مصدر التكوين، وأنّ الآلهة هي التي تخلق وتمنح الحركة والسكون، والنّظام والديمومة، وبدون الآلهة يستحيل وجود الآلهة والإنسان.

وتعدّ الحضارة السومريّة مرجعيّةً تاريخيّةً وحضاريّةً وفكريّةً فيما يتعلّق بتفسير نظرة الإنسان إلى الحياة والعالم، وكذلك إيجاد الوسائل التي تعامل معها الإنسان في بداياته الأولى، ومهما يكن فدور الإنسان آنذاك، هو ممارسة جملة من النّشاطات التي تصدر عنه

---

[1]- جسّدت الأسطورة موضوعات إنسانيّة ولكنّها ذات طابع عام، كموضوع خلق الكون وترتيبه وتنظيمه ودور الآلهة فيه والصراع بين الخير والشر، وهي في مجملها خارجة عن إطار التأثير البشري.
انظر: Emile Burnouf, l’histoire de la littérature grecque, Paris, 1938, P 110.

[2]- Ibid, P 108.

بوحي من الآلهة، وهذا ما ينطبق أيضًا على الحضارة الإغريقيّة، التي قدّمت أساطيرها كافّة تصوّرات الإنسان، وعلاقته بمجتمعه، حيث اعتبرت أساطير الخلق والتكوين السومريّة والبابلية مصدر إلهام للفكر الديني الإغريقي.

وهذا لا يعني أنّ الدّين والأسطورة هما فقط مصدر التأثير، وإنّما أيضًا مجمل البناء الحضاري الذي كانت الأسطورة أحد أهمّ تعبيراته الفكريّة. ورغم أنّ الأساطير الإغريقيّة أخذت من الشرقيّة، إلّا أنّها أضفت عليها الرّوح الإغريقيّة[1].

1ـ الديانة الإغريقيّة اقتباس خضع للتعديل

لعب الدّين أثرًا واضحًا في حضارة الإنسان منذ القدم؛ ذلك لأنّه كان يعكس مستوى الجماعات البشريّة الفكري، ولقد خضعت الديانة الإغريقيّة لعامل الاقتباس والتعديل؛ لأنّه العنصر الأكثر حساسيّة، والواقع يثبت أنّه كلّما كانت متأخّرة البروز بزمن مقارنة مع المعتقدات الأسبق، رافق التداخل والتعقيد الابتعاد عن الأصول الأولى.

والحديث ينطبق عن الديانة الإغريقيّة التي كانت متأخّرة بزمن مقارنة بديانات الشرق القديم، وهو ما يفرض علينا الخوض في عناصرها، وإيضاح مدى خضوعها للأفكار السابقة لها، كأسماء الآلهة ووظائفها، وعلاقتها ببعضها والمجتمع. وليس من السهل الخوض في هذا الموضوع بسبب تعقيده، خاصّة أمام تعدّد الآلهة وتشابه وظائفها، فقد كانت للأنهار والجبال والأودية والسهول والينابيع آلهةٌ خاصّة، كما كان للرياح وحدها عدد من الآلهة مثل (بورياس، نوتس، بوردس، يسدايوس)[2]. وتميّزت آلهة الإغريق بالتمرّد، (كزيوس وبوسيدون، وأبولو، وأريس، وهيرميس).

وما يهمّنا هنا، أنّه رغم تعدّد تسميات هذه الآلهة، ومواصفاتها ومقارنتها بمثيلاتها في حضارات الشرق القديم، نجد أنّ الشّبه واضح بينها. ومن هنا لا يمكننا القول إنّ آلهة الإغريق

---

[1]- محمد الخطيب، الفكر الإغريقي، ط 1، سوريا، دار علاء الدين، 1999، ص19- 20.

[2] كانت آلهة العراق ومصر موطنها الأرض والسماء، أما في بلاد الإغريق فكانت الأرض موطنها لا السماء، ثم تأتي آلهة السماء كمرحلة ثابتة للآلهة الأرض، والسبب أن محيط الأرض أقرب لمدارك الإنسان، وعليه انتقال الآلهة إلى السماء ما هو إلا مرحلة تبريرية، لما فشلت في تحقيقه قوى وطقوس آلهة الأرض، لأن الإنسان لاحظ وجود قوى أخرى غير أرضية في مصيره، الأمر الذي جعله يدخل الكواكب السيارة في مصيره، مدخل التألية، ذلك لأن عناصر الأرض بقيت ثابتة فرد عناصر أخرى للسماء.
انظر: الشمس، ماجد عبد الله: الحضارة العربية وأثرها في إيران واليونان، ط1، سوريا، منشورات علاء الدين، 2011، ص74.

أصيلة، وليس فيها العنصر الدخيل، ولكن لو تمعنّا لوجدنا أنّ آلهة أرض الإغريق ذات أصول عراقيّة، مثل الآلهة (كي) أو (جي) في البداية، وهي آلهة الأرض الإغريقيّة، وكلمة (جي) أو (كي) باللّغة السومرية هي الأرض[1].

وعلى الرغم من تعدّد آلهة الإغريق، إلاّ أنّ أضخم مجموعة من هذه المعبودات، كانت تلك المعروفة بالآلهة الاثني عشر، والذين كانوا يُعبدون في معظم الأحيان، ومهما كان، عندما نأتي للمقارنة بينها وبين مثيلتها العراقية، يتضح لنا جليًّا الشّبه بينهما، فالإله زيوس، هو إله كوكب المشتري، مردوخ، أما بوسيدون، فهو إله البحر، ويمكن مطابقته بالإله (أيا) الذي كان مقرّه السّماء ومدينته (أريدو) جنوب العراق، ورمزه السمكة، في حين كان الدلفين رمز بوسيدون، الذي عرف بشوكته الثلاثية، التي لها ما يماثلها في الفنّ العراقي منذ العهد الأكادي.

أما أبولو وردت الإشارة عنه أنّ له ما يماثله بإله الشمس البابلي، أمّا أريس وهو كوكب المريخ وإله الحرب، وهو (بركال) السومري، وإله العالم السفلي أيضًا، أمّا هرمس فهو كوكب عطارد الذي أطلق عليه العراقيون القدامى اسم (نابو)، وكان ابن الإله مردوخ في الجنوب، وعبد في الشمال في مدينة (نمرود).

في حين امتزجت أثينا وأفروديت بعشتار، أمّا أرتميس وديانا، كانت آلهة الصيد التي تقترن القوس والحيوان، وهي صفات (نينورتا) إله الصيد، وهو ما يتّضح في الأختام الأسطوانيّة العراقيّة، ولكن عند العراقيين كان ذكرًا لا أنثى.

ورغم تشابه أعمال الآلهة بين العراق القديم وبلاد الإغريق، إلاّ أنّ بعض الآلهة انتقلت معها حتى أسماءها مثل (أترقانيس) (أتركانس) المُحور من عشتار التي عُبدت في بلاد الشرق باسم (أترعتا)، وكانت أولى المعبودات السامية التي دخلت عبادتها الأرض الأثينية منذ القرن الثامن قبل الميلاد، وانتشرت بين أوساط العبيد، وذلك بعد أن عمّت هذه العبادة

---

[1]- كانت آلهة العراق ومصر موطنها الأرض والسماء، أما في بلاد الإغريق فكانت الأرض موطنها لا السماء، ثم تأتي آلهة السماء كمرحلة ثابتة للآلهة الأرض، والسبب أن محيط الأرض أقرب لمدارك الإنسان، وعليه انتقال الآلهة إلى السماء ما هو إلا مرحلة تبريرية، لما فشلت في تحقيقه قوى وطقوس آلهة الأرض، لأن الإنسان لاحظ وجود قوى أخرى غير أرضية في مصيره، الأمر الذي جعله يدخل الكواكب السيارة في مصيره، مدخل التألية، ذلك لأن عناصر الأرض بقيت ثابتة فرد عناصر أخرى للسماء.
انظر: الشمس، ماجد عبد الله: الحضارة العربية وأثرها في إيران واليونان، ط1، سوريا، منشورات علاء الدين، ص74.

منطقة الشرق الأدنى. ويذهب البعض إلى أنّها أفروديت، والبعض الآخر يرى أنّها (هيرا) وانتشرت عبادة (لوكيانوس) بين الإغريق في العصر السلوقي، ومنهم وصلت إلى غاية الرومان، وأُنشئ لها معبد باسمها، وتلاحظ في الآثار الرومانية جالسة بين أسدين[1].

وكان (أمون) إله مصري كبير شُيّد له معبد الكرنك الكبير، وقد انتشرت عبادته خارج مصر، ولا سيّما في بلاد الإغريق، حيث نجد أنّ لهذا الإله مكانته في أثينا التي عرفت عبادته قبل الثلث الأوّل من القرن الرابع قبل الميلاد، إلى درجة أنّ الإسكندر المقدوني يقرنه بالإله زيوس، كبير آلهة الإغريق، ويتّخذ منه إلهًا هاديًا يستوحيه في أكثر من مناسبة أثناء حملاته التي ساهمت في تكوين امبراطوريته[2].

ومن القصص المهمّة التي تناولها الإغريق، قصّة الطوفان، وحسب مصادرهم، إنّ الأرض عاشت العصر الذهبي، ثم حلّ محلّه القسوة والجور بين النّاس، الأمر الذي دفع بالآلهة لإحلال الطوفان لإغراقهم، إلّا من كتب لهم النجاة وهما ديكاليون وبيرا[3]، وإذا لاحظنا الفكر العراقي القديم، نجد أنّ قصّة الطوفان نقلت جزءًا مهمّا منه، حتى إنّ القرآن الكريم قد تحدّث عنه أيضًا.

والجدير بالذكر أنّ الفيضانات التي حدثت في العراق القديم مع وجود نهرين كبيرين، وأرض منخفضة في الوسط والجنوب، يجعل اكتساحهما أمر طبيعي عند هطول الأمطار الغزيرة وتراكم الثلوج في أعالي الجبال، أما بالنسبة إلى بلاد الإغريق، فلا يعرف عن الأرض

---

[1]- حسب المؤلف، إنّ هذه المطابقات ليس المقصود بها جعل الشرق هيلينيا، بقدر ما هو جعل العالم الهيليني شرقيًا، وذهب إلى عقد مقارنة بين الآلهة المصريّة والبابليّة، وأنّ الكثير من مصادرها واحدة، خاصة فيما يتعلق بعبادة الشمس.
انظر: ول ديورانت: قصة الحضارة، لا ط، القاهرة، ترجمة: محمد بدران، 1969، ج1، م2، ص321.

[2]- لم يقف التأثير المصري عند ذلك الحد، نجد مثلا في أسطورة خلق تيفون من اتّحاد الربة الأم (تارتاروس)، نجد أنّه عندما خافت الأرباب من تيفون هربوا إلى مصر، حيث أخفوا أنفسهم في شكل حيوانات، حيث حوّل زيوس نفسه إلى كبش، وأبولو إلى غراب، وهيرا إلى بقرة بيضاء، وأرتميس إلى قطة، وأفروديت إلى سمكة، وأريس إلى خنزير، وهيرميس إلى طير أبو منجل، والملاحظ أنّ هذه الأسطورة أخذت من عبادة المصريين للآلهة في شكل حيوانات، ومطابقة أربابهم مع أرباب إغريقية، زيوس وأمون ـ الكبش، هرمس وتوت ـ طير أبو منجل، هيرا وإيريس ـ البقرة البيضاء، أرطميسوباتست ـ القطة.
انظر: سعيد، أحمد سامي: حضارات الوطن العربي كخليفة للمدينة اليونانية، لا ط، العراق، 1980، ص25.

[3]- في الأسطورة نجد أنهما وضعا نفسيهما في صندوق أعد ذلك، وبعد نزول المطر الغزير لتسعة أيام وتسع ليالي امتلأت الأودية بالماء، وعلت حتى طالت قمم الجبال، ليأخذ الماء في التراجع، وتبرز اليابسة، الأمر الذي جعل الصندوق يرتطم بما فوق جبل (بارناموس). انظر: بيتر لن: قصص من اليونان القديمة، لا ط، مصر، ترجمة: محمد سمير عبد الحميد، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966، ص1، 2.

التي حدث بها مثل هذه الفيضانات الذي تخلقها الأنهار إلا في الأجزاء الغربيّة من هضبة الأناضول، أو في أيونيا، أو في شبه جزيرة الإغريق نفسها.

وإذا قارنّا بين أسطورتي الطوفان العراقيّة والإغريقيّة، نجد أنّ العراقيّة أكثر تشويقًا والقرب إلى الواقع؛ ذلك لأنّ الصندوق لا يمكن أن يضمّ شخصين لمدّة طويلة مع طعامهما وشرابهما، في حين أنّه يمكن للسفينة أن تتوفر على ذلك، وفي القصّة العراقية استمرّ هطول الأمطار لمدّة سبعة أيام وسبع ليال، وأمّا في الإغريقيّة نجدها تسعة، وهو اختلاف بسيط.

كما أنّه وفي كلتا القصّتين ارتفع الماء حتى تخطّى قمم الجبال، ولم ينج إلاّ (أوتونا يشتم) ومن معه من الصالحين في العراقيّة، وديكاليون وزوجته في الإغريقيّة، وفي القصّة العراقية أرسل أوتونا يشتمّ الحمامة ليعرف إذا انحسر الماء عن جزء من الأرض، ثم أرسل السنونو، ثم أرسل الغراب، الذي ذهب ولم يعد، إشارة إلى ظهور اليابسة، أما في القصّة الإغريقيّة أرسل زيوس حمامتين ليعرف منهما مركز الأرض، وفي القصتين رست السفينة والصندوق على قمة جبل، وهو في العراقية (نصير) وفي الإغريقيّة (بارناسوس) وكما يبدو أنّ المقطع التالي في الكلمة (ناسوس) هو تحريف عن (نصير).

2ـ نشأة الكون بين الأسطورة العراقية والإغريقيّة

من الأمور المهمّة في كلتا الحضارتين، محاولة النّاس إيجاد تفسير لنشأة الكون، وتبريرات خلق البشر، ومما ورد في الأسطورة الإغريقيّة، إنّه في الماضي السحيق لم تكن هناك إلا كتلة معتمة تسمّى **السديم**، وفيها كانت تختفي كلّ الأشياء، وبعد مدّة طويلة من تواجده، تبدّد شمله وافترقت الأرض والسماء، لترتفع الشمس والقمر إلى أعلى سماء، وهبطت الأشجار والأحجار من السماء إلى جانب الماء، لتستقرّ على الأرض. أمّا في العراق القديم فقد ورد تفسير نشأة الكون في مدّة تفوق ألفي سنة من التفسير الإغريقي[1].

[1]- جاء في إحدى القصائد السومرية: بعد أن أبعدت السماء عن الأرض، وبعد أن فصلت الأرض عن السماء، وبعد أن عين إسم الإنسان، وبعد ان اخذ السماء (آن) إله السماء، وبعد أن اخذ ارض (اتليل) إله الهواء. ومن خلال ذلك يتضح أن قدماء العراقيين كانوا يعتقدون أن السماء والأرض كانتا متصلتان لتنفصل إحداهما عن الأخرى، وهو ما يؤكد أسبقيتهم لهذه الفكرة، والتي تسمى حاليا نظرية الانفجار السديمي العظيم. انظر: م.ن، ص83.
وورد في القرآن الكريم قوله تعالى: (**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**).

وفي مقارنة أخرى لنصوص الخليقة بين المصدر العراقي والمصدر الإغريقي[1]، ترى تشابهًا بينهما، فقد تولّد الكون من إلهين، وآلهة انقسموا إلى قسمين في الأسطورة العراقية، القسم الأوّل يريد النّظام والآخر يريد الفوضى، أمّا في الأسطورة الإغريقيّة نرى آلهة قبيحة الخليقة والأخرى جميلة، وممّا نلاحظه أنّه في القصّة الإغريقيّة تبدأ بزوجين من الآلهة (اوراتيس) و(جي) أو (جيا)، وفي القصّة العراقيّة تبدأ بزوجين كذلك إله السّماء بالأرض، ليتولّد المطر ثمّ تشرق الحياة اثر ذلك، والملاحظ أنّ اسم (جي) يطابق (كي) بالسومريّة وتعني الأرض، أمّا أورانوس فالقسم الثاني منه يتشكّل من اسم (انو) والسين حرف إغريقي مضاف، أمّا القسم الأوّل من الكلمة، المعتقد أنّه من السومريّة أيضًا (أور) وتعني (الكلب)[2].

3ـ أسطورة كادموس ترسّخ الالتقاء الفينيقي الإغريقي

شكّلت هذه الأسطورة مظهرًا مباشرًا في التقاء الثقافة الفينيقيّة ـ الإغريقيّة في المجال الدينيو الميثولوجي. فتروي الأسطورة أنّ **أوروبا** ابنة (أجيفور) ملك صور الفينيقيّة اختطفت من طرف الإله زيوس، بعد أن ظهر لها في شكل ثور. وانتقل عبر البحر، حيث ذهب بها إلى أقصى الغرب. ونتيجة ذلك أمر الملك (أجيفور) ابنه (قادوموس) أن يذهب للبحث عن أخته محرّمًا عليه العودة حتى يجدها. لينطلق مع أمّه وشقيقيه (تاسوس) و(كليكيس) وبقي مع الأب (فوينيتقس) أي (فينيق). خلال الرحلة ماتت الأم حزنًا على ابنتها. أمّا الأبناء فلم يجرؤوا على العودة بدون أختهم، فاتّجه تاسوس إلى جزيرة (تراقيا) وأسّس كليكيس في الشمال مستعمرة (كيلكيا). أمّا قادموس مكث في أرض الإغريق ليؤسّس المعابد ويروّج

---

[1]- في قضية تفسير خلق البشر والآلهة قصص مشابهة لما ورد في العراق القديم وبلاد الإغريق. حيث جاء في المعتقد الإغريقي، أنه في السماء إله يسمى أرانوس والأرض إسمها (جايا) ثم صارا زوجين، وأنجبا أبناء كثيرين من بينهم ستة قبيحو الخليقة، واثني عشر جميلي الصورة، حيث في المجموعة الأولى كان لكل واحد منهما مائة ذراع وعين واحدة، وكان لكل منهم خمسون رأسا، وكان رأس كل منهم كالجبل في الضخامة، تثير الهلع والرعب، أما الإخوة الذين تميزوا بالجمال الذكور منهم والإناث كانوا في صورة البشر، إلا أنهم اكبر وأعظم، وقد شن الآلهة الصغار الحرب على الكبار أرسلوا في طلب مشوهي الصورة، أما في المعتقد العراقي، لا توجد أكثر من أسطورة حول نشأة الحياة، منها قصة الحياة البابلية، والأكثر انتشارا من غيرها، نجد أنها تتحدث عن عنصرين أساسيين في الحياة، الماء العذب والماء المالح (ابسو) و(تيامات)، ثم جاء منها إلهان وهما (نحمر) و(الخامر)، وبمرور الزمن تولد إلهان هما (انتشار) و(كيشار)، الذين ولدا الإله (أنوا) ثم جاء بعده إلهة حديثة لينشأ نزاع بين الجيلين من الآلهة، لأن الآلهة الحديثة تحزبت ضد الآلهة القديمة وأرادت أن تبسط النظام في العالم بدلا من الفوضى، وفي خضم ذلك ولد مردوخ الذي كان على أتم صورة من الجمال.

انظر: باقر، طه: مقدمة في الادب العراق القديم، لا ط، العراق، دار الحرية للطباعة، 1976، ص79.

[2]- م.ن، ص85.

للأبجديّة الفينيقيّة التي أخذها عنه الإغريق. وتتّضح من هذه الأسطورة أبعاد عدّة تمثّلت في:

ـ أن هناك تأثير فينيقيّ في حضارة بلاد الإغريق. حتى إنّ الدراسات أثبتت أنّ العديد من الأسماء الواردة في الأوديسا فينيقيّة الأصل.

ـ أن هذه الأسطورة كانت حجّة لدى الفينيقيين لاحتلال مناطق ومستعمرات من بلاد الإغريق منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد. والدليل حسبهم جزيرة (تاووس). وهو ابن (فينيقس) الذي جاء لاستعمار المنطقة واستغلال ثرواتها[1].

ـ ورد في الأسطورة أنّ أوروبا أنجبت لزيوس ابنين هما (رامانتس) و(مينوس) ملك كريت، وهو كذلك حسب الأساطير دليل على الأصول الفينيقيّة لكريت وبلاد الإغريق.

ـ اتّساع الاستيطان الفينيقي في بلاد الإغريق حوالي منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، وأكثر من ذلك أنّ الأسطورة تكشف قوّة العلاقة بين كريت وفينيقيا، خصوصًا بعد عثور الأثريين على أواني وتماثيل فينيقية تعود إلى النّصف الأوّل من الألف الثاني قبل الميلاد.

والجدير بالذكر كذلك أنّ الإله زيوس كان إلهًا وبطلاً يعتقد الكريتيون أنّه ولد بكريت، وتربىّ في الكهف ومات فيه. وله قبر يقيمون حوله الاحتفالات. وتقترب هذه القصّة من قصّة (أودونيس) الفينيقي الذي تربىّ في كهف (نيسا)، كما عبدت أوروبا في كريت، حيث وجدت قطع من العملة تحمل صورتها فوق الثور، وتحيط بها شجرة الصفصاف. وتعود هذه القطع إلى القرن الخامس قبل الميلاد، كما كان في كريت ميناء يدعى فينيقس. ولا شكّ أنّها مستوطنة فينيقيّة قديمة سبقت السيطرة الإغريقيّة على المدينة.

وتذكر الأسطورة كذلك أنّ قادموس عندما رسى في رودس أثناء بحثه عن أخته شيّد معبدًا فيها وترك نفرًا من الفينيقيين ليقوموا على خدمته، حيث اختلطوا بالسكان الأصليين، وشاركوهم في الحياة العامّة وعبدوا الآلهة أثينا. كما عثر على آثار فينيقيّة في جزيرة (رودسو خاصة في (ياليسيوس) (Yalissios) حيث اكتشفت دعائم معبد (بوسيدون) الذي بناه (قادموس)[2].

وفي مدينة ميلتوس عمل الفينيقيون على التبادل كذلك مع جزيرة كريت. وتروي الأسطورة

[1]- تركي الهندال، «المؤثرات الحضارية الفينيقية في الحضارة اليونانية»، المجلد 43، ملحقة 3، كلية الآداب للبنات، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمان، الرياض، 2016، (مقال بدون ترقيم الصفحات).

[2]- م.ن، بدون ترقيم الصفحات.

أن (أريس) إله الحرب عند الإغريق تحوّل إلى دبّ وقتل (أودونيس) عشيق أفروديت أثناء ذهابه إلى الصيد بجبل لبنان بحضور أفروديت. ومنذ ذلك الوقت أصبحت الاحتفالات تقام على شرف أودونيس بهذه المنطقة[1].

وما ورد أيضًا أنّ اسم بوسيدون دخيل على اللّغة الإغريقيّة، وهو حسب الاعتقاد فينيقيّ الأصل (أخ لصيدون) وابن (ليونش) وكان ينافس أودونيس على بيروت حيث فاز بها (بوسيدون) بوزيدون، وكان أهل بيروت يطلقون على أنفسهم لقب (بوزيدونيس) مثلما حفظ في كتابات ديلوس[2].

ثانيًا: الأدب

1- بلاد ما بين النهرين مهد الملحمة القديمة

حفظت لنا الألواح الطينيّة أولى التجارب الإنسانيّة في مجال أدب الملاحم الذي كانت بلاد ما بين النهرين مهدًا لنشأته قبل أن يظهر في أثينا وروما بقرون عديدة. وتوصّل الباحثون إلى مقارنة زمن تدوين أشهر هذه النصوص وهي ملحمة جلجامش الذي لا يتجاوز أواخر الألف الثالث قبل الميلاد، وبداية الألف الثاني قبل الميلاد. وبين تاريخ إبداع هذه النصوص الأدبية وإنتاجها التي تعود إلى قبل ذلك بكثير، حيث تناقلتها الأجيال عن طريق الرواية الشفهيّة وعرفت الكثير من التطوّر إلى أن دُوّنت في شكلها النهائي على الألواح الطينيّة[3].

واعتمادًا على ما توفّر من المعلومات الأثرية والتاريخية يمكن اعتبار اختيار مدينة أورك السومريّة أوّل مدينة في التاريخ فضلًا على أنّها أكبر المدن السومريّة، ويذهب علماء الآثار إلى أنّ سورها بني حوالي 2600 ق.م، وأحيط بمساحة تقدّر بأربعمئة هكتار يسكنها حوالي

[1]- تركي الهندال، «المؤثرات الحضارية الفينيقية في الحضارة اليونانية»، المجلد 43، ملحقة 3، كلية الآداب للبنات، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمان، الرياض، 2016، (مقال بدون ترقيم الصفحات).

[2]-Albert Lechese, La philosophie grecque avant Socrat, Librairie Bland et C, Paris, 1908, P9.

[3]- إذا قورنت هذه الملحمة من زمن التدوين بأقدم الآداب العالمية، لوجدناها تسبقها جميعا بعشرات القرون، فأقدم ما عثر عليه في الأدب المصري القديم أو حتى الأدب الكنعاني في أقصى تقدير يعود إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، وهو ما أثبتته اكتشافات أوغاريت الأدبية في 1928 م، أي متأخرة عن حضارة وادي الرافدين بحوالي خمسة قرون، أما الأدب العبراني المتمثل في التوراة يعود إلى حوالي القرن السادس قبل الميلاد. وبالمقارنة مع الأدب الإغريقي المتمثل في الإلياذة والأوديسا المنسوبتين لهوميروس اللتان تعودان إلى حوالي القرن التاسع قبل الميلاد. انظر: باقر، طه، مقدمة في ادب العراق القديم، م.س، ص34.

50 ألف نسمة، وهي فوق كلّ ذلك مدينة الملك جلجامش الذي نسبت إليه الملحمة السومرية[1].

ويعدّ اكتشاف هذا الإرث الحضاري خلال النّصف الأوّل من القرن التاسع عشر الميلادي واحدًا من أهمّ إنجازات العلوم الإنسانية خلال العصور الحديثة غير أنّ مخلّفات السومريين تأخّر اكتشافها مقارنة مع نظيرتها البابلية والأشورية؛ لأنّه إلى غاية عام 1870 م وجد اختلاف بين علماء الآثار اللغويين والمؤرّخين حول حقيقة وجود الشعب السومري ولغته. ورغم وجود الرُّقُم الطينية التي تحتوي الكتابة السومرية، ومع ذلك اعتبرت في بادئ الأمر إحدى أشكال الكتابة الأكادية.

واتّضحت الحقيقة بعد الكشف عن أوّل موقع سومريّ، وهي مدينة (لاحبش) خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر ميلادي، لتخرج أدبيات سومر من تحت الأنقاض ومنها نصوص ملحمة جلجامش الذي تعرّف عليه الباحثون بعد حوالي نصف قرن من ظهور الألواح الأولى[2] للملحمة في مدينة نينوى.

أ. القيم الحضاريّة بين الملحمة العراقيّة والملاحم الإغريقيّة

تحتوي ملحمة جلجامش على قيم متعدّدة الجوانب، فهي تقدّم مادّة معرفيّة لعلماء الاجتماع والنّفس والمؤرّخين، وتضيف الكثير من المعارف حيث تبرز صورة لملكيّة تعسّفيّة محاطة بقداسة ملحوظة تجسّدت في شخص جلجامش ملك مدينة أورك، ذلك الملك الذي حوّل مواطنيه إلى عبيد[3]. كما أنّ المصالحة التي ينتهي إليها الصراع بين جلجامش وأنكيدو تمثّل وحدة جدليّة تؤلّف بين القيم الأخلاقيّة التي يمثّلها إنسان الطبيعة أنكيدو وأسلوب الحياة الحضريّة التي يمثّلها جلجامش، حيث تظهر في الأخير نتيجة لذلك التآلف

---

[1]- فراس السواح، جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة، لا ط، دمشق، منشورات دار علاء الدين، ص29.

[2]- م.ن، ص39.

[3]- كتبت الملحمة في زمن باتت فيه القيم التقليدية موضع رفض أو تشكك لان شعب أورك المدينة العراقية الجنوبية التي يحكمها جلجامش لم يعد متقبلا للقضاء الإلهي. ولان الحضارة السومرية والبابلية مثل الحضارات القديمة تقبلت النظام الاجتماعي الطبقي واعتبرته حالة بشرية طبيعية لان المجتمع اتجه إلى فكرة الثورة الاجتماعية والمطالبة بخلق شخصية ضدية لجلجامش تضع حدا لحرية الملك المقدس فتخلق الآلهة شخصية أنكيدو من الصلصال. انظر: عفيف فراج، الجذور الشرقية للثقافة اليونانية، ط1، بيروت، دار الادب للنشر والتوزيع، 2007، ص32.

الجدلي بين هذين الضدين وهي التقاء الفساد الخلقي والسياسي الذي يمثّله جلجامش والبعد الطبيعي البدائي لأنكيدو، فتستقيم الشخصيّتان اللّتان تكمّل الواحدة منها الأخرى على قاعدة الإنسان النوعي الجديد المتّجه إلى تحقيق الذات.

كما ترمز شخصيّة أنكيدو إلى جدليّة حضاريّة قائمة على التّقدّم والتّخلّف، وهكذا نجد أنّ الإرث الثقافي الإغريقي منذ عهد هوميروس قد تأثّر بهذه المعالم القائمة على الحنين إلى العصر الذهبي، حيث لاحظ المفكر كيرك (Kirk) في هذا السّياق أنّ فكرة العصر الذهبي ترتكز على نماذج في ثقافات الشّرق الأدنى، أين كانت الأساطير تتحدّث عن أرض كاملة الطهارة يعيش فوقها الآلهة فحسب. والحقيقة أنّ هذا الحنين إلى العودة تتّضح معالمه في مؤلّفات هيزيود خاصّة من خلال كتاب «الأيّام والأعمال» حيث نجد رجال العصر الذهبي يعيشون كالآلهة متحرّرين من مشقّة العمل والحزن والشيخوخة، ووجه القرينة هنا أنّ أنكيدو قد مات في عصره الذهبي دون أن يرى الشيخوخة أصلاً. والملفت أنّ أسطورة العصر الذهبي الإغريقيّة تقول إنّ رجال العصر البرونزي المتدنيّ من العصر الذهبي والفضّي يذهبون إلى عالم الموتى دون أن يتركوا وراءهم رسمًا يذكر، أي أنّ السّمعة أو الشهرة كانت هاجسًا ومحركًا للملوك الإغريق كما كانت عند جلجامش[1].

إنّ مأساة أنكيدو مع الحضارة والتناقض الموجود بين أفكار البشر ومخطّطاتهم ومقاصدهم من جهة والمصير المفجع لهذه الأفكار والمقاصد من جهة أخرى يجعلان من ملحمة جلجامش محلّ اقتباس منها للأوديسا، وكذلك التراجيديّة الإغريقيّة. ويؤكّد صحّة هذه الملاحظة التوازي الملحوظ بين العقاب الذي أنزله كبير آلهة السومريين أتليل بأنكيدو. والعقاب الذي فرضه ربّ الأرباب الإغريقي زيوس على بروميتيوس ردًّا على إفشائه لسرّ النّار للإنسان، ولقد جسّد الإغريق جدليّة التقدّم والتّخلّف الملحوظة في ملحمة جلجامش في أسطورة باندورا (Pandora) التي خلقها زيوس ليحبط ما يمكن أن يحقّقه الإنسان من انتصارات حضاريّة بفضل استخدام النار.

فجاءت بندورا حاملة معها إلى الأرض الأوبئة والمجاعات والحروب وكلّ الشرور، وهكذا يتحوّل التقدّم الحضاري الذي شاءه بروميشيوس (صديق الإنسان والبشر) إلى اللّعنة

[1]- فراج عفيف، الجذور الشرقية للثقافة اليونانيةم.س، ص40.

ردّ بها زيوس الرب الغيور والسلطان الاستبدادي المستأثر على ما صنعه بروميتيوس[1].

وبذاك يمكننا القول إنّ النّتاج الفكري والأدبي مرآة لحركة المجتمع؛ لأنّ جلجامش أوّل فرد في التاريخ منذ مطلع الألف الثاني ق.م حدّد التمايز للفرد عن الجماعة. حيث ظهر ذلك الشخص الذي يفعل في الجماعة ويؤثّر في تطويرها؛ ذلك لأنّ قبل ملحمة جلجامش لم يعثر في أدبيات الشرق الأدنى القديم (وهي أوّل أدبيات مدوّنة في التاريخ) على ملامح واضحة للفرد؛ لأنّ جلّ النّصوص تتعامل مع الشخصيّات الإلهيّة التي صنعت الكون وخلقت الإنسان وبنت له مدنه وعلّمته وأسّست له تقاليد الحضارة، ليصبح الإنسان سلبيًّا ومتلقٍّ حيث لم يكن له دور مستقلّ يبرز به.

وجلجامش هنا هو أوّل شخصيّة تعلن عن حضورها في الاستقلال عن الجماعة، ليعلن عن بداية عصر الإنسان الذي يرث الأرض ومنه كانت للملحة معاني ورسائل عدّة يمكن التوصّل إليها[2].

لقد كان جلجامش[3] الفرد الحرّ الوحيد بين مجتمع العبيد وكان ملك مطلق السلطات أقوى الرجال جسدًا وأكثرهم ذكاء، مفعمًا بالنّشاط الدائم، ولم يكن الملك الشاب يعرف ماذا يفعل بحرّيته المطلقة وتكوينه الخارق الذي كان سبب في وحدته وعزلته عن بقيّة الناس؛ حيث بحث عن جلائل الأعمال التي يمكن أن يرضي بها طاقته الكامنة، فبنى بها سور **أورك** الذي مثّل أعجوبة عصره.

وقدّمت الملحمة أيضًا صورة عن أنكيدو الذي خلق ضدًّا لجلجامش، وصوّرته الملحمة في شكل الإنسان البدائي قبل دخوله عصر التحضّر؛ ذلك لأنّ علاقته بكاهنة المعبد كانت أوّل اتّصال له بعالم البشر، حيث ودّع معها الحياة البريّة بسبب اكتسابه الحكمة والمعرفة من

[1]- عفيف فراج، الجذور الشرقية للثقافة اليونانيةم.س، ص67.

[2]- عفيف فراج، الجذور الشرقية للثقافة اليونانية، ص202.

[3]- تمرّ قرون عدّة من التاريخ المفترض لحياة جلجامش، ورغم ذلك لم يعثر على نص معاصر له يذكره، سواء من أورك نفسها أو من المدن السومرية الأخرى، ولكن هذا النقص يعوضه وجود أسماء الملوك المعاصرين له، والذين كانت لهم علاقات معه، ومن هذه الشخصيات (أن ممباغيري) ملك كينس وغبنه (اجا) الذي نلزع جلجامش حسب نص (جلجامش وأجا)، وهناك ايضا الملك (ميسانيبيا) ملك أور. وانطلاقا من هذه المعطيات يمكن القول أن جلجامش حكم الوركاء خلال النصف الثاني من القرن السابع والعشرين. انظر: بومريش، ليلى: أبحاث تاريخية وأثرية، إعداد: بلقاسم رحماني، لا ط، الجزائر، دار كنوز الحكمة، 2015– 2016، ص366– 367.

الكاهنة، التي تابعت تعليمه والأخذ بيده نحو عالم الحضارة تدريجيًا. لتكون المرأة بالنسبة للإنسان الأوّل سبب الاستقرار في الأرض وتوديع حياة التنقّل والتّوجّه نحو إنشاء المستقرّات الثابتة، وهي بذلك الخطوة الأولى تجاه الحضارة. ذلك لأنّ علاقة هذه المرأة[1] به ليست مجرّد علاقة رجل وامرأة بل هي دلالة على دور المرأة القديمة الضارب في المجتمعات الأولى[2].

ب. القيم البطوليّة من خلال ملحمة جلجامش وإلياذة هوميروس

لعلّ أحد أهمّ أسباب التّشابه بين ملحمة جلجامش وملحمة هوميروس يعود إلى تزامن الملحمتين مع الحقبة البطوليّة من تاريخ بلاد ما بين النهرين وتاريخ بلاد الإغريق[3]؛ لأنّ القيم الموجودة في سلوك أبطال الملحمتين هي قيم بطوليّة عسكريّة تُعلى شأن المحارب؛ لأنّها جسّدت الشجاعة الجسديّة وسعت إلى انتزاع الاعتراف الاجتماعي وبالتقدير والشهرة عبر أفعال تظهر القوّة والفتوّة. وجلجامش يحمل كلّ هذه الصّفات في مرحلة ما قبل النّضج، كونه كان يجتاح غابة الأرز ويقطع أشجارها ويقتل الوحش المفترس، واستمدّ شجاعته من قوّة جسديّة ورثها من أمّه الآلهة (لينسون)، كما ورث أخيلوس بطل الإلياذة القوّة الجسديّة وجمال الطلعة من أمّه الآلهة (تيتيس Thetis) وهذه صفات جعلت البطلين معلّقين بين السماء والأرض، فهما غير قادرين على التكيّف مع البشر الأقلّ شأنًا منهما، وهما في الوقت نفسه عاجزان عن الارتقاء إلى مستوى الآلهة. وهذا التلاقي في الملحمتين السومريّة والإغريقيّة يؤكّد القواسم المشتركة لثقافات شعوب ما بين النهرين وبلاد الإغريق؛ لأنّ ملحمة هوميروس اشتهرت بسردها لقصّة البطل اخيلوسو غضبه من الملك أغاممنون[4].

[1]- قادت الكاهنة أنكيدو إلى مناطق الرعاة وعلمته أكل الخبز ولبس الثياب وتعطير الجسم وأخذت تحدثه عن الملك جلجامش البارز فوق جميع الرجال وحياته الإلهية وأورك المدينة التي تعج بالحياة لقد كان أنكيدو مطلق الحرية في البراري وكانت هذه الحرية مستمدة من الطبقة المستقلة عن الحضارة. أنظر: فراس السواح، جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة، م.س، ص201.

[2]- عرفت مكانة المرأة عند المجتمع الإغريقي مرحلتين متباينتين. ففي عصر الأبطال حظيت المرأة بمنزلة هامة إلى درجة انه كانت تشن الحروب لأجلها مثلما حدث في حرب طروادة وما تحدث عنه في الإلياذة والاوديسا إلا أن مكانة المرأة تراجعت مع تطور مظاهر الحياة في بلاد الإغريق ويرجع ذلك صاحب الكتاب إلى تأثر حضارات الشرق في بلاد الإغريق أي أن المؤلف هنا حصر تأثير الشرق في بلاد الإغريق حول مكانة المرأة فقط في المجال السلبي.
انظر: م.ن؛ حول ذلك راجع:

L - A. Martim. Histoire de la condition des femmes chez les peuples de l’antiquité
E. B RARD de libraire édition. Paris 1839. PP 148. 149.

[3]- MYRIAM PHILEBERT. DICTIONAIRE DES METHOLOGIE GRECQUE. MAXLIRERE. FRANCE 2002.

[4]- OP. CIT

ج. القيم الدينيّة بين الملحمة العراقيّة والملاحم الإغريقيّة

إنّ الدّارس لمواصفات الآلهة وعلاقتها بالأقدار في الملاحم السومريّة والبابليّة ونظيرتها الإغريقيّة، يُلاحظ أنّها مجتمع شبيه بالمجتمع البشري، أي أنّ الآلهة هي أشبه ما تكون بالأسرة التي تلتف حول الأب الإله وتحيط به الزوجات والأبناء وبطانة الموظفين والخدم، وصفات الآلهة في المجتمعين تجمع بين النقيضين، الخلود من جهة وصفات البشر الفانيين من جهة أخرى. ومن بين المهتمّين بهذا النّوع من الدراسات -كرايمر- الذي يرى أنّ الآلهة شبيهة بالبشر في التخطيط والتنفيذ والأكل والشرب. وهو قاسم مشترك بين الآلهة السومريّة والآلهة الإغريقيّة التي تحدث عنها هوميروس في الإلياذة؛ لأنّ آلهة الإلياذة يحبّون الطّعام ويجتمعون في المجالس طول النّهار إلى غاية المغيب.

كما أنّ آلهة ما بين النّهرين كانت تشارك في الحروب. وتعاني مثلهم المصائر المتقلّبة بين المنتصر والمهزوم. وورد الحديث عن إجراءات محاكمة الإله البابلي مردوخ لخطاياه ضدّ أشور، كما يذكر الفصل العشرين من الإلياذة الذي يتمحور حول ذهاب الآلهة إلى الحرب، حيث نجد آلهة أولمب تنقسم إلى آلهة مناصرة للطروادين وآلهة تقف إلى جانب الإغريق[1]. ويوضّح البطل الإغريقي ديوميدسوهو يذلّ آلهة الحبّ عند الإغريق أفروديتي، كما أذلّ جلجامش وأنكيدو عشتار آلهة الحب عند السومريين من قبل ذلك[2].

د. تأثير الشخصيّات بين الملحمة العراقيّة والإغريقيّة

لقد ساهمت أفكار هذه الملحمة[3] بنصيب في الحياة الفكريّة والروحيّة لثقافات الشرق القديم والحضارات المجاورة له، ومن مظاهر تأثيرها في شخصيّات الأدب الإغريقي ما يلي:

[1]- عفيف فراج، الجذور الشرقية للثقافة اليونانية، م.س، ص88.

[2]- E.G Arramere, Op Cit, PP 18, 19.

[3]- كان في الملحمة زخم من المعاني الروحية المتشبثة بحب الحياة التي اعتبرت قصيرة مهما عاشها الإنسان. ذلك لأنّه قضاء الآلهة عليه، فهو في النهاية أدرك أنّ الخلود يكمل في الأعمال الجليلة التي تخلد اسم صاحبها الذي يبقى راسخا عبر الزمن، ويتضح من ذلك أنّ جلجامش لم يكن يبحث عن الخلود فحسب، بل كان يبحث أيضا عن معنى الحياة، حتى إنّ عودته إلى مملكته بعد مغامراته لم تكن هدفه المنشود، وإنما ذلك إنتصار للحياة القائمة على التغيير الدائم. أنظر: ليلى بومريش، أبحاث تاريخية وأثرية، م.س، ص375.

-جلجامش وتيسيوس

يلاحظ في شخصيّة تيسيوس في الأسطورة الإغريقيّة سمات واضحة من شخصيّة جلجامش، فهو ابن ملك أثينا، وكانت أمّه قبل إنجابه عشيقة لبوسيدون إله البحر، وعن طريق بوسيدون تسلّل إليه الدم الإلهي حيث نشأ متفوّقًا عن غيره من الرجال في قوّته الجسديّة وأنجز عملاً بطوليًا خارقًا هو قتل وحش المينوتور الكريتي، ثمّ هبط مع صديقه المخلص بيريتوس الذي كان يلازمه كملازمة أنكيدو لجلجامش إلى العالم الأسفل لاختطاف (بيرسفوني) زوجة هاديس (إله عالم الموتى)، ولكن العالم الأسفل أمسك بالثاني كما أمسك بأنكيدو واستطاع تيسيوس تخليص نفسه والصعود تاركًا صديقة في الظلام الأبدي ليحكم أثينا كملك بعد وفاة أبيه.

-جلجامش وأخيليوس

كان أخيليوس[1] الشخصيّة المحاربة في إلياذة هوميروس أنجبته إلهة مائيّة اسمها (تيتيس) من زوجها (بيلوس) ملك صقليّة، فكان مزيجًا من إله وبشر وهي مقارنة مع تنسون أم جلجامش وشب قويًّا، وهو تشبيه جلجامش نفسه. شارك أخيليوس في حرب طروادة وعرف بحبّه الكبير لصديقه باتروكليس، وكان مصرع باتروكليس على يد الطرواديين سبب عودته إلى القتال بعد أن اعتزله مدّة طويلة بسبب خلافه مع أغاممنون (وهي مقارنة في صداقة جلجامش بأنكيدو) تأخر أخيليوس في دفن جثّة صديقه بسبب تأخّر مراسيم الدّفن[2]. وهو الشيء نفسه، كان عند جلجامش الذي تأخّر في دفن صديقه بسبب الحداد الذي أقامه. وفي الأخير يموت أخيليوس بسهم باريس الذي يصيب كاحله في نقطة البشريّة الضعيفة وهو ما يقابله فشل جلجامش في الحصول على سر الخلود وقبول الطبيعة البشرية[3].

[1]- أخليوس(أخيل) إبنتيتيس وبيليه ملك الميرميدونيين (Myrmidons)، هو الشخصية الرئيسية في إلياذة هوميروس، غمسته والدته في نهر مقدس فلم تعد تقطع فيه السيوف، إلا في كاحله الذي أمسكته منه والدته عندما غمسته في مياه النهر. شارك في حرب طروادة، اختصم مع الملك أجاممنون فاعتزل القتال، و لكنه عاد إليه بعد مقتل صديقه بتروكليس ليقتل هيكتور زعيم الطرواديين. ليصيبه باريس بسهم مسموم في كاحله فمات.

انظر: حرب، طلال: معجم الأعلام والأساطير والخرافات في المعتقدات القديمة، لا ط، بيروت، دار الكتب العلمية، 1999، ص20-21.

[2]- فراس السواح، جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة، م.س، ص235.

[3]- كما شكلت شخصية هكتور وإياس اللذان التقيا أول مرة كعدوين، ثم أصبحا صديقين، الصورة المماثلة التي رسمتها ملحمة جلجامش لعلاقته مع أنكيدو، انظر: العابو، عبد الرحمان: البطولي في اساطير الشرق القديم وملاحمه، ط1، سوريا، منشورات علاء الدين، ص115.

-جلجامش وهرقل

في الأسطورة الإغريقيّة يقدّم لنا هرقل[1] مثالاً واضحًا عن إمكانيّة المقارنة بالملحمة في بلاد الرافدين. حيث ولد هرقل من أسرة ملكيّة، وتروي الأسطورة أنّ ابن زيوس الذي بدا لوالدة هرقل في هيئة زوجها الذي كان في الأصل غائب في إحدى غزواته، وكانت ملامح القوّة بادية عليه منذ ولادته، حيث كان يصارع الوحوش الضارية ومولعًا بحبّ الألعاب الرياضيّة، وهي المقارنات نفسها التي وردت في ملحمة جلجامش ورغبته في مصارعة شباب أورك. ولقد رغبت الآلهة في منحه الخلود شريطة القيام باثني عشر عملاً خارقًا، وذلك ما ينطبق على ملحمة جلجامش التي وردت في اثنتي عشر لوحة[2] ولكن الفرق واضح في كون هرقل كانت له طبيعة إلهيّة في وقت كان فيه جلجامش طبيعة بشريّة.

-جلجامش واوديسيوس

لقد شكّل الموروث الميثولوجي الإغريقي تراث الحضارة الغربية بسبب تلك الملاحم التي تسرد الماضي البعيد وما تضمنه حديث عن عالم الآلهة والبشر[3]، ولكن رغم ذلك من الواضح جدًا أنّ النّتاج الفكريّ لمنطقة ما بين النهرين انتقل إلى الثقافات المجاورة، وإنّ رمزيّة عبور جلجامش للحصول على سرّ الخلود تشبه أيضًا رحلة أودسيوس إلى بلاد الشمس[4] من أجل الحصول على المعرفة ومواجهة تلك المغامرات لتنتهي إلى نهاية جلجامش نفسها وهي الفشل والعودة من حيث أتى.

---

[1]- هرقل (إكلاس) أشهر الأبطال في الساطير الإغريقية والرومانية، كان شجاعته –حسب الأسطورة- خارقة وقوته جبارة، كرهته هيرا لأنه إبن زيوس من إمرأة أخرى هي ألكمينة (Alcmène) زوجة أمفيريون (Amphitryon) الذي اتخذ زيوس هيأته لإغوائها. ولقد قتل أولاده في نوبة جنون أصابته بها هيرا ليقوم بأعمال بطوليّة محاولة منه للتكفير عن ذنبه وخطيئته.
ولقد كرّس حياته لمحاربة الشر، ولكن في النهاية أرسلت له زوجته (ديجانيرا) ثوبًا وضعت عليه سائلاً منح لها للمحافظة على أمانة زوجها وحبه لها. ولكنّه كان في حقيقة الأمر سمّا، وما إن لبس الثوب حتى اجتاحت جسمه الآلام، ليجمع الحطب وصنع محرقة ألقى بنفسه فيها، لتستقبله آلهة أولمب وتتوجّه آلهة الشباب.
انظر: طلال حرب، معجم الأعلام والأساطير والخرافات في المعتقدات القديمة، م.س، ص347.

[2]- فراس السواح، جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة، م.س، ص237.
وانظر أيضا: فراس السواح: مدخل إلى نصوص الشرق القديم، لا ط، دمشق، منشورات علاء الدين، ص205– 206.

[3]- F. G ELICH HOFT Poésie Héroïque de l'indiens à l'époque grecque et latin, August Dinson, Paris 1860. P 52.

[4]- تشكل الملحمة البابلية والأسطورة الإغريقية ملامح القوة الخيرة التي تدفع الناس للامتثال للأوامر ومحاربة الشر، ويمكن الجزم أن لها النهاية نفسها وهي الإخفاق والعودة إلى نقطة البداية.
انظر: عبد الرحمان العابو، البطولي في اساطير الشرق القديم وملاحمه، م.س، ص116.

ث. التراجيديّة الإغريقيّة تستوحي فكرة الانكسار والسقوط من المأساة السومريّة

الملاحظ أنّ ملحمة جلجامش تنتهي بالجهد البشري إلى الإحباط والخيبة حيث تغلب فيها الآلهة على أهداف الأبطال لتستبق الأوديسا والتراجيدية الإغريقيّة كذلك، فالمأساة في ملحمة جلجامش كما في التراجيديا الإغريقيّة تبدأ بالكبرياء والغرور الذين تولّدهما النجاحات الأولى؛ لأنّ البطل الإغريقي مثل البطل السومري يصفه أسخيليوس، إنّ سقوطه يأتي في ذروة النجاح، والمأساة تأتي من ذروة الملحمة وهي ذروة يعلو بها جلجامش وأنكيدو؛ حيث يقتلان وحش (خمبابا) ومن بعده ثور السماء.

والحقيقة هو أنّ العداء الديني والعقلاني للاستكبار والاعتقاد أنّه سبب السقوط هو كذلك المعتقد الذي استمرّت به الثّقافة الإغريقيّة القديمة. كما هو معتقد راسخ في ثقافة بلاد ما بين النهرين؛ لأنّ الديانة السومريّة تتبنّى موقفًا معاديًا للاستكبار والتقليل من الاحترام للآلهة لتؤكّد أنّ الآلهة لا يمكن أن تهزم، وإنّ العقاب الإلهي أمر لا ريب فيه، وهو ما ينطبق حرفيًا على الأدب الإغريقي[1] من هوميروس وهيزيودو سوفوكليس وأسخيليوس[2].

ج. الملحمة الهنديّة القديمة دليل القدم والأصالة

تعتبر ملحمة «المهابهارتا»[3] (The Mahabharat) أطول الأعمال الملحميّة في تاريخ الأدب الإنساني، أنشأت بداية كقصيدة نص (Jaya) للتغنّي بأمجاد وانتصارات الملك «بهارات»، ولم تأخذ شكلها النهائي إلّا في القرن الرابع ميلادي بعد ثمانية قرون متواصلة من الإبداع جعلتها تدريجيًا مخزنًا ومستودعًا للعديد من القصص والأساطير والخرافات

[1]- يقتصر اثر الثقافة السومرية-البابلية على الثقافة الإغريقية على تحديد مفهوم الاعتزاز والاستكبار مصدرا للمأساة بل يتبع ليشمل الرؤية إلى الكون نشأة ونظاما دقيقا. والمتكبر هو الذي تبادر للإخلال بهذا النظام والفكرة القائلة أن الكون قائم على النظام هي في الأصل فكرة سومرية فأسطورة التكوين البابلية تصور عملية الخلق بوصفها نتيجة لمعرفة كونية بين قانونين أساسيين كونيين هما الخير والشر والنظام هو الخير والفوضى هي الشر وانتصار الإله مردوخ على ربة المياه الأولية تيامة وهي ربة الفوضى السديمية السابقة لتكوين هو انتصار النظام على الفوضى. وما رفض جلجامش للزواج الذي تقدمت بعرضه عليه عشتار هو رفض النظام للفوضى الذي يتمثل في قلب الأدوار بين الجنسين الرجل والمرأة وقلب الأدوار بين الجنسين هو الخطيئة التي ارتكبها (كليمنسترا) حين بادرت إلى قتل زوجها لمساعدة عشيقها. وهو ما ورد في أدبيات أسخيليوس. وفكرة النظام الكوني هي الفكرة التي قامت عليها المبادئ العلمية الأولى للفلاسفة الأيونيين في محاولة معرفة أصل التكوين والحقيقة أن أبطال التراجيدية الإغريقية عند سوفوكليس وأسخيليوس في القرن الخامس ق.م يسقطون مثلما سقط جلجامش حوالي ألفي سنة ق.م. انظر: عفيف فراج، الجذور الشرقية للثقافة اليونانية، م.س، ص120-121.

[2]- م.ن، ص117.

[3]- المهابهارتا: هي نص سنسكريتي قديم وتعني تاريخ الحرب الكبرى مجهولة الكاتب تسند خطأ إلى «غيازا» من الملاحم التي تحمل نهاية مأساوية. انظر: رينو، لويس: آداب الهند، ترجمة: هنري رغيب، ط1، بيروت، باريس، منشورات عويدات، ص16.

الشعبيّة ومختلف النّصوص المقدّسة التي تعكس مجمل مظاهر الحياة الدينيّة والدنيويّة للمجتمع الهندي القديم.

واحتوت القصيدة على كلّ مقاييس الأدب الملحمي التي جعلها تحمل اسم «المهابهارتا» بمعنى «الملحمة الهنديّة القديمة» وهي من جنس الأدب الشعبي الذي يضمّ التّراث القديم ويحكي سير الأسلاف وتوزيع سلالات الملوك[1].

ولا ريب أنّ خبر هذه الملحمة شاع في القديم، فبلغ الإغريق والرومان في عهد اسكندر المقدوني حيث اتّصل الفلاسفة الذين حملهم معه في غزوه للهند بثقافتها، ثم عادوا إلى بلادهم - أو بعضهم على الأقل - حاملين شيئًا منها، خاصّة وأنّ بعضهم استقرّ في الإسكندريّة. فأثّرت في مدرستها. كما تسرّبت هذه الملحمة إلى بلدان أخرى وتركت بصماتها في فنون الشرق وآدابهم[2]. ولقد قسّمت الملحمة المكوّنة من حوالي 200.000 بيت إلى أناشيد، وجمعت في ثمانية عشر كتابًا[3].

ثالثًا: القيمة الحضاريّة لملاحم هوميروس وهيزيود

تعتبر هذه الملاحم درّة الأدب الملحمي عند الإغريق، ورمزًا لتراثهم المحلّي والأوروبي، ومرجعيّة لا يمكن الاستغناء عنها عند دراسة تاريخ الإغريق؛ لما تضمّنته من وصف للوضع

[1]- تتحدّث هذه الملحمة عن حرب تاريخيّة تتضمّن أبعادًا كونيّة، وهي حرب كانت قد وقعت بين شعبي «آل كورو» (Kurus) و«آل بانشتالا» (Panchala). ويرى الباحثون أنّ هذه الحرب كانت النّواة الأولى لهذه القصّة، ولقد حدث فعلا على أرض كورو_شيتري في الفترة الممتدة بين (1400-1000 ق.م) ويعتقد الباحثون، منهم خوان ماسكارو أنّه ليس من الشّكّ أنّ الحرب الموصفة في المهابارتا ليست رمزية، والأرجح جدا أنّها تكون مستمدّة من وقائع تاريخيّة التي تناقلت عبر الأجيال المتعاقبة، وهي قصّة حرب ضروس أبطالها من طبقة «شاترية» (Kshatrya) الحاكمة، وتدور الملحمة حول صراع قوي بين الخير والشر، ويجسدها «آل بنداغاس» و«آل كورافاس» المنحدرين من سلالة الملك بهارات. حيث كان والد درتياراشتراوباندو ملكا على أرض هاستينابورا (Hastinapura) الواقعة على بعد خمسين ميلا من مدينة دلهي حاليا. وإثر موت الملك تولي ابنه الثاني سد الحكم، وهو باندو بدل أخيه البكر درتيا-راشترا الأعمى، تهب الآلهة خمسة أبناء ويعرفون باسم «آل بانداغاس» أما درتيا-راشترا فيحظى بمائة طفل، كان أولهم دوربودانا الذي سيصبح ممثلا «لآل كورافاس» وتجسيدا حيا لقوى البشر في الطبيعة لما عرف عنه من غطرسته. ولما يموت باندو ويخافه عن العرش أخوه درتيا- راشترا الذي تصوره الملحمة كحاكم ضعيف بسبب عاهته، مما جعله يسند الحكم لابنه البكر دوربودانا الذي يسعى إلى تصفية أبناء عمه لكي يقيمونه الملك، وهو بسبب اشتداد الصراع بين آل بانداغاس وآل كورفاس وتنتهي الحرب بتحقيق آل بانداغاس نصرا كلف البشرية خسائر جسيمة في الأرواح. انظر: عبد القادر جموسي، ذرة الأدب الهندي المهابهارتا، مقال في جريدة العربي الأسبوعي.

[2]- اكتشف الكاتب الفرنسي جون كلود كاريبرو المخرج البريطاني بيتر بروك ملحمة المهابارتا على يد أحد أساتذة اللغة السنسكريتية ليجدا نفسيهما أمام نص عظيم بكلّ المقاييس يصلح كمادة لعمل درامي كان من أهم الأعمال المسرحية الحديثة. عبد القادر جموسي: ذرة الأدب الهندي المهابهارتا، مقال في جريدة العربي الأسبوعي.

[3]- **المهابهارتا**: (ملحمة الهند الكبرى)، ترجمة: عبد الإله الملاح، 1991، ص10.

العام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري والديني، بما في ذلك إبراز جوانب من الحياة اليوميّة للمجتمع الإغريقي خلال القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد.

ورغم الاختلاف الواضح في أسلوب الشاعرين، حيث اختصّ الأوّل بالطبقة النبيلة مركّزًا على حياة الأمراء والملوك في الوقت الذي اهتمّ فيه هيزيدوس بالطبقة العامّة أي طبقة الفلاّحين التي ينحدر هو منها[1] ومما لا شكّ فيه أنّ لهذه الأشعار أثر عميق في تطوّر حركة الأدب عند الإغريق.

ومجمل القول إنّ أدب الملاحم يعدّ صدًى لحياة النّاس ويختلف تبعًا لذلك، فمنه ما يورد المعارك كالإلياذة، ومنه ما يتناول مغامرات البحر كالأوديسا، ومنها ما يجسّد الكفاح اليومي للإنسان الفلاح كما ورد في الشعر التعليمي لهيزيود في قصيدة الأيام والأعمال. ومع اختلاف ألوان التعبير في هذا المجال إلاّ أنّ القاسم المشترك هو أنّه يحمل صدق التعبير.

خاتمة

يعتبر الغرب أن الموروث الحضاري الإغريقي الأسطوري والأدبي شكّل نقلةً نوعيّةً في تاريخ الحضارة الإنسانيّة، لكن لم يكن بإمكان هذا، على فرض صحته، أن يتحقّق لولا تواصلها مع حضارات الشّرق القديم الذي كان عبر جسور عدّة منها التجارة. فوقوع الإغريق في جدول زمني متأخّر مقارنة بمنطقة الشّرق جعل من عامل التأثير والتأثّر أمرًا منطقيًّا، رغم محاولة أحفاد هؤلاء من ممجّدي العبقريّة الإغريقيّة إنكار هذا والادّعاء بأنّ كلّ ما وصل إليه الإغريق ابتكار خالص، إلاّ أنّ الواقع يثبت أنّ ما وصل إليه هؤلاء ما هو إلاّ استمرار للجهد الذي بذله الإنسان منذ فجر الحضارة في بلاد ما بين النهرين ومصر رغم ما يمكن أن نأخذه على الإغريق من تجاهل أو عدم التأثّر، على الأقل فيما وصل إلينا، بالحركة النبوية في الشرق.

[1]- Mm GnlgniamT, Patin, JulerGerarad, Op Cit, P5.

المصادر والمراجع

باللّغة العربية:

1. الجاموسي عبد القادر، ذرة الأدب الهندي المهابهارتا، مقال في جريدة العربي الأسبوعي.
2. السواح فراس، جلجامش، ملحمة الرافدين الخالدة، منشورات دار علاء الدين، دمشق، سوريا.
3. باقر طه، مقدمة في الادب العراق القديم، دار الحرية للطباعة، العراق، 1976.
4. ديورانت ول، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ج 1، م 2، القاهرة، مصر، 1969.
5. السواح فراس، مدخل إلى نصوص الشرق القديم، منشورات علاء الدين، دمشق.
6. العابو عبد الرحمان، البطولي في اساطير الشرق القديم وملاحمه، ط 1، منشورات علاء الدين، سوريا.
7. المهابهارتا، (ملحمة الهند الكبرى)، ترجمة عبد الإله الملاح، 1991.
8. الهندال تركي، المؤثرات الحضارية الفينيقية في الحضارة اليونانية، المجلد 43، ملحقة3، كلية الآداب للبنات، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمان، الرياض، 2016.
9. بيتر لن، قصص من اليونان القديمة، ترجمة محمد سمير عبد الحميد، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1966.
10. بومريش ليلى، ابحاث تاريخية واثرية، إعداد بلقاسم رحماني، دار كنوز الحكمة، الجزائر 2015- 2016.
11. حرب طلال، معجم الأعلام والأساطير والخرافات في المعتقدات القديمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999.

12. رينو لويس، آداب الهند، ترجمة هنري رغيب، منشورات عويدات بيروت، باريس.

13. سعيد أحمد سامي، حضارات الوطن العربي كخليفة للمدينة اليونانية، العراق، 1980.

14. عبد الله الشمس ماجد، الحضارة العربية وأثرها في إيران واليونان، منشورات علاء الدين، ط 1، 2011.

15. فراج عفيف، الجذور الشرقية للثقافة اليونانية، دار الادب للنشر والتوزيع، ط1، 2007.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

1. Burnouf Emile, l histoire de la littérature grecque, Paris, 1938.
2. EliChoft, F, G, Poésie Héroïque de l'indiens à l'époque grecque et latin, August Dinson, Paris 1860.
3. Lechese Albert, La philosophie grecque avant Socrate, Librairie Bland et C, Paris, 1908.
4. Martim, A. Histoire de la condition des femmes chez les peuples de l'antiquité. LGH. E. B RARD de libraire édition. Paris 1839.
5. Philibert Myriam. Dictionnaire des methologie grecque.Maxlirere. France 2002.

المؤثّرات المصريّة في الميثولوجيا الإغريقيّة "الأوديسة نموذجًا"

عزيزة عبد المنعم صبحي[1]

تمهيد:

ليس من قبيل إعلاء الأنا على الآخر، ولكنّها الحقيقة التي اعترف بها الآخر، والتي تُؤكّد ريادة الشّرق وأصالته، بداية بالمشرّع اليوناني صولون، ومرورًا بفلاسفة اليونان الذين إما أنّهم قد زاروا مصر وتعلّموا على أيدي كهنتها، وإمّا أنّهم قد ذكروها نصًّا في مؤلّفاتهم - دون الاعتراف بتأثّرهم بها، ووصولاً إلى المؤلّفات الغربيّة الحديثة -نسبيًّا- والتي تُؤكّد دور الشرق في إثراء الحضارة البشرية، مثل كتاب أثينا السوداء لمارتن برنال، وهو الأكثر شهرةً وذيوعًا، وكتاب التراث المسروق لجورج جي إم جيمس، مما جعل إعادة قراءة تاريخ الفكر البشرى بصفة عامة، والفلسفي بصفة خاصّة أمرًا مهمًا وضروريًا، ومن ثم، انبرى الغربيون والشرقيون لدراسة علوم الشّرق وفكره وفلسفته.

لقد كانت هناك أسباب كثيرة أدّت إلى تأخّر مثل هذه الدّراسات ـ ولا يتّسع المقام هنا للحديث عنها ـ إلاّ أنّه قد آن الأوان، لنا نحن الشرقيون، لسبر أغوار تلك الدّراسات المهمّة، وهو ما يحدث بالفعل في الآونة الأخيرة ـ وإن كان على نطاق ضيّق ـ وذلك بعدما انعقدت السيادة للدراسات الغربية لأمد طويل.

ولا يفوتني أن أنسب الفضل لأصحابه؛ حيث كانت فكرة هذا البحث مستقاة مما أشار إليه د. أحمد عثمان في تقديمه لترجمة الإلياذة 2008؛ حيث أشار إلى أن الدراسات الهوميرية قد أغفلت جانبًا مهمًّا في حلّ المشكلة الهوميرية أو فكّ بعض طلاسمها، ويعني ذلك الجانب المتصل بالبحث في الأصول، ومن هنا كانت فكرة هذا البحث.

[1]- كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، قسم الفلسفة.

ولكن، لماذا المؤثّرات المصريّة في الميثولوجيا اليونانيّة؟ لأنّها أطروحة فلسفيّة مفعمة بالجدل، تستوجب اقتفاء الأثر الشرقي والتنقيب عن الأفكار الفلسفيّة، بل والإنسانية بصفة عامة، لا لتوضيح دور الشرق في إثراء فكر الغرب وثقافته، فهذا أمر يعدّ ـ في الآونة الأخيرة ـ متّفقًا عليه إلى حد كبير، بل للوقوف على المؤثّرات الشرقيّة وإماطة اللّثام عن الغموض الذي يكتنف الكثير من جوانب الفكر الغربي، ذلك الغموض الذي يتّصل بالبحث في أصوله وجذوره، وتمثّل هذه الدراسة -في ظني- محاولة متواضعة في هذا السياق.

ولقد آثرت اختيار لفظة مؤثّرات لا أصول في عنوان البحث؛ لأنّه في بعض جوانب التشابه والموازانات قد نستنبط أمورًا وفقًا لسياقنا الفكري الحديث، وربّما قد لا تكون كذلك، وهذا لا يتنافى وأطروحة البحث، ولكنّه التناول الفلسفي الذي لا يتخذ اليقين منهجًا له، وإنّما الجدل العقلي الذي يحيطه الاحتمال والاستدلال القابل للفحص والتمحيص.

ولقد بدأت هذه الدراسة وفي ذهني تساؤلات عدّة أحاول من خلالها تلمّس الإجابة عنها وهي على النحو التالي:

1. هل تضمّنت "الأوديسة" مؤثّرات من الفكر المصري القديم؟ وهل هذه المؤثّرات واضحة ويمكن الوقوف عليها أم مستنبطة ومأولة وتحتمل الظن؟

2. ما مفهوم النزعة الحيوية في الفكر المصري القديم وكيف أثّرت تلك النزعة في الفكر اليوناني، وفي "الأوديسة" على وجه التحديد؟

3. كيف جاءت قصة "الأوديسة" وسياقها ونصوصها محاكية للأدب المصري القديم المتمثل في قصة "الملاح الغريق"؟

ما أوجه التّشابه في مفهوم النّفس بين الفكر المصري القديم و"أوديسة" "هوميروس"؟

4. إلى أيّ مدى توافقت فكرتا محاكمة الموتى في الفكر المصري القديم وفي "الأوديسة" وهل أثرت إحداها - وأعني محاكمة الموتى عند المصريين القدامى - في الأخرى، وإذا كان الأمر كذلك، فما طبيعة هذه الموافقة أو ذلك الأثر؟

5. ما المؤثّرات المصريّة التي ألقت بظلالها على مفهوم "هوميروس" فيما يتعلق بالثواب والعقاب الأخرويين وكيفيتهما والتي ظهرت لاحقًا في "الأوديسة"؟

6. آمن المصري القديم -كما هو معروف- بالحياة الأخروية، ولكن هل حظي كل المصريين بالحياة الأخروية السعيدة أم كانت وفقًا على البعض دون الآخر؟ وكيف تأثر "هوميروس" بهذا، وكيف انعكس ذلك التأثر فيما أورده من أفكار ورؤى جاءت في "الأوديسة"؟

7. إلى أي مدى تشابهت آراء "هوميروس" فيما يتصل بقوى الموتى العقلية والجسدية بآراء الفكر المصري القديم كما وردت في الأدب الجنائزي؟

8. يقوم هذا البحث، إذن، على تناول وتحليل الأفكار اليونانية التي وردت في "أوديسة" "هوميروس"، والتي جاءت متشابهة أو متأثّرة بالفكر المصري القديم -كما ورد في الأدب الجنائزي- وذلك في محاولة لرصد المؤثّرات المصريّة في الفكر الهوميري، وتأتي محاور البحث على النحو التالي:

* **أوّلاً:** عرض فكرة "الأوديسة" وصياغتها لتوضيح المؤثّرات المصريّة فيها وكيف جاءت مشابهة للأدب المصري القديم المتمثّل في قصّة "الملاح الغريق".

* **ثانيًا:** عرض الأفكار الفلسفيّة المتضمّنة في "الأوديسة"، والتي يمكن أن نجد فيها مؤثرات مصرية، والتي تتمثل في مفاهيم: النزعة الحيوية، النفس البشرية، محاكمة الموتى، التصور المصري والهوميري عن العالم السفلي، الحياة الأخروية السعيدة، وقوى الموتى العقلية والجسدية في العالم الأخروي.

أوّلًا: فكرة "الأوديسة" وصياغتها

هل في الأدب اليوناني أثر من الأدب المصري القديم؟ وهل هذا الأثر واضح يمكن الوقوف عليه وتعيينه أم لا؟ وإذا كان هناك مثل هذا الأثر فما هي الآراء والأفكار التي جاءت معبّرة عنه؟

لقد تحدّث علماء المصريات عن الأثر المصري في "الأوديسة" وذلك من خلال عقد الموازنات بين النصوص المصرية ونص "الأوديسة"، ويمكن أن نتتبّع ذلك الأثر من خلال منظورين:

الأوّل: من حيث فكرة القصّة وصياغتها

الثاني: من حيث الأفكار والرؤى التي تضمّنتها "الأوديسة"، والتي نجد لها جذورًا أو أصولاً أو إرهاصات في الفكر المصري القديم، حتى نتمكّن من الوقوف على مثل هذا الأثر، إن وجد.

سنخصّ بالذكر هنا، وفي محاولة للإجابة عن التساؤل السابق، "أوديسة" "هوميروس". وبما أنّنا سنعرض لها، وما دخل فيها من الآداب المصرية، يحسن قبل ذلك أن نذكر ـ باقتضاب ـ ما الأوديسة؟

1. تعريف الأوديسة

إنّ المعنى اللّغوي "للأوديسة" مأخوذ من اسم بطلها "أوديسيوس" أي جواب الأفق، الذي كان اليونانيون يسمّونه أيضًا "أولسيوس" أو "أوليس" وسمّاه المصريون القدماء "عولس". وتقص هذه الملحمة علينا مغامرات "أوديسيوس" وما لاقاه من أهوال في طريق عودته من "طروادة" إلى وطنه ومقرّ ملكه، ومأوى زوجته الوفية "بينيلوب" وهي جزيرة "آتياكا" التي تقع على الشاطئ الغربي لبلاد اليونان، وقد دامت رحلته هذه عشر سنوات، أي أنّه تغيّب عن وطنه وأهله عشرين عامًا، قضى منها عشر سنوات في مقابلة أهل "طروادة"، وقضى العشر الأخرى في مغالبة الأهوال ومقاتلة الوحوش ومقاومة إغراء الساحرات والفاتنات اللائى التقى بهن عند بعض الشواطئ التي ساقته إليها الأمواج والعواصف؛ ولولا رعاية الإلهة "مينرڤا" وعطفها على ربيبها "أوديسيوس" لهلك البطل في رحلته الشاقّة ولمَا استطاع أن يعود إلى وطنه وإلى زوجته الحبيبة وإلى ابنه لينقذهما وينقذ وطنه من الطامعين[1]-[2].

---

[1]- تلك هى قصة «الأوديسة» وهي مقسمة إلى أربعة وعشرين كتاباً أو جزءاً، وما من لغة في أوروبا إلا ونقلت إليها، وقد نقلت إلى الفرنسية منذ زمن طويل، ووضع لها العلماء الفرنسيون ترجمات ودراسات ومنهم:

- Victor Berard: L⊠dyssée – tradition noéllo, vol (I), 1925.
- Gaston Maspero: Les Contes Popularies de l'Egypte Ancienne.

وهذا الأخير قد ترجمه إلى العربية: فاطمة عبد الله محمود، وراجعه وقدمه: محمود ماهر طه، ضمن سلسلة مصريات (2)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008، بعنوان حكايات شعبية فرعونية وسوف اعتمد في هذا التناول على تلك الترجمة.

[2]- هوميروس: الإلياذة، ترجمة: أمين سلامة، دار الفكر العربي، ط 2، القاهرة، 1981، مقدمة المؤلف، ص 18.

2. القصّة الموازية للأوديسة في الأدب المصري

يظهر أثر الأدب المصري[1] في شعر هوميروس -خاصة في الأوديسة- بل وربمّا قد لا يكون الأمر فيها أمر محاكاة لحوادث مصريّة يدخلها هوميروس في شعره، بل الأمر فيها أمر قصّة مصريّة معيّنة أغار عليها هوميروس وأدخلها في "الأوديسة" بعد أن حاول أن يلبسها ثوبًا يونانيًّا، فبقي الثوب شفّافًا، تطلّ القصة المصرية من ثناياه، بموضوعها وسياقها ونصوصها[2].

وتلك القصّة المصريّة المشار إليها هي قصة "الملاح الغريق"، وملخّصها أنّه في يوم أرسل الملك أميراً إلى أرض الإله "بلاد الصومال" ليحضر بعض النفائس، فلم يوفّق في مهمّته ورجع خائبًا، ولاقى في طريقه أهوالاً عظيمة، ولكنّه كان حزينًا يتوقّع شرًّا مستطيراً من الفرعون، وكان له تابع أمين أحزنه ما رآه على وجه متبوعه، وأراد أن يهدّئ خاطره، فذكر له "أنه كان مسافرًا على ظهر سفينة وحدث أن صارت عاصفة هوجاء حطّمت السفينة وغرق ركّابها عدا ذلك التابع حيث حمله الموج إلى جزيرة رمليّة، فوجد نفسه أمام ثعبان هائل لكنه ـ أي الثعبان ـ أحسن استقباله وأخذ يسري عنه بذكر مجازفة حدثت له مثل مجازفة ذلك البحار، ثم تنبّأ له بأنّ سفينة مصرية ستمرّ بهذه الجزيرة وستحمله إلى مصر سالماً[3].

3ـ المقارنة بين القصتين

تدور القصّتان ـ أعني "الأوديسة" و"الملاح الغريق"ـ حول رحلة بحريّة تغرق فيها السفينتان، ويبعد في كلتيهما البطل عن بلده وبيته، ويلقى أهوالاً ومصاعب ووحوشًا إلى أن يتسنّى لكليهما النجاة والعودة إلى الوطن، ولنا أن نتساءل هل هذا التّقارب بين القصّتين ينم عن تأثير وتأثّر بين الفكرين أو على الأقل مشابهة بينهما أم ليس الأمر كذلك، ولكنّه العقل

[1]- إن مصر أول بلد ربى في نفوس أبنائه روحاً أدبياً خالصة للأدب، حيث وضع المصري المؤلفات الأدبية البحتة منذ 2000 سنة قبل الميلاد، وللأدب المصري أنواع عدة: منها الأدب الغنائي أو العاطفي، وكان النوع القصصي بارزاً فيه، ويلي ذلك الأدب العلمي والحكم والأمثال، ثم الأدب التعليمي، وتدل جميع الشواهد على أنه من وحي مصر، حيث كان مؤلف «بتاح حتب» في الحكم والأمثال نواة لظهور أمثال سليمان وحكمه. وجملة القول، كان الأدب المصري القديم وليداً لحيوية مصر ولم تأخذه عن غيرها وهو وإن لم يبلغ مرتبة الأدب الحديث فإن له فضل الخلق والسبق والتأصيل.
انظر: حسن، سليم: الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة، مطبوعات كتاب اليوم، مؤسسة أخبار اليوم، العدد 2، القاهرة، 1990، ص 11، 13، 17.

[2]- عبد القادر حمزة، على هامش التاريخ المصري القديم، لا ط، القاهرة، مطابع الشعب، 1957، ص76.

[3]- سليم حسن، الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة، م.س، ص57.

أو الوجدان البشرى الذي قد يتخيل مثل هذه الرواية دون تأثير أو حتى معرفة بسابقتها؟ فكلّ إنسان ـ مصريًّا كان أو يونانيًا ـ يخشى المجهول، يخشى الوحدة، يخشى الوحوش المفترسة، فمن منّا رغم اختلاف الزمان والمكان والثقافات إذا ما تصوّر -بصورة أدبية- رحلة يقوم بها هو أو أحد ممن يعرف، من منّا لم تدر بخاطره تلك المخاوف؟ وإذا ما ركب سفينة تخيل أنّها ربمّا تغرق ويقذف به الموج إلى حيث لا يعلم، ولا يعدّ هذا نفيًا لما قاله أساطين علم المصريات الذين ردّوا لمصر حقّها وريادتها في الفلسفة والفكر، وإلا كان نفيًا لأطروحة البحث نفسها، ولكنّه تساؤل، إعمالاً للعقل لا للعاطفة في محاولة صوب الموضوعية لا الذاتية، والحيادية لا التحيّز، فلنبحث إذًا في الآراء والموازنات التي قدمت بهذا الصدد؛ لنتبينّ هذا الأمر.

إنّ الموضوع في القصة المصرية (الملاح الغريق) -كما ذكرنا سلفاً- غرق سفينة بحار مصري وفي "الأوديسة" غرق سفينة "أوديسيوس"، ويقول الكاتب المصري في قصته:

"... نزلت البحر على متن سفينة، يصل طولها إلى مئة وخمسين ذراعاً، أما عرضها فهو: أربعون، وبها مئة وخمسون من أفضل ملاحي مصر،... ولكن، فجأة، هبت ريح شديدة باردة، وأمسكت بقطعة خشب أما الآخرون... فقد هلكوا جميعاً... ولم يبق منهم أحد... ثم قذفت بي إحدى أمواج البحر إلى جزيرة ما، بعد أن أمضيت ثلاثة أيام بمفردي... وعندما بحثت عن شيء أضعه في فمي عثرت على بعض التين، والعنب وكافة أنواع الخضروات الرائعة... فشبعت وألقيت فائض ما كانت حملت به يداي، وأخذت أحفر حفرة، وأشعلت ناراً أضحية للآلهة..."[1].

أما الأوديسة: فبعد أن ترك "أوديسيوس" جزيرة "كاليبسو" ركب السفينة وحده، وبقي في البحر ثمانية عشر يوماً لم يحدث فيها حادث ثم ظهرت أمام عينيه جبال "فياكي" حينئذ أثار "زيوس" العاصفة فارتمت على "أوديسيوس" موجة عالية كسرت سفينته وفرقت أخشابها حينئذ ركب قطعة من الخشب واستمرّ عائماً ثلاثة أيام... وأخيراً جاءت موجة كبيرة دفعت به نحو الشاطئ الوعر، حيث استطاع بعناية الآلهة أن يلتجئ إلى غابة، صنع لنفسه مأوى يأمن فيه تحت شجرتين صغيرتين، ثم نام تخبئه الأشجار..."[2].

[1]- أمونى أمون عا: قصة الملاح الغريق، في كتاب جاستون ماسبيرو: حكايات شعبية فرعونية، ص182.

[2]- عبد القادر حمزة، على هامش التاريخ المصري القديم، م.س، ص75، 76؛ انظر أيضاً: هوميروس: الأوديسة، م.س، الفصل الخامس، فقرة 304: 332، ص 172، 178 بتصرف.

أما القربان الذي قدّمه البحار المصري فهو غير موجود في هذا الموضع من قصة "أوديسيوس"، ولكنّه تم نقله ـ وفقاً لجولينشيف ـ إلى مكان آخر وهو الموضع الذي يتحدث فيه عن مقام أوديسيوس عند الوحش "بولوفيموس[1]" حيث أشعل أوديسيوس ورفقاؤه ناراً قرباناً للآلهة[2].

أما عن أوجوه الاتّفاق بين ما كتبه "هوميروس" وما كتبه الكاتب المصري، فيتمثّل في النقاط التالية:

إنّ العاصفة تهبّ على السفينة في القصتين، كذلك كل من "أوديسيوس" و"الملاح المصري" يركبان قطعة من الخشب لينجوا بها، وكل منهما قذف به الموج إلى الجزيرة فضلاً عن بقاء كل منهما وحيداً لثلاثة أيام يناجي فيها نفسه فحسب، وكل منهما التجأ إلى غابة (مخبأ) يأمن فيه من الرياح والمطر، ثم وجد كل منهما أنواعاً كثيرة من الفواكة والبذور، كذلك شكر كلاهما الآلهة وقدما لها قرباناً. تلك هى أوجه الاتفاق بين ما كتبه الكاتب المصري وما كتبه "هوميروس" وهو اتفاق يكاد يكون في التعبيرات، إلا أن الموازنة لم تنته بعد[3].

يستأنف الكاتب المصري حديثه في قصته "الملاح الغريق" فيقول على لسان الملاح: "فجأة، سمعت، ضجة كأنّها رعد،... وتبينت (لاحقاً) أنّه ثعبان، يقترب نحوي،... وانتصب أمامي وفتح فاه،... وقال لي: من أتى بك أيها الصغير... في هذه الجزيرة... التي تمتدّ ضفاتها في قلب الأمواج؟![4] ثم بدأ الملاح مجيباً عن تلك الأسئلة يقص له روايته.

أما في الرواية اليونانية ـ الأوديسة ـ وفقاً لمورى وجولينشيف ـ فإن الذين يستقبلون "أوديسيوس" في أرض "فياكي" هم أناس لا وحوش، ومن ثم فلا يوجد دوي رعد في

[1]- يقطن ذلك «البولوفيموس» Polyphemus الوحش العملاق في بلاد "الكلوكلوبيس"، أولئك القوم المتغطرسين آكلي لحوم البشر، ولذلك ذهب "أوديسيوس" وروفقاؤه إلى كهف "بولوفيموس" وأشعلوا ناراً وقدموا ذبيحة وما أن رآهم حتى انقض عليهم وإلتهم رفقاء "أوديسيوس" بالتناوب حتى استطاع "أوديسيوس" بالحيلة فقأ عينه والهروب منه مستولياً على كباشه. انظر: "هوميروس": الأوديسة، ترجمة عن الأصل اليوناني: أمين سلامة، ط 2، القاهرة، دار الفكر العربي، 1974، الفصل التاسع، فقرة (151: 161)، ص236، 240، 242، 249؛ انظر: عبد القادر حمزة، على هامش التاريخ المصري القديم، م.س، حيث قدم فصلاً بديعاً عن المدنية اليونانية وأثر المدنية المصرية فيها معرباً لآراء "جولينشيف" و"موري"، وهما ممن أقرا ذلك الأثر، وقد رجعنا لذلك التعريب الذي قدمه في كتابه السابق ذكره. انظر أيضا: جاستون ماسبيرو، حكايات شعبية فرعونية، م.س، ص19.

[2]- عبد القادر حمزة، على هامش التاريخ المصري القديم، م.س، ص78.

[3]- م.ن، ص78.

[4]- أموني أمون عا، قصة الملاح الغريق، م.س، ص183.

قدومهم إليه، ولكن "هوميروس" لم يفته هذا الرعد في الفصل الخاص "ببولوفيموس"؛ لأنّ هذا الوحش يأتي ومعه دوي كدوي الرعد إلى المغارة التي إلتجأ إليها "أوديسيوس"، كذلك فإن الملكة "أريتي" تسأل أوديسيوس من أنت، وكذلك يسأله السؤال نفسه الملك "إلكسينوس" وحينئذٍ يأخذ "أوديسيوس" في أن يقص كما يقص السائح المصري الأهوال التي وقعت له[1].

نعود مرّة أخرى إلى القصّة المصريّة، حيث يقول الثعبان للملاح المصري مطمئناً إياه:

"... لا تخف، أيّها الصغير... إنك إذا كنت قد وصلت إلى، فذلك لأنّ الإله قد تركك على قيد الحياة... سوف تمضي شهراً وراء شهر حتى تصل إقامتك في هذه الجزيرة إلى أربعة أشهر، بعد ذلك، سوف تصل إحدى السفن من بلدك، وعليها الكثير من البحارين، وعندئذ تسافر معهم إلى وطنك، وستموت في مدينتك فيرد عليه الملاح مبتهجاً قائلاً: "... سوف أصفك للفرعون، مبيناً مدى عظمتك وجلالك... وسأجعلك تتزين وتتعطر بالدعاء والهتاف..." عندئذ يرد عليه الثعبان قائلاً: "لكن، حالما ستبتعد من هذا المكان، فلن ترى أبداً هذه الجزيرة... فإنها ستتحول إلى أمواج..." ثم يودّعه الثعبان متمنياً له الصحة والخير ويمنحه هدايا كثيرة، ثم يعود الملاح إلى وطنه مصر، ويقابل الفرعون بوصفه إنساناً قد مرَّ بالكثير من التجارب والمحن، فيقول له الفرعون: "فلتصبح عالماً يا صديقي"[2].

هذا عن الرواية المصرية فماذا عن الرواية اليونانية؟ يشكر "أوديسيوس" أيضاً على غرار الملاح المصري - "إلكسينوس" ويدعو له بمجد لا يفنى بالقرب من "زيوس"، ومثلما تصف القصة المصرية الجزيرة بأنّها أرض بعيدة لم يعرفها الناس كذلك هي الحال في الرواية اليونانية؛ حيث يعيش أهل "فياكي" في جزيرة بعيدة عن الناس، والجزيرة في القصة المصرية تختفي بين الأمواج بعد سفر الملاح المصري كذلك هي حال الجزيرة في الرواية الهوميرية حيث يكون نصيبها التدمير بعد سفر "أوديسيوس" منها. وملك الجزيرة في القصة المصرية ـ أي الثعبان ـ ينبئ الملاح بمصير الجزيرة بعد سفره منها وكذلك "إلكسينوس"

[1]- عبد القادر حمزة، على هامش التاريخ المصري القديم، م.س، ص79. انظر أيضاً: هوميروس، الأوديسة، م.س، الفصل السابع، فقرة (146– 176)، ص 205:200 بتصرف.

[2]- أموني أمون عا، قصة الملاح الغريق، م.س، ص185، 187.

يخبر "أوديسيوس" بمصير الجزيرة بعد سفره. وكما يتمنى الثعبان للملاح المصري الصحة الجيدة ويمنحه الهدايا، يتمناها الملك "لأوديسيوس"، وعند عودتهما -أعني الملاح المصري وأوديسيوس- يرى كلاهما أنه قد مر بالعديد من الخبرات والمحن[1].

وهناك أكثر من مشابهة عرضيّة بين القصتين، وليس ذلك مقتصراً على الجزئيات التي يمكن أن توجد على انفراد في كل قصة يدور فيها الكلام عن إنسان ينجو من الغرق بل المجموع يدل على أن الفكرة في القصتين واحدة، ومن ثم، فإن في "أوديسة" "هوميروس" أثراً واسعاً من القصة المصرية "الملاح الغريق"[2].

هذا عن فكرة "الأوديسة" وصياغتها وقد اتّضح ذلك الأثر المصري فيها، فماذا عن الأفكار والمفاهيم التي تضمنتها "الأوديسة" هل جاءت مشابهة للفكر المصري أم مغايرة له؟ وهو ما سوف نعرض له فيما يلي.

ثانيًا: الأفكار المتضمّنة في الأوديسة والتي يمكن أن نتلمّس فيها مؤثّرات مصريّة

1. النزعة الحيوية Animism

نجد تلك النّزعة الحيويّة في الفكر اليوناني الملحمي في "الأوديسة"؛ حيث نجد أشجارًا تتحوّل إلى بشر، وبشرًا يتحوّلون إلى أشجار، وتتضح تلك النزعة في تساؤل "بينيلوب" الموجّه إلى "أوديسيوس"، والذي يعكس اعتقاد اليونانيين بمثل هذه النزعة؛ حيث تقول له مستفهمةً عن أصله: "أنك لم تنبثق من شجرة سنديان أو من صخرة صوان، ولا من حجر، كما تروي الحكايات القديمة"[3].

وليس هذا بالغريب على التصوّر اليوناني الذي جعل الإله "زيوس" يخلق الجيل البشرى البرونزي من شجرة، كذلك فإنّ الطبيعة عند "هوميروس" حيّة ومريدة في آن واحد، ويستمرّ هذا التصوّر عند الفلاسفة السابقين على سقراط بعد أن يأخذ شكله الفلسفي، فيتحوّل من

[1]- عبد القادر حمزة، على هامش التاريخ المصري القديم، م.س، ص 80؛ انظر أيضاً: «هوميروس»، الأوديسة، م.س، الفصل (xiii) ص 324: 329.

[2]- عبد القادر حمزة، على هامش التاريخ المصري القديم، م.س، ص80-81؛ انظر أيضاً: كلير لالويت: نصوص مقدّسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاتي، تقديم: بيير جريمال، لا ط، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، 1996، المجلد الثاني، المقدمة، ص14.

[3]- هوميروس، الأوديسة، م.س، فصل 19، ص 460.

النّزعة الحيويّة إلى مذهب حيوية المادة[1] ثم انتقل هذا التصوّر إلى الرومان حيث يرون في أشجار السنديان الأمهات الأولى للبشر، الأمهات اللواتي غذين نسلهن بثمرة البلوط[2].

والتساؤل هنا: هل كانت تلك النزعة قائمة في الفكر المصري القديم، بمعنى هل تأثّر الفكر اليوناني وخاصة "الأوديسة" موضع الدراسة، بتلك النزعة في الفكر المصري أم كانت وقفًا على الفكر اليوناني ومن إبداعته الخاصة؟

لقد كان للنزعة الحيوية وجود لا يمكن إنكاره في العقائد المصرية القديمة؛ حيث كان المصريون يعزون لبعض الحيوانات والأشياء قوى سحرية تجعلها تبدو كأنّها كائن ذو روح وعقل، وقد انتقلت مثل هذه النزعة إلى التراث اليهودي بشكل أو بآخر؛ حيث نصّت أسفار العهد القديم، خاصة سفر "الخروج"، على أنّه إذا نطح ثور رجلاً أو أمرأة فماتا، يرجم الثور ولا يؤكل لحمه (سفر الخروج 28/21)، وقد انتقلت هذه الفكرة إلى أثينا حيث كانت هناك في أوج ازدهارها محكمة خاصة بمحاكمة الحيوانات بل ومحاكمة الآلات، وهذه الأفكار التي سادت بين اليهود ثم اليونانيين لها أصول مصرية، ولقد وجدت طريقها إلى الفيلسوف اليوناني "أفلاطون" في محاورة "القوانين" حيث قرّر فيها محاكمة الحيوان إذا ثبت جرمه بإعدامه[3].

تتمثّل تلك النّزعة الحيويّة في تقديس المصريين للأشجار، ويُعدّ ذلك التقديس أثراً من أقدم العصور، واستمرّ خلال عهد الدولة الحديثة؛ حيث كان أهل "طيبة" يقدمون لها الأدعية، كذلك فإنّ عبادة شجرة الجميز لم تبطل أبداً في "منف"، وتمثلها الجميزة الكائنة في جنوب معبد بتاح، ولقد كانت الإلهة "حاتحور" تسكن هذه الشجرة، ويظنّ كذلك أن آلهة أخرى كانت تستقرّ على بعض الأشجار الأخرى على حدود الصحراء، وهي "نوت" وكان المأمول أن تعطي هذه الأشجار للموتى المدفونين هناك الماء والطعام، وكذلك قد عرف الدين الرسمي للدولة الحديثة طبيعة إلهية لأشجار معينة في المعبد[4].

[1]- حسن طلب، أصل الفلسفة، لا ط، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2003، ص127.

[2]- جون ستيورات كوليس: انتصار الشجرة، ترجمة: مروان الجابري، مراجعة: أنيس فريجة، لا ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2013، ص110.

[3]- حسن طلب، أصل الفلسفة، م.س، ص74، 75.

[4]- أدولف إرمان: ديانة مصر القديمة، نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر، ومحمد أنور شكري، لا ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص 173-174.

كذلك نشأ "أوزوريس" إله الخضرة عند قدماء المصريين من شجرة (وكذلك أدونيس في سوريا)، وفي الأيام الأولى كانت شجرة الأكاسيا مرتبطة ارتباطاً وثيقاً "بأوزوريس"؛ حيث نجد العبارة التالية مكتوبة على رقيم قديم ""أوزوريس" يرتفع وينمو"، كما أنّ الأنصاب المصرية تمثّل جثمانه طي شجرة، وقد نشأ عند المصريين القدماء عادة قطع شجرة صنوبر، ووضع صورة "أوزوريس" داخل تجويفها[1].

كذلك أعدّ المصريون بعض الأشجار أنّها إلهية؛ حيث كانت الآلهة تتجلى للعيان فتبرز أجسامها كاملة من جذع الشجرة، ثم تعود إليها لتمتصّها من جديد، أو أن جذع الشجرة يأكلها مجدّداً كما يقول التعبير المصري، وكانت إلهات الأشجار هذه تعرف باسم "حاتحور" و"نويت" و"سلكيت" و"نيت"، ويعتقد أنّها تمدّ عبادها على الأرض بالغذاء، وكانت الزهريات المصرية القديمة تمثّل إلاهات منحنيات يسكبن الماء من وعاء، واللّبن من أثدائها، ذلك أن شجرة تين الجميز حينما تقطع، ينضح منها سائل لبني[2].

كذلك ارتبطت تلك النزعة بمفهوم المصري القديم عن العالم الأخروي حيث يصف "كتاب الموتى" رحلة الأرواح الطويلة والشاقة إلى دار النعيم، فعندما تغادر الروح الجسد تمضي بتصميم وعزيمة، تقطع الصحراء وتتسلق التلال وقد أنهكها الجوع وأضناها العطش، تصل أخيراً إلى شجيرات الجميز السماوية، عندئذ تبرز منها إحدى الإلهات الأربع، وتقدم للأرواح الفاكهة والخبز والماء، ثم تعبر بسلام جميع المهالك والمخاطر حتى تصل إلى جزر النعيم[3].

وحقيقة الأمر، لم تقتصر تلك النزعة الحيويّة عند المصريين في تقديسهم للأشجار فحسب، وإنّما أيضًا للكثير من الحيوانات التي أصبحت فيما بعد معبودات لديهم، ثم تطورت تلك النزعة إلى أن وصلت إلى الاعتقاد بأنّ الإله حال في كلّ كائن حي، بل في كل جزئيّة من جزئيات الطبيعة. وهذا الحلول الديني والفلسفي هو سرّ تقديسهم للحيوان والنبات[4].

---

[1]- جون سيتورات كوليس، انتصار الشجرة، م.س، ص75.

[2]- م.ن، ص76.

[3]-جون سيتورات كوليس، انتصار الشجرة، م.س، ص76.

[4]- محمد غلاب، الفلسفة الشرقية، ط2، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950، ص32.

ومن ثم، ووفقاً لما سبق عرضه، يتّضح تأثّر الفكر اليوناني و"الأوديسة" تحديداً بتلك النزعة الحيوية التي وجدت مبكراً ـ كما أسلفنا ـ في الفكر المصري القديم.

2. مفهوم النفس البشرية

هناك تقارب بين الأفكار الدينيّة لدى كل من "هوميروس" والمصريين القدامى، وتتمثل هذه الأفكار في: الاعتقاد بوجود حياة أخروية، وإنّ النفس هي الكينونة التي تخوض تجربة تلك الحياة الأخروية، تلك الحياة التي تعتمد على ما قدّمه الإنسان من سلوكيات في حياته الدنيوية[1].

فكيف نتبيّن هذا في ضوء ما ورد ذكره في النصوص المصرية القديمة، وفي مؤلفات هوميروس، وفي "الأوديسة" تحديداً.

أعرض أوّلاً لمفهوم النّفس عند كلّ من المصريين القدامى و"هوميروس"؛ لأنّها هي التي تحيا الحياة الأخروية، وتحاكم في العالم الآخر، وتخضع للثواب والعقاب، ثم أعرض لاحقاً للمفاهيم التي تتصل به ـ أي بمفهوم النفس ـ لنتبيّن أوجه الشّبه، إن كان هناك شبه بين التناولين المصري والهوميري ومدى تأثّر الفكر الهوميري بالفكر المصري السابق.

أ. النّفس عند المصريين

يرتبط نسق الأرواح المصري ارتباطاً وثيقاً بالعددين خمسة وتسعة، فكانت خمس أرواح متحدة في الحياة الأخرى تشكّل شخصاً موحّداً، وكانت الأرواح هي "الكا" (القرين)، "البا" (الروح الجوالة)، "الآخو" (الروح المتحولة)، "الرن" وهي روح الاسم، و"خابيت" أو روح الظل، وكان نسق من تسعة يشكّله: الجسم "غت"، فضلاً عن الأرواح الخمس وثلاث وظائف لها: "الخو" أي الكيان الروحي الذكي، "الساحو" ويعني الجسد الروحاني، "السخم" القوة والمعرفة الخالدة، ولكي توجد هذه الأرواح في الآخرة كان لا بدّ من حفظ الجسد، ونواة الجسد هى "إيب" أي القلب، فكان لابد من حفظه أيضاً[2].

[1]- Gary A. Stiwell: Afterlife Post – Mortem Judgments in Ancient Egypt & Ancient Greece, I Universe Books, United state of America, 2005, p120.

[2]- سيمسون نايوفيتس: مصر أصل الشجرة، ترجمة: أحمد محمود، لا ط، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2006، ج2، ص76.

وحقيقة الأمر، أن مكونات الإنسان في الفكر المصري شديدة التعقيد، وسوف نكتفي بذكر العناصر الرئيسة التي ترتبط بمفهوم النفس وتلك العناصر هي "البا" ba، "الكا" "ka" و"الآخو" "Akh"، وتظهر هذه الكينونات مبكراً في متون الأهرام[1] ولكنها كانت جزءاً من الفكر المصري قبل تدوينها على جدران الأهرام[2].

"البا": مقدسة وتعد مظهراً من مظاهر تجلّي القوى الإلهية على الأرض، وتمثل "البا" بالهيروغليفية طائر برأس آدمية يطير بحرية، وتظهر لأوّل مرّة بعد الموت، وتعدّ أكثر أجزاء الشخص خفاءً وتغيراً، تتجول أبداً وقتما تشاء، تعيش مع الآلهة وتزور الأحياء، وبعون من التعاويذ السحرية كان بإمكانها التحول إلى أي شكل من الأشكال[3].

تخرج "**البا**" من القبر وتتجوّل مع الإله في المركب الشمسي، وأصبحت فيما بعد عنصرًا مشتركًا في كل البشر وذلك عندما لم تصبح الرقي والتعاويذ وقفاً على الفراعنة الملوك فحسب، وظهر ذلك في "متون التوابيت" وفي كتاب "الموتى"[4].

"الكا": تمثل "الكا" قوة حياة الشخص، باعتبارها نوعاً من الملك الحارس والذي يبقى مع الجسد في القبر[5]، وهي ليست مقدسة بالضرورة، لذا فالبشر والآلهة قد يمتلكون "كاءًا" واحدة أو "كاءات" عدّة، وتوجد في القبر، حتى لو تحلّل وفسد الجسد، حيث تتسلّم الطعام والمنح الأخرى من الأحياء[6].

---

[1]- اقتحم علم المصريات Egyptology اهتمام دارسي العصر الحديث مع بداية فهم الكتابات المصرية القديمة، والذي بدأ مع "شامبليون" Champolion عام 1824، ورغم إمكانية معرفة الكثير من المعلومات وذلك من خلال المصادر الأركيولوجية غير المكتوبة، كذلك من خلال كتابات "هيرودوت" Herodotus و"بلوتارخوس" Plutarch، فإنه لا يمكن فهم أي من المصادر الأولى المكتوبة قبل ترجمة النصوص الدينية الهامة في منتصف القرن التاسع عشر، وأول هذه النصوص الدينية المصرية كتاب "the book of Going Forth by Day" "الخروج في النهار" والمعروف بكتاب الموتى "the book of the Dead" والذي بدأت ترجمته ودراسته عام 1842، ويتناول برديات العصر البطلمي (332 :31 BCE)، ومن ثم فلقد ترجمت النصوص المتأخرة من الفكر المصري القديم أولاً وكانت النبع الأول الذي يستقي منه أفكار المصريين القدامى عن الحياة الأخروية، ثم "متون الأهرام" التي ترجمها "جاستون ماسبيرو" بين عامي (1882–1893)، وكتبت هذه المتون في الأسرة الخامسة والسادسة (بعد عام BCE 2400)، وأخيراً "متون التوابيت" coffin texts والتي كتبت (بعد عام BCE 2200) وتشرت فيما بين عامي (1904: 1906). .104-C.F Gary A. Stiwell: op.cit, pp 103

[2]- Ibid, p108.

[3]- سيمسون نايوفيتس، مصر أصل الشجرة، م.س، ج2، ص76.

[4]- Gary A. Stiwell: op.cit, p 109.

[5]- دون ناردو: الأساطير المصرية، ترجمة: أحمد السرساوي، مراجعة وتعليق: علاء الدين شاهين، لا ط، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2011، ص18.

[6]- سيمسون نايوفيتس، مصر أصل الشجرة، م.س، ص76.

يكون الشخص في الآخرة -على الأقل- تحت سيطرة كائه، حيث إنّ "الكا" تعاون المتوفىّ بأن يتحدّث إلى الإله العظيم نيابة عنه، وكان المتوفى و"إلهه الحارس" "الكا" يعيشان حياة مشتركة "فما أجمل الحال في عشرة كاءك"، وبينما تكون علاقة "الكا" بالمتوفى واضحة، فإنها ليست بمثل هذا الوضوح في حال الأحياء، وإن أقدم مثال لمثل هذا الإله الحارس هو "أوزوريس" وهو إله جنائزي قيل إنه أصبح "كا" أحد الأهرامات ومعبده حتى يستمتعا بحمايته[1].

تقطن "الكا" أثناء الحياة في القلب، بينما تقطن "البا" داخل "الكا"، ويُعد ارتباطهما أثناء الحياة ارتباطاً حميمياً، وربما قد تغادر "الكا" الجسم في الأحلام، أما بموت الإنسان، فإن الشريكين (الكا والبا) اللذين لهما الأهداف والمقاصد نفسها بوصفهما وحدة واحدة حال حياة الفرد، ينفصلان ويبدو هذا الانفصال مرتبطاً بخبرة "البا" بفقدان الذاكرة. ولقد خصّصت العديد من فصول "كتاب الموتى" لاسترداد ذاكرة المتوفى، وربما يتم ذلك باتحاد "البا "و"الكا "مرة أخرى، حيث إنّ "الكا" تتضمّن نموذجاً كاملاً وسجلاً لحياة الفرد وذكرياته، وباتحادهما يصبح المتوفى "آخو" An Aakhu أي الشكل الخالد المتحول الذي سوف يعيش به إلى الأبد[2].

"الآخو": يرتبط الآخو بالإشراق الإلهي، وغالباً ما يسمى المتوفى في هذه الحال "بأوزوريس" Osiris بمعنى الفرد الذي تتوحد أجزاؤه مرة أخرى، و"الآخو "هو الذات الحقة في حالتها اليقظة الكاملة بعد الموت، وإذا لم يتم هذا الاتحاد فإن "البا" ترحل بعيداً، تتمتع بالحرية والسعادة المطلقتين تفعل ما تشاء وترحل إلى حيثما تريد، وتهتدي في ذلك بالباءات الأخرى في السماء، بينما تظل "الكا" ذلك المظهر الشبحي تكابد معاناة البرد والجوع والحاجة داخل القبر، حيث تتسلم "الكا" حاجاتها من "البا" ودون ذلك تفنى وتفسد في "الموتة الثانية" "The Second Death"[3].

---

[1]- جيمس هنرى برستيد: تطور الفكر والدين في مصر القديمة، ترجمة: زكي سوس، لا ط، القاهرة، دار الكرنك، 1961، ص90، 92.

[2]- Peter Novak: Division of the self: life after death & the Binary soul doctrine, art in, Journal of Near–Death Studies, 20 (3), human science press, spring 2002, p149.
C.F: Gary A. Stiwell: op.cit, p114.

[3]- Peter Novak: op. cit, p p 148– 149.

ب. النفس عند هوميروس:

ينبغي بداية أن نذكر أن فكرة النّفس بمعناها الديني والفلسفي الشائع لا وجود لها عند "هوميروس"، ولا توجد تلك الثنائية المعروفة بين نفس لا مادية، خالدة وجسم[1].

يُعدّ الشخص وفقاً "لهوميروس" جسداً مادياً يتضمّن نوعين من النفوس: نفس الجسم body-soul أو نفوس (μενος، νόος، θυμós) تلك النّفس التي تصبح فعّالة حال يقظة الفرد، والنفس الحرة Free Soul تلك النفس التي تنشط عندما يفقد الإنسان وعيه أو عند الموت، ومن ثم فالشخصية البشرية تتكون من كينونات متعدّدة هي: الجسم، النّفس The Psyche. التي تحمل ومضة الحياة وبدونها في الجسم يكون موته، ويعتقد أنّها قادرة على التقمص Reincarnate، ولا تمتلك أي مشاعر أو أحاسيس ولكنّها مركز للفكر العقلي المجرد[2]. والروح تقع في الحجاب الحاجز وتعدّ مسؤولة عن الشعور والأحاسيس[3].

ويطلق "هوميروس" الكلمة اليونانية χήψυ بمعنيين:

الأوّل: إنّها النّفس أو الحياة العضوية للكائن الحي، والثاني: إنّها الشّبح أو الخيال، وتوجد مواضع عدّة في شعر "هوميروس" يشير فيها إلى أنّه عند موت الإنسان تخرج نفسه أي شبحه ومثيله من فمه أو من أطرافه، مثال ذلك أنّ نفس الأبطال أي أشباحهم تذهب إلى العالم السفلي، بينما هم أنفسهم They Themselves يصبحون طعاماً للكلاب المفترسة والطيور الكاسرة (الإلياذة 3-5 و105 i، xxiii) والميت نفسه هو الجسد، أما الشبح فليس هو نفس الميت، بل قرينه أو مثيله، وعندما يذهب إلى العالم السفلي يكون بلا شعور وكل ماله أنه يشبه الشخص الحي الذي هو مثيله أو شبحه، ففي مواضع من "الأوديسة" نجد أن "أوديسيوس" يعرف كل الأشباح في العالم السفلي من شبههم للأحياء الذين يعرفهم[4].

وربما يكون مبعث هذا الخلط بين مفهومي الحياة والشبح باستخدام كلمة واحدة

[1]- حسام الدين الألوسي، بواكير الفلسفة قبل طاليس، أو من الميثولوجيا إلى الفلسفة عند اليونان، ط2، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1981، ص206.

[2]- م.ن.

[3]- Peter Novak: op. cit, p 149.

انظر أيضا: حسام الدين الألوسي، بواكير الفلسفة قبل طاليس، م.س، ص 206.

[4]- Gary A. Stiwell: op.cit, p 41.

لكليهما – χήψυ – مبعثه الفكر الشعبي السائد قبل "هوميروس"، والتي كانت النفس تُعدّ فيه نفس الحياة breath of life، تلك النفس التي تتلاشى وتهرب من الإنسان بموته، وترحل إلى هاديس لتستمرّ بوصفها ظلاًّ (eíΔολον) بلا مشاعر ولا فكر ولا أحاسيس[1].

كذلك ربما يكون المفتاح لهذا الخلط هو المعنى الاشتقاقى لكلمة النفس χήψυ كنفس أو تنفس Exhalation، فنفس الشخص الحي عند "هوميروس" كانت في الأصل النَفَسْ –الزفير exhalation –soul أو نفس ـ الاستنشاق breath ـ soul وهو أمر الوثوق من وجوده مؤكد في خبرة الناس الجسدية، كما يحدث في لحظات الإغماء أو الموت عندما تفارق الحياة مع النفس، ومن ثم ظهرت تعابير مثل خرجت نفسه من فمه أو من جسمه، كذلك فكرة طيرانها إلى العالم السفلي[2].

لكن من أين جاء هذا الشبيه الشبحي غير المادي إلى العالم السفلي، وكيف يتعلق بالشخص خلال حياته؟ يُتصوّر أنّ هذا القرين المنسلخ من الجسم، لا بدّ أن يعيش في الشخص خلال ما كان الشخص حياً وإن كان ليس له وظيفة محدّدة يزاولها؛ لأنّه لا يوجد أيّ دليل على ذلك في حياة اليقظة والشعور، وربما كانت في الوجدان في حال الحلم عند النوم، والتي يمكن تفسيرها كشيء مشابه لما يحصل عندما تترك النفس الجسم لحظة الموت، وإنما تتميز عنها بالدرجة فحسب[3].

بعد هذا العرض المقتضب لمفهوم النفس لدى كلّ من المصريين القدامى و"هوميروس" يمكننا أن نتلمس أوجه الشبه بينهما.

تتشابه الرؤيتان ـ أعنى المصرية القديمة والهوميرية ـ في تقسيم النّفس البشرية إلى كينونات عدّة في محاولة لتفسير كلّ جوانب الشخصيّة.

يتشابه التناول المصري والهوميري فيما يتّصل بمفهومي: "البسوخي" χήψυ و"الكا" Ka، -لقد فضلت أن أبقى على هذه المصلحات بلغتها الأصلية؛ لأنّه ليس لها ترجمة دقيقة محدّدة- حيث إنّ "بسوخي" كما ورد ذكرها في "الأوديسة" تمثّل المظهر الشبحي للنّفس

[1]- Gary A. Stiwell: op.cit, p 41.

[2]- حسام الدين الألوسي، بواكير الفلسفة قبل طاليس، م.س، ص ص 290،289.

[3]- م.ن، ص285.

ذلك المظهر الذي يرحل إلى مملكة هاديس، وكذلك هي الحال فيما يتّصل بمفهوم "الكا" المصرية؛ حيث تمثّل مظهراً شبحياً، وإذا تمّ اتّحادها "بالبا" فإنّها ترحل إلى العالم الأرضي ودونما هذا الاتّحاد تفنى في "الموتة الثانية".

لا نلمس رأيًا واضحًا فيما يتّصل بكيفيّة ارتباط القرين الشبحي؛ "بسوخي" عند "هوميروس" و"الكا" عند المصريين بالشخص في حال الحياة الدنيا، وربّما يحدث هذا في الحلم، وهذه الرؤية يتّفق فيها الجانبان ـ المصري والهوميري، ولكنّهما يختلفان في أنّه بينما أكّد المصريون على أهميّة وجود "الساح" أي الجسد حتى تهبط عليه النفس، فإنّه لا أهميّة للجسد في "أوديسة" هوميروس فما يبقى في "هاديس" الشبح فحسب.

3. محاكمة الموتى

لا شكّ أن فكرة إقامة محكمة للموتى، كما وردت في كتب الأساطير، يمكن أن تمثّل علامة على النزعة الفطرية للإنسان بضرورة وجود عالم آخر يتّصف بالعدالة بعد هذا العالم الدنيوي، وهو أمر أكدته الديانات السماوية، وجُعِل ركيزةً لدعوةِ الأنبياء في إطار إصلاح الإنسان وإيصاله إلى كماله. فانطلاقاً من أنّ الحياة ما هي إلا رحلة نخطو فيها خطواتنا صوب الآخرة، انطلاقاً من وجوب الثواب والعقاب ومنطقية إثابة الصالح وعقاب الطالح، انطلاقاً من الإيمان بالعدالة الكونية. أيما كان الباعث لخلق هذه الفكرة، فإنّ ما يعنينا في هذا السياق فكرة "المحاكمة" "محاكمة الموتى" كما وردت في "الأوديسة" (ف11، فقرة 650)، والتي وردت سابقاً في النصوص المصرية القديمة، فإلى أي مدى توافقت الفكرتان؟ وكيف أثّرت إحداها في الأخرى؟

هذا ما يمكن الأجابة عنه من خلال العرض لمفهوم المحاكمة لدى كلّ من المصريين القدامى أوّلاً، ولدى "هوميروس" ثانياً وذلك للوقوف على هذا الأثر أو التأثّر.

أ. محاكمة الموتى عند قدماء المصريين

اعتقد المصريون ـ كما هو معروف ـ بخلود النّفس، وبأنّ هناك حياة أخرى يجازى فيها المحسن على إحسانه والمسيئ على إساءته، والمنطق الذي استندوا إليه في هذه العقيدة هو أن الحياة الدنيا مزيج من الخيرات والشرور. والمشاهد أنّ الحياة التي يعيشها الإنسان

على الأرض ليست جديرة بتحقيق المكافئات أوالعقوبات، ومن ثم وجب وجود حياة أخرويّة يؤتى فيها الفرد بأعماله الدنيويّة ويجلس أمام محكمة "أوزوريس"[1].

ترد محاكمة المصريين القدامى للموتى في الآخرة في روايات ثلاث مختلفة، أهمّها تلك الرواية التي تصوّر المحاسبة عن طريق الموازين، والتي وردت في كتاب الموتى (الفصل 125) ذلك الفصل الذي يُعدّ أهمّ نصوص الكتاب، ويعرف باسم "فصل الاعتراف السلبي" أو المحاكمة، أمّا عنوانه الأصلي هو "ما يقال عند دخول المرء إلى قاعة العدالة المطلقة وتبرئة نفسه من كلّ فعل مشين". ويوضّح الرسم المصاحب للنص "حورس" وهو يقدّم المتوفى "هونفر" "لأوزوريس" الجالس على عرشه وخلفه زوجته "إيزيس" وأخته "نفتيس تحميانه، ثم مشهد وزن قلب المتوفى الموضوع على الكفّة اليسرى وعلى الكفّة اليمنى ريشة "ماعت" ربة الحق، و"أنوبيس" يراقب مؤشّر الميزان، و"تحوت" يدوّن النتيجة، وينظر له مفترس القلوب (آكل الموتى) في انتظار النتيجة، ففي حالة عدم تساوي الكفتين فسوف يلعن المتوفى، ويقوم بافتراس القلب، وفي أقصى يسار المشهد نجد "أنوبيس" يقود المتوفى في قاعة العدالة "ماعتى"[2] وفي أعلى الرسم نجد صفاً من الآلهة يشكلون جانباً من الآلهة الاثنين والأربعين الذين يمثلون أقاليم مصر[3].

هذه هي الصورة الإجماليّة -باختصار- لمحاكمة الموتى، ويأتي مفهوم الثواب والعقاب في الفكر المصري وفقاً لهذه المحاكمة وهو ما سنعرض له لاحقاً، وتتضمن المحاكمة -كما هو معروف- وزناً لقلب المتوفى؛ حيث إنّ القلب هو مركز الشعور والفعل والمسؤوليّة وبحضور آلهة الموتى السالف ذكرهم.

هذا عن محاكمة الموتى عند المصريين القدامى فما هي الحال في "أوديسة" "هوميروس"؟

---

[1]- محمد غلاب، الفلسفة الشرقية، م.س، ص57-58.

[2]- «ماعتى» مثنى «ماعت»، أي ماعت للأرض وماعت للعالم الآخر، ماعت الوجه القبلي وماعت الوجه البحري، وهناك تفسير آخر بأن وجود «ماعت» في صورة ثنائية دليل على العدل المطلق.

انظر: الخروج في النهار (كتاب الموتى): ترجمة وتعليق: شريف الصيفي، ط2، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2009، تعليق المترجم، ص 261.

[3]- م.ن، ص260.

انظر أيضا: جيمس هنرى برستيد: فجر الضمير، ترجمة: سليم حسن، لا ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000، ص278.

ب. محاكمة الموتى في الأوديسة

يقول "أوديسيوس" في سياق وصفه للعالم السفلي: "رأيت هناك "مينوس" Minos بن "زيوس"، ممسكاً بالصولجان الذهبي في يديه، يحكم بين الموتى وهو جالس في مقعده بينما هم قيام وقعود حول الملك في بيت هاديس المتسع الباب يطلبون منه الحكم..."[1]حيث يتسلم القاضى "مينوس" النفوس من "هيرمس"[2] قائد النفوس psychogogos[3].

ولقد ذكر موضوع محاكمة الموتى في نصوص يونانية أخرى (كالإلياذة مثلاً) كما هى الحال في النصوص المصرية[4]. ونستعين -لتوضيح ذلك- بفقرتين من "الإلياذة" لمعرفة ما يعنيه "هوميروس" بالمحاكمة؛ حيث لم يرد ذكرها صراحة في "الأوديسة" موضع البحث.

يذكر "هوميروس" في "الإلياذة" بصدد وصفه لأرواح الأبطال، وهي توزن لتحديد أيهما سيفوز في المعركة المحتدمة بين "هيكتور" الطروادي "وأخيل"؛ حيث رفع الأب الأكبر "زيوس" ميزانه الذهبي عالياً، ووضع في كفتيه قدر كل من المتصارعين حتى الموت، ثم أمسك بالميزان من مركزه ورفعه إلى أعلى، إذا بقدر "هيكتور" المحتوم يتثاقل نزولاً كمن يهرول إلى العالم السفلى هاديس (الإلياذة213: 208،XII). وهذه الفكرة عن وزن الأرواح كانت معروفة في أماكن أخرى عند الأغريق أو الطرواديين، وربّما يوحي ورود مسألة وزن الأرواح هكذا باختصار شديد عند "هوميروس" يوحي بأنّ هذا المفهوم كان راسخاً ومألوفاً

[1]- هوميروس، الأوديسة، م.س، (ف xi، فقرة 650)، ص296.

[2]- هيرمس Hermes، تشتق كلمة Hermes من الكلمة اليونانية herma بمعنى الحجر، وتعنى عند اليونانيين الأول معاني عدة منها: إله القطعان، حارس طرق المحاكمة الأخروية، حامي المسافرين في رحلتهم للآلهة، مخترع القيثارة والصولجان، ثم أصبحت تعني لاحقاً قائد الموتى في العالم السفلي، راعى الخطباء والتجار، إله الشفاء، وأخيراً نظر إلى "هيرمس" – وفقاً لاعتقاد الأغريق في وحدة الطبيعة بوصفه إله الحقيقة والعدالة، ذلك الإله الذي تلاشى في القوى الإلهية الكونية. وهناك تماثل بينه وبين الإله المصري "Hermanubis" "هيرمانوبيس"، ذلك الاسم المكون من "حورس" Horus و"أنوبيس" Anubis، و"أنوبيس" هو رسول الآلهة ومرشد الموتى، كذلك يتماثل مع "تحوت" Thoth (إله الحكمة والتعليم)، كما ارتبط "هيرمس" أيضاً بآلهة مصر المحلية، وبالحيوانات المختلفة، والنباتات، الشمس، والقمر، ثم ظهر في مصر في عهد الأمبراطورية الرومانية – بوصفه إلهاً للوحي يعبد في "هيرموبوليس" Hermopolis.

C.F: B.C.P: Hermes. Art in, Encyclopedia of religion, ed by,Vergilius Ferm, The philosophical, library ,New York. 1945 p333.

[3]- Haides, art in, Theoi Greek Mythology. : http://www.theoi. com./kosmos/Haides.html

[4]- Roff.E& Nadler. L: Homer's odyssey, Greek underworld & Afterlife.
In, A Virtual Museum of death&Afterlife in Egypt &Greece.
Cciv244s2013.site.wesleyan.edu./…/homers-odyssey-the…

في أذهان كل من "هوميروس" وقرائه، كذلك ورد ذكر وزن روحى "ممنون" و"أخيل" إلى جانب تصوير والدة كل منهما وهي تتوسل إلى "زيوس" من أجل ولدها (الإلياذة VIII,70)[1].

ومن ثم، تتّضح من الفقرات المشار إليها سلفاً في (الإلياذة) والأوديسة (ف11، فقرة 650) موضع البحث، أن فكرة محاكمة الموتى قد وردت عند اليونان كما وردت مسبقاً عند المصريين، أما عن أوجه الشبه والاختلاف بين المحاكمة المصرية واليونانية فيمكن إجمالها على النحو التالي:

تجعل المحاكمة اليونانية من "هيرمس" صاحب دور بارز في يوم الميزان، مثلما يتولى نظيره المصري "تحوت" تسجيل ما تسفر عنه الأوزان، بل وليس "هيرمس" نظيراً لتحوت فقط، وإنّما أيضاً "لأنوبيس" المصري الذي يرد في "كتاب الموتى" ضمن الآلهة في المحاكمة ووقت الميزان، وهو يرشد خطى الأرواح من حياة الدنيا عبر بوابات الموت إلى دار الخلود[2].

وهذه الصورة هي ما يعبّر عنها "هوميروس" في "الأوديسة" في وصفه لأرواح الطغاة (أعداء أوديسيوس)، عندما يقودها "هيرمس" وهي تتبعه وهي تتمتم، فقادها، ذلك المرشد مجتازاً أوقيانوس وأبواب الشمس.. وصولاً إلى حيث تقطن الأرواح، أشباح الناس الذين هلكوا في القتال[3].

وجملة القول، تتفق الأفكار المصرية واليونانية عن مفهوم المحاكمة والميزان الأخرويين، لكن الفرق بينهما أنّ الميزان في التصوّر المصري يكون بين قلب المتوفى وريشة العدالة (ماعت)، أما في التصوّر الهوميري فالميزان فيه يكون بين الأرواح، كذلك التصوّر الذي شهدناه بين وزن روحي "هيكتور" و"أخيل"[4]. كذلك تتفق الرؤيتان فيما يتصل بمحاكمة الموتى على أن المصير المنتظر للأرواح يتحدد وفقاً لها، فإما إلى مصير التعساء وإما إلى مصير الآلهة الخالدين، وهذا ما سوف نعرض له بسياق الحديث عن فلسفة الثواب والعقاب بين الفكر المصري القديم و"أوديسة" "هوميروس".

[1]- مارتن برنال: أثينا السوداء، تحرير ومراجعة: أحمد عتمان، ترجمة: لطفي عبد الوهاب يحيى وآخرين، لا ط، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 1997، ج1، ص496.

[2]- م.ن، ج2، ص496، 497.

[3]- هوميروس، الأوديسة، م.س، الفصل (xxiv، فقرة 5: 10)، ص561، 562.

[4]- مارتن برنال: أثينا السوداء، م.س، ج1، ص497.

4. فلسفة الثواب والعقاب

يأتي الحساب الأخروي في الفكرين المصري والهوميري وفقاً لما أسفرت عنه نتائج المحاكمة فإما ثواباً وإما عقاباً، وهذا نمط آخر من أنماط التشابه بين الفكرين، لكن إلى أي مدى تماثلت الرؤى بينهما وما المؤثرات المصرية التي تسلّلت إلى الفكر الهوميري في مفهوم الحساب الأخروي كما ورد في "الأوديسة"؟

هذا ما سوف أحاول الإجابة عنه من خلال العرض لمفهوم الثواب والعقاب أولاً في الفكر المصري، وثانياً في "الأوديسة".

أ- فلسفة الثواب والعقاب في الفكر المصري القديم

ورد ذكر مصير من ثقلت موازينه في العديد من مواضع الأدب المصري ـ فعلى سبيل المثال ـ يظهر الرسم المصاحب للفصل (126) من كتاب "الخروج في النهار" أربعة من القردة حول "بحيرة النار" وثمانية من ثعابين الكوبرا يحرسونها، تلك البحيرة التي تمثّل الجحيم الذي ينتظر من ثقل قلبه بالذنوب؛ حيث يصوّر ذلك الفصل حديث المتوفى للقردة مستغيثاً بها وطامحاً في الوصول "لروستاو" فيقول: "أيتها القردة الأربعة يا من تجلسون في مركب الشمس... أبعدوا عني الشر، افتحوا لي مملكة الموت... لأعبر بوابات الغرب السرية[1].

كذلك فإن المتوفى الذي يُخفق في اختبار الحكم في "قاعة الحقيقتين" يحكم عليه بالموت موتة ثانية، "ميت أم نم"، وبالفناء وبألّا يكون له حياة أخرى، فمن تثقل موازينه يلتهمه الوحش "أم موت" آكل الموتى وهو توليفة من وحش شيطان أنثوي الشكل وأسد وفرس نهر وتمساح يلتهم قلب المتوفى، وكان على المتوفى أن يأكل فضلاته وكان يُحرق ويُغلى، وكان القرد "باى" يمزق المتوفى إرباً، وكان "شزمو" إله معصرة النبيذ يشفط دمه كله[2].

تتضح العلاقة، أيضاً، بين العقاب الأخروي ومحاكمة الموتى في الفصل (127) في "كتاب الموتى" والمعنون بـ"كتاب التعبد لآلهة الكهوف" ويذكر فيه تلك الكلمات التي يردّدها

[1]- كتاب الخروج في النهار، م.س، ص 273، 274.

[2]- سيمسون نايوفيتس، مصر أصل الشجرة، م.س، ج 2، ص 58.

المتوفى: "السلام عليكم يا آلهة الكهوف،... يا حراس الأبواب... الذين يبتلعون أجساد الموتى، الذين يطؤونهم ويمشون عليهم عندما يكلفون بالحضور إلى مكان الإبادة..."[1].

هذا عن عقاب الآثمين فماذا عن ثواب الأخيار؟ نوضّح هذا من خلال العرض اللاحق لمفهوم الثواب في الفكر المصري.

ب. الثواب في الفكر المصري القديم

تصوّر المصري القديم أنّ مقرّ الأبرار هو المصير الذي ينتظره الأخيار، وهو مجموعة من الجزر، تسمى إحداها "حقل الأطعمة" وهي بهذا الاسم تدلّ على وفرة الطعام بها، ومن ثم يستقرّ فيها الآلهة والمخلدون، أزكى منه شهرة "حقل أيارو"، وقد تصوّر المصريون هاتين الجنتين على شاكلة بلادهم نفسها، إذ يغمرها الفيضان ويزدهر فيها الزرع، وفي الشرق من السماء "شجرة الجميز السامقة" وهي شجرة الحياة التي تعيش عليها الآلهة ويغذي ثمرها الأبرار، وللمتوفى البار أن يطمع في أطعمة أخرى وفي حياة طبيعية "إنه يتلقى نصيبه مما في شونة الإله العظيم"، و"يلبس من الثياب ما لا يفنى، وله من الخبز والجعة ما يبقى أبداً"[2].

غير أن هناك ـ فضلاً عما سبق ـ تصوراً أخروياً آخر بدأ بمركز ثانوي ثم ساد سائر ماعداه وهو عقيدة الإله المتوفي "أوزوريس"، فالإنسان الذي يدفن في الأرض إنما يلقى المصير نفسه الذي تلقاه الإله، فالميت سوف يصحو ثانية على نحو ما بعث مجسداً، فهذا هو المصير الذي ينتظر الأتقياء الذين يعبدون "أوزوريس"[3]. وهو ما سنتحدث عنه بشيء من التفصيل في إطار الحديث عن الحياة الأخروية السعيدة في الفكر المصري.

هذا عن فلسفة الثواب والعقاب في الفكر المصري القديم ولقد جاءت هذه الفلسفة مرتبطة بمحاكمة الموتى، فما مفهوم تلك الفلسفة إذن في "الأوديسة"؟

ت. فلسفة الثواب والعقاب في "الأوديسة"

يرى "هوميروس" أنّ الحساب الأخروي إمّا عقاباً وإمّا ثواباً وفقاً لما قدّمه الإنسان

[1]- بول بارجيه: كتاب الموتى، ترجمة: زكية طبوزاده، لا ط، القاهرة، دار النشر للفكر والدراسات والنشر، 2004، ص141.

[2]- أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة، م.س، ص ص243، 242.

[3]- م.ن، ص247، 249.

في حياته، ونبدأ أولاً بعرض مفهوم العقاب كما أورده في "الأوديسة".

ث.العقاب في الأوديسة

يرى "هوميروس" أنّ العقاب الذي يلقاه الخطّاؤون يوضّح أفعالهم الدنيوية، تلك الأفعال التي تنعكس نتائجها عليهم في العالم الأخروي[1].

ويتحدّث عن نماذج من هذا العقاب الذي يلاقاه الأشرار ويخص بالذكر ثلاث من هذه النماذج متمثلة في عقاب كل من: "تيتوس" Tityos، و"تانتالوس" Tantalus، و"سيسوفوس" Sisyphaus، ويوضح مدى معاناتهم ويذكر أسبابها.

يذكر "هوميروس" أنّه وجد "تيتوس"[2] مستلقياً على الأرض، ممدّداً فوق تسع نتوءات صخرية، بينما يقبع نسران، واحداً عن كل جانب ينهشان كبده، ويمدان منقاريهما في أحشائه، وهو لا يملك من نفسه دفعاً لهما بيديه، وذلك بسبب استخدامه العنف مع "ليتو"[3].

كما رأى "تانتالوس"[4] يعاني أمر العذاب، واقفاً في مستنقع، والمياه تبلغ الربى، ورغم ذلك يشكو الظمأ، ولا يستطيع أن يتناول من الماء القريب من فمه ويشرب، فكلما انحنى ذلك الرجل العجوز متلهفاً إلى إطفاء ظمئه، انحسر الماء واختفى، وظهرت الأرض السوداء عند قدميه، إذ كان أحد الآلهة يجعل كل شيء جافاً، كما كانت الأشجار الباسقة دانية القطوف فوق رأسه، كلما هم بالوصول إليها ليمسكها بيديه، هبت عليها الرياح ودفعتها إلى السحب الظليلة[5].

رأى "هوميروس" أيضا "سيسوفوس" (سيزيف) في عذاب مرير، يحاول أن يرفع صخرة

---

[1]- Roff.E & Nadler. L: Op.cit.

[2]- تيتوس: ابن جيا (إلهة الأرض)، كان عملاقاً ضخمًا لاقى حتفه، إما عند محاولته سلب عرض «ليتو» بالقوة مدفوعاً من «هيرا»، لأنها -ليتو- كانت إحدى عشيقات زيوس، وإما بسبب محاولته هذا الأمر مع «آرتميس،» قتله «زيوس» أو «أبولو»، وصار يضرب به المثل في الأدب لكل من يستحق العقاب اللائق.
انظر: هوميروس، الأوديسة، م.س، هامش. ص 296-297.

[3]- م.ن، الفصل (xi)، فقرة 560: 570، ص 294.

[4]- تانتالوس: كان ملكاً في «ليديا» ذا قوة عظيمة وثروة هائلة، صاحب حظ كبير لأنه كان يدعى إلى مآدب ومجالس الآلهة، واثبتت الأيام أن نعمه كانت أكثر من اللازم، وأنها أدت إلى سقوطه.
انظر: هوميروس، الأوديسة، م.س، هامش ص297.

[5]- م.ن، الفصل (xi)، فقرة 670: 680، ص297.

هائلة بكلتا يديه، ملقياً بها فوق قمة تل، بيد أنه كلما أوشك أن يقذف بها فوق القمة، ردها الثقل إلى الوراء ثم إلى أسفل من جديد، فتسقط تلك الصخرة العاتية. متدحرجة فوق السهل، فيعاود المحاولة من جديد، ويقذف بها ثانية، والعرق يتصبّب من أطرافه، والغبار يتصاعد من رأسه[1].

ج. مفهوم الثواب في الأوديسة

جاء "هوميروس" بمفهوم للثواب في "الأوديسة" مخالف مخالفة صريحة لآرائه السابقة (في الإلياذة)؛ حيث يذكر -في الإلياذة- أن الموت نهاية للوعي، وفناء تام للشخصية، لكنّه يعارض هذه الآراء في الكتاب الرابع من "الأوديسة"، فيقول: "إنّ الشخص لا يموت لكنه ينتقل إلى إليوزيوم [2] Elysium حيث ينعم بالنعيم الأبدي[3].

يقول ـ "هوميروس" ـ في سياق الحديث بين عجوز البحر "برويتوس" و"تليماخوس" والذي يدور حول سؤال الأخير عن أبيه "أوديسيوس"، فيذكر "برويتوس" أنّه شاهده في جزيرة يسكب الدموع الساخنة في ساحات الحورية "كاليبسو" التي تحتجزه رغماً عنه، فلا يستطيع الذهاب إلى وطنه، إذ لا يملك سفناً ذات مجاديف، ولا أي رفيق يبعث به عبر ظهر البحر الفسيح..." ثم يوجه حديثه إلى "تليماخوس" قائلاً: "... أما أنت نفسك،... يا سليل زيوس، فليس مرسوماً لك أن تموت وتلقى حتفك في "أرجوس" Argos مرعى الجياد، بل سوف يحملك الخالدون إلى السهل الإليوزي (الحقول الإليوزية) حيث يقيم "رادامانتوس"

[1]- تانتالوس: كان ملكاً في «ليديا» ذا قوة عظيمة وثروة هائلة، صاحب حظ كبير لأنه كان يدعى إلى مآدب ومجالس الآلهة، واثبتت الأيام أن نعمه كانت أكثر من اللازم، وأنها أدت إلى سقوطه.
انظر: هوميروس، الأوديسة، م.س، الفصل (xi)، فقرة 680، ص297.

[2]- الحقول الإليوزية هي المقر الأخير لنفوس الأبطال والخيرين، وعادة ما يميز القدامى بين مجاليين أخرويين: «جزيرة السعداء»، والحقول الليثة Lethean في "هاديس"، الأولى: تعرف بالجزيرة البيضاء، وتماثل مجالاً من الحياة الأخروية يماثل الفردوس الذي يقع عند المصب الغربي لأوقيانوس ويحكمها الملك الأعظم "كرونوس"، ويقع المجال الثاني من العالم الأرضي خلف نهر "ليثي" Lethe ووعد به الخيرون ومن الأبطال الذين رحلوا إلى الحقول الإليوزية: الأبطال- الأوَّل = أمثال "كادموس" Kadmos ملك طيبة، "ورادامانتوس" بن زيوس، وأورفيوس، وأبطال الحرب الطروادية أمثال "أخيلوس"، "وبينيلوب" زوجة "أوديسيوس" وغيرهم.

CF: Theoi Greek Mythology.

[3]- R. Drew. Griffith: Mummy wheat: Egyptian influence on the Homeric view of the afterlife and Eleusinian mysteries, university press of America, London, 2008, Review by Nikolas Lazaridis, in, Bryn Mawr Classical Review, 2009, 04, 25. http:bmcr.brynmawr.edu/200925-04-.html

Rhadamanthys [1]... حيث الحياة هناك أسهل ما تكون للبشر، حيث لا جليد، لا عواصف عاتية، لا مطر...»[2].

ومن ثم، ووفقاً لما سبق عرضه، نجد أنّ كلا الرأيين ـ المصري والهوميري ـ قد جعل كلاًّ من الثواب والعقاب الأخرويين نتيجة حتمية لمحاكمة الموتى.

أفاض الفكر المصري القديم في وصف العذاب الأخروي بحيث تحدث -كما أسلفنا- عن بحيرة النار، وكأنّها بمثابة إرهاص لمفهوم الجحيم في الفكر الديني اللاحق، ولا يخلو أيضاً من وجود الوحوش المفترسة والحيوانات المرعبة التي تنال من المتوفى حال إقرار أخطائه، أما الفكر الهوميري في الأوديسة تحديداً رأينا صورة العذاب أخف وطأةً وربما يتماثل النموذج الأوّل الذي تحدث عنه "هوميروس" مع كيفية العقاب الأخروي المصري، حيث يصور المخطئ "تيتوس" والطائر المفترس ينال منه ومن كبده ويسقيه العذاب لفعلته الدنيوية.

أمّا الأمر الذي ربّما يكون الأكثر وثوقاً فيما يتّصل بالمؤثّرات المصريّة فهو كيفيّة الإثابة التي أشار إليها هوميروس في "الأوديسة"، والتي لم يكن لها موضع في فكره السابق، وهو ما سوف نتناوله في سياق الحديث عن العالم السفلي عند "هوميروس".

5. التصوّر المصري والهوميري عن العالم السفلي

إذا انفصل الوعي عن اللاوعي بالموت، فإنّ اللاوعي يعاني من حالات البرد، والجوع، والخواء empty، ويصبح ضوءاً عقلياً خافتاً مفتقراً لقدراته العقلية ولقوة النفس الواعية الخلاقة مصدر قوته وحيويته حال الحياة، ويتوقع عندئذ سقوطه داخل عالم سفلي مظلم يقع أسفل عالم الأحياء[3].

وتعد فكرة العالم السفلي مفهوماً واسع الانتشار في الحضارات القديمة: الشرقية منها والغربية؛ حيث تقرّ هذه الثقافات المختلفة بهبوط الموتى إلى عالم أرضي مظلم، فعلى

---

[1]- رادامانتوس: ابن زيوس، وشقيق مينوس، يصور دوماً كمؤسس للقوانين والإجراءات الشرعية، وكقاض عادل، وقد عين قاضياً في العالم السفلي.
انظر: هوميروس، الأوديسة، م.س، هامش ص149.

[2]- م.ن، الفصل (iv)، فقرة 4، ص148، 149.

[3]- Peter Novak: op. cit, p. 176.

سبيل المثال، في الحضارات الشرقية القديمة نجد في الأساطير الفيدية Vedic Legends الحديث عن النفوس وهبوطها إلى قاع ساكن ومظلم، وكذلك هي الحال في الأساطير الميثوبوتامية Mesopotamian حيث تؤمن بهبوط النفوس إلى عالم أرضي ساكن حالك الظلام، كذلك هي الحال في الصين قديماً، حيث يُذكر أن الموتى يقضون الأبدية في أرض سفلية عميقة مظلمة في حالة شبه واعية[1].

لكن ماذا عن صورة العالم السفلي لدى كل من الفكر المصري القديم والفكر الهوميرى، وإلى أي مدى تأثّر أحدهما بالآخر، وما ملامح هذا التأثّر؟

في محاولة الإجابة عن التساؤل السابق أعرض لتصور العالم السفلي في الفكر المصري القديم وفي "أوديسة" هوميروس؛ لتوضيح ملامح التأثير فيها، وأبدأ أوّلاً بالعرض لذلك التصوّر في الفكر المصري وثانياً في "الأوديسة"، وذلك كما يلي:

أ. التصوّر المصري القديم عن العالم السفلي

أتناول هذا التصوّر في ضوء ما ورد في النصوص المصرية القديمة، والمتمثّلة في متون الأهرام (الدولة القديمة)، ومتون التوابيت (الدولة الوسطى)، وكتاب الموتى (الدولة الحديثة). ولقد ركزت "متون الأهرام" على مساعدة الفرعون في اجتياز رحلة العالم السفلي بنجاح وصولاً إلى مقرّه الأبدي، ورغم أنّ هذه النّصوص قد وضعت من أجل الفرعون، فإنّها قد تجاوزت ذلك فيما بعد، حيث إنّه مع بداية الدولة الوسطى، وضعت مخطوطات "متون التوابيت" وهي مشتقّة من "متون الأهرام"، وتساعد المتوفى في رحلته الأرضيّة، ثم كتاب "الطريقان" Two Ways [2]، و"كتاب الموتى"[3].

ويُعدّ "دوات" "Duat" العالم الأرضي Underworld من أهم مفردات الحياة الأخروية

[1]-Peter Novak: op. cit, p177.

[2]- «الطريقان» كتاب مصور على تابوت محفوظ بالمتحف المصري، أصيب في بعض أجزائه بالعطب، ويتم الاستعانة بنسخة موجودة على تابوت آخر لأمرأة تدعى «سات حزحتب» لتكملة أجزائه، والجدير بالذكر أن الصيغ المستخدمة فيه نفس الصيغ التي استعملها «سبى» قائد الجيش وصاحب التابوت الأول، مما يدل على المساواة الدينية بين أفراد الشعب دون فرق بين قائد جيش وأمرأة متوسطة الحال.

انظر: سليم حسن: مصر القديمة، لا ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000، ج3، ص 534.

[3]- Roff.E & Nadler. L: Op.cit.

لدى المصريين، وهي منطقة هائلة تقع تحت الأرض ونجد لها وصفاً في "متون الأهرام" بوصفها عالماً أخروياً مرتبطاً بالنجوم، وفي "كتاب الموتى" عادة ما كانت تكتب كلمة "دوات" مع نجم أو في صورة نجم داخل دائرة، وربما كان مغزى هذا أنّ النّجوم الأبدية تعبر "الدوات"، فضلاً عن كونه عالم "أوزوريس"، والمكان الذي يعبره "رع" كل ليلة في رحلته الأرضية، وتوضح كتب العالم الآخر[1] نصوص ومشاهد رحلة الشمس الليليّة عبر العالم السفلي، نستدلّ منها على أن "دوات" مكان مظلم عميق، يمتد بامتداد "نون"[2].

كان المصري القديم يرى الشمس تغيب كلّ مساء في الغرب، وتبدو في الشرق عند الصباح، وعلى ذلك فلا بدّ أن تكون قد جابت في الليل عالماً سفلياً، لذلك كان من اليسير الإدعاء بأن هذا العالم هو عالم الموتى، ويسمى باسم "الغرب" ويسمى موتاه "أهل الغرب"[3]. ويحتوي "الدوات" على حفر النار إلى جانب الوحوش البغيضة التي تدور حول الأرض وترجع عبر البحر وسلاسل الجبال، ولا تأمل روح المتوفى في النجاة ما لم يتم إرشادها وتوجيهها بمعرفة الأرواح الكريمة التي تعلم سبل النجاة من يم الهلاك، حيث يغطي الظلام كل شيء، ولا تكون الغلبة إلا لسكان هذا المكان الذين يقذفون الرعب في قلب المتوفى الذي حل عليهم في عالمهم، ولا يملك المتوفى حينئذ من سبيل للمواجهة سوى التمسك بكلمات "كتاب الموتى"[4].

وتُعد "دوات" موطناً للعديد من الآلهة، حيث تتضمن "أنوبيس"، و"أوزوريس" سيد "دوات"، فضلاً عن الموجودات الخارقة، وأيضاً تتضمن "ست" Seth الذي ما زال يمثل تهديداً "لأوزوريس"[5].

[1]- أهم الكتب المصرية القديمة التي كان على المتوفي الاستعانة بها في رحلته في العالم السفلي هي:
كتاب ما في عالم الآخرة، كتاب البوابات، كتاب الليل، كتاب الكهوف. انظر: سيد عويس: الخلود، في التراث الثقافي المصري، لا ط، القاهرة، دار المعارف، 1966، ص 76.

[2]- Eva Von Dassow: The Egyptian Book of the Dead: the Book of Going Forth by Day, Cltronicle books, San Francinco, 2008, p 143.

[3]- أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة، م.س، ص 237، 238.

[4]- لويس سبينس: أسرار مصر، الشعائر والطقوس السرية، ترجمة: علي أمين علي، مراجعة: علاء الدين شاهين، لا ط، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2012، ص 69.

[5]- Eva Von Dassow: op. cit, p 143.

وتوجد وسط ذلك الظلام المروع "منطقة الفردوس" أو "الجنة الأرضية" أو ما يسمى "سخت حتب" التي تضم منازل النعيم أو ما يسمى "سخت آلو" أو "حقول البوص" ـ وكلها مسميات مختلفة للجنة الأوزيرية ـ حيث يسكن "أوزوريس" ومجمع آلهته، فبداية كان "أوزوريس" يبسط سلطانه على هذا الجزء فقط، ثم نجح في توسيع سلطانه ليشمل العالم الآخر كله، ويمكن الوصول إلى هذه الغاية بأحد طريقين: عبر الأرض وعبر الماء، والطريق الممتد عبر الماء أقل فزعاً ورهبة، حيث إنّ المسار الأرضي الذي تسلكه الروح تقابل فيه ماءً يشوي الوجوه، وأفواجاً مقتحمة من أرواح الشياطين[1].

يخبرنا "كتاب الموتى" أنّ هناك سبع قاعات في "حقل البوص" ويجب على الروح المرور منها جميعاً قبل أن تصل إلى الإله نفسه، وهناك حراس يقومون بحراسة باب كل قاعة ـ حارس الباب والرقيب والسائل ـ وعلى المتوفى أن يذكر كل إله باسمه وصفاته، فضلاً عن تقسيم العالم السفلي إلى حوالي اثنتي عشرة منطقة وعلى كل منها إله يرأسها، ويتابع المتوفى رحلته ويجتاز العالم السفلي[2]، ولا يتّسع المقام هنا لعرض التفاصيل الكثيرة التي تتحدّث عن تلك الرحلة.

يذكر، على سبيل المثال، في كتاب "الخروج في النهار" حديث المتوفى الموجّه إلى حراس البوابات فيقول:

"التحيات لك،... حراس بوابات العالم السفلي، يا من تبشرون بقدوم أوزوريس،... يا حراس البوابات يا من تصدون الأرواح وتفترسون جثث الموتى التي تأتي إليكم، عندما يدخل الملعون للمذبح، وتحمون الروح المقدسة... فلتحموا روح أوزير ـ الخطاط "بتاح مس" المبرأ ولتفتحوا له الأبواب..." وهذا ما تم التأكيد عليه ـ وأعنى بوجود حراس لبوابات العالم الآخر ـ في الفصل (144) من كتاب "الخروج في النهار"، والفصول (1037: 1062)، ومن (1069: 1071) من فصول "متون التوابيت"[3].

ومن ثم، يتصف العالم الأرضي ـ كما ورد في الكتب الجنائزية ـ في مصر القديمة، بأنّه

[1]- لويس سبينس، أسرار مصر، م.س، ص69، 70.

[2]- م.ن، ص72.

[3]- بول بارجيه، كتاب الموتى «الخروج في النهار»، م.س، ص 275:276.

مظلم، يقع في الغرب، ويتضمّن مناطق لعقاب الموتى وإثابتهم، وبه العديد من آلهة الموتى، به حراس للبوابات وعلى المتوفى ذكرهم بأسمائهم حتى يتسنى له المرور. ويتضمّن كذلك الجنة الأوزيرية أو "سخت آلو".

هذا عن التصوّر العام للعالم السفلي في الفكر المصري القديم، فما هي الحال في التصور الهوميري، وما المؤثرات المصرية بهذا السياق.

ب ـ التصوّر الهوميرى عن العالم السفلى

يتّضح التصوّر الهوميري عن العالم السفلي في "الأوديسة" في الكتاب الحادي عشر (XI) والمسمى "The Nekyia" وتُعد تصورات "هوميروس" بهذا الشأن أوّل ما دوّن لكنها قدمت تاريخاً طويلاً من القصص الشفهي الذي ساد العالم اليوناني قديماً لأعوام عديدة، ويعد "هاديس" Haides -ويعني حرفياً، اللامرئي TheUnseen- وفقاً للتصور الهوميري أرض الموتى، المقر النهائي للنفوس المرتحلة، يقع "هاديس" بعيداً عن عالم الأحياء، على حافة الأوقيانوس[1].

يقول: هوميروس "في وصفه للعالم الأرضي في "الأوديسة": "... وصلت السفينة إلى أوقيانوس العميق المجرى،... حيث بلاد الكيميريين Cimmirians الملتفة بالضباب والغيوم، لا تشرق عليها الشمس بأشعتها، لا عندما ترتفع في كبد السماء ذات النجوم، ولا عندما تعود ثانية إلى الأرض من السماء، وإنما ينتشر الليل الضار، بظلامه الدامس فوق رؤوس البشر التعساء"[2].

رغم أنّ السمة الرئيسة لمملكة "هاديس"[3] هي الظلام الحالك، فإنّ وصفاً لطبيعة العالم السفلي قد ورد في وصف "كيركي" Kirke "لأوديسيوس" قبل قيامه برحلته (od. 508 ,10-515)[4]. وذلك في سياق الحديث بين "أوديسيوس" و"كيركي "حيث طلب منها

[1]- Roff.E & Nadler. L: op. cit. C. F: Theoi Greek mythology.

[2]- هوميروس، الأوديسة، م.س، الفصل XI، فقرة (8: 21)، ص 278.
C.F Encyclopedia of religion, p 247.

[3]- ورد ذكر مملكة الموتى «هاديس» في أوديسة «هوميروس» في المواضع التالية: 1-odyssey 23. 251, 321, 24 ,3 .410, 6.11 ,9.524 ,14.207 ,14.156 ,10.176 ,15.340 ,20.207.

[4]- Radcliff. G. Edmond: Afterlife, art in, Homer Encyclopedia, Ed by Margalit Blackwell Publishing LTD, 2011. http://onlinelibrary wiely.com/doi/10.10029781444350302//wbhe002/abstract.

العودة إلى الوطن فأجابته بأنّه عليه أن يُتمّ رحلة أخرى إلى "هاديس "بحثاً عن عرافة روح "تايريسياس" Teiresias، ووصفت له "هاديس" حيث مجرى "الأوقيانوس" وحيث توجد مغارات "بيرسيفوني" التي تحيط بها أشجار حور باسقة، وصفصاف دانية القطوف، ويوجد "هاديس" في داخل "أخيرون" Acheron، ويتدفق "بيريفليجيثون" Periphleglethon، و"كوكوتوس" Cocytus، المتفرع من مياه ستوكس Styx، حيث يجتمع النهران الصاخبان[1].

تحدث "هوميروس" ـ كما هي الحال في الفكر المصري القديم ـ عن العالم السفلي بوصفه متضمناً لمناطق لإثابة الموتى كما هي الحال عند "مينيلاوس" Menelaos الذي يقضي الأبدية Eternity في الحقول الإليوزية، ومناطق لمعاقبة الموتى كما هي الحال مع "تيتوس" و"تانتالوس" و"سيسوفس" ـ كما أسلفنا في سياق الحديث عن مفهوم الثواب والعقاب الأخرويين. ـ ورغم حديث "هوميروس" عن العالم السفلي في "الإلياذة" الكتاب (xxiii) فإنه لم يذكر فيها شيئاً يتعلق بمناطق خاصة في مملكة هاديس[2]. حيث إنّ العالم السفلي لم يوصف باستفاضة في "الإلياذة" كما هي الحال في "الأوديسة "موضع البحث.

وجملة القول، يتشابه التصوّران: المصري القديم والهوميري عن وصف العالم السفلي، حيث إنّه ـ أي العالم السفلي ـ عند كليهما عالم مظلم، عميق، يقع أسفل عالم الأحياء، ينقسم إلى مناطق لعقاب الموتى وأخرى لإثابتهم، ولكن بينما استفاض الفكر المصري في شرح أقسام العالم السفلي، لم يستفض "هوميروس" في شرحها، ولم يوضّح أين تقطن النفوس التي قابلها هناك وإلى أين ترحل، ـ كذلك يتشابه التصور المصري عن "جزر النعيم" أو "سخت حتب" و"الحقول الإليوزية" التي تحدث عنها "هوميروس" في "الأوديسة" بوصفها مناطق لإثابة الأبرار.

6. الحياة الأخروية السعيدة

أ. الحياة الأخروية السعيدة عند المصريين

لقد آمن المصري القديم ـ كما هو معروف ـ بالحياة الأخروية، ولكن هل حظي كلّ المصريين بالآخرة نفسها؟

---

[1]- هوميروس، الأوديسة، م.س، الفصل العاشر، ص271، 272.

[2]- Jeff Adams: Greek & Roman Perceptions of the Afterlife in Homer's Iliad & Odyssey & Virgil's Aeneid, art in, Mc Nair Scholars Journal, voll 11, issue 1, art 2, 2007, p6.

يجب أولاً أن نذكر ـ باقتضاب ـ أنّ هناك مفهومين مميّزين عن الحياة الأخروية عند قدماء المصريين هما: مفهوم المذهب الشمسي، ومفهوم المذهب الأوزيري. وقد شاب هذان المفهومان، بمرور الزمان، بعض الغموض، ويمثّل المذهب الشمسي الاعتقاد بأنّ أرواح الموتى تمرّ في القسم الأوّل من الليل، فيرتّل المفضلون منهم، الصيغ السحرية الملائمة التي تحض على طاعة الآلهة، ومن ثم يسمح لهم بدخول مركب الإله "رع" أي العروج إلى السماء والتنعم بجنة الخلد. أمّا المذهب الأوزيري، فقد صادف هوى ودواماً أكثر لدى عقل المصري القديم، فنجد، منذ أوائل الأسرة الثامنة عشرة، أن المصري كان يضع مع المتوفى بردية تحتوي على عدد عظيم من التعاويذ والصيغ الدينية، كان الغرض منها تسهيل الطريق للمتوفى حتى يصل إلى جنة "أوزوريس" وكان مجال نفوذ "أوزوريس" في عالم الآخرة السفلي، وأن جنته كان موقعها في الغرب[1].

كانت الحياة الأخروية السعيدة بداية ـ في عصر الدولة القديمة ـ وقفاً على الملك؛ حيث كان الملك الوحيد الذي يمتلك "با"، مما يجعل منها ـ أي البا ـ قوة إلهية أو تجلياً؛ وذلك لأنّها تعود إلى الملك فحسب، حيث إنّ الآلهة والملوك مقدسون بينما البشر ليسوا كذلك، وتظهر "البا" في "متون الأهرام" بوصفها تجلياً روحياً قادراً على أن يعرج إلى إله الشمس "رع" في المجال السماوى، ومن ثم كان الملك فحسب هو من يحظى بحياة سماوية مع "رع" Re، لذا وجدت في مقابر الدولة القديمة نماذج من مراكب الشمس ليبحر بها الملك داخل السماء، تلك المراكب التي يطلق عليها مسمى "قارب ملايين السنين"، ولأن الملك هو الوحيد الذي يمتلك "با" فإنه من المتوقع ألا يكون للآخرين حياة أخروية على الإطلاق، حيث تمثل الحياة الأخروية السماوية نمطاً ممكناً وحيداً للوجود الأبدي[2].

ومن ثم فلم يرد في المتون الجنائزية عامة إشارة إلى روح الفرد العادي "با" مدى حياته، ولا توجد كذلك صور لها في النقوش والرسوم حتى بعد الموت، وهذا بخلاف الملوك إذ نجد روح الملك "با" مرسومة على الآثار في حياته وبعد مماته[3].

[1]- سيد عويس، الخلود في التراث الثقافي المصري، م.س، ص69: 72 بتصرف.

[2]- Gary. A. Stiwell: op. cit, pp 115 -116.

[3]- سليم حسن، مصر القديمة، م.س، ج3، ص532.

أما فكرة الخلود في القبر فترتبط "بأوزوريس"، ذلك النمط من الخلود الذي ما زال ممكناً للعامة، ويتضح هذا في "متون الأهرام": "افتح مكانك في السماء بين النجوم،... أوزوريس" (251)، وبينما يرحل الملك إلى عالم السماء ـ وفقاً لما ذكر ـ فإنه يتطلع ليحكم الأرواح القاطنة في العالم السفلي، ومن ثم للأرواح الأخرى -غير الملك- وجود في عالم "أوزوريس" بوصفها "آخو"، كذلك تتضمن "متون الأهرام" إمكانية حصول الفرد غير الملكي على حياة أخروية سماوية أيضاً، حيث يذكر فيها (474) أن الروح (akh) ترتبط بالسماء، بينما يرتبط الجسد بالأرض، ومن ثم استبدلت كلمة "الأخو: بكلمة "البا" التي كانت وقفاً على الملك[1].

ومن ثم، فإنّ هذا الامتياز الخاص بالملك أخذ يشاركه فيه، في نهاية الدولة القديمة، الأسرة المالكة ورجال البلاط بوصفهم أهل حاشيته، ولم يمض وقت طويل حتى طالب العامة بالتمتّع بالآخرة السماوية، وهذا لم يأت فجأة، بل أتى تدريجياً؛ إذ يلاحظ، في بعض نقوش كبار الموظفين، في عهد الأسرة السادسة، أنّ المتوفى الشريف كان يسمح له أن يقوم بالسياحة السماوية التي كان يقوم بها الفرعون، في سفينة الشمس، إلا أنّ هذا التمتّع كان تمتعاً محدوداً؛ لأنّهم كانوا يذهبون إلى السماء، بوصفهم أتباع الفرعون، يؤدّون له الخدمات التي كانوا يؤدونها له في عالم الدنيا[2].

إنّ أهم تطوّر جاء ـ لاحقاً ـ في "متون التوابيت"، تلك المتون التي استعادت المادة القديمة "لمتون الأهرام" وأعادت تفسيرها وفقاً للمعتقدات الدينية المعاصرة لها - هو إمكانية مماثلة المتوفى" بأوزوريس"، حيث حمل أصحاب التوابيت اسم "أوزوريس" الذي كان وقفاً على الملك في الدولة القديمة، لذا أصبح العالم الآخر أكثر عمومية، ولكنهم لا يستمتعون تماماً مثل الملك، وإنما يواجهون تحديات واختبارات قاسية، ومن ثم تضمنت "المتون" فصولاً عديدة تجنب المتوفى تلك التحديات والمخاطر[3].

ولقد اندمجت كل المعتقدات الشمسية والأوزيرية منذ عصر مبكر، ومن المحتمل

---

[1]- Gary. A. Stiwell: op. cit, pp 118 -119.

[2]- سيد عويس، الخلود في التراث الثقافي المصري، م.س، ص70.

[3]- Eva Von Dassow: op cit, p 140.

أن التاريخ القديم لتتابع هذين المذهبين كان كما يأتي: كان المصريون في عهد ما قبل التاريخ يعتقدون بوجود عالم سفلي للأموات مآل كل الناس إليه حتماً، وخص الملوك بآخرة سماوية جليلة، ولما حل نفوذ "أوزوريس" محل الآلهة الجنائزية الذين كانوا أقدم منه صار هو بذلك رب العالم السفلي ومن ثم أخذ "أوزوريس" وعالمه السفلي يناهضان الآخرة الشمسية السماوية في سلطانها، ورغم اصطباغ العقائد السماوية بصبغة أوزيرية فإن مكانة إله الشمس كانت لا تزال هي المكانة الأولى، ومن ثم كانت العقائد السماوية عن الحياة الآخرة هي السائدة في "متون الأهرام "كلها، وكان عالم "أوزوريس" السفلي في مركز ثانوي في العقائد الجنائزية الملكية، أما عامة الشعب فكان إله الشمس في نظرهم ينزل إلى العالم ليضيء على قوم "أوزوريس" في مملكة الموت، أما في لاهوت الملك والمعابد الحكومية فكان "أوزوريس" يرفع إلى السماء[1].

وجملة القول، ووفقاً لما سبق عرضه، يتّضح أنّ الحياة الأخرويّة السعيدة في الفكر المصري القديم كانت في البداية، كما وردت في "متون الأهرام" وقفاً على الملك وبعض الصفوة خدام الملك، ثم تطوّرت مفاهيم الحياة الأخروية السعيدة في "متون التوابيت" ثم في "كتاب الموتى" فأصبحت أكثر ديمقراطية؛ حيث ضمنت الحياة الأخروية السعيدة لعامة الشعب.

وهنا نتساءل هل جاءت "الأوديسة" على غرار "متون الأهرام" في الاهتمام بالصفوة ومصيرها الأخروى السعيد؟ هذا ما سنحاول الأجابة عنه فيما يلي:

ب ـ الحياة الأخروية السعيدة في الأوديسة

كما اهتمت "متون الأهرام" المصرية بمصير الملوك والفراعنة الأخروي السعيد، كذلك هي الحال في "الأوديسة"، فلقد جاءت أغلب الأمثلة الوارد ذكرها عن أرواح الموتى تتصل بالأبطال أو بذويهم.

حيث قابل "أوديسوس" في العالم السفلي أرواحاً من نمط خاص، أغلبهم لهم صلة

[1]- جيمس هنري برستيد: فجر الضمير، م.س، ص120، 121، 127.

بالألوهية[1] ورأى العديد من أرواح الموتى من مختلف الأعمار والأجناس، فكانت هناك الفتيات العذروات والعرائس ممن وافتهن المنية مبكراً (od. Xi, 24-39)، وتلاهم المحاربون ثم جموع الأباء والأمهات التي أفزعته بصيحاتها وصراخها، مما جعله يستل سيفه وأخذ يبعد به تلك الأرواح عن دماء الأضاحي التي ذبحها. وبعد أن حصل على نبوءة العراف "تيريسياس"، تحدث مع روح أمه ثم تحدث إلى أرواح سيدات قد تجرعن كأس الموت بسبب خيانتهم (منهن أمهات الأبطال)، ثم قابل أرواح صناديد حاربوا معه في طروادة، ولكنه -أي "هوميروس"- لم يوضح أين تعيش هذه الأرواح هل تعيش في حقول السعداء أم حقول الحداد أم أنها أرواح هائمة[2].

إنه وفقاً للوصف الذي أعطاه "هوميروس" في "الأوديسة"، ليس هناك حياة أخروية سعيدة، ويتّضح ذلك من حديثه مع الأرواح التي قابلها في العالم السفلي حيث كانت جميعها تعاني.

وهذا ما تمّ التأكيد عليه في موضع آخر من "الأوديسة"؛ حيث التقى "أخيل" وتحدّث إليه عن مكانته بين الأرجوسيين في حياته، وتبجيلهم له، وهو الآن في "هاديس" أيضاً يحكم بين الموتى، ومن ثم، فلا يجب أن يحزن ـ أي أخيل ـ بحال ما، على موته، فإذا "بأخيل" يجيبه بقوله: "كلا يا "أوديسيوس"... لا تحاول أن تحبذ لي الموت، كنت أفضل أن أعيش فوق الأرض، وأن أشتغل أجيراً في خدمة رجل آخر مهما كان حقيراً، ضئيل الرزق، على أن أكون الآن سيداً على جميع الموتى الذين هلكوا..."[3].

لم يعط "هوميروس" في مجمل آرائه في "الإلياذة" وفي مواضع عدة من "الأوديسة" أي أمل في وجود حياة أخروية سعيدة؛ حيث نظر في إلياذته إلى الموت بوصفه فناءً تاماً، لكنه في "الأوديسة" في المواضع (od. 11.60 lff, OD 24. 5f, od 24 19ff) خلق هذا الأمل في الحياة الأخروية السعيدة بوصفه للحقول الأليوزية[4]. - تلك الفكرة التي

[1]- Roff.E & Nadler. L: op.cit,

[2]- صلاح السيد عبد الحي الشطاوي: أدب الرحلات عند اليونان والرومان، من خلال الأوديسة والأرجوناوتيكا والإلياذة، رسالة دكتوراة غير منشورة، ص15، 17.

[3]- هوميروس، الأوديسة، م.س، فصل (xi)، فقرة 560: 570، ص 294.

[4]- Gary. A. Stiwell: op. cit, pp 42- 43.

تحدثنا عنها بصدد الحديث عن فلسفة الثواب والعقاب في "الأوديسة".

وهنا نتساءل، إذا كانت هذه هي آراء "هوميروس "عن العالم السفلي والحياة الأخروية ـ كما أوردها في "الإلياذة" ـ فما سبب التحوّل عنها وذكره لآراء إن لم تكن مخالفة فهي متطوّرة عن سابقتها؟ فمن أين جاءت هذه الرؤى الجديدة؟ من أين أتى بفكرته الجديدة عن الحقول الإليوزية؟ هل تم استعارتها من الفكر المصري الجنائزي؟

ربمّا تُعدّ الجنّة اليونانيّة "إليوزيوم" التي يذهب إليها الأبطال قبل أن تصبح مكاناً للثواب على السلوك الأخلاقي في أواخر القرن السادس قبل الميلاد، تطوراً للمفاهيم المصرية، وخاصة حقول "إيارو" في "دوات" المصرية[1].

ومن ثم تتضح ملامح المؤثّرات المصريّة في مفهوم الحياة الأخروية السعيدة في "أوديسة" "هوميروس" في ذلك المفهوم الجديد عن الجنة اليونانية، كذلك جعل كل من الفكر المصري القديم و"أوديسة" "هوميروس" من الحياة الأخروية ـ بداية ـ وقفاً على الصفوة (القلة) المتمثلة في الملوك وأتباعهم في الفكر المصري، والأبطال وذويهم في "الأوديسة"، وإن كان الأمر فيما يتصل بهذا الشأن غير منصوص عليه بجلاء في "الأوديسة".

7. قوى الموتى العقلية والجسدية في العالم الأخروي

هل تمتع الموتى في العالم الأخروي بقواهم العقلية والجسدية؟ وإن كان الأمر كذلك فما كيفية إحراز الموتى لهذه القوى، وما أوجه الاتّفاق والاختلاف بين الفكر المصري القديم و"الأوديسة"؟ كذلك ما مفهوم الخلود الأخروى في "الأوديسة"، وهل يمثّل أصداءً مصرية ألقت بظلالها على الفكر الهوميري بهذا السياق؟

أحاول الإجابة عن تلك التساؤلات من خلال العرض لقوى الموتى الأخروية في الفكر المصري القديم وكذلك في "أوديسة" "هوميروس"، ثم العرض لمفهوم الخلود في "الأوديسة"، وذلك على النحو التالي:

[1]- سميسون نايوفيتس: مصر أصل الشجرة، م.س، ج2، ص 386.

أ. في الفكر المصري القديم

كان من الضروري للجسم الهامد عندما يبعث مرة أخرى العودة لاستعمال أعضائه وحواسه، وقد كان ذلك البعث يتم على يد إله مقرب أو آلهة مقربة كالإله "حورس" أو الإلهة "إيزيس"، أو كان الكاهن يخاطب المتوفى مؤكّداً له أنّ آلهة السماء ستبعثه مرة أخرى: "إنها تعيد لك رأسك ثانية، وتجمع لك عظامك، وتضم لك أعضاءك، وتحضر قلبك لجسمك" غير أن المتوفى حتى عندما يُبعث بهذه الكيفية. لم يكن مالكاً لحواسه وقواه العقلية، ولم تكن لديه قوة لضبط جسمه وأعضائه[1].

ومن ثم كانت المراسم تقام لإعادة الحواس والقدرة على الكلام، حيث يردّد الكاهن عبارات: "إنّ فم تيتى مفتوح لأجله، إنّ أنف الملك تيتى مفتوح لأجله، إنّ أذني الملك تيتى مفتوحان لأجله"، ومع هذا فإنّ هذا كلّه كان على غير طائل إذا لم يتسلم الجسم غير الواعي، مرة أخرى، مقر الوعي والوجدان وهو القلب، وكان لا بدّ من اتخاذ وسائل شتى لجعل المومياء شخصاً حياً له القدرة على مواصلة الحياة الأخروية، حيث إنّه لم يصبح "با" أو روحاً بمجرد أن يموت، فأوزوريس المتوفى أصبح "با" عندما تسلم ـ من ابنه "حورس" ـ عينه التي انتزعت من محجرها في صراعه مع "ست"، ومنذ ذلك الحين، كان يمكن أن يطلق على أي قربان يقدم للمتوفى "عين حورس"، وإن الطعام الذي كان الكاهن يقدمه، كانت توجد به قوة خفية في تحقيق تحول الميت إلى روح[2].

ويتمتّع الموتى في الفكر المصري بقواهم العقلية، وبذاكرتهم وهناك العديد من التعاويذ التي تتلى لإعادة ذاكرة المتوفى منها: تعويذة تقال لجعل فلاناً يتذكر اسمه في مملكة الموتى "ليعيدوا لى اسمي... وليذكروا لي اسمي... في هذه الليلة التي تحصى فيها السنوات وتجمع فيها الشهور... "[3].

كذلك يتمتع الموتى في الحياة الأخرى بالقدرة على الحركة والمشي، ولقد احتوت النصوص الجنائزية ما يؤكد هذا، فنجد، على سبيل المثال، في "كتاب الموتى" العديد من

---

[1]- سيد عويس، الخلود في التراث الثقافي المصري، م.س، ص64.

[2]- جيمس هنري برستيد: تطور الفكر والدين في مصر القديمة، م.س، ص 98-99.

[3]- بول بارجيه، كتاب الموتى، م.س، (فصل 180). ص 64.

التعاويذ التي وضعت من أجل منح القدرة على الحركة في "دوات" (الفصل 180) حيث يذكر فيها: "... أنا من يرقد في مملكة الصمت، جهزت لنفسي قرابيني في الغرب مثل الأرواح الموجودة بين الآلهة،... أنا من يدخل ويتوقف في الدوات، ومن يخرج ويتوقف في نوت..."[1].

كذلك نجد -(الفصل 2)- تعويذة تُتلى للخروج بالنّهار وهي كلمات يقولها فلان: «أيها الواحد يا من يظهر كقمر يا واحداً... اطلقني (كذلك) القاطنون في النور! افتح الدوات» وها هو المتوفى يخرج بالنهار ليصنع ما يريد أن يفعله بين الأحياء[2].

وتوصف حقول «الإيارو» أو الجنة الأوزيرية في كتاب «الخروج في النهار»، وما يعنينا بهذا هو إحراز المتوفى للقوّة ولإمكانيّة الحركة والزّرع والحصد والأكل، حيث كتب نص هذا الفصل من قبل كاتب المعبد «نب سني» ويقول فيه: «... أنا أتسيد على الحقل الذي أعرفه،... واهتم به،... آكل وأشرب فيه وأحصد فيه وأطحن... فقدرتي السحرية كاملة القوة»[3].

ومن ثم، فالموتى في الفكر المصري «لا يذهبون أمواتاً بل يذهبون أحياءً، وهم لا يحيون بعد الموت حياة الأطياف والأشباح -كما هي الحال في الفكر الهوميري- وإنما يبعثون لحياة حقيقية، يحرزون فيها أجسامهم وأرواحهم: «لهم قلوبهم، ولهم أرواحهم، ولهم أفواههم، ولهم أرجلهم، ولهم أذرعهم، ولهم سائر أعضائهم». (متون الأهرام، 134، 289)[4].

ب. في الأوديسة

لكي يتفاعل «أوديسيوس» مع الموتى في «هاديس» كان عليه القيام بطقوس الأضحية، حيث يقول في «الأوديسة»: «سحبت سيفي،... وحفرت حفرة... سكبت حولها سكيبة لجميع الموتى... أخذت استعطف بحرارة رؤوس الموتى المجردة من القوة، ونذرت أنني عندما أبلغ «إيثاكا» أذبح في ساحتي عجلة بكراً...، وأمسكت الخراف ونحرت حلوقها فوق

[1]- بول بارجيه، كتاب الموتى، م.س، ص 225: 224.

[2]- م.ن، ص36.

[3]- م.ن، ص235-236.

[4]- أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة، م.س، ص247-249.

الحفرة،... واحتشدت هناك، من داخل إيربيوس Erebus [1] أرواح من ماتوا... يتهافتون... حول الحفرة من كل صوب...»[2].

يظهر من هذا كيف أنّ الموتى تستطيع الحركة في الحياة الأخرى؛ حيث تعرّف عليهم "أوديسيوس"، وربما بدوا كالأحياء لكنّهم لم يتصرّفوا مثلهم، فليس لديهم قوى عقليّة أو قوّة جسمانيّة وهم ليس أكثر من كونهم ظلالاً، ربما تحصل مجدّداً على قوّتها العقلية وذاكرتها، لكنّها تظلّ غير قادرة على تذكر حيواتها السابقة حتى تتجرّع دم الأضحية (od. 11, 180-83, 178-88)، وهذا ما تم تأكيده لاحقاً بين "أوديسيوس" و"أجاممنون" حيث لاحظ -أي أوديسيوس- أن "أجاممنون" لم يعد لديه القوة الداخلية أو الجسدية[3]. حيث يقول "أوديسيوس" عنه: "... لقد عرفني لتوه، بعد أن شرب الدم الفاني، وبكى بصوت مرتفع، ساكباً الدموع الغزار فمد يديه نحوي يريد الوصول إلي، بيد أنه لم تكن لديه القوة أو الشدة التي كانت قديماً بأطرافه...."[4].

ويتّضح هذا الهوان والضعف في قوتي الموتى الجسدية والعقلية، أيضاً، عندما تاقت نفس "أوديسيوس" إلى أن يتمسّك بروح أمه الميتة، ولكنّها أفلتت من ذراعه أشبه بالشبح وتساءل: أهذا الذي أرسلته إلى "بيرسيفوني"[5] الجليلة محض طيف؟ فأجابته أمه، بأن "بيرسيفوني" لا تخدعه بحال ما، "ولكن هذه الطريقة المتبعة مع البشر عندما يموتون فما عادت الأعصاب تربط اللحم بالعظام، ولكن قوة النار المتأجّجة القوية، تحطم هذه، بمجرد أن تترك الحياة العظام البيضاء، تنطلق الروح، أشبه بحلم تحوم هنا وهناك..."[6].

يوضح وصف "هوميروس" السابق للحياة الأخروية ولحال الموتى مفهومه عن ثنائيّة الحياة والموت، حيث يكون الإنسان أثناء حياته مفعم بالقوة والمعرفة، أما في الموت فإنه

---

[1]- إيربيوس: يمثل الظلمة وعلى الأخص ظلمة باطن الأرض التي لا يمكن اختراقها وكذلك يستخدم اسمه عادة إشارة إلى العالم السفلي نفسه.
انظر: هوميروس، الأوديسة، م.س، هامش ص 278 للمترجم.

[2]- م.ن، فصلXI، فقرة 30: 42، فقرة 42: 50، ص 278، 80.

[3]- Roff.E & Nadler. L: op. cit,

[4]- هوميروس، الأوديسة، م.س، فصل XI، فقرة 440: 450، ص 291.

[5]- بيرسيفوني زوجة بلوتو، رب الجحيم، وابنة زيوس.

[6]- هوميروس، الأوديسة، م.س، فصل XI، فقرة 250: 260، ص 285.

يفتقر لتلك الأمور ـ حتى يتجرع الدم ـ أما عن علم الموتى بما يحدث في عالم الأحياء فهذا لم يتضح تماماً من خلال العرض الهوميري[1]. ففي بعض الأحيان يظهر "هوميروس" معرفة الموتى بأحوال الأحياء بل والتنبؤ بأخبارهم، فعلى سبيل المثال، سأل "أوديسيوس" أمه بعد أن تجرّعت الدم عن حال زوجته وأبيه وابنه فأجابتهم عن حالهم وحال بيته الذي احتله الطغاة. وأحياناً أخرى يُظهر "هوميروس" الموتى لا يعرفون حال أحيائهم بل ويسألون "أوديسيوس" عن أحبائهم الأحياء، نجد ذلك على سبيل المثال، عندما سأل "أخيل" "أوديسيوس" عن حال "بيليوس" النبيل وحال ابنه[2].

ربما ارتبطت معرفة أرواح الموتى بحال الأحياء "بالأنيثزيريا" Antheseria تلك المناسبة الأثينية القديمة التي تقوم فيها أرواح الموتى بزيارة الأحياء، والتي كانت تنتهي بالعبارة التالية "أيتها الأرواح آن لك أن تنصرفي الآن، فلقد انتهت الأنيثزيريا[3]. كذلك يتّضح مفهوم الذاكرة في "الأوديسة" عندما قابل "أوديسيوس" "أجاكس" Ajax وحاول الحديث معه إلا أنّ الأخير رفض هذا الحديث لما كان بينهما من خلافات سابقة في الحياة الدنيا قبل موت أجاكس[4].

ومن ثم، يختلف مفهوم الذاكرة في ملحمة "الأوديسة" عنه في العصر الحديث حيث لم تُعد ـ أي الذاكرة ـ ترتبط باستدعاء مخزون المعلومات والأحداث التي تمثّل الماضي، وإنّما تدلّ عند "هوميروس" على الخبرة الفعليّة بالشيء، ويتّضح هذا من أن أصل كلمة تذكر Minnéskomai هو (mné) μνη يدلّ على الخبرة الفعليّة، بينما تعني نقيض هذه الكلمة أي النسيان (Lath) aθλ غياب تلك الخبرة، ومن ثم فالتذكر والنسيان عند "هوميروس" حالتان للعقل في الحاضر. "فبينيلوب" (344-od.1, 343) ـ على سبيل المثال ـ لم تستدع ذكريات فحسب عن اسم زوجها أو أفعاله، لكنّها عايشت حالة عقلية، كتلك الحالة التي من أجلها طلبت من "فيميوس" Phemois التوقف عن الغناء؛ لأنّه يوجع قلبها (342- 340 – od 1)، وتذكرها لتلك الأحداث لا يرتبط بالحزن الذي عانته وقتئذٍ وإنما ارتبط بحالتها العقلية في الوقت الحاضر، وترتبط

[1]- Roff.E & Nadler.L : op. cit.

[2]- هوميروس، الأوديسة، م.س، فصل XI، فقرة 190: 200، ص 284، فقرة (580)، ص 294.

[3]- مارتن برنال، أثينا السوداء، م.س، ج1، ص498.

[4]- Roff.E & Nadler.L : op. cit,

هذه الحالة العقلية بالوعي بالخبرة المادية Physical التي تؤدّي إلى اتّخاذ قرار بفعل ما[1].

وربّما يمكننا بعد العرض السابق أن نقف على بعض جوانب التشابهه من خلال الموازنة بين الفكرين المصري والهوميري وذلك على النحو التالي:

- تتفق الروايتان ـ المصرية القديمة والهوميرية ـ فيما يتصل بحال الموتى حيث أقرّت كلتاهما بفقدان ذاكرة الموتى وقواهم العقلية والجسدية.

- تتفق الروايتان في القول بأنّ الموتى لديهم المقدرة على الحركة والمشي والعمل في العالم الآخر.

- تتفقان كذلك في القول بإمكانيّة استرداد قوى الموتى العقلية. ولكنّهما يختلفان في أن إعادة الذاكرة (القوى العقلية) للمتوفى تتمّ وفقاً للفكر المصري القديم بتقديم القرابين (عين حورس)، وبالتعاويذ والرقي السحرية، بينما يتم إعادتها وفقاً "لهوميروس" بتجرع دم الأضحية.

ـ كذلك يتمتع الموتى في الفكر المصري القديم بقواهم الجسدية -فضلاً عن القوى العقلية ـ يتّضح هذا من الأعمال التي يقوم بها الموتى في العالم الآخر، أما الموتى في "الأوديسة" فحتى بتجرّعهم دم الأضحية واستردادهم لقواهم العقلية هم مفتقرون لقواهم الجسدية.

ومن ثم ربما تمثّل أوجه التشابه المشار إليها سلفاً في بعض جوانبها مؤثرات مصرية صبغت الفكر الهوميري بأفكارها فجاء مشابهاً لها.

ت. الخلود في "الأوديسة"

يتمثّل الخلود بمعناه العام لدى اليونانيين في مفهوم البطولة، تلك البطولة التي تُبقي

[1]- Rpanita Nikkanen: Anote on memory and Reciprocity in Homer's odyssey, art in, Center for Hellenic Studies, Harvard University, Washington, 2008.
Chs.harvard.edu/wa/pager?tn=Article wrapper&bdc=12mn=4616

الفرد حالاً في ذاكرة الأحياء، يهرب من الموت بوسائل الموت ذاتها، وذلك بإحرازه للتمجيد من خلال احتفالات وأغاني تجعله حاضراً في المجتمع بوصفه بطلاً ميتاً، ويُعد الحضور المتواصل داخل الجماعة في الملحمة ـ كما هي الحال في الشعر الشفهي ـ هو الأساس في الخلود ويتم ذلك بالاحتفالات بانتصارات أبطال ولى زمانهم، وهو ما يحقق الذاكرة الجمعية داخل العالم اليوناني، مما قد يجعل البعض يختار الموت ليحظى بشرف يجعله نموذجاً متميزاً يتسم بصفات يصعب أن يتسم بها الأحياء[1].

ومن ثم، لا يحظى الإنسان في الفكر الهوميري بالخلود الأخروي -كما هي الحال عند المصريين- وهذا هو الفارق بين الإنسان والآلهة عند "هوميروس" حيث إنّ الآلهة لا تختلف عن البشر إلا بأن سائلاً يجري في دمائها يضمن لها الخلود، وفيما عدا ذلك فهي مثل الناس تتنازع وتحب وتبغض وتكيد لبعضها، أما في "الأوديسة" فنجد تمجيداً للإنسان الحكيم الصبور وللزوجة الوفية[2] المتمثلان في "أوديسيوس" و"بنيلوب".

فعندما حاولت "كاليبسو" أن تمنح الخلود "لأوديسيوس" بأن تطعمه من طعام الآلهة "الأميروسيا" وتسقيه من شرابهم النكتار، رفض وقرّر أن يعود إلى زوجته ووطنه[3]. لذا أمرها "زيوس" برحيل "أوديسيوس" وأرسل إليها "هيرمس" (رسول الآلهة) لهذا الغرض، تضررت "كاليبسو" لذلك لكنها آثرت تنفيذ أمر "زيوس"، فضلاً عن تقديرها لعذاب "أوديسيوس" ورغبته في الرحيل، وقالت له في عبارات الوداع بينهما: "... آن لك أن تبحر فوراً إلى بيتك... بيد أنه لو عرف قلبك ما ينتظرك من عذاب،... لآثرت البقاء هنا،... وأصبحت من الخالدين..."[4].

وعلى هذا، ووفقاً لما سبق، لم يُعد الخلود ـ كما هى الحال في "الإلياذة" وفي مواضع من "الأوديسة" أيضاً ـ يتحقق فقط بشراب الآلهة، ولم يُعد كذلك كامناً في ذاكرة الأحياء فحسب ولكنه خلود يعيشه المتوفى ـ أي شبحه ـ منعّماً في الحقول "الإليوزية"، ومن ثم

[1]- Jean – Pierre Vernant: Death with two Faces, Trans by, Janet Lioyd, art in, Reading the Odyssey: Selected interpretive Essays, Ed by, Seth L. Schein, Princeton University Press, New Jersey, 1996, pp 56, 57.

[2]- حسام الدين الألوسي، بواكير الفلسفة قبل طاليس، م.س، ص203.

[3]- أحمد عتمان، الشعر الأغريقي، تراثاً إنسانياً وعالمياً، عالم المعرفة، الكويت، 1984، ص 60.

[4]- هوميروس، الأوديسة، م.س، الفصل الخامس، ص 168.

يمكن القول بأنّ "هوميروس" قد أدخل في "الأوديسة" مفهوماً جديداً عن الخلود، بوصفه الجديد عن الحقول الإليوزية التي أشرنا إليها بسياق الحديث عن الحياة الأخروية السعيدة في "الأوديسة".

وربما يمكن لنا القول بأنّ مفهوم الخلود الذي أتى به هوميروس يمثل أصداءً لذلك المفهوم في الفكر المصري القديم، ولكن الفارق بينهما أن الخلود في الفكر المصري يمثل بقاءً لهوية الشخص أي بقاء الروح في جسدها حاصلة على قواها العقلية والجسدية وقلبها واسمها. أما في الأوديسة فهو بقاء الشبح حتى وإن تنعم في الحقول الإليوزية.

كانت هذه الروئ بمثابة إطلالة على بعض المؤثّرات المصرية التي ألقت بظلالها على الفكر الهوميري، فجاء في كثير من جوانبه شبيهاً بها أو ببعض أفكارها.

وفي النهاية يمكن عرض النتائج التي خلُص البحث إليها وهي على النحو التالي:

ثالثًا: النتائج

1. تضمّنت «أوديسة» «هوميروس» من حيث فكرة القصة وصياغتها مؤثّرات واضحة من الفكر المصري القديم، وبصفة خاصة من قصة «الملاح الغريق»، وتجاوز الأمر التشابه بين أحداث القصتين حيث يُعد ـ وفقاً للآراء السالف ذكرها ـ اقتباساً واضحاً للعديد من فقرات القصّة المصرية وإضفاء الصبغة الهوميرية عليها.

2. جاءت الأوديسة متأثّرة بمفهوم النّزعة الحيويّة عند المصريين القدامى، ذلك المفهوم الذي جعل المصري القديم يقدّس مظاهر الوجود، كما أثر ذلك المفهوم لاحقاً في الفلسفة اليونانية.

3. فضلاً عن أوجه الاختلاف بين الفكر المصري القديم و«أوديسة» «هوميروس» فيما يتّصل بمفهوم النّفس، فقد التقى الفكران أيضاً في نقاط تشابه يمكن القول معها بأنّ هناك مؤثّرات مصريّة قد ألقت بظلالها على الفكر الهوميري فجاء شبيهاً بها.

4. تأثّرت محاكمة الموتى في «الأوديسة» بسابقتها في كتاب الموتى المصري، ويتّضح ذلك في مفهوم وزن الأرواح لدى «هوميروس» والذي استندنا إليه كما أورده في «الإلياذة»،

فضلاً عن وجود الإله الذي يحكم بين النفوس ممسكاً بالصولجان، ومتسلماً إياها من مرشد النفوس وقائدها، وكل هذه المفاهيم الهوميرية تمثل أصداءً لمحاكمة الموتى المصرية.

5. جاء مفهوم الحساب الأخروي المتمثّل في الثواب والعقاب في «الأوديسة» شبيهاً بالفكر المصري السابق، بل جاء مفهوم «هوميروس» عن ثواب الأبرار جديداً كلّ الجدة عن أفكاره السابقة والوارد ذكرها في «الإلياذة».

6. اصطنع «هوميروس» في «الأوديسة» مفهوماً جديداً عن الحياة الأخروية مناقضاً تماماً لآرائه السابقة، وذلك بحديثه عن الجنة الإليوزية، ولقد تأثّر في هذا بالفكر المصري القديم، ومفهوم «حقول الإيارو» المصرية، والوارد ذكرها في الأدب الجنائزي.

7. تتفق الرؤيتان ـ المصرية القديمة والهوميرية فيما يتصل بحال الموتى وفقدانهم لقواهم العقلية والجسدية، بل وإمكانية استردادهم لتلك القوى ولكنهما يختلفان في كيفية ذلك.

المصادر والمراجع

1.المصادر:

أ.المترجمة إلى العربية:

1. الخروج في النهار (كتاب الموتى) (1): ترجمة وتعليق: شريف الصيفي، المركز القومى للترجمة، ط2، القاهرة، 2009.

2. كتاب الموتى (2): تأليف: بول بارجيه، ترجمة: زكية طبوزاده، دار النشر للفكر والدراسات والنشر، القاهرة، 2004.

3. (ماسبيرو) جاستون (3): حكايات شعبية فرعونية، ترجمة: فاطمة عبد الله محمود، مراجعة وتقديم: محمود ماهر طه، سلسلة مصريات (2)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008.

4. هوميروس (4): الإلياذة: ترجمة: أمين سلامة، دار الفكر العربي، ط 2، القاهرة، 1981.

5. -------(5) : الأوديسة: ترجمة: أمين سلامة، دار الفكر العربي، ط 2، القاهرة، 1974.

ب .المصادر المترجمة إلى الإنجليزية:

1. Eva Von Dassow: The Egyptian Book of the Dead: the Book of Going Forth by Day, Cltronicle books, San Francisco, 2008.

2 – المراجع:

أ.المراجع العربية:

1. إرمان (أدولف) (1): ديانة مصر القديمة، نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر، ومحمد أنور شكري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997.

2. الألوسي (حسام الدين) (2): بواكير الفلسفة قبل طاليس، أو من الميثولوجيا إلى الفلسفة عند اليونان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 2، بيروت،1981.

3. الشطاوي (صلاح السيد عبد الحي) (3): أدب الرحلات عند اليونان والرومان، من خلال الأوديسة والأرجوناوتيكا والإلياذة، رسالة دكتوراة غير منشورة.

4. برستيد (جيمس هنرى) (4): تطور الفكر والدين في مصر القديمة، ترجمة: زكي سوس، دار الكرنك، القاهرة، 1961.

5. ------------------------(5): فجر الضمير، ترجمة: سليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 2000.

6. برنال (مارتن) (6): أثينا السوداء ج 1، تحرير ومراجعة: أحمد عتمان، ترجمة: لطفي عبد الوهاب يحيى وآخرين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997.

7. حسن(سليم) (7): الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة، مطبوعات كتاب اليوم، مؤسسة أخبار اليوم، العدد 2، القاهرة، 1990.

8. --------(8): مصر القديمة، ج 3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000.

9. حمزة (عبد القادر) (9): على هامش التاريخ المصري القديم، مطابع الشعب، القاهرة،1957.

10. سبينس (لويس) (10): أسرار مصر، الشعائر والطقوس السرية، ترجمة: علي أمين علي، مراجعة: علاء الدين شاهين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012.

11. طلب (حسن) (11): أصل الفلسفة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2003.

12. عتمان (أحمد) (12): الشعر الأغريقي، تراثاً إنسانياً وعالمياً، عالم المعرفة، الكويت، 1984.

13. عويس (سيد)(13): الخلود، في التراث الثقافي المصري، دار المعارف، القاهرة، 1966.

14. غلاب (محمد) (14): الفلسفة الشرقية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 2، القاهرة، 1950.

15. كوليس (جون ستيورات) (15): انتصار الشجرة، ترجمة: مروان الجابري، مراجعة:

أنيس فريجة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2013.

16. لالويت (كلير) (16): نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، المجلد الثاني، ترجمة: ماهر جويجاتي، تقديم: بيير جريمال، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1996.

17. ناردو (دون) (17): الأساطير المصرية، ترجمة: أحمد السرساوي، مراجعة وتعليق: علاء الدين شاهين، المركز القومي للترجمة، القاهرة،2011.

18. نايوفيتس (سيمسون) (18): مصر أصل الشجرة، ج 2، ترجمة: أحمد محمود، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006.

ب -المراجع الأجنبية:

1. Stiwell (G. A) (1): Afterlife Post – Mortem Judgments in Ancient Egypt & Ancient Greece, I Universe Books, United state of America, 2005.
2. Roff.E & Nadler.L (2): Homer's odyssey, Greek underworld & Afterlife.
3. Cciv244s2013.site.wesleyan.edu./…/homers-odyssey-the…
4. Vernant (J.P) (3): Death with two Faces, Trans by, Janet Lioyd, art in, Reading the Odyssey: Selected interpretive Essays, Ed by, Seth L. Schein, Princeton University Press, New Jersey, 1996.

3 - موسوعات فلسفية وقواميس أجنبية:

1. Theoi Greek Mythology
2. : http://www.theoi. com./kosmos/Haides.html, Haides
3. - Encyclopedia of religion, Ed by, Vergilius Frem The philosophical library, New York, 1945.
4. - B.C.P: Hermes.

5. - Homer Encyclopedia, Ed by Margalit. Blackwell Publishing LTD, 2011

6. -Radcliff. G. Edmond: Afterlife.

7. http://onlinelibrary wiely.com/doi/10.10029781444350302//wbhe002/abstract

4 – دوريات أجنبية:

1. Bryn Mawr Classical Review, 2009, 04,25 . University press of America, London, 2008, Review by, Nikolas Lazaridis. http:bmcr.brynmawr.edu/200925-04-.html

2. Griffith (R. D): Mummy wheat: Egyptian influence on the Homeric view of the afterlife and Eleusinian mysteries.

3. Journal of Near – Death Studies, 20 (3), human science press, spring 20 02.

4. - Peter Novak: Division of the self: life after death & the Binary soul do ctrine.

5. Mc Nair Scholars Journal, voll 11, issue 1, art 2, 2007.

6. - Jeff Adams: Greek & Roman Perceptions of the Afterlife in Homer's Iliad & Odyssey & Virgil's Aeneid.

7. Center for Hellenic Studies, Harvard University, Washington, 2008.

8. Chs.harvard.edu/wa/pager?tn=Article wrapper&bdc=12mn=4616

.9 -Rpanita Nikkane: A Note on memory and Reciprocity in Homer's odyssey.

نظام الآلهة عند الإغريق القدماء

محمّد المحمّد الحسين[1]

مقدّمة

تمُثّل الجغرافيا العنصر المادّي الذي يُؤثّر تأثيراً مهمًّا في صنع تاريخ أي مجتمع من المجتمعات البشريّة وحضارته. وقد كان العامل الجغرافي عنصرًا مهمًّا من عناصر تاريخ بلاد اليونان وحضارتها، حيث أسهمت البيئة والتضاريس بشكل مباشر في صناعة أحداث التاريخ اليوناني منذ عصوره الأولى.

أقامت الحضارة اليونانيّة شعوبًا أو قبائل نزحت من المراعي المحيطة ببحر قزوين في آسية الصغرى إلى شبه جزيرة البلقان (أي السواحل الأرخبيلية وجزر بحر إيجة)، حوالي العام 2000 ق.م، وفي حوالي العام 1000 ق.م تمّ امتزاج هذه القبائل المختلفة: (الإخائية، الدورية، الأيونية)، وقد امتزجت مع بعضها البعض، وأُطلق على سكّان بلاد اليونان والجزر المحيطة بها: (الفيلانيون).

كان اليونانيون يعتمدون في أوّل أمرهم على الرعي، ولم تكن لهم حكومة يعترفون بها ويخضعون لها، وظلّوا على هذه الحال حتّى تعلّموا الزراعة، واستقرّوا في قرى، فخضعت كلّ قرية لرئيس، وارتقت بعض القرى، واتّسع العمران، فأصبحت مدناً فيما بعد.

اعتقد اليونانيون أنّ لكلّ قوّة من قوى الطبيعة إلهاً يوجّهها، وكانوا يعتقدون أنّ هذه الآلهة تسكن جبل الأولمب، وجعلوها على صورة البشر، كما اعتقدوا أن لها عواطف وغرائز إنسانية. ولم تعد الآلهة هي الخالق للإنسان، بل أصبح الإنسان هو الذي يصوّر الآلهة بصورته، وقد حملت كلّ واحدة منها تشخيصاً لانفعالاته ولروحه، وحتّى غرائزه الفطرية

[1]- دكتور في قسمي التاريخ والآثار، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة حلب/سوريا.

الحيوانية صوّرها في أنصاف الآلهة التي كانت ذات أشكال حيوانية. وتمتاز الآلهة بالعَظَمة والنُّبل، وصار الإنسان مقياساً لكلّ شيء، وتجلّت المثالية اليونانية في الوصول إلى الفردية الكاملة، ومن هنا جاء الاهتمام ـ فيما بعد ـ بالأفعال الرياضية (والمسابقات الدورية الأولمبية).

أوّلاً: ماهيّة العالم ونشأة الآلهة

كان اليونانيون القدماء شعباً نشيطاً يتوق إلى المعرفة، ويتطلّع إلى تعرُّف العالم الحقيقي الذي تسكنه كائنات معادية للإنسان، وتبثّ فيه الخوف. لكن التعطّش اللامحدود لاكتشاف هذا العالم تغلّب على الخوف من الخطر المجهول. وكبقية الشعوب القديمة مرّ اليونانيون في البحث عن ملاذ من قوى الطبيعة الغاشمة؛ لاعتقادهم بأنّ الطبيعة كائن حيّ كالأحجار، والأشجار، والمعادن.

جميع الشعوب في فترة من تاريخها أحسّت بالحاجة إلى تفسير الكون، واليونان كباقي الشعوب سعت في تفسيرها لماهيّة العالم. وأوّل تفسير لهم هو: إنّ الكون في البداية لم يكن موجوداً سوى الكون السرمدي المظلم واللامحدود، وكان مصدر الحياة كامناً فيه، ومنه جاءت جميع الآلهة. «كلّ شي ظهر من الخواء، الكون اللامحدود ـ العالم كلّه والآلهة الخالدون- ومن الخواء الكوني جاءت آلهة الأرض، والسماء، والجحيم، والنور، والهواء، والماء، والبحار، والليل، والنهار، والجبال، والغابات[1]». ثمّ أعطوا للعالم أسماء كائنات هي بنظرهم مسيرّة هذا الكون. «يُبنى العالم انطلاقاً من ثلاثة كائنات بدائية (كاوس-الخواء) و(الأرض-جايا)، و(الحب ـ إيروس)، وحسب هذه المنظومة فإن الهواء، والليل كانا بداية كلّ شيء، فمن زواجهما وُلد (تارتاروس) إلهاً، وقد أنجب هذان بدورهما البيضة الكونية[2]».

في رواية أخرى مشابهة للرواية السابقة، يُقال إنّه عند انصرام عصور طويلة عدّة وجد إلهان عظيمان هما (جيا) أو الأم-الأرض، و(أورانوس) أو السماء المخيّمة فوق الأرض،

---

[1]- أ.أ. نيهاردت: الألهة والأبطال في اليونان القديمة، ترجمة: د. هاشم حمادّي، ط1، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر، 1994م، ص10.

[2]- محمّد تواتي، وفاء طليبة: أساطير بلاد الرافدين وبلاد الإغريق دراسة مقارنة، رسالة ماجستير في تاريخ الحضارات القديمة، جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي، الجزائر، كلّية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم العلوم الإنسانية، 2018م، ص57؛ انظر: سلامة، أمين: الأساطير اليونانية والرومانية، لا ط، بيروت، دار الفكر العربي، 1988م، ص12.

وتزوّج (أورانوس) (جيا)، وأنجبا أولاد عدّة بعضهم جميل جدّاً، وبعضهم الآخر وحوش عمالقة مفزعون، وفي تلك الأثناء ظهرت الأجناس البشرية على سطح الأرض. وكما تروي القصص تعاقبت أجناس عدّة من البشر، ويبدو أنّ الكثير من النظريات التي تدور حول نشأة الكون تتحدّث عن انفصال السماء والأرض، وعن ارتباطهما عن طريق الاتّحاد الجنسي، وليس هذا بجديد؛ كونه مقتبس عن حضارات الشرق القديم في خلق الكون ونشأة الآلهة.

أمّا أهمّ القصص التي تروي نشأة الآلهة وتحدّد ماهيّتها تقول: إنّه في البدء كانت الفوضى، ثمّ خُلقت الأرض مسطّحة وصلبة، تُخفي من تحتها الجحيم، ومن الأرض تخلّقت السماء، والجبال، والأنهار، والمحيط. ومن زواج الأرض بالسماء جاءت «المرَدة»، وهم مخلوقات شيطانية غليظة القلوب مُحِبّة للعنف والفوضى، ممّا أقلق أباهم (أورانوس) «السماء» فألقى بهم في الجحيم، ولكن الأرض استاءت لفعله، وعزّ عليها أن ترى أبناءها سُجناء في الجحيم، فحرّضتهم على الثورة ضدّ أبيهم، بل أمدّتهم بمعدن الحديد ليصنعوا منه سلاحاً. وتزعَّم «المرَدة» (كرنوس) الذي استطاع أن يقتصّ لإخوته بأن عزل أباه (أورانوس) عن عرشه، وتربّع مكانه، وظلّ على ذلك عشر سنين حتّى ثارت «المرَدة» مرّة أخرى، واشتبكت في عراك مرير ضدّ الآلهة عُرف باسم «صراع المرَدة»، وانتهى هذا الصراع الذي يرمز للصراع بين النظام والفوضى، وبين الخير والشر، انتهى بانتصار الآلهة، والزجّ بهم مرّة أخرى إلى الجحيم، وتولّى الحكم ابن (كرنوس) الأكبر وهو (زيوس) كبير الآلهة، وكان (كرنوس) قد أنجبه بعد زواجه من أخته (ريّا)، وكذلك أنجب منها (بوسيدون) ربّ البحار والمحيطات، و(هاديس) ربّ العالم السفلي، كما أنجب بنتاً واحدة هي (هيرا) التي تزوّجت من أخيها (زيوس) وأنجبت منه معظم الآلهة التي كانت تعيش فوق قمّة جبل الأولمبوس. وهكذا حكم (زيوس) من فوق قمّة جبل الأولمبوس، ونصّب نفسهُ كبيراً للآلهة والبشر. وقد اعتمد (زيوس) في حكمه للآلهة على قوّته التي كانت تتمثّل في أسلحته الشهيرة، كالبرق والرعد والصواعق، كما تحكّم في زمام السماء، وما يتّصل بها، كالمطر والسُحب والرياح، بينما ترك لأخيه (بوسيدون) مطلق التصرّف في البحار والمحيطات، ووهب أخاه الآخر(هاديس)

مملكة العالم السفلي، فبقي فيه يحكمه، ويتحكّم فيه. كما اتّفق (زيوس) وأخواه أن يوجدوا للبشر حياة بعد الموت يحيونها في مملكة (هاديس) السفلى[1].

لقد كانت آلهة اليونان القديمة تشبه الناس في جوانب كثيرة، فهي طيّبة، ورؤوفة، ورحيمة، لكنّها غالباً ما تكون قاسية، وظالمة، ومنتقمة، ومخادعة، وإنّ حياة البشر تنتهي بالموت حتماً، أمّا الآلهة فكانت خالدة، ولم تكن تعرف الحدود في تنفيذ رغباتها، ومع هذا فقد كان ثمّة ما هو فوق الآلهة، إنّه القدر الذي لا يوجد رادٌّ لقضائه، ولم يكن ثمّة بين الآلهة من يقف في وجهه[2]. ويبدو أنّ الآلهة كانوا في الأصل أسماءً مُعطاةً لقوى طبيعية، وهو تخيّل أنّ البشر الأوّلين إذ صعقتهم ظواهر الطبيعة بدؤوا يعطونها أسماء انتقلت تدريجياً إلى أشخاص، على اعتبار أنّ الفكر البدائي عاجز عن تشخيص المجرّدات، وهكذا صارت الحياة الكونية تكتسب حياة دنيوية[3].

ومن خلال ما سبق ذكره تبيّن أنّ اليونانيين لم يضيفوا شيئاً يُذكر إلى ما جاءت به حضارات الشرق الأدنى القديم (حضارات بلاد الشام وبلاد الرافدين ووادي النيل) في مجال خلق الأرض، ونشأة الكون، وماهيّة العالم، وحتّى نشأة الآلهة. وإذا تذكّرنا قصّة الخليقة في بلاد الرافدين، وقصّة خلق الأرض في وادي النيل، نجد أنّ ما جاء به (طاليس) فيما بعد، واعتبره اليونانيون نظرية جديدة؛ ما هو إلا ترديد لما أكّدته الحضارتان الرافدية ووادي النيل. وإذا تتبّعنا حياة (طاليس) نفسه نجده متأثّراً وناقلاً للفكر الرافدي وفكر وادي النيل، وخاصّة إذا عرفنا أنّه عاش في مدينة (ميلطس) المصرية مع جماعة من المفكّرين، والذي شغل تفكيره بالبحث في المادّة وجوهر الأشياء. وقد جهد هؤلاء المفكّرون في تفريد مادّة عامّة، وتجريدها من بين الموجودات، وجعلها المادّة الأولى في تركيب الأشياء، وفي تفسير اختلافاتها وتغيّراتها.

---

[1]- سيّد أحمد علي الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم (من حضارة كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندر الأكبر)، ط2، القاهرة، دار النهضة العربية، 1976م، ص12-13.

[2]- عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، لا ط، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، 1998م، ص60؛ انظر: ف. دياكوف، س. كوفاليف: الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، ط1، دمشق، منشورات دار علاء الدين، 2000م، ج1، ص275-279.

[3]- بيارغريمال: الميتولوجيا اليونانية، ترجمة: هنري زغيب، ط1، بيرت-باريس، دار منشورات عويدات، 1982م، ص109.

ثانياً: موقع الآلهة في الديانات اليونانية قبل القرن التاسع ق.م

لقد عرّف بعض الفلاسفة الإنسان بأنّه حيوان مُتديّن، ذلك لأنّ التديّن عنصر أساسي في تكوين الإنسان، والحسّ الديني إنمّا يكمن في أعماق كلّ قلب بشري، بل هو يدخل في صميم ماهيّة الإنسان، مثله في ذلك مثل العقل سواء بسواء. ومن هنا نشأ الكثير من الديانات منذ أن دبّ الإنسان على ظهر الأرض، فكانت الأساطير والخرافات والسحر والشعوذة، ومحاولة السيطرة على القوى الخفية، والتقرّب إليها بالأضاحي والقرابين، ممّا يزخر به تاريخ الشعوب في الشرق والغرب على حدّ سواء.

لقد كانت الطبيعة عند اليونان القديمة مفعمة بالحياة، فالجبل هو عرش إله السماء، ويصعد المتعبّدون إلى قمّة الهضبة للصلاة من أجل المطر[1]، ولكلّ شجرة حورية من حوريات الغابة، ولكلّ ينبوع حورية، ولكلّ نهر إله. واستمرّ وجود الآلهة القديمة لفترات طويلة، ولكن كان هناك تأكيد جديد على الشياطين والأرواح الوسيطة، كما جاءت آلهة جديدة من الشرق ومن الجنوب، لتبقى جنباً إلى جنب مع الآلهة القديمة. «...ودخل التنجيم عن طريق بابل، واشتدّ الطلب على آلهة الشفاء[2]». كانت مهمّة الدِّين -على ما يبدو- هي تأمين رضا الآلهة عن طريق تقديم القرابين، وتأدية الطقوس، وإقامة الاحتفالات المناسبة. وكان تقديم القرابين يتمّ بأيدي جماعة الكَهَنة.

كان اليونانيون لا يمجّدون غير ظواهر الطبيعة التي تؤثّر في مخيّلاتهم أو تقع تحت أبصارهم، كالهواء والجوّ والسماء والشمس والرياح والمحيط والأمواج... وكانت هياكل عبادتهم ساحات فسيحة في الهواء الطلق على قمم الجبال أو وسط الغابات، فأقاموا للآلهة التماثيل، واعتقدوا فيهم ما لدى الإنسان من الأخلاق والعادات والصفات والعيوب.

تخيّل اليونانيون الآلهة في أشعارهم على صورة البشر تماماً: يأكلون، ويشربون،

[1]- وهذا موجود حتّى يومنا هذا في معظم الأرياف السورية عندما تحبس السماء الأمطار، يجتمع فتيان القرية ليلاً لكي يجمعوا الزيت والحبوب من الأهالي، ويتمّ طبخه وتوزيعه على الفقراء، وينشدون الأغاني الموجّهة للإله باللهجات العاميّة المختلفة، من مثل قولهم: (يا أمّ الغيث يا ريّا، عبّي الحَوايا ميّه، والتعطينا بالغربال، يصبح ولدها خيّال، والتعطينا بالطاسة، أمّ حجول الردّاسة، واللّي ما عندو يعطينا، نقطة زيت تكفينا...إلخ)، الباحث.

[2]- جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكّاوي، مجلّة عالم المعرفة، الكويت، العدد 173، أيار1993م، ص63.

ويتصارعون مع بعضهم بعضاً أيضاً. و«كان عالم الآلهة عبارة عن انعكاس لحياة الطبقة الأرستقراطية، ولكلّ طائفة معبودها أو معبوداتها[1]». وقد قيل إنّ الوظيفة الجوهرية للدِّين هي التغلّب على خطر الفناء، وضروب القلق التي يثيرها الحاضر، وذلك باستيعاب الناس الدَّنَسَ داخل العمليات اللّامتناهية التي تجري في كون مقدّس، حيث «يتغلّب الدِّين على صدمات الحياة التي تقع في الزمان، وذلك بأن ينسبها إلى ملكوت زمان لا نهاية له، حيث لا يشكّل انقضاء الزمان خطراً لأنّه دوريّ، وبذلك يتواءم عالم الحاضر الدَّنِس مع عالم الأبدية المقدَّس[2]». كان اليونانيون يعتقدون أنّ الآلهة والآلهات لا يترفّعون عن الاقتران ببني الإنسان، فتخيّلوا عددًا من الأبطال الذين وُجدوا من هذا الزواج، واعتبروهم أنصاف آلهة، ونسبوا إليهم أعمالاً جليلة تجعلهم جديرين بالانتساب لهؤلاء الأرباب. وكان يتيسّر للأُسر اليونانية العظيمة أن تنتسب إلى إله من الآلهة. وكانوا كأسلافهم يعتقدون بخلود الروح، ويقولون إنّ الإنسان يحيا في الآخرة حياته الأولى، فيجوع ويعطش، ويأكل ويشرب، ويحارب، ويلعب، ولذلك كانوا يقدّمون إليه الأشربة والضحايا، ويضعون في قبره بعضاً من أنواع السلاح.

تعدّدت الأساطير والقصص اليونانيّة المتعلّقة بالآلهة والأبطال، حيث احتوت على عنصر الخيال، وكان يُنظر إليها على أنّها حقيقية، وكانوا يؤمنون بها، بالإضافة إلى أنّ هذه الأساطير ساعدت في إثراء الفنّ والأدب اليوناني، وتعزيز قيمة الثقافة اليونانية الغربية.

ومن عيوب نظام الآلهة في الديانة اليونانية أنّها غير أهلية، فلكلّ مدينة، ولكلّ قرية، بل لكلّ قبيلة كان لها طرق خاصّة للعبادة، والآلهة التي تُحترم وتبجَّل في مدينة غير التي تُحترم وتبجَّل في مدينة أخرى، «...ولو اتّفقت المعبودات في الأسماء فـ (أبولون) «ذلوس»، غير (أبولون) «ذلفي»[3]»، ولذلك كانت أسماء الآلهة تُقرن بأسماء الهياكل التي تُعبد فيها تمييزاً لها.

ويتّضح ممّا سبق أنّ اليونانيين عرفوا آلهتهم من مصادر متعدّدة: من حضارات الشرق القديمة، ومن العرافين، ومن الكَهَنة. وجاء الآلهة مع الحكّام القادمين إلى بلاد الإغريق

[1]- محمد إبراهيم بكر، قراءات في حضارة الإغريق القديمة، لا ط، مصر، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، 2002م، ص55.

[2]- كولون ولسون: فكرة الزمان عبر التاريخ، ترجمة: فؤاد كامل، مراجعة: شوقي جلال، مجلّة عالم المعرفة، الكويت، العدد 159، آذار 1992م، ص13.

[3]- محمود فهمي، تاريخ اليونان، تقديم: محمّد زينهم محمّد عزب، لا ط، القاهرة، مكتبة ومطبعة الغد، 1999م، ص38.

من كريت، وممّن أنشؤوا مختلف المدن الإغريقية. «جاء هؤلاء الآلهة ومعهم تاريخيهم وأساطيرهم التي جاؤوا بها من بلادهم القديمة من وادي النيل والرافدين وبلاد الشام[1]».

ويتّضح أيضاً اختلاف الدِّين في بلاد اليونان عمّا هو عليه في البلاد الأخرى في ذلك العصر، حيث إنّ الديانة في حضارات الشرق الأدنى القديم ثمّ الديانات السماوية بعد ذلك، كانت ترتبط بالحساب والثواب في العالم الآخر، أمّا الديانة اليونانية القديمة فإنّها كانت ترتبط أساساً بحياة الإنسان في الدنيا، وكانت الآلهة أيضاً كما تصوّرها الأساطير تشبه الإنسان في هيئتها وحياتها، ولهذا السبب كان المواطن اليوناني يتعامل مع فكرة الدِّين والآلهة تعاملاً يخلو من الرهبة، وإن لم يفتقر إلى الإجلال والتقدير. وتبدو فلسفة الدِّين عند اليونان في اختيار المواطن اليوناني لنوعية الآلهة التي يتعامل معها ويحتفل بها، حيث نجد أنّ كلّ اليونانيين كانوا يفضّلون آلهة المحاصيل أو الحرب على آلهة السماء والشمس والقمر والعالم السفلي، أي أنّهم -على عكس الشعوب الأخرى- لم يكونوا يحفلون بأمر العالم الآخر، «... كانوا يتعاملون مع آلهة تتحكّم في مسار حياتهم اليومية، وتساعدهم على سبر أغوارها[2]».

ثالثاً: تصنيف الآلهة وصراعها على المُلك

عبَد اليونانيون في عصورهم المبكّرة أنواعاً من المظاهر والمخلوقات، فعبدوا الأشجار والأحجار والحيوانات، وقد عرف اليونانيون تعدّد الآلهة كما كان الحال بالنسبة لكلّ الشعوب القديمة كما ذكرنا سابقاً، وكان كلّ إله يختصّ بأمر من أمور البشر وحياتهم و«كان الإنسان يتقرّب للإله طمعاً في ثوابه أو خوفاً من عقابه[3]». ولذلك تمّ تصنيف الآلهة على الشكل الآتي:

1. آلهة السماء وصفاتهم

تعتبر آلهة السماء من الآلهة العظام، ولذلك أُطلقت عليها صفات تميّزها من غيرها، منها أنّها آلهة أكابر، ومنها آلهة أصاغر، أمّا الآلهة الأكابر فلها مراتب ودرجات، يأتي في

[1]- محمّد صادق صبور، موجز تطوّر الحضارات الإنسانية، ط1، القاهرة، دار الأمين للنشر، 1998م، ص96.

[2]- ممدوح درويش مصطفى، إبراهيم السايح: مقدّمة في تاريخ الحضارة الرومانية واليونانية (-1تاريخ اليونان)، لا ط، الاسطندرية، المكتب الجامعي الحديث، 1999م، ص107-108.

[3]- فوزي مكّاوي، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته، ط1، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1980م، ص63.

قمّتها (زيوس) أبو الآلهة والبشر، ويُعتبر إله النور، و(هيرا) شريكة (زيوس) في المُلك، و(أثنا) إلهة الطهر وهي ابنة (زيوس) المفضّلة، و(آبولن) إله النور والفنّ، و(أرتميس) إلهة الصيد والسحر، و(هرميس) ساعي الآلهة ورسولهم، وهو إله الرفق والتوفيق وإله المعروف والإحسان، و(آرس) إله الحرب، و(هيفستس) إله الصناعة، وحدّاد الآلهة وصائغهم البارع، و(أفروديت) أو إلهة الأنوثة والجمال، و(يسذون) إله البحر والخصب.

أمّا آلهة السماء الأصاغر، فقد عملوا على خدمة الآلهة الأكابر، منهم الإلهة (ثيمس) إلهة الحقّ والعدل، والإلهة (إريس) رسولة (زيوس) ووصيفة (هيرا)، و(هيفي) إلهة الفتوّة ونضارة الشباب، و(غنميدس) ساقي الآلهة. و«تُعتبر الآلهة خالدة لا تموت وهذا بديهي، إلاّ أنّ لكلّ منها صفات خاصّة تميّزها عن باقي الآلهة الأخرى[1]». وجميع الآلهة منزلهم في ديار الخلود، وجبل «أولمبوس» هو مقرّهم، وهو بالنسبة لهم جزء من السماء، ومكان مقدّس له حرمته وله حرّاسه وله صفاته. «... وتبدو قمم الجبال المرتفعة المكلّلة بالثلوج الأبدية عروشاً متألّقة ساطعة، يتربّع فيها الأرباب الآلهة العظام. ففي تلك الأجواء البهيّة اصطفى الآلهة سُكناهم الأزلية، في أعالي الجبال وفي كبد السماء. ويرتع الآلهة في مقرّ الخلود...[2]».

أمّا صفاتهم فهي كثيرة ومتنوّعة، وتتبع لقوّة الاله وبطشه، منهم من يتّخذون من الأشكال ما يشاؤون، أو يبدون بهيئة البشر أو الحيوانات أو حتّى الجماد. ويتخلّقون بأخلاق البشر، وينحرفون انحرافاتهم. وهم عُرضة لأهوائهم، وميولهم، وغرائزهم، من حبّ وبغض وغضب وكبرياء وخوف وحسد وما إلى ذلك. وإذا نقموا على أحد صبّوا عليه جام سخطهم، وإن حظي في عيونهم غمروه بالعطف والخير.

2. آلهة الأرض ونظامهم

ارتبطت آلهة الأرض عند اليونان القديمة بما تجنيه أرضهم من زروع وثمار، وترويج تلك المزروعات وتصديرها، وخصّها بصفات مرتبطة بالآلهة. فآلهة الأرض عموماً خرجت لكي تحمي الأرض من البشر، ولكي تصون الأرض من تلوّث الإنسان وسمومه ورعيه الجائر. فـالأرض هي أمّ الجميع، وهي والدة الآلهة، فقد كانت (غيئا) الجدّة الأولى والعظمى،

[1]- M.P. Nilsson, A History of Greek Religion, p.101- 102.

[2]- برابرة، الأب فؤاد جرجي: الأسطورة اليونانية، لا ط، دمشق، منشورات الهيئة العامّة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، 2014م، ص87.

وابنتاها (ريئا) و(كفيلي) هما مركز الأرض، لذلك دعَوها بأمّ الآلهة، والإلهة الجدّة، والإلهة الطيّبة. ومن الآلهة (ذميتر) إلهة الزرع والضرع، وهي تُعتبر من إلهات الأرض القديمات، فهي حامية الفلاّحين، وصائنة جهودهم وعرق جبينهم. وقد كرّسوا لها من الحبوب (الحنطة والشعير)، وصوّروها بهيئة الأمّهات تحمل في يدها سنابل القمح وفي الأخرى سنابل الشعير. أمّا (فـاكسخس)، أو(ذيونسس) إله الخمرة، فقد اعتاد اليونانيون في أعياد القطاف، ولا سيّما في قطاف العنب، اعتادوا أن يحتفلوا بإله الكرمة، «لقد كانوا يعقدون له حلقات الغناء والرقص، ويقيمون على شرفه مآدب وولائم صاخبة، امتازت غالباً بالقُصوف والعَرْبَدة والمُجون، وقد رموا من وراء ذلك إلى التشبّه بإلههم الخليع، وإحياء ذكرى موكبه الماجن[1]».

ومن آلهة الأرض أيضاً الإله (بان) ابن (هرميس)، وهو إله الرعي، وقد قصده الرعاة ليؤدّوا له فروض العبادة، ويلتمسوا منه الخصب لقطعانهم، وحتّى الصيّادون أكرموه لأنّه كان بشكله المخيف يوقع الطرائد في حبائلهم، وإذا أخفقوا في صيدهم وخالفهم الحظّ انهالوا على أصنام ذلك الإله وأوسعوها لكماً وجلداً. ويُعتبر الإله (بان) الإله المهيمن على الطبيعة، وقد أثار شكله ضحك الآلهة، كما أكرمت كلّ مقاطعة من مقاطعات اليونان (بانها)، ودعته باسم خاصّ بها.

إنّ لهذه الآلهة نظامها الخاصّ، وتوقيتها الذي لا يختلّ بقدر رضا الآلهة على البشر، وتقديم القرابين لها، ويقوم على خدمة هذه الآلهة طائفة من الكُهّان.

3. آلهة الطبيعة ووظائفهم

تعدّدت آلهة الطبيعة عند اليونان القديمة، فكان لكلّ إله وظيفة خاصّة تميّزه من الإله الآخر، فهناك آلهة الماء المالحة والعذبة، ومنهم الإله (أكينوس)، وهو أحد آلهة الطبيعة الكبرى.

أمّا الإله (بُسذون)، فقد بسط سيطرته على المياه كلّها، ويُعتبر سيّد البحار. ومع ذلك فقد احتفظ بعض الآلهة بشيء من امتيازاتهم وخصائصهم، مثل الإله (نرفس) أحد آلهة المياه المالحة الذي لُقّب «بشيخ البحر». و«... كان ذا وقار ومهابة وجلال، وهو كالأمواج

[1]- الأب فؤاد جرجي برابرة، الأسطورة اليونانية، لا ط، دمشق، منشورات الهيئة العامّة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، 2014م، ص188.

المتلاطمة دائم الحركة دائب التقلّب، ومن وظائفه الإنباء بالغيب، ولكنّه لا يكشف حجبه عادةً إلّا مضطرّاً»[1].

اعتقد اليونانيون، ومن قبلهم شعوب الشرق القديم، أنّ الأنهار آلهة، ولذا أكرموهم الناس وخصّوهم بشعائر العبادة، وقدّموا لهم شعور الفتيان والفتيات، وضحّوا لهم بكباش وخيول وثيران، وكثيراً ما قذفوا بضخاياهم حيّةً في الجداول والغدران. وأشهر آلهة المياه العذبة الإله (أخلووس، وأسبوس)، وهما من الآلهة النهرية، وهناك الكثير من الأنهار في بلاد اليونان حملت اسميهما. وهناك آلهة الجحيم؛ ومنها الإله (هاذس) ملك الهاوية والجحيم، والإلهة (هكاتي) القمر المكفهرّ، واشتُهرت هذه الإلهة بقدرتها في السماء وعلى الأرض. وكان لآلهة الجحيم أعوان مثل الإله (ثانتس) إله الموت ومموّن الجحيم ومستوردها الأكبر. وباعتقادهم أنّ الجحيم هي مقرّ الأرواح بعد انفصالها عن الجسد، وقد ضمّ بقعاً كثيرة تصنّف فيها الأرواح حسب أصنافها، ودرجة استحقاقها، ومدّة بقائها فيه. ومن آلهة الطبيعة أيضاً الإله (فرقد) وهو إله الشمس، والإلهة (سليني) إلهة القمر، وإلهة الفجر(إنوس)، والكثير من الآلهة التي لا يتّسع المقام لذكرها.

4. الآلهة الحيوانية وأنصاف الآلهة

ظهرت الآلهة كهيئة حيوانات، لأنّ بعض الحيوانات في تاريخ اليونان المبكّر كانت تُعظَّم، وتُتّخذ أنصافَ آلهة؛ وكان السبب في ذلك أنّها لم تصل إلى مرتبة الآلهة الكاملة. وسنسرد هنا أهمّ الحيوانات لدى اليونان القديمة.

يأتي الثور في مقدّمة الحيوانات المقدّسة؛ نظراً لقوّته وقدرته، وكثرة ما كان يوصف به أنّه رفيق لـ (زيوس) و(ديونيس)، أو رمز لهما. كما أنّ (هيرا) ذات العين البقرية كان رمزها «البقرة المقدّسة». كما كان الخنزير مقدّساً لدى بعض اليونانيين لكثرة تناسله، وكان رمزاً للإلهة (ديمترا)، إذ كان القربان الذي يُقدّم لها في الأعياد.

قدّس اليونانيون الثعابين والأفاعي، وهي رمز الإله (زيوس). و«يُمَثَّل في شكل ثعبان كحامٍ للسياج والمنازل والمخازن العامّة والممتلكات، وكذلك حين يرتبط بالرأفة يُمَثَّل

[1]- جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، م.س، ص54.

في هيئة ثعبان[1]». وهناك الإلهة (هيجيا)، وهي ربّة الصحّة تمُثَّل بشكل ثعابين غير تامّة، «حيث تُصوَّر في هيئة عذراء ذات ثوب طويل تُطعم ثعباناً من طبق صغير، أو يلتفّ حول خصرها[2]». وكذلك الأبطال عند وفاتهم يصوّرونهم على شكل ثعابين، وهذا مقتبَس من الحضارة المصرية، حيث «كانوا يصوَّرون على شكل ثعابين رَقطاء[3]».

أمّا الأفاعي، فكثيراً ما نراها في الفنّ اليوناني حول تماثيل (هرمس) و(إيللو)، وقد كانت تَّخذ رمزاً للآلهة الحارسة للهياكل والمنازل، وهذا مقتبَس أيضاً من الحضارة المصرية بالتحديد، وربّما كانت الأفعى لكثرة وجودها حول المقابر سبباً في اعتقاد الناس أنّ لها روح الموتى. و«...يعتقد بعضهم أنّ الألعاب الدلفية، من احتفل بها في بادئ الأمر تكريماً لأفعى دلفي الميّتة[4]».

5. صراع الآلهة على المُلك

لم يكن صراع الآلهة في بلاد اليونان القديمة إلّا جزءاً صغيراً من صراع البشر على السلطة، ويعبرّ بطريقة أو بأخرى عن حبّ السلطة والتملّك وإبراز قوّة الحاكم وحصوله على المُلك. وما صراع الآلهة والتطاحُن بينهم، إلّا تعبير عن ذلك، من خلال عقد المعاهدات ونقضها وتوريث العرش والصراع على الإرث.

يبدو أنّه نتيجة تزايد عدد السكّان آنذاك، وعدم وجود نظام اجتماعي متحضّر للزواج، وعدد الزوجات، وكثرة الإنجاب العشوائي، فقد ظهر الصراع بين الإخوة والأحفاد، وبين الأخوال والأعمام على مَن يمتلك وعلى مَن تحقّ له السلطة، ومَن تكون أمّهُ وسلطتها ونسبها الإلهي، ولذلك نجد أنّ هذا تمّ تكريسه عند الصراع بين الآلهة من خلال كلام «زيوس» وتوجيه كلامه. «...اسمعوا لقولي يا أعمام، أيّها الآلهة النبلاء، أبناء الأرض والسماء، اسمعوا ما جاش بصدري: منذ عهد بعيد طويل، نحن في صراع رهيب مع التيطان أبناء (أرنوس). وقد هبّوا بجموعهم علينا ينازعوننا السؤدد والسلطان[5]».

[1]- M.P. Nilsson, Greek poqular Religion, Columbia Univ. press, New York, 1940, p.66f.

[2]- E. Mitropolou, Deities and Heroes in the form of Snakes, pyli Editions, Athens, 1977, p.184

[3]- S.Pulieyn, prayer in Greek Religion, Oxford Univ.press, 1997, p.123.

[4]- رجاء كاظم عجيل، الديانة في بلاد اليونان، مجلّة آداب ذي قار، العدد 5، المجلّد 2، شباط 2012م، ص73.

[5]- الأب فؤاد جرجي برابرة، الأسطورة اليونانية، م.س، ص71.

ويتّضح ممّا سبق أنّ المجتمع اليوناني القديم كان قد عانى من مشاكل كثيرة، تمّ التعبير عنها عبر بعض الأساطير وكلام الآلهة، ولعلّ لاندفاعهم فيما بعد إلى خارج البلاد أسبابه وتبريراته، منها الاقتصادية والاجتماعية، ولكنّ الأهم كما يبدو كانت نتيجة النظام السياسي السائد آنذاك، لأنّ الحكم الأرستوقراطي الذي يفرض سيطرة النبلاء ويُوجّه سياسة البلاد حسب مصلحة هذه الطبقة، «...كان يحرِم المواطنين الأحرار من أكثر الحقوق، ويزيد في شُقّة الخلاف بين الطبقات الاجتماعية والأَحزاب الحاكمة[1]».

رابعاً: خصائص نظام الآلهة (التأثّر والتأثير بين الشرق والغرب)

تنطلق خصائص نظام الآلهة من مفهوم الخير والشرّ في التراث اليوناني القديم، سواء ما جاء في الحديث عن الآلهة والأساطير، أم في القوانين ونصوص الأدب والحكمة، وكيف أنّ النفس البشرية للسكّان كانت تنزع لتكريس الخير ومحاربة الشرّ، كما أنّه دليل على الصراع المستمرّ بين الخير والشرّ، إمّا عبر آلهة الخير والشرّ، أو عبر البشر أنفسهم، وذلك بحسب مصادرهم المختلفة، سواء أكانت النصوص الأدبية أو ذات المواضيع الإنسانية المختلفة، والتي جسّدت بدقّة ذلك الصراع المستمرّ بين الخير والشرّ، والذي غالباً ما كان ينتهي بانتصار الخير على الشرّ. إضافة إلى ذلك تكريس مفهوم الخير والشرّ في مجالات متنوّعة، مع ذكر نماذج منها عرفها سكّان المنطقة من قبيل ربطها بوجوه الخير، كالصدق والوفاء والعدالة. إضافة إلى الحديث عن مفهوم الشرّ وما يتّبعه من محرّمات نهت عنها معظم القوانين التي يُفترض أنّه تمّ التفاهم عليها، واتّفقت عليها معظم الموجودات.

لقد تأثّر اليونانيون بالأمم الشرقية المجاورة التي اتّصلوا بها في مبدأ تاريخهم، واقتبسوا منها الكثير من عناصر الحضارة، وفي مقدّمة هذه الأمم يأتي المصريون والفينيقيون والبابليون، وكان اتّصالهم في مستعمراتهم في آسية الصغرى، أو في علاقاتهم التجارية بالشعوب الشرقية القديمة. و«يُجمِع مؤرّخو الحضارة على أنّ الشرارة الحضارية الأولى وصلت إلى اليونان (البلد الأمّ) كما يسمّيها الغربيون، أو حتّى الجزر؛ عن طريق آسية الصغرى، قادمةً من حضارات الشرق القديم في بابل ومصر وأوغاريت[2]».

[1]- محمّد كامل عيّاد، ، تاريخ اليونان، ط3، دمشق، دار الفكر، 1980م، ج1، ص125.

[2]- محمود إبراهيم السعدني، ، تاريخ وحضارة اليونان (دراسة تاريخية-أثرية)، ط1، القاهرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، 2008م، ص32.

وإذا ما قارنّا بين الفكر اليوناني القديم والفكر الشرقي القديم؛ نجد أنّ هذا التعقيد والانقلاب الفكري كان مستمراً في مواجهة الحضارة الإنسانية خلال الدولة القديمة في مصر مثلاً، إلّا أنّه بدا واضحاً في فترة الانتقال الغامضة -كما يصفها الباحثون- التي سبقت الدولة الوسطى. ومن ثمّ كان مفهوم الآلهة خلال الدولة الوسطى قد أخذ بُعداً آخر. حين كان للمصريين تأثيرهم في الفترة الكريتية لليونان؛ كان للعراق وسورية أثرهما المهمّ في الفترة المايسينية النقية لليونان، حيث ثبت وجود علاقات وتواصل بين الجزر اليونانية والمناطق الفراتية، على نحو أنتج مجموعة من الرؤى التي ساهمت في نمو العقلية اليونانية للفترة ما بعد الدورية، أي في عهد الدولة المدينة. إنّ مجمل هويّات الآلهة اليونانية وطقوسها مصرية، وإنّ عقيدة تناسخ الأرواح كذلك، لكن من المؤكد أن العصر المبكّر (الفترة الكريتية) شهد علاقات وصِلات واضحة مع مصر. غير أنّ امتزاج الحضارتين المصرية الفرعونية واليونانية الوثنية شكّل حلقة انتقال نحو الأخطبوط الوثني الروماني.

ويرى الباحث (سلامة موسى) في كتابه (مصر أصل الحضارة) أنّ الهجرات المصرية نحو اليونان وجزرها كانت على ثلاث مراحل، الاولى في عصر الدولة القديمة، والثانية في أيّام الدولة الوسطى، والثالثة ـ وهي الأهم ـ أيّام الاسرة السادسة والعشرين. ويروي سلامة موسى أسطورة إغريقية تتحدّث عن (أسرة ملوكية مصرية) كانت تحكم بلاد اليونان، أنشأها (دانوس)، لذلك هو يرى وجود أصل مشترك بين الشعبين. فيما ينقل أنّ المصريين في الوقت الذي يرسمون أشكال الشعوب الأخرى مثل الزنوج والحيثيين بنحو من الاستهزاء؛ فإنهم كانوا يرسمون اليونان بالشكل الذي يتطابق مع هيئة المصريين.

أمّا تأثير الحضارة الفينيقية فقد ظهر في عبادة (أفروديت) التي تشبه (عشتروت) عند الفينيقيين، حيث «تأثّر اليونانيون تأثّراً واضحاً، وليس أدلّ على تأثّرهم من أنّ كثيراً من الآلهة اليونانية أصلها فينيقي، ولقد ظهر التأثير الدِّيني على أشُدّه في عبادة (أفروديتي) ربّة الجمال والحبّ عندهم[1]». ونتيجة تأثّرهم هذا نظروا إليهم على أنّهم أصحاب حضارة عظيمة وفضل وتقدّم، واختلط إعجاب اليونانيين بالفينيقيين بالحقد أحياناً، وبالتنافس والصراع والحرب أحياناً أخرى.

---

[1]- حصّة تركي الهذال، المؤثّرات الحضارية الفينيقية في الحضارة اليونانية، مجلّة دراسات (العلوم الإنسانية والاجتماعية) – الجامعة الأردنية، المجلّد 43، ملحق3، 2016م، ص 1569.

ومن التأثّر والتأثير بين الشرق والغرب فيما يخصّ نظام الآلهة، نجد الكثير من الأساطير وأسماء الآلهة اليونانية تكاد تتطابق فكرةً وتفصيلاً مع التي سبقتها في وادي النيل ووادي الرافدين. كذلك تأثّر اليونانيون بحضارة ما بين النهرين، فاقتبسوا عن البابليين الكثير عن الآلهة ونظامهم، ويبدو أنّ اقتباسهم هذا لم يكن بصورة مباشرة كما ذكرنا سابقاً، وإنّما عن طريق شعوب آسية الصغرى التي كانت على اتّصال دائم بالبابليين والآشوريين، والتي خضعت لنفوذهم. و«...لا نبالغ إذا قلنا إنّ أمم الشرق كانت أساتذة اليونانيين الذين صاروا فيما بعد أساتذة الغرب. وإنّ تلك الأمم مهّدت لهم طريق الحضارة وأرشدتهم إلى سبيل الفلاح[1]».

ولا نبخس الإنسان اليوناني حقّه في تطويره لذاته وفكره المنطقي. «...وللأمانة كان رجلاً مرفوع الرأس حتّى وهو يصلي للآلهة، مع أنه كان كغيره من الناس يعرف جيّداً الفرق بين ما هو بشري وما هو إلهي، ورغم علمه أنه ليس بإله، إلاّ أنّه كان رجلاً على الأقلّ، وكان يعلم أنّ الآلهة سرعان ما تبطش دون شفقة بالرجل الذي يتألّه، وأنّ التواضع والاحترام هما أشدّ ما يستحسنونه من الصفات البشرية، ومع ذلك فقد كان يعلم أنّ الإله والإنسان نبَتا من نفس الأرومة[2]».

إنّ الحضارة اليونانية لم تكن حضارة يونانية فحسب، بل حضارة البلدان الشرقية التي تحدّثت بلغة اليونانيين، وأُلّفت وكتبت بها. ولم تكن المصدر الرئيسي للعلوم، وهؤلاء الذين نسبوا إلى اليونان هذا الشرف كانوا مخطئين، لا في مصدر العلوم فحسب، وإنّما في طبيعتها أيضاً. وقد قام اليونانيون بإسهام فريد -ولو أنّه محدود نسبيّاً- في بعض المجالات، كما هي الحال في بعض العلوم مثل علم الهندسة والمنطق الرياضي[3]. علمًا أننا نجد أنّ رسالتهم لم تقتصر على تلقّي تراث الحضارات الشرقية القديمة لينقلوه بدورهم إلى أوروبّا، بل هضموا ما تلقّوه وأعادوا إخراجه في صورة جديدة مختلفة تتّسم بطابع بيئتهم الخاصّة. «...ولا نبالغ

[1]- لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان مقدّمة في التاريخ الحضاري، لا ط، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية،1991م، ص19.

[2]- ه.د. كيتو: الإغريق، ترجمة: عبد الرازق يسرى، راجعه: الدكتور محمّد صقر خفاجة، لا ط، القاهرة، دار الفكر العربي، 1962م، ص5.

[3]- محمّد صادق صبور، موجز تطوّر الحضارات الإنسانية، ط1، القاهرة، دار الأمين للنشر، 1998م، ص85.

هنا إذا قلنا إنّ البحر الإيجي كان مسؤولاً إلى حدّ ما عن مناهضة اليونان للشرق الذي ظهر فيه أوّل قبس أضاء الطريق لحضارة الغرب المبدعة، ومسؤولاً كذلك عن الطابع المستقلّ الفريد لهذه الحضارة العظيمة التي نزعت إلى إخفاء المؤثّرات الشرقية[1]».

وإذا قمنا بالمقارنة بين ما حصل قديماً ويحصل حديثاً من تأثّر وتأثير نجد الاختلاف الكبير مع نرجسية الغرب الأوروبيّ بما أنجزه الإنسان الشرقي. ولو سألنا أحد قدماء اليونان عمّا يمتاز به من الإنسان الشرقي، فإنّه -على ما أظنّ- ما كان ليجعل انتصارات العقل اليوناني في المقدّمة، حتّى مع علمه بأنّه قد بدأ أكثر الأشياء بطريقة أذكى منه. لكن اليوم نجد أنّ الغرب الأوروبيّ يعبّر بعكس طريقة أسلافه من قدماء اليونان. ولنأخذ مثالاً واحداً على ذلك، عندما نحت الأوربّيون تمثالاً للعالم الفرنسي شامبليون (مكتشف حجر رشيد بمصر عام 1823م) في ساحة جامعة السوربون بفرنسا، صوّروه وهو يضع قدمه فوق رأس الملك الفرعوني (أخناتون). ومع هذا كلّه فالديانات التي تُعرف اليوم في العالم المتقدّم نشأت في أرضنا وانتشرت منها، والفكر الذي أغنى اليونان كانت أصوله من عندنا، وكذلك أكثر فروع العلوم والفكر والأدب والفلسفة...إلخ. ومع ذلك كان يُنظر لبلاد الشرق على أنّها أشدّ ثراءً وأرقى حضارةً.

[1]- عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني، لا ط، بيروت، دار النهضة العربية، 1976م، ص17؛ انظر: جون ما كليش: من الحضارات القديمة حتى عصر الكمبيوتر، ترجمة: خضر الأحمد وموفق دعبول، راجعه: عطية عاشور، مجلّة عالم المعرفة، الكويت، العدد 251، كانون الأول 1999م، ص105.

الخاتمة

من خلال معالجتنا لموضوع البحث، يمكننا الوقوف عند بعض النتائج، والتي نلخّصها فيما يلي:

1- الميثولوجيا اليونانية أعطت لمحة عن الفكر اليوناني القديم من خلال التفاصيل الدقيقة عن نشأة الكون وعناصره، وعن كلّ إله وأنسابه ونسله، وكيفية خلق الكون والإنسان، والتي توحي بتقديس اليوناني القديم لقوى الطبيعة المحيطة به. بالإضافة إلى تفسير الكون والحياة، ومعرفة أسرارهما، وأسرار الإنسان نفسه، وتطوّرت إلى ملاحم عن الأبطال والآلهة التي تحميهم.

2- تُعتبر الآلهة وقصصها أمراً يعكس بالفعل وقائع حقيقية موغلة في القدم، حتّى وإن لم تترك في ذاكرة الناس أيّة أصداء أخرى. بالإضافة إلى ذلك يتوجّب علينا الاعتراف بأنّها مجرّد نتاج لمخيّلة شعراء اختلقوا لنا ماضياً خرافياً، وألبسوه ثوب أحوال وأمور كانوا قد شاهدوها في زمانهم هم.

3- هدفت الآلهة إلى تأسيس طقوس البشر من فعل وفكر وأدب، وتُجيب الآلهة وأنصاف الآلهة عن كلّ تساؤلات الإنسان القديم حول الكون ومن يحكمه من الآلهة، وقصص الموت والحياة والفناء والخلود.

4- أدّى الاختلاف في القوى بين الآلهة العتيقة التي وُصفت بالتنظيم، والآلهة الفتيّة المسبّبة للصخب والفوضى إلى بداية الصراع بين الآلهة، وكان لازماً انتصار آلهة على أخرى حتّى يتمّ تنظيم الكون وخلق الإنسان.

5- الديانة اليونانية هي نتاج معتقدات السكّان الأصليين والمجموعات التي غزت تلك البلاد، لذلك لم تقم في وقت واحد، ولا على يد رجل واحد، فقد نشأت كسائر الديانات

القديمة؛ نتيجة لتفسير بعض القوى والمظاهر الطبيعية. وهي في نشأتها وجوهرها عبادة طبيعية، فالمظاهر الطبيعية تحوّلت إلى مخلوقات مقدّسة اكتظّ بها معبد الآلهة في أولمبوس، ولم تتّصف بالورع والزهد والتقوى، بل تعيش وتسلك مثل المؤمنين بها من البشر. وكان المتعبّدون يتقرّبون إلى الربّ لطلب الإحسان والنعم بمراسيم دينية بسيطة.

وفي النهاية يتبيّن لنا أنّ الحضارة سلسلة متّصلة الحلقات، تبدأ من سومر، وأوغاريت فإيبلا، وأريحا، وجُبيل، وتعبر إلى اليونان، ثمّ تعود إلى الشرق مرّة أخرى عبر مناراتها المتعدّدة على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، ولذلك قيل: إنّ الحضارات تنشأ من تزاوج مهارات مختلف الشعوب.

المصادر والمراجع

1. أ.أ. نيهاردت، الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، ترجمة: د. هاشم حمّادي، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، 1994م، ط1.
2. الأب فؤاد جرجي بربارة، الأسطورة اليونانية، منشورات الهيئة العامّة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2014م.
3. أمين سلامة، الأساطير اليونانية والرومانية، دار الفكر العربي، بيروت، 1988م.
4. بيارغريمال، الميتولوجيا اليونانية، ترجمة: هنري زغيب، دار منشورات عويدات، بيروت-باريس، 1982م، ط1.
5. جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة عبد الغفار مكّاوي، مجلّة عالم المعرفة، الكويت، العدد 173، أيار1993م.
6. جون ما كليش، من الحضارات القديمة حتّى عصر الكمبيوتر، ترجمة: خضر الأحمد وموفّق دعبول، راجعه: عطية عاشور، مجلّة عالم المعرفة، الكويت، العدد 251، كانون الأول 1999م.
7. حصّة تركي الهذال، المؤثّرات الحضارية الفينيقية في الحضارة اليونانية، مجلّة دراسات (العلوم الإنسانية والاجتماعية) – الجامعة الأردنية، المجلّد 43، ملحق 3، 2016م.
8. رجاء كاظم عجيل، الديانة في بلد اليونان، مجلّة آداب ذي قار، العدد 5، المجلّد 2، شباط 2012م.
9. سيّد أحمد علي الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم (من حضارة كريت حتّى قيام إمبراطورية الإسكندر الأكبر)، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976م، ط2.

10. عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1998م.

11. عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م.

12. ف. دياكوف، س. كوفاليف، الحضارات القديمة، ج1، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، منشورات دار علاء الدِّين، دمشق، 2000م، ط1.

13. فوزي مكّاوي، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1980م، ط1.

14. كولون ولسون، فكرة الزمان عبر التاريخ، ترجمة: فؤاد كامل، مراجعة: شوقي جلال، مجلّة عالم المعرفة، الكويت، العدد 159، آذار 1992م.

15. لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان مقدّمة في التاريخ الحضاري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991م.

16. محمّد إبراهيم بكر، قراءات في حضارة الإغريق القديمة، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، 2002م.

17. محمّد تواتي، وفاء طليبة، أساطير بلاد الرافدين وبلاد الإغريق دراسة مقارنة، رسالة ماجستير في تاريخ الحضارات القديمة، جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي، الجزائر، كلّية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم العلوم الإنسانية، 2018م.

18. محمّد صادق صبور، موجز تطور الحضارات الإنسانية، دار الأمين للنشر، القاهرة، 1998م، ط1.

19. محمّد كامل عيّاد، تاريخ اليونان، ج1، دار الفكر، دمشق، 1980م، ط3.

20. محمود إبراهيم السعدني، تاريخ وحضارة اليونان (دراسة تاريخية-أثرية)، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة،2008م، ط1.

21. محمود فهمي، تاريخ اليونان، تقديم: محمّد زينهم محمّد عزب، مكتبة ومطبعة الغد، القاهرة، 1999م.

22. ممدوح درويش مصطفى، إبراهيم السايح، مقدّمة في تاريخ الحضارة الرومانية واليونانية (-1تاريخ اليونان)، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999م.

23. ه.د. كيتو، الإغريق، ترجمة: عبد الرازق يسرى، راجعه: الدكتور محمّد صقر خفاجة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1962م.

24. E. Mitropolou, Deities and Heroes in the form of Snakes, pyli Editions, Athens, 1977, p.184

25. M.P. Nilsson, A History of Greek Religion, p.101102-.

26. M.P. Nilsson, Greek poqular Religion, Columbia Univ. press, New York, 1940, p.66f.

27. S.Pulieyn, prayer in Greek Religion, Oxford Univ.press, 1997, p.123.

المعابد والطقوس في تاريخ الإغريق القديمة

محمّد المحمّد الحسين[1]

تُعدّ المعابد اليونانيّة تراثًا للعمارة اليونانيّة، وثروة معماريّة للباحثين وطلّاب العلم. أمّا طقوّسها، فقد تعدّدت بتعدّد آلهتها، وكانت الطقوس الدينيّة الإغريقيّة[2] تشمل مواكب وأناشيد وقرابين، وتشملُ سحرًا ومسرحيّة، إضافةً للطقوس الجنائزيّة، والدوريّة، والسرّيّة.

هذا البحث هو لمحة عامّة عن دور المعابد وطقوسها في الحضارة اليونانيّة القديمة منذ عصورها الأولى حتّى بداية القرن الثامن قبل الميلاد، وذلك من خلال تقسيم البحث لمبحثين، الأوّل عن المعابد، ويتضمّن ستّة محاور، المحور الأوّل تعريف المعابد، والثاني: تصنيف المعابد[3]، والمحور الثالث: وظائف المعابد، والمحور الرابع: أشكال المعابد، أمّا المحور الخامس: موقع المعابد في الديانات اليونانيّة قبل القرن التاسع قبل الميلاد، بينما تناول المحور الأخير خصائص فنّ العمارة الإغريقيّة (التأثّر والتأثير الحضاريّ بين الشرق والغرب).

أمّا المبحث الثاني وُزّع على خمسة محاور؛ المحور الأوّل: تعريف الطقوس، والمحور الثاني: تصنيف الطقوس، أما المحور الثالث: أنواع الطقوس، والمحور الرابع: موقع الطقوس في الديانات اليونانيّة قبل القرن التاسع قبل الميلاد، بينما تناول المحور الأخير أثر المعتقدات الشرقيّة على المعتقدات الغربيّة (التأثّر والتأثير الحضاريّ بين الشرق والغرب).

---

[1]- دكتور في قسمي التاريخ والآثار، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة حلب/سوريا.

[2]- تستعمل في هذا البحث الصفات هيلليني، وإغريقي، يوناني كلها بمعنى واحد.

[3]- كل الصور والأشكال مأخوذة من موقع (ويكيبيديا).

أوّلاً: المعابد

1. تعريف المعابد

المعابد هي البيوت المقدّسة التي تسكن فيها الآلهة أثناء وجودها الرمزيّ على الأرض، فقد كانت الكهوف هي أقدم الأماكن لإقامة شعائر وطقوس عبادة الآلهة في الجزر الإيجيّة وشبه جزيرة اليونان. والمعابد اليونانيّة هي هياكل بُنيَت لإيواء تماثيل الآلهة في الديانة اليونانيّة القديمة[1].

وهي عبارةٌ عن ساحاتٍ واسعةٍ على شكل فضاءاتٍ مقدّسةٍ محاطةٍ بأسوار، وكان دور هذه الأسوار هو الفصل بين العالم المقدّس، مصنوعةٍ من الحجارة أو من الطين، والحفاظ على قداسة المكان وحماية القرابين المقدّمة للآلهة[2].

2. تصنيف المعابد

أ. حسب البنية الهندسيّة

لقد كان العنصر البارز في المعبد اليونانيّ هو الأعمدة. فصنّفوا المعابد إلى ثلاثة أنواعٍ (الدوريّ، الآيونيّ، الكورنثيّ)، وذلك نسبة إلى الأعمدة التي شُيّدت بها.

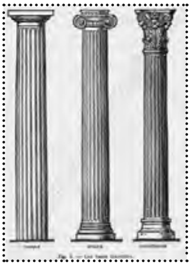

ـ العمود الدوري

هو أقدم الطُرُز الإغريقيّة، ويُنسب إلى القبائل الدوريّة، ويتميّز بالبساطة، ويُركّز على الأرض بدون قاعدةٍ، ويضيق في اتّجاه القمّة، ويوجد بجسمه قنوات محفورة رأسيًّا، ويعلو

[1]- سيّد أحمد علي الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم (من حضارة كريت حتّى قيام إمبراطورية الإسكندر الأكبر)، ط2، القاهرة، دار النهضة العربية، 1976م، ص52.

[2]- ل. ديلابورت: بلاد ما بين النهرين الحضارتان البابلية والأشورية، ترجمة: محرم كمال، مراجعة: عبد المنعم أبو بكر، ط2، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م، ص136.

العمود أسطوانة، ثم تاجٌ بسيطٌ تعلوه كتلةٌ مربّعةٌ وترتكز عليها العُتب. وإنّ الزخارف التي كانت مستعملةً كانت بالنّقش لا بالنحت، أي كانت زخارف منقوشة.

يعتبر العمود الدوري من أهمّ الأعمدة المعماريّة، وأكثرها استعمالاً عند اليونانيّين، وأشدّها صلابةً من حيث المنظر، وأكثر ضخامةً من حيث النِّسب. اختلف المؤرّخون العلماء في أصل العمود الدوريّ بأنّه مأخوذٌ أصلاً من شكل الأكواخ الخشبيّة، أو مأخوذٌ عن الأعمدة المصريّة القديمة ذات الستّةَ عشرَ ضلعًا الموجودة في مقابر «الدير البحريّ»، ومقابر «بني حسن». ورغم التّشابه الواضح الذي يصل إلى درجة التطابق مع طراز الأعمدة التي تشكّل المدخل إلى هرم الملك المصريّ «زوسر» في «سقارة» (قرب الجيزة في مصر) فإنّ عددًا من مؤرّخي الحضارة اليونانيّة يرون أنّه ربّما كان تطوّرًا من أصلٍ يونانيّ محلّيّ، وهو أمرٌ واردٌ إذا أدخلنا في اعتبارنا أنّ هذا الطراز هو أبسط الطرز[1].

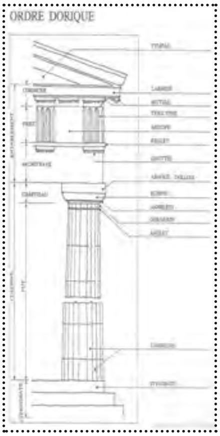

ـ العمود الآيوني

ظهر هذا الطراز أوّلاً في «أيتكا»، و«أيونا»، و«تراقيا» على يد الآيونيين، وعنهم استمدّ اسمه، ويرتكز على قاعدة تفصله عن الأرض، وإذا كان جمال العمود الدوريّ ينسب إلى قوّة مظهره وبساطة تاجه، فإنّ الطراز الآيونيّ يتميّز برقّة البدن وجمال التاج المزخرف بشريطٍ حلزونيّ من الجهتين، من الملاحظ أنّ العمود الآيونيّ أقلّ صلابةً من العمود الدوريّ

[1]- محمد إبراهيم بكر، قراءات في حضارة الإغريق، لا ط، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002م، ص77.

وأكثر زخرفةً. وممّا لا شكّ فيه أنّهم اقتبسوا هذا النّظام من المصريّين القدماء في طريقة البناء بالحجارة، ولكنّ الفرق أنّ المعبد المصريّ اعتمد على التأثير الداخليّ في زوّاره من رهبتة، أمّا اليونانيّ فكان يقوم على التأثير في النّفوس عن طريق المظهر الخارجي. ويرجّح أن يكون التاج من أصلٍ آشوري قديمٍ أو مصريّ قديم، حيث اتّخذ التاج شكلاً لولبيًّا يسمّى باللفافات. تيجان الأعمدة الآيونيّة لا تتشابه فيها الأوجه الأربعة، ولذلك لا تتناسب مع المباني التي يجب أن تكون تيجان أعمدة زواياها متشابهة في واجهتيها. والأعمدة الآيونيّة أعلى من مثيلاتها في الطراز الدوريّ بالنسبة للأقطار. ويعتبر معبد «أرتميس» في «كورفي» من أهمّ المعابد التي عبّرت لنا عن هذا الطراز بوضوح وبصراحة[1].

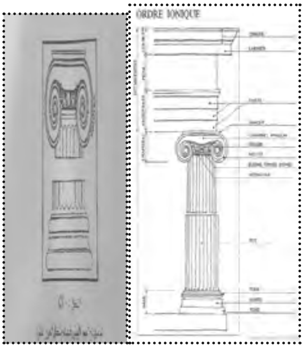

ـ العمود الكورنثي

يُنسب إلى مهندسٍ من مدينة «كورينث»، ولا يختلف عن العمود الآيونيّ إلا في شكل تاجه الذي يتركّب من مجموعة أوراقٍ من نبات الأكانثوس (نباتٌ شائكٌ)، ولم يستخدم كثيراً في عمارة المعابد الإغريقيّة، ووُجد غالبًا في المباني التذكاريّة. يشبه العمود الآيونيّ، فيما عدا تاجه الذي يمتاز بطابعٍ خاصٍ، والعمود الكورنثي أكثر نحافةً وأغنى زخرفةً.

وهذا الطراز هو تطوّرٌ مباشرٌ من الأعمدة المصريّة التي يُحلّي رؤوسها نحتٌ مفصّلٌ لسعف النخيل. لقد كانت في أغلبيتها الساحقة مستطيلة الشكل؛ ولكن مع ذلك فقد كانت هناك أمثلةً من البناء الدائريّ في بعض المعابد الصغيرة، مثل المحراب الصغير الموجود في مدينة «دلفي»،

[1]- محمد إبراهيم بكر، قراءات في حضارة الإغريق، م.س، ص79.

ومحراب آخر موجود في معبد الإله «أسكلبيوس» في مدينة «ابيدأوروس»[1].

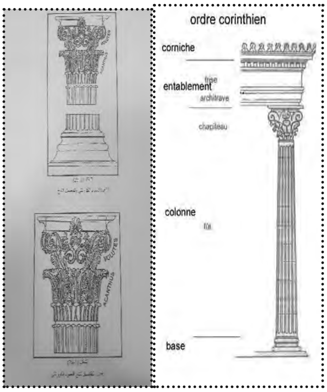

ب. حسب البعد الديني

ما يُميّز الديانة اليونانيّة أنّها لم تتبع نظام الكهف، إذ كان الفرد بوجه عام كاهن نفسه من ناحية العبادة[2].

يعود اهتمام الإغريق ببناء المعابد إلى إظهار عظمتهم، ولإيجاد فرص عمل للعاطلين عن العمل لكسب تأييدهم في كل شيء. ففي أثينا تم بناء معبد للإلهة أثينا، وشرع بناء معبد صمم للإله زيوس[3].

الذي بَنى له الإغريق معبدًا فوق كلّ منطقة مهمّة لاختلافهم في تحديد مكان ولادته، ومن أهمّ تلك المعابد هو معبد «أولمبس»، ومعبد «أركاديا»، ومعبد «بواتيا»، ومعبد «مسينا»، ومعبد «اجاينا»[4]، ومعبد قورينا في ليبيا العربية الإفريقية.

[1]- رجاء كاظم عجيل، الديانة في بلد اليونان، مجلّة آداب ذي قار، العدد 5، المجلّد 2، شباط 2012م، ص80.

[2]- م.ن، ص74.

[3]- م.ن، ص73.

[4]- م.ن، ص69.

لقد تطوّرت المعابد اليونانيّة القديمة من هياكل صغيرة من الطوب اللبن إلى بنايات ضخمة مزدوجة مع أروقة على جميع الجوانب، وغالبًا ما يصل ارتفاعها إلى أكثر من 20 مترًا. ومن أجمل المعابد ما أقيم على جبل «الأولمب»؛ حيث تنافس الحكام في بنائها وتزيينها، فجاءت آية في الروعة والجمال، **من أهمها:**

ـ معبد «البارثينون»

أي معبد «العذراء» في أثينا الذي تمّ بناؤه على الأكربول (المنطقة المرتفعة) للآلهة أثينا، ليؤكّد مجد أثينا وعظمتها. أُهديَ البارثينون إلى أثينا، الإلهة الراعية لمدينة أثينا في الأساطير اليونانية، ويعدّ أفضل نماذج العمارة اليونانيّة القديمة. وهو أكبر معبد في بلاد اليونان. وقد صمّمه المهندسان الإغريقيان «اكتينوس»، و«كاليكراتس»، وأشرف على أعمال النحت النّحّات الإغريقي «فيدياس».

يوجد في أعلى جدار المعبد إفريز مزخرف بنقش بارز لقصص تصويريّة من الأساطير الإغريقيّة، وتتوج الواجهتين القصيرتين من المعبد من الجهتين الشرقية والغربية شكل مثلث أعلى الإفريز، فمن الناحية الشرقيّة صور مولد الآلهة أثينا، ومن الجهة الغربية صراعها مع إله البحر «بوسيدون». وفي الإفريز الداخلي الذي يقع بأسفل السقف نحت «فيدياس» موضوعًا يصور جماهير الشعب تحمل الهدايا لآلهتهم العظيمة أثينا.

يحتوي المعبد من الداخل على قاعتين، قاعة كبيرة تحوي تمثال الآلهة أثينا، مصنوع من الخشب المطعم بالعاج، والذهب الخالص، ويبلغ ارتفاعه (11) مترًا، ويوجد خلف قاعة أثينا حجرة صغيرة بها أربعة أعمدة مخصّصة للكهنة. والطراز الدوري وضحت معالمه وتمّ نضوجه في هذا المعبد.

في عام 500م تحوّل المعبد إلى كنيسة نصرانيّة. وبعد استيلاء القوّات العثمانيّة على

المدينة في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي حول المعبد إلى مسجد. وفي عام 1687م، أصيب البارثينون بأضرار جسيمة عندما حاول الفينيسيون (سكان البندقية) الاستيلاء على أثينا، فقد كان العثمانيون يستخدمون المبنى مخزنًا للبارود في ذلك العهد، وأدّى انفجار البارود إلى هدم الجزء الأوسط من المبنى. ونقلت معظم بقايا المنحوتات إلى متحف الأكروبولس في أثينا، والمتحف البريطاني في لندن[1].

ـ معبد «الأركيزون»

يقع على هضبة الأكروبول شمال البارثينون. ينسب معبد «الأركيزون» إلى ملك أثينا الأسطوري أو الخرافي اسمه «أركيزيس»، حول إلى كنيسة أيام حكم جستنيان، وبعد ذلك خصّص جناحًا للحريم أيام عهد العثمانيين وهدم جزء كبير منه أيام الثورة اليونانية. ويعتبر هذا المعبد من أشهر المعابد لعبادة آلهة عدّة، ولذلك، فقد تكوّن من أجزاء عدّة مختلفة الشكل، وموقعه ليس مستويًا، ولذلك لم يكن المعبد بالبساطة المعروفة في المعابد اليونانية.

يحتوي المعبد على حجرات عدّة مختلفة، خصّصت بعضها لأغراض دينيّة مختلفة، والبعض الآخر لآلهات المدينة، كما أنّ المدخل الشمالي للمعبد خُصّص للعذارى، أو يسمى بمدخل العذارى، حيث استعملت /6/ أعمدة بأشكال نسائيّة لحمل سقف المدخل بدلاً من الأعمدة العادية[2]. يعتبر هذا المعبد فريد من نوعه حيث استعملت الأنظمة الثلاثة في الأعمدة، الآيوني والدوري والكورنثي[3].

[1]- رجاء كاظم عجيل، الديانة في بلد اليونان، م.س، ص74.

[2]- لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان مقدّمة في التاريخ الحضاري، لا ط، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1991م، ص274.

[3]- رجاء كاظم عجيل، الديانة في بلد اليونان، م.س، ص72.

ـ معبد «هيرا» (أوليمبيا)

أنشئ هذا المعبد للإله (هيرا) إلهة الزواج والحب، ويعتبر من أقدم المعابد اليونانيّة، وكانت أعمدته من الخشب، ثم استبدلت بعد ذلك بالحجر، وعلى ذلك اختلفت أشكال تيجان هذه الأعمدة حسب التطوّرات التي مرّ بها هذا المعبد[1]. (الشكل رقم 10)

ـ معبد «أبوللو»

سداسي الأعمدة، وبه/15/ عمودًا على الجانبين، مكونة من اسطوانات من الحجر الجيري الرمادي، وهذا المعبد من النّوع ذي الرواق المحيط، كما يتميّز عن باقي المعابد الأخرى بوجود ثلاث طرز معماريّة يونانيّة به، فهناك النظام الدوري للواجهات، والأيوني بالداخل على هيئة أعمدة متّصلة، واستعمال عمود كورنثي واحد داخل المعبد. كُتب على معبده عبارة (أعرف نفسك وكن معتدلاً)، ويقع المعبد في مدينة دلفي[2].

[1]- رجاء كاظم عجيل، الديانة في بلد اليونان، م.س، ص72.

[2]- م.ن، ص72.

ـ معبد أرتمس

يعدّ من أكبر المعابد الذي أعتبر من عجائب العالم القديم، إلا أنّه حُرق في القرن الـ 3 ق.م ودُمّر، وبعد ذلك أُنشئ مرّة أخرى وتمّ ترميمه. وأهم ما يمتاز به هذا المعبد ضخامته، ثم ظهور تماثيل لأشخاص بكامل حجمها الطبيعي محفورة على بدن الأعمدة أعلى القاعدة مباشرة معروف باسم معبد العصر الهليني. كان مخصّصًا لخدمة القساوسة الممتازين رجالاً ونساءً، وكذلك الشعراء والخطباء. نقلت بعض آثاره المعماريّة المختلفة، وخاصّة الأعمدة الثمانية الخضراء الداكنة إلى كنيسة أيا صوفيا بإسطنبول، وتوجد بعض آثاره بالمتحف البريطاني الآن[1].

ـ معبد «بوسيدون»

شُيّد على قمّة المنحدرات المطلّة على بحر إيجه، وتنعكس في تصميمه رغبة الإغريقيين بإظهار عظمة مبانيهم من مسافات بعيدة[2].

ـ معبد «هيفاستايوس»

يقع في «أغورا» أثينا، يعتبر خير شاهد على متانة المباني اليونانية الرائعة التي لم يتدخّل فيها البشر بعد تشييدها[3].

[1]- رجاء كاظم عجيل، الديانة في بلد اليونان، م.س، ص72.

[2]- م.ن، ص72.

[3]- رجاء كاظم عجيل، الديانة في بلد اليونان، م.س، ص73.

ـ وظائف المعابد

كانت المعابد تقام في وسط المدن وتشيّد حولها المساكن.

وكانت ذات شكل وحجم مختلفين، فبعضها كان مجرّد مصلّياتٍ صغيرةٍ تتكوّن من صفّ من الدور، وتشتمل على فناءٍ مكشوفٍ يضمّ محرابًا وقاعدةً للتمثال المقدّس. وكان هناك معابد أخرى تضمّ أقبيةٍ وغرفٍ عدّة، ثمّ أقيمت المعابد الضخمة ذات التركيبات المعقّدة وتخصّ الآلهة الأعظم، وكانت تضمّ غرفًا لإيواء الكهنة والعاملين في المعبد. والمعابد الرئيسيّة كافةً كانت تشترك في خصائص معيّنة، حيث اشتمل كلّ منها على فناءٍ كبيرٍ تُحيط به غرفٌ صغيرةٌ تستخدم للإقامة، أو كمكتباتٍ ومدارسَ للكهنة، وورش ومخازنَ واصطبلات.

كان القسم الرئيسيّ من المعبد يشتمل على ثلاث غرفٍ متواليةٍ هي: الدهليز، وما قبل المقدّس، ثم المقدّس أو قدس الأقداس، وتحتوي غرفة المقدّس على تمثال الإله أو الآلهة المكرّس لها المعبد. وفي غرف ما قبل المقدّس كانت توضع نصب الآلهة والمعبودات الأخرى، بالإضافة إلى المسلاّت التذكاريّة للملوك. وكانت تُستخدم موادّ نادرة وغالية الثمن في بناء هذا القسم من المعبد، فترفع السقوف على أعمدةٍ من خشب الأرز وتصنع الأبواب من الخشب الثمين المطعّم بشرائط من النحاس أو البرونز، ولحماية المعبد كانت تنصب فوقها تماثيل لأسودٍ أو ثيرانٍ أو لكائناتٍ خرافيةٍ مصنوعةٍ من الحجر أو الفخّار أو الخشب[1].

[1]- حلمي محروس إسماعيل، الشرق العربي القديم وحضارته (بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة)، لا ط، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1997م، ص9.

إنّ الطقوس الدينيّة كان من الممكن القيام بها في الخلاء، لكن يبدو أنّ هناك دوافع قد حدَّت باليونانيّين إلى أن يقيموا هذه المباني العظمية، وخاصّةً إذا تتبّعنا اليونان منذ أقدم العصور، نجد أنّ اليونانيّ كان قد صنع تماثيل للآلهة التي يعبدها، وكان لهذه التماثيل قداسة عظيمة عنده، وقد أوجدت الرغبة في إقامة هذه التماثل دافعًا معماريًّا وهو حفظ التمثال داخل بناء. وقد تطوّر هذا البناء من مكانٍ لحفظ تمثال الإله المعبود إلى مكان جميلٍ لحفظ التمثال، مع إضافة النحت لتحليته من جهةٍ، ولتسجيل القصص الخاصّة بهذا الإله من جهةٍ أخرى.

إنّ المعابد في بلاد اليونان لم تكن تخدم الغرض نفسه الذي كانت تخدمه المعابد المصريّة. ففي مصر كانت مكانًا للعبادة، ويجب أن يتّسع لأعدادٍ كبيرةٍ من المتعبّدين للإله، كما كان الارتفاع الشاهق مطلوب من الناحية النفسيّة ليوحي لهؤلاء المتعبّدين أثناء صلواتهم بعظمة الإله وغموضه والفرق الشاسع بينه وبينهم. أما عند اليونان فإنّ المعابد لم تكن تتمّ بداخلها صلوات المتعبّدين، وإنّما كان المعبد بكلّ بساطة بيتًا للإله أو الآلهة ينظر إليه أبناء المدينة من الخارج فحسب (بينما يؤدّون صلواتهم ويمارسون طقوسهم في أماكن أخرى)، ومن هنا كان الأمر الوارد هو أن يكون حجم المعبد صغيراً نسبيًّا حتّى يستطيع الناظر إليه أن يستوعب أبعاده في بساطةٍ مباشرةٍ[1].

ومن وظائف المعابد لجوء المرضى إليها؛ حيث كانت تقدّم القرابين للإله «أسكلبيوس»، بالإضافة إلى ممارسة بعض طقوس السحر لإيحاء المريض بالنوم حتّى يحلم بالإله الشافي، وعند استيقاظه يقوم الكاهن بوصف الدواء المناسب بناءً على تفسير هذا الحلم. وتطوّرت تلك المعابد فيما بعد لتصبح مراكز علاجيّة ضخمة ومتكاملة يلجأ إليها المرضى للعلاج، وممارسة بعض الأنشطة الرياضيّة أو الفنيّة خلال مدّة إقامتهم[2]. وهذا ما نراه في مصر القديمة حيث اعتاد الناس الذهاب إلى المعابد لعلاجهم من مختلف الأمراض من خلال الكهنة الذين كانوا يمارسون دور الأطبّاء لعلاج المرضى، وارتبط إزاء ذلك ما يسمّى بالـ «سناتوريوم» بالمعابد في العصر اليونانيّ والرومانيّ، وكان عبارة عن ملحق بالمعبد يمكث فيه المريض لفترة من الوقت للعلاج من أمراضه، ومن أشهر هذه المباني ذلك المرتبط بمعبد «دندرة»، والذي تمّ تدميره بعد ذلك.

---

[1]- بكر، قراءات في حضارة الإغريق، م.س، ص79-80.

[2]- سابرينا محمد أحمد رفعت عبد الوهاب، إحياء السياحة العلاجية القائمة على التراث الثقافي: من خلال مجمع الاسكليبيا الاستشفائي، مجلة كلية السياحة والفنادق، جامعة الفيوم، المجلد التاسع، العدد (1/2)، أيلول، 2015م، ص103.

4ـ أشكال المعابد:

يعتبر المعبد من أهمّ الصروح المعماريّة، وقد أدّى تعدّد الآلهة إلى بناء العديد من المعابد وتخصيص معبد لكلّ إلهٍ. لقد أغفل «الآخيون» بناء المعابد؛ لأنّهم اهتمّوا ببناء القصور، بينما عُني «الدوريّون» بالأضرحة في مدنهم الكبرى، وقد تطوّرت هذه الأضرحة القديمة على مرّ الأزمان تدريجيًّا حتى أصبحت معابد كاملة. وبدأ هذا التطوّر بالجدار الذي يحيط بالضريح الذي أصبح سورًا منتظمًا بعد أن كان بسيطًا ومتعرّجًا، ثمّ تطوّرت الأعمدة التي بُنيت أمام الضريح، ثم أضيفت أجنحةٌ جديدةٌ، فأصبح الشكل الأساسيّ للمعبد الإغريقيّ مستطيلاً في واجهته الأماميّة، أمّا الساحة الداخليّة من البناء، فقد بُني فيها صفان من الأعمدة لإنشاء ممرّاتٍ جانبيّة، ويثبت حجرات صغيرة للعبادة بواسطة قواطع بين الأعمدة والجدران، وقد ظهرت هذه الأعمدة الخارجيّة لأوّل مرّةٍ في معبد (ثرمون) في (توليا) شمال غرب اليونان ثمّ انتشرت استعمالها في كلّ المعابد الإغريقيّة[1].

لقد كانت المعابد اليونانيّة في منتهى البساطة، كثيرة الأعمدة من الخارج، يحيط بها فضاء فسيح. معظمها كانت خاليةً من النوافذ، معتمدةً في ذلك على أشعّة الشمس التي تدخل من الباب الشرقيّ. استعمل الحجر الجيري والرمليّ في بناء المعابد مع تغطية الحوائط بطبقةٍ من البياض من مسحوق الرخام والجير، وأسقف مائلة من الخشب مغطّاة بالقرميد أو البلاط الرخام.

لقد اكتسب فنّ العمارة والمعابد بالتحديد شخصيّته الخاصّة المتطوّرة على يد حضارات الشرق الأدنى القديم. بنى اليونانيّون المعابد التي حازت على اهتمام الشعب، وتميّزت أنّها خضعت لمفاهيم فلسفيّةٍ ومقاييس هندسيّةٍ وهي تعتمد على نسبٍ لا تتّسم بالضخامة، ولكنّها تحقّق الانسجام بين العناصر الفنيّة والمعماريّة.

«كانت المنشأت العامّة التي بنيت من الحجر لا تظهر آثارها لفترة بعد نهاية العصر الميكني (1100ق.م) ربمّا نتيجة للغزو الدوريّ الذي اجتاح بلاد اليونان طوال القرن الحادي عشر قبل الميلاد وما قد صحب ذلك من دمار أو عدم استقرار»[2]. باعتراف بعض مؤرّخي

[1]- رجاء كاظم عجيل، الديانة في بلد اليونان، م.س، ص73.

[2]- لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان مقدّمة في التاريخ الحضاري، م.س، ص270.

الحضارة اليونانيّة قالوا: «إنّ اليونان تعلّمت هذا النّوع من العمارة من فنّ العمارة في مصر، وهو أمرٌ قد يكون واردًا إذا أدخلنا في اعتبارنا أنّ جاليات يونانيّةً كانت تقيم في مصر في تلك الفترة. ومن الممكن أن يكون الأمر تطوّر محليًّا في بلاد اليونان الغنيّة بالثروة الحجريّة. وسواءً أكان هذا أو ذاك، فإنّ الأمر الثابت هو أنّ اليونان نقلوا أساس فنّهم المعماريّ من مصر»[1]. فقد اتّبعوا، بشكل يكادُ أن يكون تامًّا، النظام المعماريّ المصريّ منذ عصر بناة الأهرام (الألف الثالثة قبل الميلاد)، على أنّ الفنّ المعماريّ اليونانيّ اختلف عن نظيره المصري في عددٍ من الجوانب، فالمباني اليونانيّة العامّة لم تتبع الأبعاد الشاسعة الضخمة التي تظهر في المباني العامّة في مصر، كما يظهر مثلاً من مقارنة معبد الكرنك في الأقصر (في صعيد مصر) ومعبد «البارثينون» (في أثينه). كما أنّها لم تتبع التخطيط المصريّ المركّب كثير التفصيل. وأحد أسباب ذلك؛ في حالة المعابد التي تشكّل القسم الأغلب من المباني العامّة المتبقيّة على الأقلّ.

5.موقع المعابد في الديانات اليونانيّة قبل القرن التاسع قبل الميلاد

كان البيت المعبد الأوّل، وكان ربّ البيت كاهنًا يقوم بإجراء الطقوس، ثم عمد اليونانيون إلى بناء المعابد، فلا مدينة بلا معبدٍ، حيث تنافس الحكّام في بنائها وتزيينها. ولا تزال الجدران والرسوم والنقوش في المعابد وغيرها الشاهد الأكبر على اهتمام اليونانيينّ بأعيادهم[2]. إنّ الموروث الديني اليوناني، والذي توارثه اليونانيّون عن الحضارة الكريتيّة المينويّة ليس إلّا -في كثيرٍ من تفاصيله ـ تأثيرًا شرقيًّا عقائديًّا، كان قد وصل إلى تلك المراحل الحضاريّة السابقة عبر قنوات الاتّصال التجاريّ والتفاعل الحضاريّ في شرق البحر المتوسط منذ بدايات الألف الثانية ق.م، بين شعوب وحضارات تلك المنطقة. عبّر اليونانيّون عن شكرهم وتوسّلهم إلى آلهتهم عبر العديد من الوسائل، منها أنّهم شيّدوا المعابد الضخمة الفخمة من أغلى أنواع الأحجار، وهي الرخام بجميع أنواعه الموجودة بكثرة على سطح أراضيه وفي جزره العديدة. وزوّدت المعابد بتمثال الإله أو الربّة التي تحتلّ وسط المعبد في حجرةٍ خاصّةٍ به. ثم بنوا مذبحًا خارج المعبد لتقديم القرابين عليه من أغنام وأبقار وماعز. وأوجدوا

[1]- لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان مقدّمة في التاريخ الحضاري، م.س، ص271.

[2]- الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم، م.س، ص58.

طقوسًا معيّنة وصلوات[1]. إضافةً إلى تقديم الأضاحي، فقد كان اليونانيّون يقدّمون كثيرًا من خيرات مجتمعهم لمعبد الإله مثل «الخمر» و«الزيت» و«اللبن» و«الحلويّات» و«الفواكه»[2]. كان كهنة المعابد يحاولون استغلال أيّة مناسبةٍ من المناسبات في العام لدعوة المواطنين للحضور في المعابد، وتقديم القرابين والمشاركة في الحركات الراقصة والألعاب التي تقام بهذه المناسبات، باعتبارها رمزًا لقبول الآلهة لتلك المناسبات حسب معتقداتهم الدينيّة.

كان يعتمد الدين اليونانيّ على عبادة الأشخاص أو الظواهر الطبيعيّة، وكانت لكلّ بلدٍ عبادةٌ معينةٌ وأعيادٌ خاصّةٌ بها، وقد كان للدين تأثيرٌ كبيرٌ على اليونانيّين مما ظهر بوضوحٍ في معابدهم، ويرجع هذا التأثير الى أنّهم كانوا ينظرون للدين نظرةً فلسفيّةً. «تكشف المناظر الدينيّة المصوّرة عن وجود علاقة دينيّة خفية وسرية وغامضة بين الخالق والمخلوق. كما تكشف بوضوحٍ عن حاجة المتعبّدين الشديدة إلى الإخصاب الذي كانوا يحثون بخصوصه ربّتهم الكبرى دائماً في صورة القرابين التي كانوا يقدّمونها لها. كما يُلاحظ وجود نوعٍ من عبادة الأشجار والتنسّك للأعمدة وأغلب الظنّ أنّ ديانةً مشتركةً كانت تجمع بين موكيناي وكريت ودول شرق البحر المتوسّط عامّةً، حيث كانت تربط بين هذه الأقطار جميعًا صلاتٌ تجاريّةٌ وثقافيّةٌ وطيدةٌ»[3].

أمّا عن أماكن العبادة «فجديرٌ بالذكر أنّ الدين الموكينيّ مثل الدين المينويّ لم يعرف المعابد الضخمة التي تحوي تماثيل العبادة الضخمة، مثلما كان الحال في العصور الكلاسّيكيّة إذ لم يتعدّ مكان العبادة أن يكون محرابًا صغيراً تقدّم فيه القرابين»[4]. أما الدوريون فلم يخلّفوا وراءهم آثارًا معنويّةً تعكس شخصيّتهم، كتلك التي تختصّ بالعبادة وشعائر دفن الموتى[5]. وفي النهاية يبدو أيضًا أنّ الإغريق دون غيرهم من شعوب العالم القديم -المقصود هنا المصريّون- اهتمّوا بالحياة أكثر من الموت، وأنّ المناظر الفنّيّة الجنائزيّة تصوّر الحياة أكثر من تصويرها الموت[6].

[1]- محمود إبراهيم السعدني، تاريخ وحضارة اليونان (دراسة تاريخية-أثرية)، ط1، القاهرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، 2008م، ص123-124.

[2]- م.ن، ص125.

[3]- الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم، م.س، ص59.

[4]- الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم، م.س، ص61.

[5]- م.ن، ص71.

[6]- الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم، م.س، ص75.

6. خصائص فنّ العمارة اليونانيّة (التأثّر والتأثير الحضاريّ بين الشرق والغرب)

تأثّر اليونانيون بفنّ العمارة عند حضارات الشرق الأدنى القديم، وخاصّةً بناء المعابد. وبالمقارنة مع حضارات الشرق القديم، نجد شهرةً سوريّةً في عصر البرونز الوسيط ببناء المعابد المستطيلة ذات الأروقة، وقد ظهر النموذج الأبكر لهذه المعابد منذ عصر السلالات الباكرة في تل الخويرة (قرب رأس العين)، وتكرّر ظهور هذا النموذج من المعابد في إيبلا، بعدما تمّ الكشف عن عدد من المعابد، كانت مكرّسةً لعبادة الإله شمش (إله الشمس). وبالمقارنة مع المعابد اليونانيّة نجد في سوريّة طرازين أساسيّين من طرز بناء المعابد؛ الأوّل: ذو مخطّط بسيطٍ، أشبه بالبرج مثل معابد «بعل» و«دجن» في أوغاريت، والثاني: ذو مخطّطٍ مستطيل تطوّر إلى النمط التقليديّ[1]. وفي ماري تشير المعطيات الأثريّة إلى احتواء ماري على 25 معبدًا، منها ما كان داخل قصر «زمري ليم»، ومنها ما كان خارجه[2]. وهناك نمطٌ آخر في ماري يمثّله معبد عشتار، وقد وُضعت الأسود على باب المعبد[3]. وفي «تل حلف» السوريّة أُكتشف فيما يُعرف باسم (معبد القصر)، وفيه منحوتةٌ كُتب عليها: «... معبد إله الطقس...»[4]، وهذه المنحوتة هي سبب اختلاف الباحثين حول المبنى أهو قصرٌ أم معبدٌ، والأرجح أنّه قصرٌ ومعبدٌ في آنٍ معًا. ويتميّز المعبد بواجهته الفريدة التي قامت على ثلاثة تماثيل آلهةٍ عملاقةٍ مقام الأعمدة، ويقف كلّ إلهٍ على حيوانٍ خاصٍ به يرمز له. أما الكنعانيّون، فقد تركّزت أماكن العبادة عندهم في نوعين من الأماكن هي هياكل العراء والأماكن المرتفعة، ثم صارت المعابد والساحات وبعض الجبال، وربمّا ساحات القصور أماكن للعبادة[5].

أخذ الإغريق عن المصريّين بناء المعابد والأعمدة، لتصبح بعد ذلك النمط السائد عند الإغريق، كما يتّضح من مقارنة معبد «الكرنك» أو بقايا المجموعة الجنائزيّة للملك «زوسر» بسقارة في مصر، بمعبد «البارثنتون» في أثينة، أو بقايا معبد «أبولون» في «أولمبية»، ويشير إلى ذلك المؤرّخ الإغريقيّ «هيرودوت» بقوله: «فاحسب أنّ مصر عرفت الهندسة لحاجتها

[1]- علي أبو عساف، أثار الممالك القديمة في سورية، لا ط، دمشق، وزارة الثقافة، 1988م، ص419.

[2]- اندريه بارو، ماري، ترجمة: رباح نفاخ، لا ط، دمشق، 1979، ص72.

[3]- سلطان محيسن، آثار الوطن العربي، لا ط، دمشق، المطبعة الجديدة، 1988م، ص217.

[4]- محمد المحمد الحسين، جذور وعراقة الحضارة السورية (تل حلف إنموذجاً)، مجلة دوائر الإبداع، جامعة دمشق، العدد 19 أيلول 2019م، ص26.

[5]- خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ط1، عمان، دار الشروق،2001م، ص236.

للقياسات، وعنها أخذ الإغريق هذا العلم[1]». فيعدّ معبد «حتشبوت» الجنائزيّ من أشهر المعابد في هذه الفترة وهو ما يعرف بمعبد «الدير البحريّ» -بداية القرن (15) ق.م- فيه عدد كبير من التماثيل منها «أبو الهول»، إضافةً إلى ذلك هناك معبد «أبي سنبل» الكبير المنحوت في الجبل. وللمقارنة بين الأعمدة، نجد أنّ في مصر قد استعملت في البناء أعمدة على شكل النخيل ثم شاع استعمال زهرة اللوتس في الفنّ المصريّ كوحدة زخرفيّة. وأهمّ ما يميّز الحضارة اليونانيّة هو تحديد أماكن وضع النقوش في شكلٍ منظّمٍ، وتتميّز نقوشهم بالحساسيّة والدقّة والرشاقة، على عكس الحضارة المصريّة القديمة والتي كانت ترتكز على ملء الجدران بالنقوش والرسومات[2].

أمّا في بلاد الرافدين، فلم يكن المعبد في بابل مكانًا للعبادة والصلاة فحسب، بل كان كذلك عنصرًا مهمًّا للإدارة الزمنيّة. وكان الأمر يتطلّب موارد ضخمة لإطعام موظفي الادارة الذين يعملون في خدمة الإله[3]. لم يُكشف عن أي مذبح داخل معابد بابل، وكانت التضحية تتمّ في الخارج[4]. أمّا المعابد الأشوريّة فكانت تُبنى على نمط الهياكل السومريّة والأكاديّة. وفي أحواش المعابد كانوا يبنون زقوراتٍ أو زيجوراتٍ أو بروجًا ومدارجَ، وهو آخر مراحل التطوّر لما كان من قبلُ رمزاً للإله. وأخيراً، تأثّرت أيضًا الحضارة الإغريقيّة تأثّرًا غير مباشرٍ بالحضارة الفارسيّة، ويتجلّى ذلك في الروح الشرقيّة التي يتّسم بها العمود الآيونيّ، وذلك لاتّخاذه الشكل اللولبيّ والذي يسمّى باللفافات[5].

ثانيًا: الطقوس

1. تعريف الطقوس

تُعرّف الطقوس على أنّها: «قواعد السلوك التي تصف ما يجب أن يكون عليه سلوك

[1]- خليل سارة: الإطار الحضاري لتاريخ الإغريق، مجلة دوائر الإبداع، جامعة دمشق، العدد 19 أيلول 2019م، ص254.

[2]- يحيى، اليونان مقدّمة في التاريخ الحضاري، م.س، ص20.

[3]- ديلابورت، بلاد ما بين النهرين، م.س، ص136.

[4]- م.ن، ص148.

[5]- ديلابورت، بلاد ما بين النهرين، م.س، ص317.

الإنسان تجاه الموضوعات المقدّسة»[1]. والطقوس كما يعرفها علماء الأنثربولوجيا الاجتماعيّة هي: «مجموعة حركاتٍ سلوكيةٍ متكرّرةٍ يتّفق عليها أبناء المجتمع وتكون على أنواعٍ وأشكالٍ مختلفةٍ تتناسب والغاية التي دفعت الفاعل الاجتماعيّ أو الجماعة للقيام بها»[2]. إنّ الطقوس الدينيّة هي «التي تعدّ نفسها مرآةً لتعاقب دورات النظام الكونيّ»[3]، فعندما تقترن هذه الطقوس بالميتافيزيقيا تتحوّل إلى شعائر دينيّةٍ لها بُعدٌ نفسيٌّ وعقيديٌّ على الفرد والجماعة، فعندما تُؤدّى الشعائر الدينيّة ولا تُؤدّي إلى نتيجة سموّ النّفس وحسن الأخلاق وطيب المظهر والمخبر، تتحوّل إلى طقوس. فالدين الإسلاميّ يتضمّن شعائر؛ كالحجّ والصوم والصلاة والزكاة، فالحجّ نتيجته الصبر والجود بالمال والتواضع، والصوم نتيجته إحساسٌ بالفقير وتحرّرٌ من شهوات النّفس. إذًا، الشعائر الدينيّة تؤدّى على عقيدةٍ صحيحةٍ حتّى تظهر نتائجها على الفرد والمجتمع، فإن لم تظهر تلك النتائج فإنّما هي طقوس تم تأديتها.

2. تصنيفات الطقوس

كان اليونانيّون يقيمون مراسم عبادتهم في محاريب على قمم الجبال، ويمكن أن يكون مكان العبادة لدى اليونانيّين موقد الدار، ويمكن أن يكون شقًّا في الأرض يسكنه إلهٌ أرضيٌّ، وكان حرم الهيكل مكانًا مقدّسًا يجتمع فيه العابدون ويجد فيه اللاجئون مكانًا آمنًا يحتمون فيه، ولم يكن الهيكل مكان اجتماع المصلّين، بل كان بيت الإله يُنصب فيه تمثاله ويوقد أمامه ضوءٌ لا ينطفئ أبدًا، وكثيراً ما كان يعتقد الناس أنّ الإله هو التمثال نفسه، لذلك كانوا يعتنون بغسله وإحاطته بالرعاية، وكان يُحفظ في سجلات الهيكل والمعبد تاريخ عبادة الإله، والحوادث المهمّة في حياة المدينة[4].

---

[1]- محمد الخطيب، الأنثربولوجيا الثقافية، ط2، الأردن، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، 2008، ص63.

[2]- أمال النور حامد، طقوس الزوار وطبيعتها، مجلة الأنثربولوجيا السودانية، العدد4، تموز2005م، ص13.

[3]- كولون ولسون، فكرة الزمان عبر التاريخ، ترجمة: فؤاد كامل، مراجعة: شوقي جلال، مجلّة عالم المعرفة، الكويت، العدد 159، آذار 1992م، ص11.

[4]- بيارغريمال: الميتولوجيا اليونانية، ترجمة: هنري زغيب، ط1، بيروت-باريس، دار منشورات عويدات، 1982م، ص112.

الطقوس في حياة الإنسان دلّت وعبرّت عن ثقافة المجتمع وطريقة حياته وفكره، فبعض القبائل الإفريقيّة يؤمنون بأنّ دهن جسم المرأة بشحم الماعز وبعض النباتات التي تنتج عطرًا فوّاحًا إنّما يدلّ على بركة الأرض. أثبت العلم الحديث أنّ الطقوس موجودةٌ داخل عقل الإنسان لا يستطيع الفكاك منها، حيث تحوّرت هذه الطقوس لتتحوّل إلى شعائر دينيّةٍ، فالديانة الهندوسيّة تقوم على مبدأ حرق الجثث وبعض الديانات تؤمن بتناسخ الأرواح وهكذا...[1].

كانت الطقوس تهدف لكشف ما سيحدث للمرء حسب المفهوم الميثولوجيّ الإغريقيّ بعد وضعه في القبر، لقد اعتبرت هذه الطقوس سريّةً للغاية في اليونان القديمة، وكان يحكم على كلّ من يحاول كشفها للعامّة بالموت. «الموقد البيتيّ يعتبر مقدّسًا؛ لأنّه كان مرتبطًا بعبادة الأسلاف. ويُزيّن هذا الموقد بالأزهار، وتعامل شرارته بعناية، وترمى فيه أعشاب عطرة للخطيبين وحديثي الولادة يقدمون له والمنفيّون يلجؤون إليه، وتمجيد الأسلاف، المرتبط صميميًّا بعبادة الموقد المنزليّ، كان واسع الانتشار في اليونان»[2].

3. أنواع الطقوس

كان الاعتقاد السائد لدى الإغريق، أنّ الآلهة تعيش حياةً ماديّةً خالصةً، فهي بحاجةٍ إلى أن تُنظّف وتُغسل وتُزكى بالعطور والطيب وتُلبس وتُطعم يوميًّا[3]. ومن أهمّ أنواع الطقوس: الطقوس اليوميّة، وطقوس المناسبات، والطقوس الدوريّة، والطقوس السريّة.

أ. الطقوس اليوميّة

يمارسها الناس في جميع المعابد[4]، أهمّها:

ـ **طقس الاغتسال والتطهّر:** يقوم بها المتعبّد أو الكاهن، وكان الاغتسال والتطهير يجري

[1]- ولسون، فكرة الزمان عبر التاريخ، م.س، ص13.

[2]- ف. دياكوف، س. كوفاليف: الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، ط1، دمشق، منشورات دار علاء الدِّين، 2000م، ج1، ص278.

[3]- اسماعيل، الشرق العربي القديم وحضارته، م.س، ص10-11.

[4]- السعدني، تاريخ وحضارة اليونان، م.س، ص69-70.

وفق أنواعٍ متعدّدةٍ هي: **الماء**، و**الزيت (الدهان)**، والنار.

ـ **طقس القرابين:** يعتبر من أهمّ الشعائر الدينيّة لدى جميع الحضارات. وتقديم القرابين طقسٌ دينيٌّ من أجل تقريب الخير أو إزالته، وتُقدّم أضاحيّ إمّا (حيوانيّة أو نباتيّة) أو غيرهما[1]. و«يجب أن تُقدّم القرابين لكافّة الأرباب طبقًا للطقوس المقرّرة، وظلّت طقوس العبادة تُراعى بمنتهى الدقّة»[2].

ب. طقوس المناسبات

كان لدى اليونانيّين اعتقادٌ أنّ العقاب الذي يلقاه الميّت في الجحيم قد ينتهي إذا كفّر الإنسان عن ذنبه قبل موته، أو كفّر عنه أحد أصدقائه بعد موته. وكانوا يعتقدون أنّ التوبة من الذنوب والتكفير عنها يتمّان بتقريب القرابين، ويُعتقد أنّ بعض القرابين كانت تُقدم للآلهة؛ إذ كان بعضها بشريًّا، كأن يُرمى بالضحيّة من فوق الصخور استرضاءً للآلهة[3]. لقد كان أهل «ميكيناي» يهتمّون بالطقوس الجنائزيّة اهتمامًا كبيراً. وكان الأفراد العاديون يدفنون في مقابر كالغرف محفورةً بالصخر، وكان أهل الميّت يشربون نخب توديعه عند باب المقبرة ثمّ يحطّمون القدح[4].

تأثّر الإغريق بحضارة جزيرة كريت في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد؛ حيث اهتمّ الناس هناك بموتاهم إلى درجةٍ قريبةٍ من العبادة، وكانوا يدفنونهم في توابيت فخاريّةٍ أو في جرارٍ كبيرةٍ، ويضعون معهم بعض الطعام والأدوات تساعدهم في حياتهم الأخرى التي سيعيشونها بسلامٍ وسعادةٍ دون أن يعودوا إلى الأرض، كما تأثّروا بالحضارة الميسينيّة المعاصرة، حيث آمن الناس هناك بوجود حياةٍ أخرى بعد الموت، لذلك وضعوا الكثير من

[1]- ج. كونتنو: الحضارة الفينيقية، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، راجعه: طه حسين، لا ط، القاهرة، منشورات مركز كتب الشرق الأوسط، 1948م، ص142.

[2]- ه.د. كيتو: الإغريق، ترجمة: عبد الرازق يسرى، راجعه: الدكتور محمد صقر خفاجة، لا ط، القاهرة، دار الفكر العربي، 1962م، ص256.

[3]- رجاء كاظم عجيل، الديانة في بلد اليونان، م.س، ص74.

[4]- علي عبد اللطيف أحمد، التاريخ اليوناني (العصر الهللادي2)، م.س، ص751.

الأدوات والمرفقات الجنائزيّة مع موتاهم، ويبدو أنّهم قد تأثّروا بالآخيين أسلافهم الذين كانوا يحرقون أمواتهم، كما فعل الدوريّون أيضًا على الأرجح؛ لأنّهم شعوبٌ غير مستقرين، ولا يستطيعون العناية بالقبور كما يجب[1]. بالمقارنة مع أهم الطقوس الجنائزيّة عند حضارات الشرق الأدنى القديم، فقد عرفت بعض حالات الحرق للجثث عند الآراميين، وربّما كان ذلك نتيجة تأثّرهم بجيرانهم الحثّيين الذين اتبعوا هذه العادة مع موتاهم[2].

أمّا عند المصريّين، دأب المصريّون على الاهتمام الشديد بالاحتفال بدفن الموتى، إذ اعتقدوا أنّ سعادة الشخص الميّت في المستقبل تتوقّف على هذا الاحتفال، وعلى المعتقدات المرتبطة بالطقوس، كان الميّت يُدفن دائمًا ولا تُحرق جثّته أبدًا. «والدور الرئيسيّ في الطقوس الجنائزيّة يؤدّيه الكاهن الذي يجسّد أنوبيس وكان الكاهن بصفةٍ عامّةٍ يعيّنهم الملك في البداية، ثمّ تطوّرت فيما بعد وأصبحت وراثيّةً[3]».

وفي بلاد الرافدين نجد البكاء والحزن على الميّت، ومسح الجثة بالزيت، وربّما لفّها بكفن، وتقديم القرابين أو الولائم الجنائزيّة عند القبر، حيث تذبح الخِراف وتقدّم الأطعمة والفواكه والنبيذ من أجل روح الميّت، ويُدفن قسمٌ منها مع الميّت والباقي يوزّع على الناس[4].

كان الإغريق يدفنون موتاهم أو يحرقونهم، ويؤمنون أنّهم سيعيشون في عالم الموت أو في العالم السفليّ عند إله الموت. إنّ تنفيذ الطقوس الجنائزيّة ودفن الميّت بالشكل الصحيح، أمرٌ مهمٌّ جداً كما هو بالنسبة لمعظم شعوب الأرض عبر التاريخ، فإن لم تنفذ تلك الطقوس على أصولها ستلحق اللعنة أهل الميّت لأنّ روحه لن تهدأ[5].

ت. الطقوس الدوريّة

[1]- إبراهيم عميري، سوزان روبه: المدافن والطقوس الجنائزية في العصور الكلاسيكية في ريف دمشق، لا ط، دمشق، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، وزارة الثقافة، 2012م، ص23-33.

[2]- سوزان عميري، المدافن والطقوس الجنائزية، م.س، ص23-33.

[3]- جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكّاوي، مجلّة عالم المعرفة، الكويت، العدد 173، أيار1993م، ص45.

[4]- سوزان عميري، المدافن والطقوس الجنائزية، م.س، ص23-33.

[5]- سوزان عميري، المدافن والطقوس الجنائزية، م.س، ص23-33.

وهي الطقوس التي تتبع نظاماً زمنيّاً متكرّراً وثابتاً، وتظهر على شكل أعيادٍ جماعيّةٍ كبيرةٍ تحتفل بها الجموع. ومن أهمّ هذه الطقوس: الطقوس الأسبوعيّة والشهريّة، والطقوس الفصليّة والسنويّة، والطقوس السبعيّة وهي الطقوس التي تجري كلّ سبع سنواتٍ. ومن الطقوس الدوريّة الأخرى التي كانت تمارس في شهر أيلول؛ نثر البذور في الحقول المعدّة للزراعة[1].

ث. الطقوس السرّيّة

انتقلت إلى شبه جزيرة اليونان في المراحل الأخيرة من عصور ما قبل التاريخ، ثمّ تطوّرت في القرون التالية، وتعدّ مراسيم عبادة «ديمترا» أقدم المراسيم السريّة في بلاد اليونان. وبعض الطقوس السريّة كانت تنتهي بالزواج المقدّس، إذ كان هناك غرفةٌ أسفل المعبد يجتمع فيها رئيس الكهنة بإحدى الكاهنات عندما تُطفأ المشاعل[2].

4. موقع الطقوس في الديانات اليونانيّة قبل القرن التاسع قبل الميلاد

تشكّل الطقوس والشعائر الدينيّة الركن العمليّ لأيّ دينٍ، فهي تستمدّ مادّتها الروحيّة من الأساطير، ومادّتها النظريّة الفكريّة من اللاهوت، لكنّها تحوّل كلّ هذه المادّة إلى أفعال عمليّةٍ تُشعر الإنسان المتين بديمومة واستمرار حضور الدين في حياته التفصيليّة اليوميّة[3]. أمدّتنا أشعار هوميروس (الألياذة ـ الأوديسة) بتصور واضح عن الحياة الدينيّة في فترة ما قبل القرن الثامن قبل الميلاد، فلم تكن الطقوس جميعها تجري في المعبد، فقد كان عددٌ من الطقوس يجري في ساحات المدينة العامّة، كما أنّه لم تكن الطقوس جميعها تجري بإشراف الكهنة، بل كان بعضها يجري بإشراف ربّ الأسرة أو الملك أو رئيس القبيلة.

تقرّب الكريتيّون إلى آلهتهم بطقوسٍ عديدةٍ تضمّ الصلوات والتضحيات والاحتفالات تقوم بها كاهناتٌ من النساء وفي بعض الأحيان يقوم بها موظّفون من رجال الدولة. إنّ أهل

[1]- الماجدي، المعتقدات الكنعانية، م.س، ص256.

[2]- بيارغريمال، الميتولوجيا اليونانية، م.س، ص112.

[3]- الماجدي، المعتقدات الكنعانية، م.س، ص256.

كريت كانت لهم مميزاتهم الدينيّة، فلم يعرفوا نظام المعابد الكبيرة، بل كانوا يقيمون مراسيم عباداتهم في محاريب على قمم الجبال[1]. تمتاز الأعياد الدينيّة امتيازًا ظاهرًا بطقوس الحجّ، وذلك أنّ معابد المدن كانت تُتّخذ في الأغلب على أعالي التلال المرتفعة[2].

كان اليونانيّون يوقدون في دورهم نارًا يقدّسونها ويقيمون حولها الصلوات ويقدّمون القرابين لاعتقادهم أنّها علامةٌ على خلود الأسرة. تلك الصلوات والقرابين إنّما هي للروح التي حرصت على بقاء الأسرة وعملت على خلودها، وهذا النوع من الديانة غير الديانة المجوسيّة، لأنّ المجوس يقدّسون النار لذاتها واليونانيّون كانوا يعبدون موتاهم بواسطتها[3].

كان يخصّص للمعابد عددٌ كبيرٌ من الكهنة يكلّفون بإقامة الشعائر ويحمل كبيرهم لقب «ربّ» بمعنى «رئيس» ويدخل العرّافون في عِداد الكهنة، ومنهم أنواع عدّة يتمايزون فيما بينهم بحسب ثيابهم. وكان يخصّص للمعابد عددٌ كبيرٌ من الخدم، وأوّلهم الحراس ومنهم أهل الحرف، لأنّ المعبد هيئة لها حياتها المستقلّة وشخصيّتها التي تتيح لها أن تملك وتدير دخلها[4].

يذهب «هيرودوت» «إلى أنّ الكهّان إنّما كانوا يتمتّعون بامتيازاتٍ ليست بالقليلة، فهم لا يستهلكون شيئًا من ثرواتهم الخاصّة، بل يُصنع لهم خبزٌ مقدّسٌ، ونصيب كلّ واحدٍ منهم يوميًّا كميّةٌ كبيرةٌ من لحم البقر والأوز، وتقدّم لهم خمرةٌ مصنوعةٌ من العنب، وفي بعض الأحيان أكل السمك غير مباحٍ لهم»[5].

5. أثر المعتقدات الشرقيّة على المعتقدات الغربيّة (التأثّر والتأثير الحضاريّ بين الشرق والغرب)

لا يمكن الفصل بين الحضارة المينويّة التي ظهرت في كريت، والحضارة الميكينيّة التي ظهرت في بلاد الإغريق من جهة، ولا يمكن الفصل بين هاتين الحضارتين وبين

[1]- عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، لا ط، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، 1998م، ص77-78.

[2]- فوزي مكّاوي، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته، ط1، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1980م، ص36.

[3]- أحمد علي، التاريخ اليوناني (العصر الهللادي1)، م.س، ص197.

[4]- كونتنو، الحضارة الفينيقية، م.س، ص140-139.

[5]- محمد بيومي مهران، الحضارة المصرية القديمة، ط4، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1989م، ج2، ص528.

الحضارات المصريّة على الشاطئ الإغريقيّ، والسوريّة على الشاطئ الآسيويّ من جهةٍ أخرى[1]؛ ولذلك تأثّر الفكر والمعتقد اليونانيّ بالفكر والأثّر الدينيّ الشرقيّ، فلممارسات الطقوس التي وجدت في معابد إبلا؛ مثل المذبح الذي كان ينتصب عليه تمثالٌ من البرونز والألواح البازلتيّة لتقديم الذبائح، والمنصات المخصّصة لتقديم الأطعمة، وغيرها يتّفق كلّيًّا مع طقوس ومراسم الجنازة الملكيّة في بلاد الإغريق[2]. ويرجّح الدّارسون أنّ المعتقدات الدينيّة المتعلقة بـ «هيراكليس» تعود إلى أصول فينقيّه. وجديرٌ بالذكر أنّ عبادة «هيراكليس» كانت تتضمّن مظهرًا شرقيًّا شديد الوضوح ألا وهو طقس (الزواج المقدس). أمّا في بيبلوس (جبيل) وُجد معبدٌ كبيرٌ للربّة «أفروديتي»، وكانت تُقام فيه طقوسٌ سريةٌ (ماجنةٌ) من أجل الإله «أدونيس» الذي قتله الخنزير، وكان كلّ عام وفي ذكرى هذا الحدث يضربون صدورهم وينتحبون ويؤدّون الطقوس الماجنة (الإباحيّة) بينهم، مثلما كان يفعل المصريّون لموت الإله «أبيس»، وجميع النساء اللائي يرفضن أن يحلقن شعرهن يتعرّضن للعقاب بأن يقمن بعرض ثمرتهنّ (أنوثتهنّ) للبيع لمدّة يومٍ واحدٍ، ولم يكن يسمح بالدخول إلى ساحة العرض سوى للغرباء فقط، ويتمّ تقديم الأجر قربانًا لـ»أفروديتي»[3].

أمّا بالنسبة للكهنة، فبينما كان الكهنة في مصر وبلاد المشرق يسيطرون على الدولة كانت الدولة في بلاد اليونان هي التي تسيطر على الكهنة، وكان لها الزعامة في الشؤون الدينيّة، ولم يكن الآلهة في اليونان سوى موظفين صغار في الهياكل، وكذلك أملاك الكهنة يدير شؤونها موظفون من قبل الدولة.

بالنسبة للقرابين فقد قدم سكان وادي الرافدين الأكباش والأبقار والثيران والماعز والغزلان والإبل قرابين للآلهة، وكانت أكثر القرابين خطورةً هي القرابين البشريّة، إذ كان اليونانيّون يقدّمون قربانًا آدميًّا للإله «زيوس» إذا أصابهم قحطٌ شديدٌ، كما قُدّمت نذورٌ غير

[1]- خليل سارة، الإطار الحضاري لتاريخ الإغريق، م.س، ص252.

[2]- Matthiae, Paolo, Frances Pinnock and Gabriela Scandone Matthiae., EBLA, Milano 1995. pp.164- 179.

[3]- مجدي صبحي الهواري، العناصر الشرقية في عبادة أفروديتي: دراسة من خلال المصادر اليونانية واللاتينية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، 2005م، ص85.

دمويّة، مثل الحبوب الغذائيّة والعسل والزيوت واللبن. كما اعتقدوا أنّ بعض الآلهة تفضّل طعامًا وشرابًا خاصًّا، فالإله «اينكي» لدى العراقيّين القدماء كان يحبّ السمك، والآلهة «هيدس» اليوناني محبًّا لشرب الخمر.

أمّا بالنسبة لمراسيم التطهّر، فهناك تشابهٌ كبيرٌ بين مراسيم التطهّر الشرقيّة وبلاد اليونان، فاستخدام الماء المقدّس للتطهّر قبل لمس أصنام الآلهة، وقبل الصلاة عرفت عند سكان بلاد الرافدين، ثم انتقلت إلى سكان بلاد اليونان، كما استخدم سكان بلاد بابل النّار للتطهّر والتخلّص من شرّ السحرة، وكذلك اليونانيّون كانوا يحملون الطفل بعد ولادته ويدورون به حول موقد النّار ليصبح طاهرًا. كما تشابهت المراسيم الخاصّة بالأموات وعقائد ما بعد الموت بين بلاد الرافدين واليونانيّين.

في العصر البابليّ كان الملك لا يكتسب صفته الشعبيّة إلّا إذا خلع عليه الكهنة سلطته الملكيّة في حفلٍ عامّ يجوب فيه الملك شوارع المدينة وهو ممسكٌ بصورة الإله» مردوخ»، وعقب ذلك يصبح سيّدًا مطاعًا[1].

[1]- اسماعيل، الشرق العربي القديم وحضارته، م.س، ص10-11.

الخاتمة

بناءً على ما تقدّم، نستنتج من بحثنا هذا ما يلي:

1- إنّ المعابد قد أُغفل أمرها من قبل الآخيين التي تركزت جهودهم على بناء القصور، وأنّ شكل المعبد اليونانيّ مدين منذ بدايته إلى المبادئ الدوريّة في العمارة، فالأضرحة القديمة أصبحت بالتدرّج معابد متناسقةً تبرز فيها السقيفة والحجرات والقاعة الخاصّة بتمثال الإله المقدّس.

2- اهتمّ أصحاب السلطة ببناء المعابد، فهي تعتبر من أهمّ الرموز عند اليونانيّين، استخدمت فيها أحدث تقنيّات الهندسة المتوفّرة وقتها.

3- قدّمت المعابد على اختلاف أنماط أعمدتها إرثًا معماريًّا محسوسًا للحضارة اليونانيّة، وأنّ مباني العمارة اليونانيّة الدينيّة وهندستها المعماريّة تستخدم اليوم على نطاق واسع في المباني العلمانيّة كالمحاكم والمباني الحكوميّة.

4- أنماط الأعمدة اليونانيّة الثلاثة أصبحت قاعدةً أساسيّةً للعمارة الغربيّة عبر العصور، فأصبح من النادر اليوم التجوّل ضمن مدينةٍ غربيةٍ دون ملاحظة التأثيرات المقتبسة من الحضارة اليونانيّة.

5- إنّ الحياة في بلاد اليونان لم تكن حياةً دنيويّةً كما يصفها المؤرّخون، بل كان للدين فيها شأنٌ مميّزٌ في كلّ مكان، وكانت الحكومة ترعى الطقوس الدينيّة الرسميّة. وإن كان ذلك الدين منغمس بالملّذات تبعاً لآلهتهم.

6- إنّ الطقوس السريّة انتقلت إلى شبه جزيرة اليونان في المراحل الأخيرة من عصور ما قبل التاريخ ثمّ تطوّرت في القرون التالية.

7- اتّضح لنا من خلال دراسة الطقوس أنّ الاحتفالات بالزواج المقدّس التي تجري في فصولٍ معيّنةٍ من السنة، ينوب الكاهن الأعلى عن الإله ويكون زواجه حقيقيًّا أو رمزيًّا.

وفي النهاية قد تبدو دراسة الماضي عديمة النّفع إذا لم تضئ لنا ظلمات حياتنا المعاصرة، وعلى هذا الأساس فإنّ سبر أغوار الحضارات القديمة يساعدنا على إنهاء أسطورة صراع الحضارات التي يروّج لها البعض في عصرنا هذا.

المصادر والمراجع

1. إبراهيم عميري، سوزان روبه، المدافن والطقوس الجنائزية في العصور الكلاسيكية في ريف دمشق، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، وزارة الثقافة، دمشق، 2012م.
2. أمال النور حامد، طقوس الزوار وطبيعتها، مجلة الأنثربولوجيا السودانية، العدد4، تموز2005م.
3. اندريه بارو، ماري، ترجمة: رباح نفاخ، دمشق، 1979م.
4. بيارغريمال، الميتولوجيا اليونانية، ترجمة: هنري زغيب، ط1، دار منشورات عويدات، بيروت-باريس، 1982م.
5. خليل سارة، الإطار الحضاري لتاريخ الإغريق، مجلة دوائر الإبداع، جامعة دمشق، العدد 19 أيلول 2019م.
6. ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية، ترجمة، محمد عبد الهادي شعيرة، راجعه: طه حسين، منشورات مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، 1948م.
7. جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة عبد الغفار مكّاوي، مجلّة عالم المعرفة، الكويت، العدد 173، أيار1993م.
8. حلمي محروس أسماعيل، الشرق العربي القديم وحضارته (بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م.
9. خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ط1، دار الشروق، عمان الأردن،2001م.
10. رجاء كاظم عجيل، الديانة في بلد اليونان، مجلّة آداب ذي قار، العدد 5، المجلّد 2، شباط 2012م.
11. سابرينا محمد أحمد رفعت عبد الوهاب، إحياء السياحة العلاجية القائمة على التراث الثقافي: من خلال مجمع الاسكليبيا الاستشفائي، مجلة كلية السياحة والفنادق، جامعة الفيوم، المجلد التاسع، العدد (1/2)، أيلول،2015م.

12. سلطان محيسن، آثار الوطن العربي، المطبعة الجديدة، دمشق، 1988م.

13. سيّد أحمد علي الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم (من حضارة كريت حتّى قيام إمبراطورية الإسكندر الأكبر)، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976م.

14. عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1998م.

15. عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني (العصر الهللادي1)، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م.

16. علي أبو عساف، أثار الممالك القديمة في سورية، وزارة الثقافة، دمشق، 1988م.

17. ف. دياكوف، س. كوفاليف، الحضارات القديمة، ج1، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، ط1، منشورات دار علاء الدِّين، دمشق، 2000م.

18. فوزي مكّاوي، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1980م.

19. كولون ولسون، فكرة الزمان عبر التاريخ، ترجمة: فؤاد كامل، مراجعة: شوقي جلال، مجلّة عالم المعرفة، الكويت، العدد 159، آذار 1992م.

20. ل. ديلابورت، بلاد ما بين النهرين الحضارتان البابلية والأشورية، ترجمة: محرم كمال، مراجعة: عبد المنعم أبو بكر، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م.

21. لطفي عبد الوهاب يحيى، اليونان مقدّمة في التاريخ الحضاري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991م.

22. مجدي صبحي الهواري، العناصر الشرقية في عبادة أفروديتي: دراسة من خلال المصادر اليونانية واللاتينية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، 2005م.

23. محمد إبراهيم بكر، قراءات في حضارة الإغريق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002م.

24. محمد الخطيب، الأنثربولوجيا الثقافية، ط2، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، الأردن، 2008.

25. محمد المحمد الحسين، جذور وعراقة الحضارة السورية (تل حلف إنموذجاً)، مجلة دوائر الإبداع، جامعة دمشق، العدد 19 أيلول 2019م.

26. محمد بيومي مهران، الحضارة المصرية القديمة، ط4، ج2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989م.

27. محمود إبراهيم السعدني، تاريخ وحضارة اليونان (دراسة تاريخية-أثرية)، ط1، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة،2008م.

28. ه.د. كيتو، الإغريق، ترجمة: عبد الرازق يسرى، راجعه: الدكتور محمد صقر خفاجة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1962م.

29. Matthiae, Paolo, Frances Pinnock and Gabriela Scandone Matthiae., EBLA, Milano 1995. Pp.164- 179.

هذا الكتاب

يهدف هذا المشروع إلى إعادة قراءة التاريخ الحضاري للغرب برؤية موضوعيّة تعتمد على التحليل والنقد، وذلك من خلال الغوص في أعماق هذه الحضارة والبحث عن أصولها وجذورها الأولى وامتدادها وتجلّياتها عبر القرون والعصور المختلفة وتسجيل مالها وما عليها؛ للاستفادة من الإيجابيّات والابتعاد عن الهفوات والسلبيّات سيما ونحن نعيش على أبواب تغييرات حضارية عالميّة تغيّر الخارطة الثقافية.

إننا لا نهدف من خلال هذا المشروع إلى إعادة كتابة تاريخ الغرب من جديد، إذ هذا أمر تكفّله الغرب بجدارة، بل إنّ هدفنا هو إعادة قراءة هذا التاريخ لإعادة رسم حاضرنا بالاعتماد على ثقافتنا وهويتنا الإسلاميّة .

نتمنّى لكم رحلة معرفيّة ممتعة...

المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية
http://www.iicss.iq
islamic.css@gmail.com